

297.15: W14iA

Vol 2

وحدی - محمد فرید

JAN 13

4057

الاسلام في عصر العلم

4 MAR 77

MAR 22

3545

69-3326

18.12.77

MAY 22

4036

72 1107

297.15

W14iA

V.2

~~1977~~

~~1977~~

J. LIB.

23

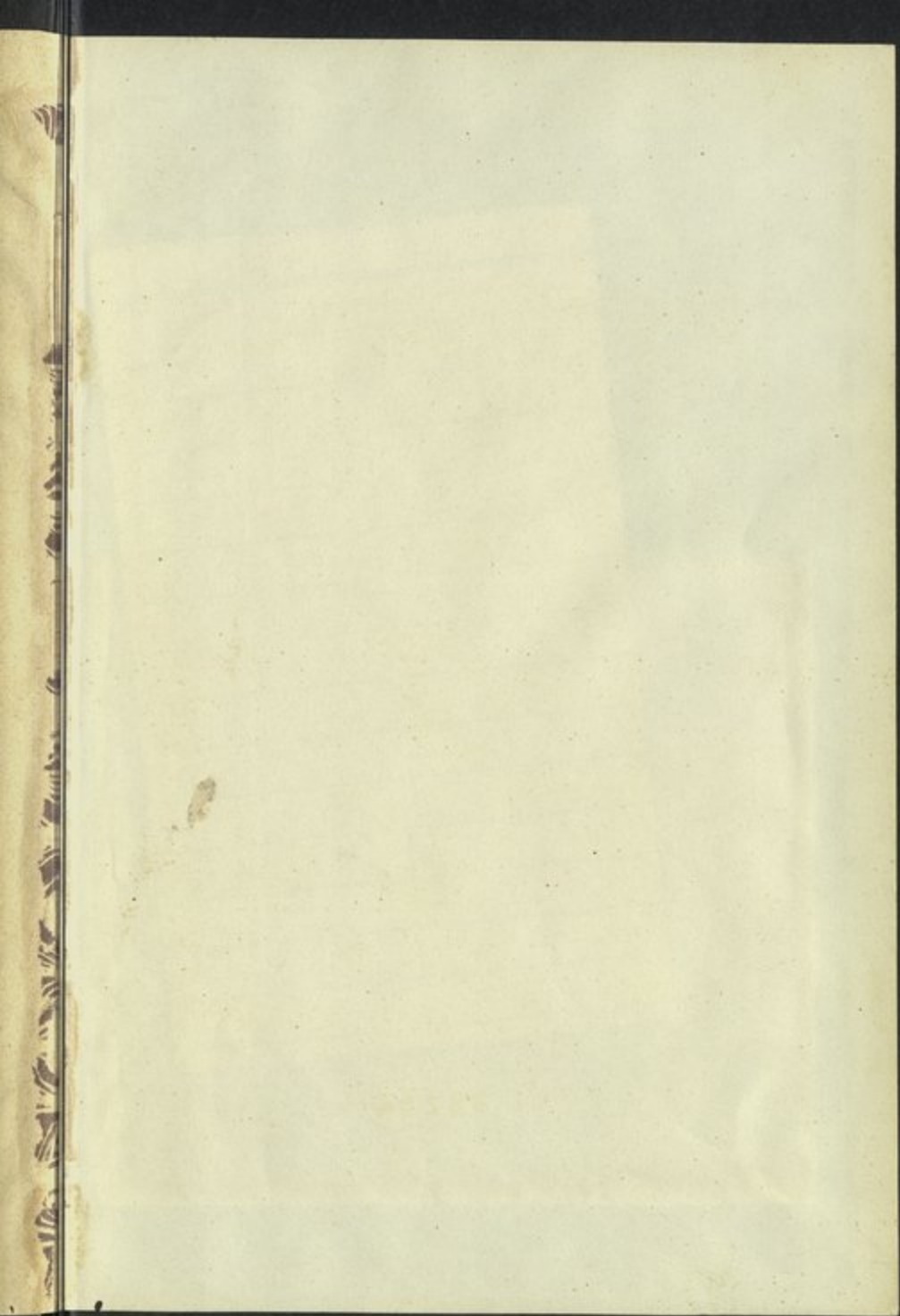
JAFET LIB.

1 JUN 1982

JAFET LIB.

JAFET LIB.

18 FEB 1991



# الإسلام في العمل

تأليف

محمد فوزي  
محمد فوزي

— ٢٤٣ —

## الجزء الثاني

مبحث الانسداد

— ٢٤٤ —

( حقوق الطبع محفوظة لل المؤلف )

— ٢٤٤ —

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

اصاحبا مصطفى محمد

١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

58294

مطبعة المساهدين بشارع السلخانية بالقاهرة  
إدارة محمد عبد اللطيف حمادي

١٩٤١



## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقنا لخدمة دينه القويم ، وهدانا بنوره العميم  
الى صراطه المستقيم ، وأصلى وأسلم على رسوله الكريم ، وأمينه  
الصميم ، محمد خاتم النبيين ، وامام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين  
إلى يوم الدين .

(أما بعد) فاننا بحول الله وقوته آممنا الجزء الأول من (الاسلام  
في عصر العلم) فلنبداً في الجزء الثاني منه معتمدين على واهب القوى  
والقدر ، وما نح البصيرة والبصر ، راجين منه سبحانه وتعالى أن يأخذ  
بيدنا لاتمام هذا الصرح الفخيم ، الذي تصدينا لتشيده لدينه القويم ،  
خدمة لآئفسنا معشر أبناء هذا العصر الذي انصبت فيه العلوم المادية  
انصباباً مريعاً ، وبلغت فيه المدارك الاحادية مبلغاً عجيباً ، ولعبت فيه  
الشبه بالعقول ، ولا لعب الشمول ، وهاجمت فيه الشكوك معاهد  
الايتمان من سرائر النفوس ، وضمائر القلوب ، هجوما شعربه الانسان  
شعوراً أزعجه إزعاجاً ، وبرح به تبريحاً ، وصاح كل منا صيحة دلت  
على قدر ألمه ، ومقدار وجعه . فمنا من استكان للعلة وظنها لازما من  
لوازم العلم العصري فجعل الشك دينه ، وظن كما يظن اللاأدريون أن

الوصول الى صميم الحقيقة محال على الانسان ، فقتعوا بهذا المركز المضطرب وخالوه نهاية ما يبلغه العقل القوى والفكر السليم ؛ ومنا من هاجمته تلك الشكوك هجوما عنيفا ولم تجد من فطرتة ما يقاوم تاراتها فجلا الايمان منها جلاء ، وحل محله غيب الكفر المطبق فساق ذلك المسكين أمامه الى أغراض الشهوات ، ومتاهات الاهواء ، يسلك به من مفازة فتنه ، الى متاهة ريبة ، ويخرج به من مهواة شهوة الى تهور شراهة ، حتى ينتهي وجوده الدنيوى على حال لا يرضاه لنفسه فكيف يرضاه له غيره ؟

ومنا من توهم أنه سلم من أفاعيل هذا التيار الجارف ، تيار العلم الاورنى المادى ، بقطع علاقته به ، والتفانى في الهرب منه ، فهو كلما صادفه ذلك التيار من وجهة ، ارتد على عقبه ، وسلك طريقا غير طريقه ، حتى اذا توسطه وكاد يجتازه لاحت له طلائع ذلك التيار عن بعد ، فرجع أدراجه ، وتللس منهاجا للحياة آخر . وهلم جرا ؛ فهو يقضى حياته حائرا لا يعرف له وجهة يتوجه اليها ، ولا يدري له غاية يتيممها ، فيقف ظانا أن فى الوقوف راحة له من بعض ذلك الهم الناصب ، ولكنه لا يكاد يطمئن فى نفسه حتى تغشاه غواشى ذلك التيار المتدافع من سائر جهاته ، فيضطرب طلبا للنجاة ، ويتخبط بحثا عن منفذ ! والى أين ؟ لقد أحاط التيار به من كل جانب ، وقارب أن يحيق به من كافة أرجائه ، جزاء ما أصر على مجافاته ، فلا يرى له ملاذاً إلا إحدى جهتين : إما أن تغوص به الأرض فيأمن عادية



ذلك البلاء المتواتر ، وإما أن يرفعه الهواء إلى مسارح الأطيوار ، ومدارج الأفلاك ، فيرى أن الوجه الأخير أقرب للسلامة ، وأشفى للنفس اللوامة ، فيشرئب برأسه ، ويتناول بعنقه ، وكلما أحس بشدة الخطر الذي هو فيه ، تبسم الأمل في وجهه . ونفحه الرجاء بنسيمه ، فتوهم أن ذلك الاشرئباب قد رفعه الى فوق ، وأمنه الخوض في العجة . . . . .

بينما يكون ذلك التيار المتدفق عليه من كل مكان قد أحاط به إحاطة القيد برجلى الأسير ، وفعل به عين مافعل باخوانه المستسلمين ولا فرق بينهم وبينه الا أنهم سلموا العدوهم قبل أن يحيط بهم ، أما صاحبنا هذا فلم يزل يزوغ منه ويروغ حتى سد دونه المسالك ، وأخذ أخذاً عنيفاً أذهله عن نفسه وأوهمه ذلك الذهب ل أنه ارتفع عنه الى مسابح الطيور ، ومسابح النور .

ومنا من من الله عليه بروح خاصة أقامته على الصراط السوى ، في وسط هذا الحال الردى ، وهم من قلة العدد بحيث لا يعرفون ، ولا يتوهم اليائسون أنهم موجودون .

هذه أقسام أربعة لا يخلو واحد منا من أن يكون تابعاً لقسم منها في هذا الجليل العجيب . فهو اما أن يكون ممن منحهم الله روحاً من عنده ، ونفحهم بنفحة من رحمته ، فقاموا على طريق الصالحين الأولين ، والأولياء الطيبين ، على قدم الأنبياء المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام أجمعين . فهو مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

وقضائه خيره وشره، إيماناً ذاتياً ذوقياً بغير تأويل ولا تصرف .  
 وإما أن يكون مكذباً بكل ذلك  
 وإما أن يكون شاكاً في صحة كل ذلك  
 وإما أن يكون موهاً نفسه أنه معتقد بكل ذلك  
 لنا على كل صنف من هذه الأصناف كلام لا يجوز لنا اغفاله في  
 مقدمة المجلد الثاني للإسلام في عصر العلم لأن ما سيحىء ان شاء  
 الله في أثناء هذه السنة يقتضيه ويناسبه ، بل يجب علينا أن نقدمه أمام  
 الكلام في هذه المناسبة بياناً لوظيفة الإسلام في عصر العلم ، وإشارة  
 للهمة التي ندبناه لها خدمة لآخواننا الأعزاء فنقول :

— ٤٤٤٤٤٤٤٤٤٤٤٤ —

### حَالُ الْمَكْذِبِ مِنْهَا بِالْعَقَائِدِ

المكذبون بالعقائد في كل أمة وفي كل زمان ومكان ثلاثة أقسام :  
 (١) قسم كافر بفطرته خلق فؤاده مطموساً ، ونوره مطفئاً (٢) وقسم  
 جامد بفطرته لاتهم العقائد ، ولا يهمه عدمها ، فهو كتلة مادية ذات  
 صورة انسانية ليس الا ، وهو يتقلب بتقلب الوسط الذي يعيش فيه  
 فان وجد المحيطين به مؤمنين فهو مؤمن فيما بينهم ، وان وجدهم على  
 الضد من ذلك فهو معهم يفعل ما يفعلون ، ويسلك من طرق الحياة  
 ما يسلكون .

هذا القسم والذي قبله قد أشبعنا فيهما القول في فصل متقدم من

كتاب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم فليرجع اليه من شاء .  
 بقى القسم الثالث من المكذبين وهو من لا يكون كافرا ولا جامدا  
 بفطرته ، وإنما عرض له التكذيب بالعقائد من شبه علقته بذهنه  
 من منافته للمعارف الاحلادية ، ومجالسته لبعض حملتها ، فتشبع فكره  
 بذلك السم القاتل وتمثل به فصار عسر العلاج جدا .  
 افراد هذا القسم كانوا مؤمنين نشأوا تحت سماء الشرق ، ودرجوا  
 من مهاده الوثيرة ، وهو كما لا يخفى فى هذا الدور ، دور الانحطاط  
 والقهقرى فى الصنائع والعلوم ، وهى سنة الله فى خلقه « وتلك الأيام  
 نداولها بين الناس » ولقد كانت لنا الدولة على غيرنا كما هى اليوم  
 لغيرنا على أكثرنا ولم تبلغ أمة منا مثل ما بلغنا من سائرهم ، وسيؤوب  
 الينا إن شاء الله مجدنا القديم ، على يد ديننا القويم ، وسنكون فى نهايتنا  
 مثل ما كنا فى بدايتنا خير أمة أخرجت للناس بأمر بالمعروف ونهى  
 عن المنكر وتؤمن بالله ونحمل للعالم نور الحق ، ولألاء الفضيلة ،  
 ودرىاق العقيدة ، ومن يعيش ير العجب .

دعنا الآن من هذا ولنعد إلى ما كنا فيه . قلنا نشأ أفراد هذا القسم  
 مؤمنين تحت سماء الشرق وهو فى دور الانحطاط والقهقرى ، فدعتهم  
 دواعى الأحوال الاجتماعية إلى درس العلوم الأجنبية ، والسفر إلى  
 بلادها القصية ، فماذا رأوا ؟ رأوا من زخارف الصناعات ، وبدائع  
 المخترعات ومعجائب الفنون ، وغرائب الشؤون ما يذهل الناظر عن نفسه ،  
 ويسلب العقل من رأسه ، مبانى تسامر الكواكب وتناغى السحائب ،

ومعاهد طرب ولهو تأخذ الأفئدة من بين الجوانح ، وتسترق النواظر من داخل المحاجر ، وأشياء وأشياء يطول عددها ، ولا يغيب عن قارئنا أمرها . فلها رأها أولئك الشبان وقارنوها بما عهدوه في بلادهم من المعاهد الساكنة الخاوية ، والمشاهد المحزنة المتداعية ، جال فكرهم واضطرب ، وأتت لهم الهواجس بالعجب .

كانوا يتعلون في مدارس بلادهم أن دينهم دين السعادتين ، وملاك الحياتين ، وأن متبعه فائز بالصفقتين ، ومتمتع بالنعمتين ، فرأوا رأى العين أن تلك الأمم أعلا من أمتهم في الحضارة كعباً ، وأرجح منها في الوجود وزناً ، وأفوز منها من السعادة سهماً ،

كانوا يتعلمون أن الدين يدعو إلى الكمال ، ويحلى متبعه بشرائف الخصال ، وكرام الخلال ، فرأوا أن أمتهم من هذه الجهة ليس لها مركز خاص بين الأمم ، بل رأوا أن آداب تلك الأمم في الجملة أرقى من آدابها كانوا يتلقون من آبائهم ومعلمهم أن أمتهم سيدة الأمم ، وصاحبة السيف والقلم ، ومكانها في العالم مكان القلب من الصدر أو العين من الرأس ، فرأوا هنالك أن لا محل لفرض ذلك القول ، وأن تلك الأمم أكثر من أمتهم جنوداً وسفيناً ، وأغزر منها مالا وعبوناً ، وأقدر على استخدام قوى الطبيعة ، وأمر منها في استعمال أسلحتها

رغمًا عن هذه المشاهد المدهشة كلها رأوا أن تلك الأمم تتابذ الأديان وتثبت بطلانها ، وتشاكس الكهان وتهدم معاهدها ، وتراقب الرهبان وتوصد مدارسها ، وتفتح لأفرادها مجالات الحرية في الطعن

على موروثات العقائد، ومقدسات الآباء في الأجيال الغوارب  
 رأوا كل هذا بأعينهم، وجال في تيار ضمائرهم، ووقف بهم موقفاً  
 ما أصعبه على الفؤاد الحساس! وجدوا أنفسهم من جهة مسوقين بل  
 مرغمين على ترك العقائد، لأن كل ما وقعوا فيه من ذلك الاضطراب  
 الذي صورناه لك يستدعيه، ولكنهم من جهة أخرى عز عليهم أن  
 يكشطوها من ضمائرهم وهي التي كانت لهم أيام الشبوية الأولى عزاء  
 في المصائب، وتسلية في المتاعب، ومعتصماً في المخاوف! صعب عليهم  
 أن يهجروها وهي التي طالما هاموا بنشيدتها في المكاتب وطربوا  
 بالترنم بها في المحافل.

هذا الحنين الذي طرأ عليهم من جراء هذا التناقض الذي أشرفوا  
 عليه كان يكفي لأن يقودهم إلى طريق الوسط، ويريهم وجه الحق فيما هم  
 بصدده؛ ولكن هيات! فانهم لم يكادوا يثنون أنه أو أتتني حتى دهمهم  
 تيار تلك المدنية الساحرة فداروا فيه مع الدائرين، ولم يزالوا بين تلق  
 وهو، يجذبهم العلم يوماً، وتسحرهم السواحر يوماً، حتى جازوا دور  
 الشبوية وشارفوا دور الكهولة، فحمدوا على ما علق بفكرهم وجزموا  
 بصدق استدلالهم وانقطع عنهم ذلك الحنين الأولى وعدوه من بقايا سن  
 الطفولية، وآثار الحياة المنزلية، فأبوا وكأنيهم أجنب عن الوطن  
 والدين، لا يتكلمون إلا بالفرنسية، ولا يلبسون الطرايش إلا  
 في البلاد المصرية.

قلنا ان هؤلاء الناس ليسوا كافرين بالفطرة، وانما عرض لهم

التكذيب من العوارض التي قصصتها عليك ، وهي عوارض تمكن  
ازالتها بالطرق العلية ، فانهم متى عرفوا حقيقة الدين وحقيقة الاسلام ،  
لخفوا اليه سراعا فكانوا أعز أنصاره ، وأقوى أعوانه . ولكن كيف  
السبيل اليهم ؟ انهم يعتقدون اعتقاداً جازماً انه لا يمكن أن يصل الشرقي  
إلى أكثر مما وصلوا اليه من العلم ، ويستنتجون من ذلك انه لا يمكن أن  
يرجعهم واحد من أبناء جلدتهم عما هم فيه ، فكيف نطمع بعد هذا أن  
يؤوبوا الينا وهم في جماهم يهيمون ، وفي خيالاتهم تائهون . اللهم إلا أن  
يكون لله فيهم شأن لا نعرفه

لهذا قلنا ان هذا القسم عسر الشفاء جداً مما هو فيه من داء الالحاد  
للكونه كافراً بالفطرة ولكن لكونه شديداً للجوح عن السمع ، كثير  
الهرب من التأمل

### قسم الموهمين أنفسهم بالعقيدة

أكثر أفراد هذا القسم من الذين لم يتعلموا العلوم الحديثة ولم يذقوا  
حلوها ومرها ، لذلك يراهم أصحاب القسم المتقدم كأنهم من قوم غيرهم  
لخالفتهم لهم عقلا وعلما ولبساً وان كان منهم من هم آباء أو اخوان  
لكثير منهم

أفراد هذا القسم لا يعرفون من الخطر المحدق بهم وبأمتهم من جراء  
التيار الغربي الا ما يرونه من بعض آثاره حولهم ككثرة معاهد اللهو ،  
وانصباب الشبان في الترف والقصف ، وخراب بيوتات الحسب

القديم، والنسب التالد، وقلة المتمسكين بفضائل الدين، وانتشار الفجور، والفسق بين الطبقات العليا والوسطى، وذهاب أكثر أطيان القطر المصرى من يد أهله إلى طائفة من أصحاب البنوك، وتبدل بيوتات المجد في بلاد الفلاحين إلى معاهد شراب ومقامرة و انتهاء الأمر بذهاب تلك الالوف المؤلفة من الأفدنة إلى من لا يرحم أصحابها ولا يواسيهم بشربة ماء.

كل هذا يراه أصحاب هذا القسم ويحسبونه كل ما فى المدينة الأوروية فيسلقونها بالسنة حداد، ويطعنون عليها فى كل ناد، وينبذونها بالألقاب. يعادون علومها وصنائعها، ويكرهون زخارفها وبدائعها، وماذا تفيد كل هذه الكراهة والعداوة وهم لا يدرون جهات قوتها وضعفها، ولا أمكنة حياتها وموتها. وهل نبعد فى التشبيه لوقلنا انهم كالذين رأوا ناراً تلتهم بيوتهم فخرجوا منه ووقفوا بعيداً وأخذوا يسبونها ويشتمونها، وينددون بها ويزدرونها، ولا يزالون كذلك حتى تأكل النار بيوتهم وتدعمهم طعمة لقوارص الجو، وأفاعيل الخلاء.

يعلم هؤلاء الناس أن فى علوم تلك المدينة شياً أضررت بعقائد بعض الناس، واستشكالات على الأديان تعوز حلا دقيماً فلا يخفون لمطالعتها، ولا يرضون أن يطلعهم أحد عليها، خوفاً على عقائدهم، وابقاء على يقينهم، ويكتفون بسب من قال بها وتكفير من يجاريهم فى ذلك، والادعاء بأنها ضلالات وأوهام، وخرافات وأحلام، لاحقيقة لها إلا فى أدمغة قائلها مع أنها قد تكون حقائق طبيعية، ومشاهدات وجودية. يفعلون

هذا ولا يدرون انه أكبر جرم يرتكبونه ضد الناشئة الجديدة ، لأنها متى رأت أن عقلاء أمتها يكذبون بحقائق الكون الثابتة ، ويسلمون بأنها خطر على العقائد ، ويدعونها لها بدون حل غير التسفيه والتنديد ، علمت أنهم يعجزون عن دحضها ، ولم لاتحل الشكوك بعد ذلك معاهد ايمانها ، وتحتلظ سموم الاحاد بوجودها ؟

افراد هذا القسم يتوهمون انهم خلصوا بهذا المسلك الاعتزالي من ضرر هذا التيار الجارف ويزعمون انهم هم وحدهم الذين أقاموا على السنة ، وقاوموا هجمات البدعة ، وهم في هذا الرغم واهمون ، فان ذلك التيار قد استاقهم كما استاق غيرهم ، ونفت في البابهم من الشبه والشكوك مانفتها في الباب من عداهم من المتعرضين لأفاعيله ولكن مع فارق صغير اقتضته الأحوال . وأوجدته بعض الحواجز على أن تلك الأحوال تتلاشى يوما بعد يوم ، وتلك الحواجز ترق من آن لآخر ، وسينتهي الأمر بهم الى مساواة غيرهم ، ان لم تدفعهم القوارع الى أبعدها عليه اخوانهم

— ٤٥٤ —

### قسم الشاكين

أما الشاكون منا فأكثرهم من طائفة المرتشقين لباب المعارف الجديدة ، وقعوا من الحيرة بين العقائد الموروثة ، والمشاهد المحسوسة في مثل ما وقع فيه سابقوهم من المكذبين ولكنهم وجدوا



من فطرتهم قوة قاومت تارات تلك الشبه، وقاومت هجمات تلك التناقضات فلم ينزلوا الى حضيض التكذيب المطلق، بل رجوا أن يكون لهم مما هم فيه مخلص، فتراهم ينشدون الهداة في كل ناد، ويتربون المرشدين في كل آن، رجاء أن يجدوا ضالتهم من العقيدة النقية، ويوقفوا بين ما يميلون بفطرتهم اليه، وما تهجم بهم الدواعي المعاشية عليه.

هذا القسم هو أحيانا فؤادا، وأسمانا عقلا. وأقر بنا الى الخير بعد القسم الأول. ذلك لان شكك دل على شعوره بوجود التناقض بين اوهامه القديمة، ومشاهداته الجديدة، ووقوفه في مقام الشك بدل السقوط الى هاوية التكذيب المطلق، اعرب عن كبر فؤاده، وثبات جأشه، ورباطة احساساته، لأن في التكذيب المطلق خفة وطيشا ونزقا يعلو عنها من له عقل راجح، وتصور سليم.

### كيف نحن بين هذه الأقسام؟

تخيل أمة رابطتها الدين، وجامعتها الايمان واليقين، تنقسم من حيث عقائدها الى هذه الأقسام الأربعة، ثم اسرد لي ما يحل بها من فشل وخذلان، وما يفشل فيها من خلل واضطراب، وما يحتوشها من تشوش واختباط، وما يعترى أفرادها من الدهشة والذهول عن أقدس واجباتهم، وأمس الأشياء بحياتهم؟

هذا الانقسام في العقائد لا يضر في أمة رابطتها غير الدين كاحدى



المقاومة . الأولى هي باعث يبعثه لتحليل كل ما يلائمه من الوسط الذي يحيط به وإضافة ما يناسبه من عناصره الى ذاته . والثانية روح أودعت في صميم كيانه تنهض به لدفع الغوائل عنه بكل ما في طبيعته من حول ومن حيلة . اغرس نباتين بجانب بعضهما تر أن الاقوى منهما يستولى بقوة التمثيل على المواد اللازمة لمجاوره الضعيف فيمنعه من اتمام وظيفة التغذية ولا يزال به حتى يضم ثم يهلك ، وباليته يدعه بعد ذلك بل لا يبرح يساوره حتى يحلل عناصره تحليلاً فيأخذ ما يليق به منها ويدع الفضلة لسافيات العواصف . وضع حيوانين في حظيرة واحدة وأمدهما معاً بالغذاء تجد الاقوى لا يدع للأضعف الا الفضلات التافهة ولا ينفك عن منافذته في أمر حياته حتى يهزل ويموت ويترك الجو لخصمه .

هذه قوة التمثيل ، أما قوة المقاومة التي قلنا انها روح أودعت في طبائع الكائنات الحية تدفع بها عن نفسها الغوائل فهي من المشاهدات المحسوسة ، فان النبات الذي ضربناه مثلاً لم يستسلم لخصمه من أول وهلة ، بل ما برح يحاول ويصاول حتى فنيت مادة حيله ولم يعد قادراً على شيء من الوسائل . وكذلك كان شأن الحيوان فانه ما انفك يستثير كوامن الحيل ، ويستجيش غرائب الأساليب حتى عجز واستسلم . هذا بعينه يحصل بين افراد الأمة الواحدة ويحصل بين الأمم المختلفة . أما حصوله بين أفراد الأمة الواحدة فتابع من حيث الشدة والضعف لعقائد الأمة ومبلغ علمها . فان كانت ذات عقيدة تبعثها لاحترام الضعفاء ، وذات علم يريها أن الحياة يجب أن تكون بالتضامن ، قل

تأثير قوة تمثيل الأقوياء الضعفاء وصار الكل يداً واحدة للحصول على مقومات الحياة مع امتيازات بين الافراد لا بد منها .

أما ما يحصل بين الأمم المختلفة من هذا التفاعل ، فهو على أشد درجاته ، فهي في الحقيقة فيما بينها في حرب مستمرة وان كان السلم ناشراً أجنحته عليها في الظاهر ، بل ربما نالت الأمة من خصيمتها تحت ستار السلم ما لم تنله في مضمار الحرب ومواقف الطعن والضرب

هذه الحرب المستمرة تظهر في الأجيال الانسانية على حسب درجات الناس في العلم وسعة القوة الفكرية ، فبينما تراها بين القبائل المتبدية على أصرح حالاتها ، كالفارات والسلب والسبي ، تراها لدى الأمم الراقية تحصل بوسائل وأساليب غاية في الدقة والحفاء وإن كانت تتأججها أنكى في الجسوم والعقول من نتائج الحديد والنار . والأمم المرتقية تعرف ذلك تمام المعرفة وتعمل عليه كل يوم رغماً عما يثرثر به كتابها من الألفاظ المعتادة ( كالتقرب بين الأمتين ) و (مظاهرات الحب والوداد) الخ من الجمل الطنانة الرنانة التي تكتب في جرائدها وتلو كها ألسنة خطبائها في أنديةهم ، أما الشرقي الذي هبط من أفق عظمته الأولية ، وحكم عليه أن يحمل نير سلطة غيره تأديباً له على ما فرط وأفرط ، فركزه وسط هذا التفاعل الحيوي العام من أغرب المواقف وأحرجها ، ولو طال عليه أمد هذه الفتنة لذهبت به إلى مدى بعيد

يتذكر أنه تريكة قوم ملكوا زمام المعمورة وأثروا فيها آثارا

لاتندثر ، وتركووا خلفهم ذكرا لا ينمحي . ثم هو مع ذلك يشعر أنه ليس على سمتهم ، ولا من الحال على مثل حالهم ، يود أن يجد السلسلة التي تصله بهم ، فيعييه حتى يخيل له أنه ليس منهم لولا ما يجده في الآثار من الدلائل الناطقة . هذه الذكرى تولد فيه شيئا من الشمم والعزة ولكنه لا يكاد يطرب باصالته حتى ترن اغلال الأسر في رجليه ، وتضيق ربقة الصغار في عنقه فيتضائل شمه ، وتضعف عزته ، ولا يزال يخمد خمودا حتى يظن بنفسه الظنون ، واذا بروح رجاء تهب عليه من كنوز حياته الكميئة ، يتلوها لافح من الغيرة يتلثل به ليواجه الآمال الجسام ، ويزعجه عن الوقوف والاحجام ، فلا يكاد يخطو خطوات حتى تقابله العقبات ، وتصدمه الصدمات ، وتحتلط أمامه السيل وتشبته عليه المسالك فيعروه ما يعرفو الخابط من الدهشة والوحشة ، فينادى من حوله حتى اذا لم يسمع مجيبا ، رجع ادراجه وقع من الغنيمة بالاياب . وهكذا شأنه كلما هزته نسبات الذكرى ورنحت أعطافه صور الماضي وخيال المستقبل .

يقولون سبب ذلك عدم اتحاده مع أبناء جنسه ، تخاذلهم وعدم تناصرهم ، تناكرهم وعدم تعارفهم ، جهلهم وعدم تهذيبهم الخ الخ من العلل المصطلح عليها ، ثم ماذا ؟ يقولون فالواجب أن يكونوا متناصرين ، متعارفين ، مهذبين الخ ومن العجب ان جميع الأفراد أصبحوا يقولون الآن هذا القول ولا نعلم أمة من الأمم يكثر على ألسنتها وخصصتها لفظة اتحاد مثل هذه الأمة ومع ذلك فنحن من

عدم الاتحاد على ماترى مما يدل على ضلالتنا فى علاج أنفسنا أى ضلال  
نقول ان عدم اتحادنا وتخاذلنا وتناكرنا وعدم تهذبنا كل هذا  
ليس المرض بعينه وإنما هى اعراضه كما أن اتحادنا وتناصرنا وتعارفنا  
وتهذبنا ليست هى الضالة التى نشدها ولكن مظاهرها . فالطبيب الذى  
لا يحارب من المرض الا أعراضه والمصلح الذى لا ينشد من الحياة  
الا مظاهرها ، لا يجنيان غير الخيبة من وراء جهادهما . فالأول لا يلاشى  
عرضا حتى يقوم فى وجهه عرض غيره ، فلا يزال يجاهد الاعراض  
وتجاهده ، حتى يعيا جهده ويعيل صبر مريضه . والثانى لا تزال تردديه  
مظاهر الحياة التى يتخيلها لأمة فيطلبها وهى تهرب منه ، حتى يبيح  
صوته وتحمده أنامله على يراعه فلا يجد له غير اليأس محيصا  
أما لو أضرَب الطبيب عن اعراض المرض ولم يحفل بها الا  
لتهديه الى مكان العلة وطبيعتها ، وما زال يتتبع سير المرض حتى يصل  
الى حقيقته ، ويصوب اليه أساحة العلاج لاستأصل مادته ، وقطع  
بذلك سيول اعراضه المختلفة . وكذلك المصلح لو أدرع بالصبر والتؤدة ،  
وأتيح له أن يعلم ان غرامه بمظاهر الحياة واشتغاله بالبحث فيها وفى  
كيفية تطبيقها على أمة بدون التفاته للحياة نفسها ، مضية لوقته فى غير  
طائل ، ومدعاة لتعبه من غير نائل ، لألهم بأن أولى المسائل بالعناية  
والاهتمام ، هو النظر فى أمر حياة الأمة قبل كل شىء ، ومتى استقامت  
قناتها تداعت اليها تلك المظاهر من تلقاء نفسها تداعيا طبيعيا يستبق  
الحياة ويمدها ، لأن تكون ثوبا تقليديا يستغيض الحياة ويدهدها .

فالمسألة اذن استحالت الى النظر في الحياة فهل نحن أمة حية ؟  
 نعم نحن أمة حية لأننا نحس وتألم وكفى بهما دليلين قويين على  
 الحياة . اذن ماهذه الأعراض المجتاحة التي تنازعنا من كل مكان ،  
 وتكاد تغرس اليأس في كل جنان ؟ نعمل ولا نثبت ، نفكر ولا  
 نعزم ، نؤمل ولا نهتم ، نعرف الخير ولا نسعى اليه ، وندرك الشر ولا  
 نتجنبه ، نسرّد قوانين الحكمة ونعصيها ، ونعرف أسرار النجاح  
 ونجافئها ، متعلنا بائر ، وجاهلنا حائر ، وفقيرنا غير صابر ، وغنينا غير  
 شاكر ، وكلنا يحس بهذا كله ويتألم منه أشد الألم ، وقد استوى في  
 الشعور به الخاصة والعامة حتى اصبح الناس كلهم فلاسفة لا شغل لهم  
 الا ذكر الأمة وأغراضها ، وبسط الطريقة المثلى في علاجها ، ومع  
 ذلك فلا ترداد العلة الا نشوبا فينا ، وسريانا في أجزاء هيئتنا ، فما  
 سر هذا الأثر ؟

مادام المريض يحس ويتألم ويرى دواءه بعينه بين يديه فما الذي  
 يمنعه عن تعاطيه وما الذي يصدّه عن وجدان شفائه فيه ؟

أينتظر الناس أن نصل من الشعور لدرجة الاغماء أو أن نكون  
 كلنا عمرانيين حكما ، لنظهر ببعض ماللأمم الحية من مظاهر الحياة ؟  
 ولماذا نحن نخبط في تيه هذا التناقض من بين سائر الأمم ولسنا  
 بأقلها علما ولا شعورا ، ولا بأكثرها شرا وفجورا ؟

لا بد لنا في تعليل مانحن فيه من الرجوع الى الأصول الطبيعية  
 التي قدمناها وهي قوة التمثيل في الأمم الحية المحيطة بنا ، وقوة المقاومة

في الأمم الضعيفة

للمشاحة في أننا أمة تساورنا مطاعم الأمم القوية من كل مكان،  
وتحاربنا في السلم بكل ما يصل إليه الامكان ، وما تهيئه أساليب العرفان ،  
ومعنى تلك المطاعم باللسان الطبيعي قوة التمثيل والتحليل فيها ، ولسنا  
نذمها أو نشتمها من أجل ذلك كما لانذم ولا نشتم النبات الذي يتغلب  
على مجاوره فيمنعه من آتمام الغذاء ، والحيوان الذي يصد شريكه في  
الحظيرة عن الحياة معه على السواء . تلك سنة طبيعية بين الأقوياء  
والضعفاء . فكل مانحن فيه من التناقض بين علمنا وعملنا ، وما نشعر  
به من البعدين شعورنا وما يستدعيه من اتحادنا وتضافرنا ، وبالاختصار  
كل ما يجعلنا مسلوبى الإرادة فاقدى الاختيار هو لاشك أثر من آثار  
قوة التمثيل والتحليل المحيطة بنا من الأمم القوية . ولئن كنا لا نشعر  
بها شعورا حسيا ، فذلك كما قلنا لارتقاء قوة التمثيل على حسب العلم  
وسعة الفكر . فالأمم القوية المرتقية لا تحلل الأمم وتمثلها بسلاحها  
الحديدي فقط ، بل بعلمها وفلسفتها وصنائعها واختراعاتها ، وانها لتنال  
بهذه الاسلحة الفكرية ، مالا تناله بحديدها ونارها . فترى الامم  
الضعيفة بجانبها لا ترداد الاخللا وفشلا وتناقضا بين الشعور وما يستدعيه ،  
وبين القول والعمل ، حتى تظن بنفسها الظنون وتكون النتيجة يأسها  
من القيام بذاتها ، وشعورها بالاحتياج الى غيرها ( تأمل )

يقول قائل وأين قوة المقاومة التي قلت انها روح طبيعية مغروزة  
في جبلة الكائنات الحية تدفع به الغوائل عن ذواتها نقول تذهب



الى حيث تذهب كل قوة لاتجد منظماً ينظمها ويراقب حركتها ويوجهها الى حيث يمكن اجتناء ثمرتها. ألا ترى الى قوى تيارات الأنهار المهمة كيف تذهب هدرأ لدى الأمم الجاهلة ، بينهاى عند الشعوب المدبرة تدير الآلات بدل البخار ، وتولد الحركة والكهرباء ؟ وهل قوة المقاومة فى الأمم الا شىء من هذا القبيل تحتاج لتصريف وتديير، بل هى أحوج الى الفكر والعلم من أى قوة من قوى الوجود لدوام تغييرها وتموجها ، واستمرار مداها وجزرها ، على حسب الظروف المختلفة والأحوال التى لاتكاد تحصى لأن مشارها الكائنات العاقلة ذات الشعور والحركة بخلاف قوى الأنهار والرياح فان لها نواميس معلومة الحدود يمكن ردها اليها فى كل حالة من أحوالها .

من هنا يتبين ان الأمم فى حاجة كبرى الى قادة يقودون قواها المختلفة وخصوصاً قوى التمثيل والمقاومة . والناظر يرى بالحس ان الأمم القوية تختلف فى قوة التمثيل اختلافاً بينا على قدر مهارة قادتها ، فبينما ترى هذه تلتهم الأمم واحدة بعد أخرى بسهولة مدهشة ، ترى تلك لاتكاد تساور أمة أو امتين حتى تغص فى حلقها ، وتحتاج لوسائل كثيرة تسهل لها ازدراد غنيمتها ، وربما لاتتهدى لوجه الحيلة فتقف حيرى تربصاً للفرص .

أما قوة المقاومة فليست بأقل من قوة التمثيل فى الاحتياج الى القادة العرفاء ، وما أقلهم فى الأمم المستضعفة الآخذة فى الانحلال ! نقول ما أقلهم مع ما يظهر من كثرتهم لأن الشروط التى يجب أن تتوفر فى قادة

الأمم المستضعفة يندر أن تنطبق من الأمة ذات الملايين الكثيرة  
 الا على أفراد قلائل . فانه فضلا عما يلزم أن يتحلى به أولئك القادة  
 من العلم الشامل ، والفكر الثاقب ، والبصر النافذ ، يجب أن يكونوا  
 كبراء الأفئدة لا تلفتهم الثروة ، كبراء النفوس لا تزدهيمهم الألقاب ،  
 كبراء العقول لا تفتنهم المدنية الساحرة ، كبراء الهمم لا تلين الدنيا  
 شكاتهم مهما حاولتهم . وما أقل هؤلاء في الامم القوية فمابالك بالضعيفة !  
 قلنا ان التصارع بين الأمم قانون طبيعي ، وقلنا ان الأمم القوية  
 تساور الأمم الضعيفة وتسعى في تمثيلها بحسبها وهي مضطرة الى ذلك  
 بحكم ذلك القانون الطبيعي نفسه ، وقلنا ان الأمم الضعيفة لا تملك بازاء هذه  
 القوة الا قوة المقاومة على حسب ما يناسب حالها . من هنا ترى أن  
 المسألة استحالت معنا الى حقيقتها الطبيعية ، وهي أن بين الأمم القوية  
 والضعيفة حرباً سلبية لا تفرق عن الحرب الحديدية النارية الا بدقة  
 أساليبها وخفاء أسلحتها ، فتكون وظيفة قادة أفكار أمثال هذه الأمم  
 كوظيفة القائد الحربي لا تفرق عنها الا في كون وظيفته فكرية  
 أدبية محضة ، وبناء على هذا التشبيه وجب على كل قائد معرفة جملة  
 أمور مهمة :

- ( أولاً ) قوة ناموس التمثيل في الأمم القوية وخطوط سيره .  
 ( ثانياً ) قوة ناموس المقاومة في الأمة الضعيفة ووجه الاستفادة

منه .

( ثالثاً ) مجال التصارع والنزاع بينهما



وملتقى أشعة هممه، ومجتمع تيارات قواه المودعة في تركيبه المادى والمعنوى. لأن تعيين تلك الغاية أمامه يجبره بحكم الضرورة الى جمع شتات كل مواهبه وملكاته الى وشيجة واحدة ، وتوجيهها كلها الى وجهة مشتركة ، ليكون سيره وهو مستجمع قواه الى ما يريد بلوغه أسرع خطو أو أيسر مجهوداً بالورامه وهو موزع القوى ، غير منضم الأميال والعواطف. ليست وظيفة الغاية ايجاد قوى جديدة للانسان ، أو تمتيعه بمواهب تزيد عما قدر له ، ولكن نتيجتها الوحيدة ضم ماتشتت من أمياله ، وجمع ماتشذر من عواطفه الى سيال واحد وناهيك بهذا التوجه من مؤثر على كيان الفرد من وجوه لا يكاد يحصيها الكاتب ، واذا أردت تمثيل فعل الغاية ونتيجتها بمثال محسوس قلت :

مثل الانسان في تفرق قوى ملكاته وتبعثر تيارات مواهبه ، أى في حالة فقدته لوجهة معلومة تؤديه الى غاية معينة ، كمثل مرجل (قران) الآلة البخارية حينما يترك وشأنه مكشوفاً للجو يتصاعد بخاره ويذهب الى حيث تميل به الرياح تارة يميناً وطوراً شمالاً ومرة ضاعداً وأخرى مضطرباً مشوشاً حتى ينتهى الماء ، وتخمد النار ، ولم يأت بفائدة غير مانالك من تعب مجاورته وحرارة تنوره . ولكنك لو أخذت ذلك المرجل نفسه ، وحصرت بخاره الى تيار واحد ، ووجهته وجهة معلومة تر أنه قد أنك بقوة هائلة تستخدمها في أعظم مايرجى من مثلها ، كتحريك الآلات الضخمة وتوليد الكهرباء بما له أعظم دخل الآن في اظهار المدنية الانسانية في شكلها الساحر المعلوم . كذلك حال الانسان

من حيث قوى مواهبه وملكاته لو وجهها الى وجهة واحدة وضمتها الى وشيعة مشتركة . وليس الانسان وهو العالم الأصغر أو النسخة التامة لصورة كل هذا الوجود ، بأقل فائدة لو توجه وجهه الى جهة الحق ، وضم كل مواهبه الى تيار واحد من ذلك الرجل الحديدى . كيف ذلك وهو صانع الرجل نفسه ومدرك سر ضغط البخار ؟

هذا مثال محسوس يريك سر اتخاذ الوجهة وسر عدمها بما لا يمكن معه شك ولا يثبت معه تردد ، وهو سر كبير عرفه أفراد من الأمم فارتفعوا بمواهب عقولهم وقوى نفوسهم الى حيث تمنى الفراقد أن تكون مواطىء أقدامهم ، وصاروا لأنهم أدلاء الى سبيل الخير ومرشدين لهم الى طرائق الفلاح ، ومناهج السعادة .

هذا شأن الفرد الواحد من حيث تعين الغاية وتحدد وجهتها ، أما شأن الأمم فيها فأكبر من ذلك ، لأن أثر ذلك يكون فيها أشد وضوحاً ولألاء ، وتأتجه عليها أكثر دواماً وأكبر شأناً ، وناهيك بالأثر الحاصل من توجه الملايين من النفوس الى غاية مشتركة ونقطة معينة ، تنتهى اليها سائر مراميمهم ، وتلتقى فيها كل مطالعهم . وترتكز عليها بمجموع قواهم . قل لى بعيشك ماذا يكون مقدار تلك القوى الهائلة المركزة فى نقطة واحدة ، وعلى أى وجه تتصور جسامتها أثرها فى تجلية حياة الأمة ؟ اذا كانت العدسة الزجاجية بتركيزها بعض أشعة الشمس فى نقطة واحدة تتوصل الى احراق ما يعرض اليها من الاجسام ، فماتقول فى تلك النقطة المدهشة التى يرتكز فيها أميال وعواطف ومشاعر

الملايين الكثيرة من أمة حية لها فكر واختيار وارادة ،  
نعم تختلف الغايات باختلاف الأمم ودرجات ادراكها ، ويختلف  
أثرها تبعاً لذلك قوة وضعفاً ، ثباتاً وذبذبة ، ولكنها مهما كانت أفضل  
من عدمها بما لا يقدر ، لأنها دليل الحياة والمؤدية الى كمالها ، وأما  
عدمها فعلامه الموات ونذير التلاشي .

لتوحد الوجهة والغاية في الأمة أثر لا يقارن بغيره من آثار  
العوامل الاجتماعية الأخرى ولو قلت انه الينبوع الذي ينبع منه  
سلسلة الحياة الاجتماعية للأمة ، وتدفق منه أمواج النور عليها . لما  
كنت الا مصيباً . ثم لو قلت انه الناموس الاقدس الذي تحمله  
الأنبياء الى أممهم ، فيحدثون فيهم بواسطته الاحداث التي تغير شكل  
الأرض من حال الى حال آخر ، لما كنت الا متكلماً عن الواقع .  
وليس السحر الذي يؤثر على المشاعر فيجعلها تحس بغير الحقيقة ،  
وتتأثر بسوى الواقع بأكثر فعلاً في ادعاش العقل من آثار وحدة  
الوجهة والغاية في الأمة

ما الذي يأخذ باكظام الهمم في الأمم ، وينفخ في نفوس احادها  
روح الثبات في قراع أعدائها ، وريح الحمية الحققة لذود الضيم عن حياضها ،  
غير وحدة الغاية والوجهة ؟ ما الذي يصيح في وجهها ان أصابها  
مصيبة ، أو نزلت بها نازلة الى التهيؤ للم شعها ، وضم نشرها ؛ ورأب  
ما تصدع من أركانها ، غير وحدة الغاية والوجهة ؟ ما الذي يزعمها الى  
مسابقة الأمم في مفاخرها ، ويبعثها الى مساماتها في فعاثلها ، ويخزها

على تقاعدها عن مجاراتها ، والفوز عليها غير وحدة الغاية والوجهة  
 الا أن وحدة الغاية والوجهة سر عظيم ، وإكسير عجيب ، لو  
 أصاب أمة ولو كانت متوحشة لنفخ في آحاديها روحاً لا يدرك كنهها،  
 ولا يعرف مستقرها ، ولسمت بها في أقرب مدة إلى أعلى منصات  
 المجد وأرفع دسوت السعادة .

وبالضد من ذلك يكون أثر عدم الغاية والوجهة في الأمم ، فانه  
 ما أصاب قوماً الا وشعب جمعهم، وشتت ألفتهم، وضرب عليهم الذل،  
 وسجل عليهم الشقاء والضراعة ، وجعل بأسهم بينهم شديداً، وحكم في  
 رقابهم الهوان والضعفة ، وقادهم الى حيث يفقدون إرادتهم ويسلبهم  
 شخصيتهم .

ترى أفراداً أمثال هذه الأمة حيارى لا يدرون لهم غاية ينتهون اليها ،  
 ولا يدركون لهم وسيلة يعتمدون عليها ، يظنون بأنفسهم العجز ،  
 ويعتقدون بهمهمهم الكلال، ويغالون فيحسبون أنهم أدنى من طوائف  
 غيرهم من البشر ، فيرون في التقليد مخرجا لهم عن ذلك ، فيهرعون  
 اليه بكليتهم ، وينساقون اليه بجميع قواهم، ويخالون انه لو كانت لهم  
 قوة مرجوة فهى في التصاقهم بسواهم ، وتعلقهم بأذيال من عداهم .  
 ترى الواحد منهم يظن أنه خرج عن أمته بتعلمه ككتبتين يعوج بهما  
 لسانه ، أو يحرك بكتابتها بناته، ويستتر في ذلك حتى لا يظهر سروره  
 وموجدته الا بما علقه ذهنه من لغة غير لغته ، لعله بأن لغته دليل  
 على جنسيته وهو لا يريد ان يكون شرقياً .

إذا بليت الأمة بعدم الوجهة والغاية ، كانت كل شؤنها متعكسة :  
تتال غير ما تمنى ، ويأتيا غير الذى تشتيه ، ولا يحصل لها الا عكس  
ما تسعى اليه . ترى أفرادها لانقطاعهم الى أشخاصهم ، وعدم تخطى  
أمانيتهم لدائرة ذواتهم ، يطلبون الغنى بشره يبلغ حد الجنون ، ويبيعون  
فى سبيله كل ما يعرضهم من شرف ذاتى ، أو مصلحة عمومية ، ولكنهم  
مع ذلك لا يزدادون الا فقراً ، ولا يجنون من وراء تفانيهم فى شرفهم  
الا متربة وعدا . تراهم يتراحمون الى منصات الرئاسة ، ويتسابقون الى  
رهان الزعامة ، فلا يزدادون إلا هبوطاً ، ولا يكسبون الا هويًا . تراهم  
كلهم فلاسفة يتكلمون فى ضرورة الاتحاد ولزوم الوثام لبلوغ المرام  
من النظام العام ، وكثير منهم يمضى أكثر عمره فى سن قوانين العمران ،  
وتشريع أساليب المدنية والحضارة ، فلا يزدادون مع ذلك الا تمزقا  
وفرقة ، ولا يجتنون إلا تشتتاً وبغضة . تراهم ينعون على بعضهم التقاعد  
عن معالى الأمور ، ويتعايرون بالأسف فى دنيا الشؤون ، ويلقى  
كل منهم التبعة على غيره ، فلا يزدادون إلا تسفلاً ؛ ولا يكسبون من  
وراء ذلك إلا ضعة ومهانة

كل هذه الآثار تابعة لأراض اجتماعية شديدة الوطأة لها أسباب  
وعلل ظاهرة ، ولسيرها قوانين ونسب مضبوطة يعرّفها أطباء الاجتماع ،  
ولكل منها علاج خاص ، ودواء لا يفيد فيه غيره ، إنما يجمع هذه  
العلل كلها عدم الوجهة والغاية ، ويلم سائر علاجاتها تحديد الوجهة  
وتعيين الغاية . فكيف نجعل لأنفسنا وجهة وغاية .



## كيف تتخذ لأنفسنا غاية ووجهة

كيف نجعل لنا غاية ترتكز فيها سائر عواطفنا ومرامينا، ووجهة تؤدينا إليها؟ هل يكون الاسلام وجهتنا كما كان وجهة آبائنا الأولين؟ وهل يتأتى ذلك في عصر العلم الذي قرر بأن أزمنة الأديان قد انقضت؟ وما الوسيلة إلى حل الشبهة التي رانت بالعقول من جراء قيام الأمم ورقبها مع مجاهرتها بنبذ الدين ومعاكسة أهله؟

إن حل كل هذه المسائل متوقف على معرفة ماهية الدين وفي يقيننا أن معالجة البحث عن هذه الماهية على الأسلوب التحليلي العصري يكفي وحده لبلوغ النهاية مما تصديناله، ويفتح للباحثين في شؤون الأمة الاسلامية باباً جديداً للنفوذ منه إلى ما يرجونه من بعثها من خمولها، وتخليصها مما تورطت فيه من أحوالها

ما هو الدين؟ هذا السؤال وإن كان شائعاً بين الأمم، وله عند كل فرد منها جواب حاضر، إلا أنه من أعوص المسائل الفلسفية، وليست أجوبة السواد الأعظم عليه إلا منتزعة من الخيال المحض. أما الحقيقة التي اهتدى إليها أساطين الباحثين في الأديان والعقائد فهي أنه شعور فطري في الإنسان بوجود قوة عظمى لانهاية لها خلقت الكون ونظمته على مقتضى الحكمة والعلم، وأن لها السلطان المطلق عليه، ووجود روح للإنسان لها حياة أخرى في دار بعد هذه الدار، وعلى حال غير هذه الحال، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك

الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون»  
 هذا الشعور وحده هو الدين الفطرى على أبسط أشكاله بل هو  
 الشكل الوحيد الذى بعث الله المرسلين لحياطته والهيمنة عليه من  
 تأثير الأهواء والخيالات ، ولا بانه ما ينبى عليه من عمل لئيل فضيلة ،  
 أو جرى لاكتساب كمال ، ولا يوضح ما يلزم إيضاحه للناس من الحدود  
 التى يجب الوقوف عندها فى وصف الاله وتعريفه ، وفى قانون الأخلاق  
 الذى يجب أن يسوده كل إنسان على نفسه ويجرى على سنته .

فى الانسان كثير من العواطف والاحساسات ولكل منها دخل  
 فى تكميل تركيبه الداخلى والخارجى ، وأثر فى قيامه على مناجه المعلوم  
 من الاجتماع على مثله ، وتعمير الأرض واستثمارها ، وتسخير كائناتها  
 لذاته ، وسعيه وراء كمال يحس به ويتألم لفقده . فن عواطفه مثلاحب  
 الاستقلال والحرية ، والدفاع عن الذمار ، والحصول على ما يقيم أوده ،  
 ونيل ما يرفعه على غيره من مزايا الوجود ، والجرى وراء المحامد . كل  
 هذه العواطف مغروزة فى جبلته على كيفية مطلقة ليس لها قانون  
 فطرى كما لأمثالها عند الحيوان ولذلك فهى محتاجة لقانون تسير عليه  
 لتودى الى الأغراض التى وجدت لأجلها والا فلا يأمن صاحبها من  
 العقبات فى سيره تكبه على وجهه تارة وتلقيه على قفاه أخرى

ألهم البشر أن كل هذه العواطف تحتاج الى نظمات وقوانين تسير  
 عليها ، فأعد الله بعض أفراد من البشر للانقطاع إلى درسها مقهورين  
 لا مختارين ، لما يجدونه من البواعث القاسرة لهم على ذلك بتأثير

مراكرهم في الحياة ، فأب كل منهم بنتائج من العلم تلائم حالة جيله ونقله إلى اخلافه ، ولم تزل نتائج المدارك تهذب على توالي الأحقاب ، وتعاقب القرون حتى وصل الانسان إلى ما هو عليه الآن .

فنشأت من عاطفتي الاستقلال والحرية . مثلاً علماء الشرائع على اختلاف نزعاتهم وأزمنتهم يسنون للناس سنة الاعتدال في أداء مطالب تينك العاطفتين ، ويرونهم الجادة الوسطى بين الاستقلال والحرية المطلقتين ، كما هي عند البهائم ، وبين الاستقلال والحرية المعتدلتين وكيفية أخذ النفوس للوصول اليهما على وجه عادل . وأنتجت عاطفة الدفاع عن الذمار رجال القيادة العسكرية وغطاريف الحرب ، يعلمون الناس أوجه الهجوم والدفاع وتأثير المواقف المختلفة على الأولياء والاعداء صلاحاً أو فساداً . وأنتجت عاطفة الحصول على مادة الحياة رجال العلم من الزراعة والمهندسين والطبيين الخ يعرفون الناس وجوه السير في استغلال الطبيعة واستخدام قوانينها في صالحهم ، وهكذا فعلت كل عاطفة من العواطف وولد كل احساس من الاحساسات المغروزة في طبيعة الانسان ، وهو لولا ماسيق اليه من تهذيب قواه وملكاتة لبق متوحشاً لا يستطيع البقاء على الارض ولا على مثل ما يعيش الحيوان .

أما عاطفة الدين فهي وإن كانت واحدة من تلك العواطف إلا أنها ملكتها وسيدتها وفي يدها أزمة جميعها ، لأن محلها أشرف محل في وجدان الانسان ، وغايتها أخص الغايات بالنسبة اليه حتى أن الملحد

الذي هتكت الشكوك فكرته ليرتمى من صميم فؤاده أن لو كان مايقوله الدين صحيحاً ، وقد شهدت تواريخ العالم كله أن الأمم ماتدرجت في مدارج الحضارة ، ولا اجتازت عقبات الحياة الوحشية ، الا والدين قائدها ومرشدها، والاعتقاد مسخرها ومصرفها ، كما شاهدت أيضاً بأن تهالك الانسان في احترامه ، وتفانيه في حبه قد بلغ عنده حد أضحى معه النفس والولد والأهل والوطن في سبيل مرضاته .

ذلك لأن أعظم شيء يهم الانسان في وجوده هي الطمأنينة على حياته ، لأنها أعز شيء عليه بل هي رأس ماله الوحيد الذي في فقدته فقد كل شيء ، وفي وجوده وجود كل شيء ، وكلما ترقى في مراقى العقل ، وعرج في معارج العلم ، ومدارج الفهم ، وازداد نظره نفوذاً في أشياء الكون وموجوداته ، كثرت العلاقات بينها وبين الكائنات المحيطة به ، وتجلت له اهمية حياته في مظهرها الصحيح ، وازداد شغفاً بها وبمستقبلها ، وتحسناً عليها وعلى ماستؤول اليه ، وصارت هذه المسائل . « ماذا أنا ومن أين أنا والى أين أذهب » ملازمة له في كل تصرفاته وتوجهاته فينساق قهراً عنه الى البحث عن أصل الوجود ومبدئه ، والتفتيح في وجود ذاته ومصيرها . ومن رحمة الله بهذا النوع الانساني أن جعل هذا السبيل الفطري الذي يحدد الانسان نفسه مسوقاً اليه لنيل سعاده الروحية ، سبيلاً لسعاده المادية أيضاً ، فان سيره فيه كما ينتج تنوره بأسرار الخليقة ، وتعرفه ماوراءها من القسوة الفعالة كذلك ينتج له الوقوف على سر نواميس الكون وكيفية استخدام

أشياءه لراحته وتسخير كائناته في صالحه . فن سار في هذا الطريق طالباً سعادة الروح أب بلا شك وهو محصل سعادة الجسد معها ، كما حصل لأصحاب سيد الانام صلى الله عليه وسلم ، لأنهم في مبدأ الأمر ما كان نصب أعينهم إلا سعادة أرواحهم وبلوغ الغاية من كالاتها ، فلم تلبث أن أتتهم المادة صاغرة لوحدة طريقهما ، وبالعكس من سار هذا الطريق نفسه طالباً سعادة الجسد رجع بلا شبهة حاصلًا على سعادة الروح أيضاً للسبب الأول عينه . والى هذا يشير قوله تعالى « سزيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

ولكن هذا الوله الذى يظهر به الانسان بالنسبة لعاطفة الدين لم يحمها من افراطاته وتفريطاته ، كما هو شأنه في كل حساساته ، بل رأيناه كما استخدم لها كل قواه الظاهرة استخدم لها أيضاً كل قواه الباطنة فجعل عقله وفكره وخياله وقفاً على ابلاغها كما لها فيه ، فلم يقف به الجهد عند حد ولم ينته به الجد دون غاية . فسخر لها العقل والفكر حيناً ، والخيال أحياناً فسطح به الى ما وراء ما ينتهى اليه عليه المحدود ، وحيث تقف دونه مواهبه المناسبة لوجوده ، فذهبت كل طائفة من الناس مذنباً يشذ عما ذهبت اليه سواها ، لأن مجال الخيال بعيد الأكناف شاسع الارزاء ، له مسالك لا تنهاى ومناهج ، لا تحصى فنشأ الخلاف في مدركات الدين ، ونجمت شعبه المتعاكسة وأصرت كل فرقة من الناس على مجموع ماتخيلته واتحلته له اسم الدين مدعية أنها صاحبة القول الفصل فيه ، ومدعمة قواعده ومبانيه ، وأنها على الحق

وما عداها على الباطل ، وهي حالية بجلاها وسواها من الفرق عاطل ، ونسبت الى رجالها القائلين على شرعتها ماشاء هواها من الاختصاصات والخصوصيات ، وقسمت أمورها الى أقسام لاءت بها الأهواء والنزغات ، فأصبح الدين بذلك مركبا صناعيا ، بعد أن كان بسيطا فطريا ، وصار إنسانياً خيالياً بعد أن كان الهيا حقيقيا ، فلا جرم أنه أضحى بهذه الصفة داعية الخلاف بين البشر ، ومجلبه النزاع بين الأمم ، ومدعاة التفريق بين القبائل ، وموجب الحرب والحراب بين العشائر ، ومهب النزغات التي لا تلائم حياة الانسان ولا تسير به على ما هو مدفوع اليه من سنن العمران . ولا غرابة بعد ذلك ان نبذته العلوم والمعارف ، وعادته الابحاث والفلسفة ، وقاطعته الفنون والحكمة ، كما لا يعجب اذا ارتقت الشعوب على نسبة تركه ، وصعدت في معارج الكمال على قدر جسارتها من نبذه وصلحت أحوالها وشؤونها على مقدار بثها روح الترية على ضده ، ولكن ما نتيجة هذه الحركة من تلك الأمم في معاداة الأديان والتفصى من شبا کہا ؟

هل النتيجة كسقط ما فطرت قلوب البشر عليه من عاطفة الدين الفطرى ، ومحو ما نقشته يد القدرة على ضمائرهما من آثاره ؟ هل النتيجة أن تخلو يوما من الأيام من أشرف عواطف الانسانية وأجمل خصائصها من الاعتقاد بوجود القدرة العظمى التي وضعت هذا الكون البديع على هذا النمط المدهش ووجود روح للانسان لها حياة بعده الحياة ؟ يستحيل أن يكون ذلك فان تغيير الفطر من المستحيلات

التي لا يفكر في الحصول عليها مجنون فضلاً عن عاقل . ومادام الاستدلال العقلي ، والاستنتاج الفكري ، موجودين في الانسان ومرتقين فيه ، فلا سبيل مطلقاً الى تلاشي هاتين العقيدتين من نفوس البشر

ولكن الحقيقة المشاهدة بالعين أن هؤلاء الأقسام المرتقين ما فعلوا بكل هذه الجلبة والملاجة التي استمرت قروناً عديدة الأمرين اثنين ، ولكنهما عظيمان للدرجة القصوى وهما : أولاً الخلاص من كل الخيالات التي انتحل الناس لها اسم الدين : ثانياً الاستقامة على المنهج الطبيعي الأصل وهو النظر في الكون والنفس نظراً صحيحاً مؤسساً على العقل والتجربة . هذه الأهم فعلت ما فعلته باسم الاحاد وعدم التدين ولكنها وافقت بذلك مطابي الدين الفطري نفسه وهما تخلص النفس من الخيالات والأوهام ، والاستقامة على طريق البحث في الكون والنفس ، فكيف لا ترتقي تلك الأمم الى منصات السعادة المادية ، وتأخذ من الوجود قسطاً اسمي مما لأصحاب الأديان أنفسهم ؟ ماذا اضر هؤلاء سيرهم طريق الدين بالفعل باسم العلم مع نكران ذات الدين طيشاً منهم ( لأنهم لم يبتها بعد إليه ولم يعرفوه ) وماذا نفعلنا نحن اعترافنا بالدين وسيرنا طريقاً غير طريقه

قلنا فيما سبق إن طريق سعادتى الدين والدنيا واحد وما سارت أمة عليه للحصول على أحدهما الا نالت الأخرى لارتباطهما ببعضهما . فهل سرت تلك السنة على أوروبا من جريها وراء السعادة المادية ؟

نقول نعم . فان تلك الحمى الهائلة التي أصابت جسمها في القرن السابع عشر والثامن عشر ومقدمة القرن التاسع عشر وظهرت آثارها بمظهر الهذيان ( الهلوسة ) بنكران أصل الدين والجحود بكل ما يؤدي إليه قد فئت الآن لوعتها ، وانجملت بيروز ذلك الاعتقاد باصالة الدين وفطريته وبوجود الروح والخلود بأحسن مظهر ينتظره صاحب الدين الفطرى ، فانه لم يحن النصف الأخير من القرن التاسع عشر حتى ظهرت تلك الحركة العجيبة حركة ( المانيتزم والاسبرتزم ) التنويم المغناطيسى واستحضار الأرواح ، ونجمت فى عالم المطبوعات مائتا مجلة لاشغل لها الا اثبات الروح والمعاد وسينتهى بها الامر الى العدل التام بين مطالب أجسادها وأرواحها مصداقاً لقوله تعالى « سريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

فما هو طريقنا الذى نسير عليه ، وما هو الحال الذى سنؤول اليه ؟  
 اتنا لو كنا سائرين فى طريق السعادة المادية سيراً حقيقياً ومتصفين بما يستدعيه من الجد فى الأعمال ، والقصد فى الأمور لكننا بشرنا أنفسنا بالوصول الى السعادة الروحية ايضاً ، ولو بعد حين ، لارتباطهما كما قلنا ببعضهما ، ثم لو كنا ناهجين منهاج الكمالات الروحية ، ومتحلين بمقتضياتها من الدأب فى الطالب والتعطش لنيل الغرض لكننا منيناً أنفسنا بالحصول على الكمال فى الأمور الجسدانية ايضاً كما حصل لآبائنا الأواين ولكننا الآن على غير طريق نخط فى الحياة خطأ ولا نسلك فى مجالها الاصدمة لآساس لامورنا ، ولا ضابط لتصرفاتنا ، ولا قاعدة



نرد اليها محاولاتها . محال الحياة أمام أعيننا أضيق من رقعة الشطرنج لا يعوز تدقيقاً ، ولا يستوجب روية ، فهل سأل واحد من نفسه ما هذا الوجود الذي نعيش فيه ؟ وما هي وظيفتنا في الحياة ؟ ما هو طريق الفلاح ؟ ما هو منهاج النجاح ؟ ما هو قانون سعادة الافراد والامم ؟ ما هي مطالب الدين وما هي مطالب الدنيا ؟ وهل نستطيع أن نعيش بأحدهما دون الآخر وما وجه التوفيق بينهما ؟ وعلى أى طريق نحن نسير والى أى حالة سنؤول ؟ أما للحياة قانون ؟ أما لمقدمات أعمالنا نتائج ؟ اذا تكلف أحدنا وسأل نفسه هذه الأسئلة أخذته الحمية وتيقظت في نفسه عوامل الغيرة ، ومال لأن يأخذ نفسه بأحد هذين القانونين : اما قانون آبائنا الاولين الذين بهروا بسرعة رقيهم العالمين ، واما قانون معاصرينا المتمدنين الذين سحروا بروق مدينتهم الناس أجمعين هذا موقف الحيرة ومزدلق الفتنة ومهب الشكوك وباب الاحداد فلندع الفصل فيه لفصلنا الآتى ان شاء الله تعالى

### الاسلام دواؤنا الوحيد

« إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم »

أثبتنا انه لا بد لكل أمة تود الحياة والبقاء من وجهة تسير عليها ، وغاية تسعى في الوصول اليها ، وبرهنا اننا قد ضللنا وجهتنا وتغايينا عن غايتنا ، واننا لسنا على طريق يوصل الى سعادة ما من أى نوع كانت ،

وعلمنا تبعاً لذلك أنه لا بد لنا من غاية ووجهة ، فهل يمكن أن يكون الإسلام ووجهتنا كما كان من قبل وجهه آبائنا ؟ وهل يصل بنا الى أكمل الغايات كما وصل بأسلافنا ؟ لا نظن أن الجواب على هذه الاسئلة بالأمر الصعب المضلل للهدارك اذا دققنا النظر في التميد الآتى وهو :

الانسان مسوق بدوافع طبيعية قهرية الى سلوك مناهج الحياة على اختلاف سبلها ، وقد وضع الخالق الحكيم في جلة الانسان من العوامل المتباينة ، وفي الكون الخارجى المحيط به من النواميس والقوانين ما تلتم ببعضها وتتكامل ، فتؤدى الانسان بمجموعها الى أحسن ما قدر له من رقى صورى ومعنوى وقد سمي علماء الانسان هذه الافعال والافعال المتبادلة ونتيجتها بناموس الترقى . هذا الناموس وان لم يظهر تمام الظهور فى الافراد فهو فى الامم جلي لا يحتاج الى طويل استقراء . وانك ان عنت بالبحث عن الغاية الوحيدة التى رامها الانسان من جهاده الطويل وراء استكناه المجاهيل الوجودية فلا تجدها الا ميل الانسان بالفطرة الى التوفيق والملاءمة بين العوامل الموجودة فى طبيعته الروحية والجسدية ، وبين العوامل الموجودة فى الكون الذى خلق الانسان مناسباً له موافقاً لنظامه ، وبناء على هذا فلا تتقدم أمة فى شىء إلا على قدر نسبة توفيقها بين تلك العوامل الانسانية والكونية كما أنها لا تتأخر إلا على قدر بعدها عن ذلك التوفيق إذا تقرر هذا نقول : لقد قامت أمم فى أدوار التاريخ وقعدت ، واضطربت وسكنت ، وتقاتلت وتسلمت ، وعلت وسفلت ، وحييت

وهلكت ، وذاقت من مرارة العيش وحلاوته ألوانا ، وحصلت من نتائج جهادها الطويل علما و عرفانا ، وكونت لها من جراء السير على سمت الوحدة الفطرية عقائد وأديانا ، ولم تزل تكتسحها الحوادث حتى جاء القرن السابع ، وإذا بمناد ملكوتي دوت لصوته أرجاء الأرض يقول : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » فلم تكذب لتنتف الأمام إلى مهبط ذلك الصوت السماوي ، حتى رأوا أن ذلك المنادى قد التف حوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه تالين على أنفسهم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » فاستهزأت أمم وأعرضت أخرى وإذا بذلك الوعد الألهي قد تحقق ، ولم يمر على تلك العصاة القليلة العدد والعدد ثمانون سنة حتى صارت القابضة على الصوالة التسع : صوالة الدين ، والعلم ، والسياسة ، والتجارة ، والصناعة ، والزراعة ، والحرية ، والعدل ، والمساواة ، من بين كل الامم العريقة في المجد . هذه قضية تاريخية لا ينكرها أحد ، فماسبب هذا الحادث الجلل ، وماعلة هذا الانقلاب المدهش الذي لم يحصل مثله في تاريخ النوع الانساني ؟ أما ان نقول انه حصل صدقة على حد قول الجهال في دعواهم بان الكون كله وجد بالصدقة : واما ان نقول كما يقول العقلاء من الناس انه لا بد من أن يكون قد ابنتى على أسس وقواعد ، وقام على أصول ودعائم . ان كان

هذا الأمر الأخير هو الجدير ببحث العقلاء ، فما هي تلك الأصول والقواعد ؟ هل لم تزل تلك الأصول والقواعد صالحة لآحياء الأمم وبعث الهمم ؟ ما هي أصول وقواعد المدينة الأوربية وهل تخالف أصول الاسلام أو توافقه ؟ وهل سرعة تقدم المسلمين وسهولة تطورهم من حال إلى أخرى تدلان على فضل قواعد مدينة المسلمين على مدينة الأوربيين ، حيث أنهم لم يصلوا إلى ما هم فيه إلا بعد جهاد طويل وسفك دماء غزيرة استمرت قروناً كثيرة ، هذه كلها مباحث وان كان كل واحد منها يحتاج إلى سفر ضخم إلا أنها مما يمكن الإشارة إليها بنوع من الإيجاز فنقول :

أثبتنا في فصلنا السابق ان الله سبحانه وتعالى قد جعل طريق الرقي المادى والروحانى واحداً وهو النظر فى الكون والنفس نظراً صحيحاً ، وأن الناس لم يتكبو هذا الطريق الا طاعة لاهوائهم وخيالاتهم المنافية للعلم قال تعالى « بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم » وبرهنا أن الذى يسلك ذلك الطريق طلباً لحدى السعادتين لا يؤوب إلا والآخرى معه رغم أنفه لارتباطهما ببعضهما فى النتيجة . وقلنا ان نيل أصحاب سيد الأنام صلى الله عليه وسلم لسعادة الدنيا مع انه لم يكن نصب أعينهم فى مبدأ الامر إلا سعادة أرواحهم ، وان اقتراب المتمدين العصريين من الحصول على السعادة الروحية مع إنهم قاموا فى أول الأمر باسم الاحاد لنيل سعادة المادة ظاهرتان اجتماعيتان اكتشفنا بهما ذلك الطريق الفطرى الجامع لشتات القوى الانسانية كلها الذى

أشار الله تعالى اليه بقوله « وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وقوله تعالى « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة » ولم يقل فى آية من الآيات مع كثرة حثه على الأخذ من الدنيا اتبعوا هذين السبيلين سبيل السعادة المادية وسبيل السعادة الروحية بل قال جامعاً بين تينك السعادتين . « من كان يريد ، ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » وقال « فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » أى لما ساروا على سبيله الوحيد الفطرى الذى يقول عنه تعالى « إنا هديناه السبيل »

وقد وصلنا بالتحليل العلى بعد ذلك الى أن أوروبا لم ترتق فى الماديات الا لما هدتها حوادثها وأجبرتها كوارثها على سلوك ذلك السبيل فهجته باسم العلم مع انه المنهاج الوحيد الذى يوصل الى السعادة المطلقة ، وهى وان لم تنته بعد اليها الا أن ما تصادفه وستصادفه من نوازل وملهات ستجبرها رغم أنفها الى تكميل نقصها الروحانى أو تسحقها كما سحقت سواها من الأمم والله عزيز ذو انتقام .

فلننظر الآن الى السبيل الذى سلكته أوروبا لتحصيل مدينتها المادية لتثبت للناس انه مقدمة ذلك السبيل المميع الذى أرشدنا اليه الكتاب العزيز قبل ثلاثة عشر قرناً واليك البيان :

قامت مدينة أوروبا على أركان، وثبتت على أصول لا يوجد منها أصل ولا ركن الا وهو موجود فى كتاب الله بالنص ، فلنشر الى أهم تلك الأصول واضعين بازاء كل أصل الآية التى تقابله لنؤدى بذلك

غرضين عظيمين ( أولهما ) أن مدينة المسلمين لم تقم جزافاً ولكنها كانت مستندة على أكمل الأسس الممددة الملائمة لسنن الكون وطبيعة الانسان ، وانها بذلك سبقت المدينة الأوربية بعشرة قرون في تقرير القواعد العالية ليظهر للناس كلهم ان المسلمين لا يحتاجون لتقليد سواهم في أى شأن من الشؤون الانسانية غير الصناعة التى هى ميراث العالم كله ، تنقلها أمة الى الأخرى ، وقد نقلناها نحن الى الغربيين كما نقلها الينا غيرنا ، وسيرى القارىء فى نتيجة هذا البحث أن أوروبا هى التى سترغم يوماً من الأيام لان تقتدى بكتابنا فى تسييم مدينتها لتستطيع أن تستقيم على الصراط الذى دفعت اليه كما قلدنا فى كثير من الأصول أما أصول المدينة الأوربية كما تقرر عليه علومهم وعلماؤهم فهى .

(١) الانسان أشرف الكائنات الأرضية . قال الله تعالى « لقد

خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »

(٢) الانسان مخلوق لاستخدام الطبيعة وتحسينها والاستفادة

منها قال الله تعالى « وسخر لكم فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه »

(٣) الانسان بصفته أشرف الكائنات يجب عليه أن يأخذ بأحسن

الأشياء قال تعالى « وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » « قل لا يستوى

الخبث والطيب »

(٤) لا يتم للانسان كمال الا بالعلم قال الله تعالى « قل هل يستوى

الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « لا يستوى الأعمى والبصير »

(٥) لا يجدر بالانسان أن ينساق مع الأوهام والظنون وأن

يصدق ما لم تحققه الشواهد والبراهين قال تعالى « وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »

(٦) في الكون نواميس ثابتة ونسب للأشياء المضبوطة مرتبط رقى الانسان بمعرفةها وتطبيق مساعيه عليها قال تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلا » « انا كل شيء خلقناه بقدر » « قل انظروا ماذا في السموات والارض »

(٧) تقرير الحكم الشورى الذى تتفجر منه كل الحريات الضرورية للانسان قال تعالى « وأمرهم شورى بينهم » « وشاورهم فى الامر » (٨) اختلاف المشارب ضرورى لبقاء صرح المدنية قال تعالى « ولولوا ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم »

(٩) ابطال الحقد الدينى قال تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »

(١٠) الاعتدال رأس كل فلاح قال تعالى « ان الله لا يحب المعتدين »

(١١) الثبات سر النجاح فى الأعمال قال تعالى « واصبر وما صبرك

الابالله » « ان الله مع الصابرين »

(١٢) تقرير العدالة الكاملة قال تعالى « واذا قتلتم فاعدلوا ولو كان

- ذاقربي « اعدلوا هو أقرب للتقوى »  
 (١٣) المساواة قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر  
 وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »  
 (١٤) الاخاء قال تعالى « انما المؤمنون اخوة »  
 (١٥) التمايز لا يكون الا بالمزايا الفاضلة قال تعالى « ان اكرمكم  
 عند الله أتقاكم »  
 (١٦) السياحة وتعرف سنن الصعود والهبوط في الأمم قال تعالى  
 « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل »  
 (١٧) العلم غير محدود ولم ينل منه الانسان الا جزءاً يسيراً وما خبيء  
 عنه أكثر قال تعالى « وما أوتيتم من العلم الا قليلاً » « وقل رب  
 زدني علماً » .

هذه الأصول هي أهم أصول المدنية الجديدة وقد رأيت أنه  
 لا يوجد أصل منها الا وهو المذكور بالنص في الكلام القديم فاعجب  
 لهؤلاء الذين كانوا يعارضون دعوة سيد الانام عليه الصلاة والسلام  
 بكل حجة ووسيلة بالاقتراء تارة وبالسلح أخرى . كيف أبوا الى  
 ما كان يدعوهم اليه ولكن بعد ما رأوا العذاب الاليم من أحداث كبرى،  
 وقتن كقطع الليل المظلم سالت فيها المهج ، وتفطرت لها القلوب ،  
 وانشقت منها المرائر ، ولكنك لم تزل ترى أن تلك المدنية ناقصة من  
 جهتها الروحية كل النقص وليست ، كل تلك الضوضاء التي ملأت أرجاء  
 أوروبا الآن من مسألة استحضر الأرواح وتجارب المانيتزم (التنويم



المغناطيسى) ودخول العلماء ألوفا في تلك المذاهب العجبية وتحريرهم الكتتب الضخمة فيها إلا حركة ستدفعهم كلهم الى اعتقاد ما كانوا ينكرونه، ومن يكن منا قد اطلع على عالمهم اما بالسياحة أو بواسطة كتبهم ومجلاتهم يعلم كما قلنا في مقالاتنا السابقة أن هنالك مائتي مجلة لا شغل لها الا اثبات الروح والمعاد ونقل اباحت العلماء في استحضار الارواح وتجسدهم والمكاملة معهم (هكذا يقولون) وقد كنا أتيننا عل جدول فيه عشرات من أساطين علماء العصر الذين يعتقدون هذا المذهب ممن لهم الكتتب الضخمة في ذلك ليعرف القراء أن الذين يقودون تلك الحركة ليسوا بضعاف العقول ولا بقليلي المادة العلية ولكنهم أساطين النهضة الاوربية وأركان العلوم الطبيعية،

هذه الحركة التي لم تصل الى علم المصريين للآن تعد أكبر حركة في القرن التاسع عشر كما يقول الاوروبيون أنفسهم عنها، ولا غرض منها الا تقرير العقائد التي غرزاها الله في نفوس البشر، وهي الاعتقاد به تعالى اعتقاداً صحيحاً نزيهاً عن الشرك والاعتقاد بالروح والخلود. اذا تم للمدينة الاوربية ذلك فان مبادئها ستتقابل في سيرها مع مبادئ مدينتنا الكاملة وسيكون القرآن الشريف رسول السلام والوئام بينهما، والدستور الوحيد لسائر الامم المتقدمة بعدله بين مطلب الروح والجسد، وتوفيقه بين مرامي العقول والعواطف، ومؤاخاته بين الطبيعة والانسان، وتوحيده طريق الرقي المادى والمعنوى «وتعلن نباه بعد حين»

## ❦ وظيفة الاسلام في عصر العلم ❦

تبين لقارئنا مما تقدم أننا أمة قامت بالدين ، واعتزت بالايمان ،  
واننا ما أضعنا مجدنا القديم الا لتسكبنا عن الصراط المستقيم ؛ واننا  
لم نخذ عن ذلك الصراط المستقيم الا بعوامل قاهرة ، وفواعل قاسرة ،  
مثارها مزاحمة العالم الغربي لنا في شؤوننا الحيوية ، على مقتضى النواميس  
الاجتماعية ، والقوانين العمرانية ، واننا مادنا جاهلين ذلك التأثير  
السحري المنصب علينا من سائر جهاتنا ، فلا ينجح في معالجتنا طب ولا  
طبيب ، ولا يفيد في بعثنا ترغيب ولا ترهيب ، ويكون مجهودنا في علاج  
أنفسنا ضائعا سدى ، وذاهبا عبثاً ، وان دواءنا الوحيد هو تقوية تلك  
الحياة فينا من طريقها المثلى ، ووجهتها الحققة ، وان تلك التقوية لا تتأتى  
الا برفع ذلك التأثير الغربى عنها ، وان رفعه يستلزم محاربهه بأساحة من  
جنس أسلحته ، وأن وظيفة القائد الفكرى فى الامة لا تفرق فى  
الخطارة عن وظيفة القائد الحربى فيها من حيث استعمال أدق الاساليب  
فى اشراب الأفتدة روح الأمل والحياة ، والوقوف بالامة مواقف  
تكسبها فضيلة الاحساس والشعور الخ الخ

قلنا ذلك كله فى فصولنا السابقة وهو ما أنشأنا كتابنا هذا من أجله ،  
وقد رأى قراؤنا فى المجلد الأول اننا قد سلكنا لهم من العلم مسالك لم  
يقم عليها المؤلفون قبلنا ، فلقد سبكننا تلك الفصول العمرانية المسئمة ،  
وهاتيك المقالات النفسية المملة وتيك المباحث الفلسفية بالمضجرة ،

في قوالب من الانشاء الهين اللين ، وأساليب من البيان الرقيق ، جعلتها سهلة التناول قريبة المآخذ ، جذابة للبطلع ، يخيل للقارىء انه يطالع قطعة شعرية أو مقامة خيالية بينما يكون بيده مقالة عمرانية عويصة المقدمات ، بعيدة النتائج ، كثيرة التشعبات والوشائج ، بحيث لو جئناه بها على حالتها الفطرية ، وفي حلتها الفنية لما قوى على مطالعتها الا الأقلون . بهذه الوسيلة أمكننا بحول الله وقوته أن نذيع أخفى أسرار الفلسفة العالية ، وأعلى مكونات العلم العصري البعيد التناول بين أمتنا المحبوبة مشفوعاً بما يقابله من آيات الكتاب الالهى والحكمة المحمدية العلية ، مما رأيناه بأعيننا والحمد لله أثراً يهراً في العقول والمدارك ، ودلائل واضحة في الآمال والعواطف . حتى صار قارئنا متى ذكر تيار السحر الأوروبوى أحس بخفة وطأته على نفسه ، وتفاهة خطره من فؤاده ، ومتى حدثه محدث بالمادية المادية ، وجد من نفسه استخفافاً بكل ذلك ، وثقة في قوته تميل به لنسف كل ما يقال له من أباطيلهما . هذا فيما أرجح ما يحس به كل قارىء لكتاباتنا : وهو الدواء الذى ننشده من كل محاولاتنا ، فلو سرت هذه الكهرباء فى سائر النفوس ، وارتفع من المدارك صنم الوهم من سحر العالم الغربى ومدنيته والحاده ، خلصت حياتنا المليية والقومية من الخطر الذى يهددها ، والبلاء الذى لايزال يتوعددها .

فوظيفة الاسلام فى عصر العلم من أدق الوظائف الاسلامية فى هذا العصر ، ألا وهى حماية حياتنا الدينية التى هى حياتنا الاجتماعية

القومية من خطر مزاحمة العالم الغربي، ولما كانت تلك المزاحمة أدوية محضة ولولاها لم تكن المزاحمة المادية، فقد دعونا ان شاء الله أن نقارعها من جهات هجياتها، ومحلات توثباتها. وسيكون لقارئنا من آماننا للخطة التي رسمناها لهذا الكتاب دائرة معارف فلسفية كبرى يجد فيها الشرق ان شاء الله من المباحث الاسلامية والمدنية والفلسفية في كل مطلب وكل مجال، في اجمل القوالب واغربها ما ييل له شوق الاطلاع على خفيات المعارف، ومستورات المعلومات، وقد أوشكنا أن نتم في مجلدنا الأول الكلام على فلسفة الأقدمين، وسيكون من حظ المجلد الثاني ان شاء الله الكلام على العلم عند العرب وعند الأوربيين. أما عند العرب فسوفيه ان شاء الله حقاً لم يزل يطالبنا به العلم لليوم، فاننا سنفحصه أولاً من الجهة العلمية المحضه، ثم نطبقه على مقررات العلم الالهى، لنرى مقدار الشطط الذى حدث بواسطته في بعض الشؤون وهو بحث لم يطرقه كاتب عصرى لليوم، نرجو الله أن يعيننا عليه. أما درس العلم عند الأوربيين فسيكون ان شاء الله بتطوير واسهاب يقتضيهما الموضوع. فنسرد المذاهب المختلفة في الفلسفة والاخلاق والطبيعة والدين والشريعة الخ وسنلم بأقوال رؤساء كل مذهب من تلك المذاهب الهائلة مع محاكمتها بخصوص الكتاب الالهى الكريم دالين على وجوه قوتها وضعفها، مشيرين إلى الجهات التى أثرت علينا منها حتى نستوعبها بحثاً وتمحيصاً، ان شاء الله تعالى، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم أمين.

## تذبيح

نوجه نظر قارئنا الى العلاقة الاكيدة الموجودة بين كتاب الانسان  
 وكتاب خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، فاننا نذكر في كتاب  
 الانسان كلما يخص الانسان من المباحث الدينية والفلسفية والمدنية  
 والشرعية والسياسية على حسب ما يستدعيه ما نحن بضدده من المباحث ،  
 على طريقة البسط والنقل الخالي من النقد ، أما كتاب ( خاتم النبيين )  
 فستكون وظيفته محاكمة ما جاء في ( كتاب الانسان ) الى كتاب الله  
 الحكيم ، ونقده نقداً فلسفياً على الأسلوب القرآني الاقدس ، وبهذه  
 الكيفة سيكون لنا ان شاء الله في كتاب خاتم النبيين مورد روحاني  
 ترده القلوب الظمأى لسلسيل الحكمة الالهية فتجد فيه بحول الله  
 ما ينقع غلة العقل ، ويشفي رنين الصدر ، ويسمو بالروح الى عالمها ،  
 ويعلو بالحياة الى آفاقها ، والله يهدينا الى سواء السبيل .

﴿ مبلع مدارك الفلاسفة اليونانيين ﴾

﴿ بالمسألة النفسية ﴾

« تمهيد »

الانسان شديد الحرص على حياته ، كبير الكلف بذاته ، لا يقنعه غير أن يكون مخلدأ لا يموت . ومدركا لا يعتريه الخمود . وهو شعور فطرى غرزه الخالق فى طبيعة الانسان كما غرز فيه سائر العواطف الأخرى ، لا تمحوه من جوهره شذائد الشيخوخة ، ولا تؤثر عليه تارات المحن ؛ بل ربما زادته شرهاً على شره ، وأكسبته نهماً على نهم ، طلباً للعوض فى المستقبل عما فقدته فى الماضى ، ويفقده فى زمانه الحاضر من مال وولد ، أو صحة وشرف .

يرى الانسان نفسه حياً مدركا ، تتلأأ فى معناه الانسانى أشعة الشعور والحياة ، وتسطع فى وجدانه أنوار المدركات والأفكار ، وهو بهذه الصفة سلطان الطبيعة يصر فيها بفكره وقائد الخليقة يقودها إلى مصالحها ، ثم تحين منه التفاتة فيرى سكان المقابر فى سكوت وهوت ، قد زجوا إلى شقوق من الأرض كانوا يعافون النظر إليها وهم أحياء ، ويتشاءمون من المرور بها وهم أصحاء ، فتأخذهم قشعريرة باطنية ، تليها اضطرابات نفسية ، وثورات عقلية فيسأل نفسه هل هذا نتيجة الحياة ، هل هذا آخر التعب والجهاد ، هل هذا غاية ما كنا فيه من الجدال والجلاد ، وانقراع والنضال ، هل الانسان كالحيوان ، كيف يستويان

وهما عالمان ، أين يذهب العقل التقى ؟ أين يذهب الفكر السنى ؟ أين يذهب التصور العلى ؟ أين يذهب الفؤاد التقى ؟ أين تذهب الارادة القوية ؟ أين تذهب الأخلاق الرضية ؟ أين تذهب الشجاعة والسماحة ؟ أين تذهب الوداعة والصباحة ، بل أين يذهب ذلك الشعور الذى ، كان يسبر الاغوار ، ويسرى فى صميم الكون سريان الانوار ؟ أين يذهب كل ذلك ويتلاشى ، ويستوى الخبيث الذى تعافه الأرض أن يمشى عليها ، والطيب الذى يشرف الثريا لو نظر اليها . هل يستوى العالم الذى يملأ طباق الأرض علماً ، والجاهل الذى شوه وجه الأنسانية إثمًا ؟ إذن فالحيوان أهناً من الإنسان بالا ، وأروح منه حالا ، فانه يعيش ما يعيشه فى هناء وسرور ، وهو وحبور ، فاذا جاء يومه اضطجع وأن أنينه ، وذهب غير مأسوف عليه ، ولا منظور اليه ، لم يأس على ترك ولد ، ولم يحزن لفراق بلد ، ولا نذبه أهل تركهم أشتاتاً ، وشعب جمعهم أنكاثاً .

نظر الانسان فى أمره هذا النظر فثارت فى ضميره حرب عوان ، واشتعلت فى فؤاده نيران وأى نيران ، ولم يهنأ له عيش ، ولم يقر له بال على حال ، حتى كرر النظر ، وأعمل الفكر ، وآب وفى طى ضميره عقيدة الخلود فى دار بعده الدار ، وعلى حال غيره هذه الأحوال ، وأن بينه وبين الحيوانات فرقا شامعاً ، وامتيازاً كبيراً ، فهى تأكل وتتناسل ثم تتلاشى وتفتى فناء لا نشور بعده . أما هو فيحيا هذه الحياة القصيرة الأمد فى أى نوع من أنواع الجهاد الحيوى ثم يفارق هذا العالم إلى عالم

أرقى منه ، فبنى على هذه الفكرة أخلاقه وآدابه ، وأسس على دعائمها شرائعه وقوانينه ، وسعى في كل أعماله أن يتعد في أحواله وشؤونه عن عالم الحيوان الذي ثبت لديه أنه من عالم أرقى من عالمه ، وانه متماز عنه في خصيصة الخلود والتعمم بجزء أعماله ، أو المحاسبة والشقاء بسيئات آثامه . ولولم تثبت للانسان هذه العقيدة من مبدأ أمره لشا كل الحر الوحشية في سفالتها ، والبهمة المهملة في ضراوتها ، كما هو الشأن عند بعض المتوحشين الذين لم يستعد وجدانهم لشروق نور العقيدة في ضمائرهم ، ولم يزالوا في عالم وسط بين الحيوانية والانسانية (١) فانهم من النقص والخسة بحيث لا يعرفون السكال ، ولا يدكون العار .

هنا يمكن أن يعترض علينا الروحانيون ، ويشتم بنا الماديون . يقول الروحانيون : « ان تفصيلك هذا في منشأ الاعتقاد بالدار الآخرة والخلود ، يشير الى أن هذه العقيدة حصلت للانسان بالاستدلال لا بالفطرة ، ولو تساهلنا في اصولنا لهذا الحد بلغ منا خصومنا الماديون منا هم ، وحاربونا بنفس مقررانا ، وأثبتوا لنا أن « الدين مبدؤه انساني لا إلهي فما تقول . » ويقول لنا الماديون : « لقد رجعتم إلى اصولنا الصحيحة المستندة على الحقائق الثابتة ، وقلتم ان « الدين نشأ للانسان بالاستدلال والنظر في الكون وبذلك فقد أثبتتم

(١) لا يزيد من هذا أن نقول ان الانسان مرتق عن الحيوان ، واما يزيد أنهم ليسوا بحيوانات قسرى عليهم حكم الحيوانية ، ولم يستكملوا شروط الانسانية الكاملة حتى تصعد بهم الى مستوى هذا النوع ، فهم عالم وسط يستدل بهم المعتقدون بترقى الانسان عن القرود على صحة مذهب ( داروين ) ولنا عليهم كلام كثير يأتي إن شاء الله



« ماقلناه في كتبنا من أن الدين ليس بفطرى طبيعي ، وإنما هو انساني  
 « صناعي ، وهما أتم رجعتم الى هذا الأصل الخطير وتومل في رجوعكم  
 « الى سائر أصولنا الاخرى من نفس هذا الطريق »

نقول انا لانريد من فطرية الدين أنه مطبوع في وجدان الانسان  
 على شكل خاص ، وإنما يريد من ذلك أنه مستعد له بالفطرة . أي أنه  
 اذا كان سليم الفطرة ، صحيح الفؤاد ، حاصلًا على شروط الانسانية  
 توصل بمحض قواه ومواهبه الذاتية الى الدين المطلق الحق وهو الخضوع  
 لقيوم السموات والأرض ، ولكنه قد يكون سقيم الفطرة ، مريض  
 الفؤاد بالشهوات والسفاسف فيميل بتلك الخاصية الدينية فيه الى اعتقاد  
 الأوهام والأباطيل وما يحس من نفسه بالباعث اليه ، كارغام أكثر  
 المتدينين أنفسهم على اعتقاد مالا يقر عليه العقل ، ولا يوافقه الحس ،  
 بل قد يعتقدون بالورثة ما يخرجون من حكايته ، ويكون من شدة  
 تناقضه . فلو كان قولنا الدين فطرى في النفس ، معناه الدين على شكل  
 خاص لما اختلف كلهم فيه ، وكان دين البشر واحداً ، ولكننا نريد  
 من قولنا الدين فطرى في النفس ، انها مستعدة له بالفطرة ، لا تتكلفه  
 بالصناعة . اذ لا فرق بين ذلك القول وقولنا البصر فطرى في الانسان .  
 ولا يلزم من قولنا البصر فطرى في الانسان أنه لا يبصر الا اشكالا  
 خاصة من المرئيات ، وإنما هو يقتضى أنه مستعد للبصر والرؤية وله  
 أن يستعمل هذه الخبيصة فيما شاء بلا حجر عليه فان كان سليم الفطرة  
 سائم العقل استعمله فيما ينبغي ان ينظر اليه ، وان كان غير ذلك استعمله

فيما لا ينبغي أن ينظر اليه .

قلنا معنى قولنا الانسان مفطور على الدين ، أنه مستأهل للتدين وقابل له بالفطرة ، ومعنى قبوله له ان في طبيعته بواعث تبعثه له ، وتؤديه اليه . فبأنك ربيت طفلاً بمعزل عن الناس ، فلم يسمع أقوالهم ، ولم يتأثر بعقائدهم ولم يحصل خبراً عما هم عليه من حيث الدين بالمرّة . فلا يلزم من قولنا ان الانسان مفطور على الدين انك ترى ذلك الطفل متى بلغ سن التمييز ناطقاً بحقيقة الدين الكبرى بلا مقدمات ولا نتائج . كلا بل قولنا ذلك يقتضى ان قواه ومواهبه الفطرية لاتزال به حتى تؤديه الى الدين ولو بعد حين ، وذلك أنه متى بلغ سن التمييز أخذ ينظر في الاشياء المحيطة به نظر المميز المستخبر ، يرفع بصره الى السماء فيستعرض تلك النقط اللامعة في وسط ذلك الأديم الأزرق ، ثم يرمى به الى الأرض ويستجلى بدائع الأشجار وغرائب الأزهار وعجائب الأطيّار ، ثم يؤوب الى ذاته فيسائل نفسه عن منشأها واصلها ، وكيفية نموها وتكونها ، وهكذا ، ثم يترقى في النظر والاستدلال بترقى سنه وتوالي المناظر والمشاهد على تخيلته ، ويؤوب بشيء من العلم في كل مرة ، حتى ينتهي به النظر الى أصل الكون ومبدئه ، وكيفية تصريفه وتدييره فلا يتالك نفسه من الحكم البات الذي لا يعتريه شك ، ولا يشوبه تردد ، بان له مصر فأقويّاً ، ومدبراً عليّاً ، يهيمن عليه ، ويقوم بشؤونه ، وبما أنه جزء من الكون يرى أنه هو أيضاً صنع ذلك القوى القادر قيوم السموات والأرض ، فترى صاحبنا ان أصابه ألم ، أو مسه برد ، أو ألمت به مخافة ، وجد نفسه

مفطورة على الشكوى الخالقه وخالق الكون، ومفاتيحه بما يجيش في سريره، ويجول في سويداء ضميره، فاذا اتفق ومرت بصاحبنا هذا جنازة ميت اضطربت نفسه، وجاشت هواجسه، ومادت به حواسه، واعترته خشية ورعدة وسأل نفسه عن مصيره ونهايته، وألم به من الأرق والتلمل مابسطناه في مقدمة هذه المقالة، وذهب بفكره في مناحي هذا الكون مفكراً مستدلاً، ثم عاد والعقيدة بالخلود الصق به من نفسه هذه أمور لا يمكن الشك فيها بوجه من الوجوه فان الدين عام بين كل أمم الأرض ولا يشذ عنه إلا أفراد متوحشون لا يعدون من الانسانية لأن فيهم نقصاً فطرياً وقد ثبت أنهم غير قابلين للترقى أيضاً. فكون الدين عاماً في كل الأمم بعقيدتيه الرئيسيتين، الاعتقاد بالخالق والاعتقاد بالمعاد، أكبر دليل حسي على التفصيل الذي ذكرناه وهو ما يحس به كل فرد منا في نفسه

أما ما ذكرناه من شماتة الماديين بنا، وادعائهم أننا أبنا الى أصل من أصولهم فهو ادعاء باطل، ومغالطة محضة بنا على ما قرناه في هذا الشرح، ولاندرى كيف يسوغ لهم أن يقرروا عدم فطرية الدين، وهم يرون بأعينهم أن الفكر والاستدلال اللذين ساقا الانسان رغم أنفه الى الدين هما فطريان طبيعيان، لا يزولان ولا يحولان؟ فاذا كان الفكر والاستدلال في الانسان فطريين فكيف لا يكون ما يؤديان اليه على وجه التعميم طبيعياً ضرورياً. اذا كان أمر الدين خاصاً بأمم دون أأم، لقيامه من الأمور الخيالية التابعة لنزغات النفس، ومنازع

الاهواء ، ولكن شيوعه الى هذه الدرجة في كل زمان ومكان ، وعند كل طائفة من طوائف الانسان ، مع اختلافها في درجات العرفان ، وأساليب البيان ، يدل تمام الدلالة على أنه مرتكز على عواطف نظرية تؤدي اليه ، وعلى أنه حاجة كبيرة من حاجات النفس البشرية لا ترتاح الا اذا انتهت اليه .

— ٣٤٣ —

### عود الى موضوعنا الأصلي

يظهر من استقرار مدركات الانسان في خلال القرون المتتالية أن العقيدة بوجود الروح قديمة كقدم العقيدة بوجود الخالق جل وعز . وقد كان الأقدمون يزعمون أن للحيوانات روحاً حساسة فقط لا عاقلة . وقد قرر فلاسفة اليونانيين القدماء بأن للكون كله روحاً سارية في جميع كل ذرة من ذراته ، وقد وضعت فيه لتقوم بتحريك أجزائه وتصوير كائناته ، بمعنى أنها جعلت لتهب المادة الحركة والصورة . وقد كان فيثاغورس الفيلسوف اليوناني ، وافلاطون الشهير والفلاسفة الاسكندرليون ، يعتقدون بأن روح الوجود مادة متوسطة بين الخالق الأقدس والكون المادي . أما اتباع زينون فقد اکتفوا بهذه الروح الوجودية عن العقيدة بالخالق وبنوا على ذلك فلسفتهم الالحادية . يظهر أن الأقدمين كانوا لا يعرفون الروح الا مادة لطيفة ، وما كانوا يدركون المعاني الملكوتية القدسية ، ولذلك لما أرادوا تعريف

الروح بحد قالوا انها من جوهر لطيف هوأى ، وإن مثلها فى هذا الغلاف الجسدانى كمثل الفراش يظل مسجوناً فى غشائه حتى يتم له تكون جناحيه فيمزق ذلك الغشاء ويطير . والنفس بعد خروجها من الجسد تصعد الى عالم الأثير حول الكواكب الزاهرة فى قبة السماء ، وكان افلاطون يدعى أنها محتد الأرواح قبل نزولها الى الأجساد .

ولا اعتقاد قدماء اليونان مادية الروح كانوا يرمزون لها بالصورة المادية . فكانوا يصورونها على شكل آدمية ذات أجنحة كأجنحة الفراش . وهذا الرمز يشاهد كثيرا فوق التماثيل والأنصاب القديمة . وتارة كانوا يصورونها بامرأة محجبة متزوجة جديداً وفى صدرها صورة فراش

كان الرومانيون فى هذا الشأن مثل اليونانيين يذهب قدماءهم الى مادية الروح وان كانوا يعتقدونها خالدة . يظهر ذلك من نقوشهم على الأوسمة التى كانوا يسبكونها تذكارا لجلائل وقائهم ، وعظائم حروبهم . فكانوا يصورون نسرا وطاووسا طائرين فى الهواء وهما رمزان للالهين (جوبتير وجوتون) وبين كل منهما نصف صورة إنسان وهى رمز الى روح الامبراطور والامبراطورة ، صاعدين بها الى السماء مقر الأرواح العالية ، ومجتمع النفوس الطيبة .

وكانت عقيدة تناسخ الأرواح أى انتقالها من جسد الى جسد آخر شائعة عند أكثر الأقدمين ولم تزل منتشرة عند أكثر شعوب

المسكونة وقد صار لها اليوم في أوروبا انصارا كثيرى العدد، كما سنفصل ذلك إن شاء الله تفصيلا مع بسط أسبابه التي دعت إليه عند الكلام على العلم عند الأوربيين .

كان الاقدمون يعتقدون بالتناسخ على وجهين ، تناسخ الروح الانسانية في جسد إنسان يولد جديدا ، أو تناسخ الروح الانسانية في جسد حيوان أعجم . والى هذا كان يذهب فيثاغورس كما نقله عنه تلامذته . قالوا : إنه كان يعتقد بالتناسخ وإن النفس الفاضلة متى خرجت من جسم صاحبها تلبست بجسم شخص فاضل ، وبخلاف ذلك لو كانت شقية ، فانها تتقمص جسم حيوان قدر . وكان يقول انه يتذكر الحالات التي كان فيها هو نفسه في أجساد مختلفة

أما افلاطون فكان له مذهب خاص في مسألة الروح وأصلها فقد كان يعتقد بأن أصل الكون صور عقلية معنوية أزلية كون الخالق على حسبها جميع الكائنات الحية والجمادة . وكان يقرر أن للعقل ثلاث خصائص : وهي الاحساسات ، والمدرجات ، والمعقولات ، فالاحساسات تقابل الأشياء المتغيرة والمتشخصة ، والمدرجات تقابل الأشياء المتغيرة أيضاً ولكن مع تجريد أشخاصها من الحس بها . أما المعقولات فتقابل الأشياء الثابتة ، والحقائق العامة . وعنده أنه المعقولات في ذاتها ليست مدرجات بسيطة للعقل ولكنها أصول الأشياء وحقائقها ، بمعنى أنها كل ما في الكائنات من حق وناق وعام . وكان يقول انها عالم قائم بذاته فوق عالم الكون والفساد وهي واصلة

الينا من الله مباشرة ، وهى القوالب التى شيا الله تعالى عليها الاشياء .  
لما كانت المعقولات على رأى افلاطون هى الاشكال الحقيقية  
السرمدية لكل ماهو موجود فقد سماها ( بالنموذجات ) .

قال افلاطون : يوجد خارجا عن الله تعالى أصل متغير ناقص  
قابل للفناء موجود بذاته هو هذه المادة العمياء الصماء التى لا شكل لها  
ولا صورة فبأثر من الله تعالى أوقعه عليها ازدوجت هذه النموذجات  
التي هى المعقولات المجردة بالمادة عديمة الصورة والشكل على درجات  
مناسبة فنشأ منها جوهر متوسط مشترك بين خصائص كل من هاتين  
الطبيعتين . وهذا الجوهر هو روح العالم . فروح العالم هذه بتشخصها  
وانقسامها الى أرواح مختلفة تكون الآلهة التى يعبدها العامة ، وتولد  
الناس وهم الكائنات المتمتعة بعقل وادراك. وفى رأيه ان الكون المادى  
مكون من عنصرين متضادين : التراب وهو أصل لجمود العالم وصيرورته  
محسوساً ، والنار وهى سبب كونه مرئياً. هذان العنصران الترابى والنارى  
ملئتان ببعضهما بواسطة عنصرين وسطين بينهما : هما الهواء والماء  
وهما من جهة متشابهان فى صفة مشتركة هى السيالية، ومن جهة أخرى  
كل منهما مشابه للآخرين ، فالهواء يشبه النار والماء يشبه التراب  
أما روح الانسان فى نظر الفيلسوف فهى حياة غير قابلة للفناء محصورة  
فى سجن فان هو جسد الانسان ، وهى متمتعة بثلاث قوى مختلفة :  
الادراك أى العقل ، والقلب أى الشجاعة ، والرغبة أى الشهوة . فاما  
الجزء السامى من النفس التى هى حية بالمعقولات والمطالب التى توافقها

وتلاؤها فحلها الرأس . أما الشجاعة فهوطنها القلب . وما سفل من قوى النفس فهو ضعه الامعاء .

أما مذهب ارسطو في النفس فلا يمكن الوقوف عليه بالدقة لتناقض تلامذته في أصوله الأولية التي نقلوها عنه . فقد قالوا ان مبدأ فلسفته هذه القاعدة « لا يصل الى العقل الا ما يمر أولاً بالحواس الخمس » وهي قاعده كما قلنا عند كلامنا على فلسفته تجعل الحواس أصلاً للمعقولات ، ومنبعاً للمدركات .

كان ارسطو يرجو أن يؤسس مذهباً وسطاً بين المذهب العقلي الفكري والمذهب المادي الحسي ، وهو مسعى عظيم لو استطاع اليه سيلا ، ولكن غاب عنا الآن شكل ذلك التوسط الذي أتى به هذا الفيلسوف ، وقد وقع فيما وقعنا فيه من الحيرة كثير من اتباعه فوقعوا في المذهب الحسي المطلق .

والذي يمكن استخلاصه من الأقوال الكثيرة ان مذهب ارسطو يفرض للعقل الانساني جزأين متميزين عن بعضهما تمام التمايز ، وهما الاشكال العقلية والأصول التي تتأثر بها الحواس من الخارج . فالعقل بما وهب من تلك الاشكال الاصلية فيه يصدر أحكاماً عامة ضرورية يصنع بها المتغير والشخصي بصيغة الضرورى العام ، كادراك استحالة المستحيلات وجواز الجائزات ، ولكن هذه الأشكال العقلية التي تصدر منها تحتاج لمادة تنطبق عليها هذه المادة هيئتها الاحساس والتجربة اذا تقرر . هذا يعلم من أول وهلة ان مذهب ارسطو يوافق من



بعض الجهات مذهب ( افلاطون ) ويلائم مذهب ( ابيقور ) من جهات أخرى . ولكن مع حفظه شخصيته وصونه استقلاله عن كليهما أما موافقته لمذهب ( افلاطون ) فذهابها الى وجود عنصر في العقل الانساني يتميز تمام التميز عن الاحساس ، وأما موافقته لمذهب ( ابيقور ) فلتسايمه بأنه لولا الاحساس لما أمكن الانسان أن يعلم عن الوجود شيئاً ولا أن يحصل عنه خبراً . أما كونه مع ذلك حافظاً لشخصيته صائناً لاستقلاله فلكونه يتعد عن كلا هذين المذهبين بعدا شاسعا في بقية مستلزمات هذه المبادئ . فان أفلاطون يذهب الى أن ( المعقولات ) التي هي منابع الاحكام المطلقة ، هي حقائق أبدية ، مستقلة عن العقل ، وخارجة عنه ، ومشرقة عليه فقط ، ويذهب ( ابيقور ) إلى أن أحكام العقل ليست الاتعميا لاحساس الحواس . أما في مذهب ارسطو فالامر بخلاف هذا فان الاشكال العقلية في فلسفته وان لم تستطع ان تنطبق الاعلى الحواس فقط ، الا أنها تضيف اليها عنصرا خارجيا مستفادا من التجربة ليم أمر الإدراك والعلم . وقد اختلف الناس في تقرير مبادئ مذهب ارسطو فعده بعضهم مادياً حسياً وعده البعض الآخر خيالياً فكرياً ، وهو تناقض لم يهتبه الا اختلاف درجات العقول في فهم كلام هذا الفيلسوف الكبير الذي يعد من أكبر القرائح التي ظهرت في العالم الانساني .

هذه أشهر مذاهب الفلاسفة اليونانيين في مسألة الروح وقد بقي مذهباً ( ابيقور ) و ( زينون ) وهما حسيان ماديان يجعلان الحواس

مصدرا للمعقولات وكانا كما يقولون لا يعتقدان بالخلود . فقد كان ( ابيقور ) يقول ان الروح جوهر لطيف له خصائص عالية وانه وجد في هذا الجسد أمداً محدوداً ، حتى اذا ما صار للبدن عديم الفائدة واختل خرج منه وتحلل هو أيضاً ( أى الروح ) وتلاشى في الوجود .

### محاكمة مدارك الفلاسفة

« في مسألة النفس »

لما كانت مسألة الحياة كما قدمنا أكبر ما يشغل الانسان في هذا العالم الفاني ، فقد أولع الفلاسفة والباحثون في الخوض فيها ، من أول عهد الانسان الى الآن .

ظل الانسان بين يدي كهان الهياكل ، وسدنة المعابد (١) والقائمين على عقائده وتقاليده آمداً طويلة ، وهولاه بما يوحونه اليه من بنات أفكارهم ، ورشحات اقلامهم ، قانع بما يجسمونه له من الخيالات والأوهام ، وما يهيئونه له من التصورات والاحلام ، حاسب كل ذلك افاضات سكان الملا الأعلى على ارواح أولئك القادة الاعلين معتقدانه نفحات عالم القدس على أفئدة أولئك المسيطرين ، وما زال كذلك يسبح في سراب المدركات الوهمية ، ويسرح في آل (٢)

( ١ ) ( سدنة\* ) جمع سادن أى خادم المعبد

( ٢ ) ( آل ) بمعنى سراب

التصورات الخرافية . حتى جاء دور العلم والفلسفة وساق الله تعالى الأمة اليونانية لتكون طليعة ذلك الدور العظيم ، ومقدمة تلك الدولة الفخيمة ، وكان من أمرها ما كان مما درسناه تفصيلا في ( كتاب الانسان ) من المجلد الأول فجاءت الفلسفة العقلية تضع حدا لتلك التصورات التضليلية ، وقام العقل يناضل الخيال حقوقه ، وينازعه اختصاصه ، فتصارعا مليا ، وانتهى الأمر بغلبة العقل وتأييد سلطانه وانخزال الخيال وتقوض أركانه . ولم يزل العقل وحده صاحب السيطرة والسطوة ، ورب السلطة والشوكة ، حتى جاء دور العلم العملي والفلسفة الحسية في القرن الماضي ، فتنازل لها العقل عن عرشه ، وسلمهما قياد النوع الانساني بدون لجاج ولا حجاج (١) ولا عجب ان عرف العقل الفضل لاهله ، وأعطى الحق لمستحقه فقام العلم بالامر خير قيام . ولم يزل قائما لليوم ، وليس بعد دولة العلم دولة ، ولا بعد صولته صولة ، ودولته مقدمة دولة الاسلام ، وطلیعة حقائق القرآن ، وسترى في تفصيل هذا الاجمال العجب ، ان شاء الله

لو أردنا أن نستقصى مدارك الناس على الروح في عصر الخيال للزمناسفر كبير نسرده فيه أساطير الأولين ، ومزاعم المتقدمين ، وليس في ذلك كبير فائدة لحضرات القارئین . وإنما نجمل شيئا من ذلك ، فنقول : ان أكثر الاقدمين ، ومعظم الوثنيين العصريين ، يعتقدون ان الروح تصعد الى السماء محمولة على أجنحة الطيور ، ويربط أهالي

(١) ( حجاج ) أى جدال يقال له : حاجه يحاجه محاجة وحجاجا أى جادله

الصين أمام بيوتهم ساعة احتضار الميت ثلاث حمامات ثم يطلقونها إذا خرجت روحه ، لتأخذها تلك الحمامات وتصعد بها الى السماء ، وكان يدعى بعض الأقدمين أن الأرواح لا تصعد الا محمولة على طائر ، ولذلك يأتون للمحتضر بحمامة كما هالى الصين ويطلقونها بعد موته لتحمل روحه الى الصفيح (١) الأعلى . ولالأقدمين غير ذلك وهميات تشبه أحلام الأطفال كانوا ينظمونها فى أشعارهم ، وينشدونها فى أعراسهم وحفلاتهم ؛ ويتعزون بما جاء فيها أمام كوارث الحياة وشجونها ، ويتسلون بها فى أتراح الدنيا وغموها . ويدافعون بها حقائق الوحي وأرباب المعارف النبوية لمناسبة تلك النزغات لطبيعتهم الحسية ، وأمزجتهم الطفلية ، فما كان يؤمن منهم بالأنبياء الا العدد القليل يقيمون أمر الله ويسيرون على صراطه ، ثم لا يلبث أعقابهم ان يبدلوا ويحرفوا ما ورثوه عنهم ، ولا يزالون كذلك حتى يوقفون بينهم وبين خرافاتهم البلدية ، وسفسطاتهم القومية ، ويسمرون أنفسهم اتباع الأنبياء ، وحفظة الكتب المقدسة ؛ وهم فى الحقيقة اتباع أوهامهم وحفظة أضاليلهم ، والله فى ذلك حكمة .

جاء فلاسفة اليونان يحاكمون العقائد العمومية للعقل ، ويناقشونها مناقشة المنتقد فنار دونهم أراكين السفسطة (٢) وأساطين الوهم

(١) (الصفيح) اسم من أسماء السماء.

(٢) (السفسطة) والسفسطة بفتح السين وشرها قياس منطقي مركب من الوهميات

وحفظة الخيال وكان في مقدمة جيش العقل وحامل لوائه العالى  
الفيلسوف الكبير ( سقراط ) فلم يزل يجادلهم ويجادلونه ويقارعهم  
ويقارعونه ، حتى فاز عليهم بالانتصار ، وسجل عليهم الخذلان والبوار ،  
بخاف هؤلاء على مراكزهم ولم يغلبوا حب الحق على حب مصالحهم ،  
فدسوا به الى الحكومة ، وناهيك بحكومة تلك الأزمان ( القرن السادس  
قبل المسيح ) فألقت القبض عليه وزجته (١) الى أعماق السجون  
وظلمات الحبس ، ولم يزالوا يوغرون صدر الحكومة عليه ويؤثرون  
على نفوس القضاة والحكامين بالتمويهات والبهتان ، حتى حكموا باسمه  
وهي عادة اليونانيين القدماء في قتل بعض الناس فسموه السم ، وهو  
ساكن الجأش ، رابط الجنان ، غير هيب ولا جبان ، وهو وسط طائفة  
من تلامذته كان يقرر لهم خلود النفس بعد الموت . نخرجت نفسه  
الى عالمها ، وهو راض عن قسمه ، مؤد ما طولب به .

أما أعداؤه السفسطائية فظنوا أنهم بقتل سقراط ، منعوا دولة  
العقل أن تتأيد ، وحجزوا تيار الفكر أن يتسرب ، ولم يعلموا أن  
موت سقراط زاد اتباعه حماسة وغيره ، وأكسب أشياءه حياة وانضماما ،  
وهذا شأن كل حرب تقوم بين الحق والباطل ، لا يسقط من أنصار  
الحق كوكب ، الا ويصعد في أفقه الف كوكب ، ولا تعذب في سبيل  
نصرته نفس واحدة ، الا وتحيا بجانبها نفوس لا تعد ولا تحصى . أما  
رأيت كيف أن تلك الاضطهادات القاسية ، والمظالم الشنيعة ، التي كان

(١) زجه بزجه . رماه

صناديد قريش يعاملون بها ضعاف المسلمين في مكة ، فضلا عن انها لم تكن سببا في نكث قتل جمعيتهم ، وباعثا لنقض بناء القتم ، كانت بالعكس داعية لانضمامهم وتلاصقهم ، وموجبة لكثرة عددهم ومددهم ؟ لقد بلغ بهم العتو الوحشى الى حد انهم كانوا يربطون المسلم الضعيف على رهضاء مكة في حين الهاجرة حيث الشمس لا تطلق ولا تحتل ، وفي الوقت الذى يكون فيه الرمل وصغار الحصى كقطع الجمر ، ثم كانوا لا يكتفون بذلك ، بل كانوا يحمون الحديد في النار حتى يصل لدرجة الاحمرار ويكونون به اولئك الضعفاء ، حتى تظهر أعصاب أجسامهم ، ومع ذلك فكانوا لا يزدادون الا إيمانا و يقينا ، ولا يكسبون من وراء هذا العذاب الا ايم الا حبا في رسول الله وتمكيننا . ثم لما أعياهم الأمر جدا وعجز أولئك العتاة عن ارجاع هؤلاء الاطهار عن دينهم ، تألبوا عليهم بقضهم وقضيضهم ( ١ ) وناهيك بقريش سيدة العرب حين تنادى فرسانها ، وتحشد أقيالها وأبطالها ، وفيهم من اذا ركب زلزل الأرض بحوافر جواده ، وأشاب الأطفال بباراقه وارعاده ، ومنهم من اذا هز الحسام في يمينه تناثرت الفرسان عن شماله ، ومنهم غطاريف الخدع الحربية وشياطين الأساليب الهجومية والدفاعية ، ولم يكتفوا بأنفسهم بل دعوا معهم حلفاءهم من سكان البوادي ، وهم أبناء الطعن والضرب ، واخوان الكر والفر ، كل ذلك ارهابا لطائفة لا تكاد تزيد عن ثلاثمائة مسلم من قبائل مختلفة

(١) قال جازا بقضهم وقضيضهم اى اصغارهم وكبارهم

ويوت كانت غير مؤتلفة ، ناقصى العدد والأهب ( المعدات ) ، قليل الزاد والنشب ( المال ) ولكنهم فى مقابل ذلك كبار الأفتدة ، صحاح العقول ، أحياء الشعور ، أعلياء النفوس ، قد استوعب الايمان أرواحهم وملا اليقين صدورهم ، لا يرون غير الله نافعا ولا ضارا ، ولا سواء معزا ولا مذلا نغاضوا غمرات ( ١ ) تلك الحرب بأفتدة تعمرها الملائكة ، وأرواح متعلقة بالملا الأعلى ونفوس ترتع فى حظائر ( ٢ ) القدس ، وتسبح فى سبحات ( ٣ ) الانس ، فلم لا تشاركهم الملائكة فى سحق أعدائهم ، وتشاطرهم فى أداء وظيفتهم . نعم كان ذلك كما حكاه الله عنهم فى كلامه العزيز ، ولم يمس الا طائفة من النهار حتى تركوا ضنايديهم يعجون ( ٤ ) فى نجيهم ( ٥ ) ، ويتخبطون فى مهجاتهم ( ٦ ) « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل »

قلنا ان هذه الحوادث المدهشة سنة من سنن الله فى خلقه تظهر عند كل تصارع يحصل بين الحق والباطل ، وقد حصلت فى أوروبا قبل

( ١ ) الغمرات . غرة الشيء شدته ومزدهمة

( ٢ ) الحظيرة هى القطعة من الارض يجاؤها بحاجز . ( وحظيرة القدس ) الجنة

( ٣ ) السبحات ) الانوار جمع سبحة بالضم

( ٤ ) عج يعج ويعج صاح بضم العين وكسرها

( ٥ ) النجيع الدم الاسود . وقيل دم الجوف خاصة

( ٦ ) مهجاتهم المهجة الدم . وقيل دم القلب خاصة

ثلاثمائة سنة حينما سُمّ الناس تحمل نير ( ١ ) رؤساء الأديان واحتمال  
تكاليفهم الشاقة ، وظهرت شمس العلم من خلال تلك الحجب المتلبدة ،  
والغيوم المتكاثفة . هناك صاح أولئك القادة صيحات دوت لها أرجاء  
المعمورة ، واهتزت من هولها عروش الجبابرة والقيصرة ، وتنادوا  
بأن هلبوا الى كبح جماح هذه النفوس الجاحمة ، وكسر شوكة هذه العقول  
الطامحة ، « يعنون بذلك نفوس العلماء الذين ظهروا ونبغوا في العلوم  
الطبيعية ، وأرادوا وضع حد لأوهام أولئك القادة » ولما لم تجدد  
صيحتهم نفعاً ، ولم تحدث أثراً ، أقاموا الحكومة واقعدوها ، واستعانوا  
بقوتها على أولئك العلماء الضعفاء ، فلبتهم طوعاً ، وكيف لا تليهم  
ويدهم حلها ونقضها وطوع شفاهم قصمها وقصمها ( ٢ ) ؟ فجعلوا  
عقوبة المتكلم بما لا يوحونه الى الناس من العلم ، ولا يقرون عليه من  
المدرجات ، الحرق بالنار حياً ، والتعذيب بالقطران الغالي ، والقضبان  
الحماة على الحجر ، وفتكوا بهذه الوسائل بأكثر من ثلاثمائة ألف نسمة  
فلم يوقفوا تيار العلم ، ولم يدفعوا سيال الشكوك ، ولم يزلوا بهوتا  
صموتا أمام هذا الحادث الجلل ، حتى انتهى الأمر الى ماتراه اليوم وهو  
تأييد دولة العلم وتمكن سطاتنه ، وخفوق علمه ، وكثرة أنصاره  
وأعوانه ، وهو مقدمة دولة الاسلام ، وطليلة عصر القرآن ، وسنثبت  
لك ذلك ان شاء الله .

( ١ ) النير الحفصية التي توضع على عاتق الثور

( ٢ ) قصمه يقصمه . ونصمه يقصمه . كسره كلاهما من باب ضرب



لنعد الى ما كنا فيه من الكلام على مسألة الروح فنقول : انقضى عصر الخيال بما كان فيه من أوهام وأحلام وجاء دور الفلسفة اليونانية ، فتناول الناس هذه المباحث بالعقل ، وجعلوها من بعض أعمال الفكر ، فقرر كل متكلم مذهباً اتبعته فيه تلامذته ، وصار عدد ماهيات الروح على قدر عدد الفلاسفة المتكلمين فيها ، ولا يخفى أن مجرد الفكر في أمر هذا الخلاف يحمل الانسان على الجزم بفساد مذاهبهم جميعاً فان الحقيقة الواضحة لا يختلف فيها اثنان ، وان اختلفا فلعناد أو لجاح ؛ أما ذهاب الناس في أمر تصور ماهية الروح هذه المذاهب الشاسعة فما يدل وانضح الدلالة على أنهم انما اغترفوا مداركهم من بحار الخيال وان كانوا كسوها بحلة منطقية ، وحلوها بحلية جدلية .

وأينا في كتاب الانسان أن الفيلسوف « افلاطون » جعل مبادئ الكائنات صوراً أزلية أبدية شيئاً الله عليها الأشياء ، وانها من عالم قائم بذاته مستقل عن المادة تمام الاستقلال وسماها « النموذجات » . قال وانه يوجد خارجاً عن الله تعالى اصل متغير ناقص قابل للفناء ، موجود بذاته ، هو المادة العمياء الصماء التي لا شكل لها ولا صورة . فبأثر الله تعالى الذي أحدثه عليها ازدوجت النموذجات التي هي المعقولات المجردة بالمادة عديمة الشكل والصورة على درجات مناسبة فنشأ منها جوهر متوسط مشترك بين خصائص كل من هاتين الطبيعتين ، هذا الجوهر هو روح العالم ، فروح العالم هذه بتشخصها وانقسامها الى أرواح مختلفة تكون الآلهة التي يعبدها العامة وتولد الناس أيضاً وهم

الكائنات المتمتعة بعقل وإدراك . وقال ان محدد هذه الارواح قبل نزولها الى الاجساد الكواكب ، وهي مصيرها بعد خروجها من الجسد . وقال عنها انها حياة غير قابلة للفناء محصورة في سجن فان هو جسد الانسان ، وهي متمتعة بثلاث قوى مختلفة : الإدراك أى العقل ، والقلب أى الشجاعة ، والرغبة أى الشهوة ، فالجزء السامى من النفس التى هى حية بالأفكار والمطالب التى توافقها وتلائمها فحلها الرأس ، أما الشجاعة فموطنها القلب ، وما سفل من قوى النفس فوضعه الامعاء . أما تلهينه ارسطو فقد خالف أستاذه فى أكثر ما ذهب اليه كأنه وجد ليناقضه فقال عن النفس كلاماً موجزه : أنه قسم النفس جملة أقسام فجعل فى الانسان نفس غاذية (١) ونفس شاعرة وهما مما يشترك فيه الانسان والحيوان ، ونفس عاقلة أو ناطقة وهى التى بها يمتاز الانسان عن الحيوان ويتصل بها الى عالم المكوت . وقسمها أيضاً قسمين نفس منفعة ونفس فاعلة فالمنفعة تموت بموت الجسد ، وأما الفاعلة فتخلد أبد الآبدين ودهر الدهرين (٢)

وقال ( ابيقور ) الروح الانسانية جوهر لطيف له خصائص عالية ، وأنه وجد فى هذا الجسد امداً محدوداً واستخدمه حتى إذا ماصار البدن عديم الفائدة واختل نظامه خرج منه وتحلل هو أيضاً ( أى الروح ) وتلاشى فى الوجود

(١) النفس الغاذية يريد بها المسيطرة على التغذية والهضم والتوليد

(٢) الابدالهر . جمه آباد وأبود . يقال : لاأنفله ابد الابدية . وأبد الابد وابد الآباد وأبد

الدهر . وأبد الابد وآبد الابدين) وفى معناه دهر الدهرين

وقال (ذنون) أما الروح فهي شعاع من الشمس الحيوية التي هي الأصل العام لجميع الكائنات وهي تنتقل كالحرارة من فرد الى فرد ، وتنتهي بأن ترجع ثانياً الى محتها العام التي جاءت منه ، وبناء عليه فليس حظنا بعد الحياة العدم والزوال ، ولكن الاجتماع والانضمام ، على أنه ليس لدينا إلا معلومات صغيرة على هذه الأمور المجهولة لأن العقل لا يستطيع أن يدرك نفسه بنفسه ، ومن الأمور المضادة للفلسفة الحققة أن يدأب الانسان للبحث عن أصول الأسباب . فالواجب القنوع بدرس الحوادث في ذاتها . ومما يجب علينا وضعه نصب أعيننا هو أن الانسان لا يستطيع أن يصل الى الحقيقة المطلقة مهما حاولها وتطلع اليها . وأن الثمرة النهائية لمجهودات الانسان وراء اكتشاف أسرار المادة هي تأكده بأنه لا يصلح للأمام بكل شيء . واتنا على فرض وصولنا الى حقيقة من الحقائق ، لانزال نشعر بالحاجة الى دليل على أنها حقيقة .

هذه أشهر أقوال فلاسفة اليونانيين التي سادت في العالم بعد انقراض أصحابها قروناً عديدة ولم يزل لها أشياخ في كافة أرجاء العالم ممن يحبون كل قديم ، ويتشاءمون من كل جديد ، وكلها كما قدمنا مغترفة من بحار الخيال ، وان كانت مكسوة بحلة منطقية ، ومحلاة بحلية جدلية .

سل الفيلسوف افلاطون قائلاً ، من أين جاءك العلم بأن هنا لك صوراً عقلية أزلية خلق الله على قوالها الأشياء وأنها من عالم مستقل قائم بذاته ؟ وسله : من أين أتاك بأن ازدواج تلك الصور العقلية

المجردة بالمادة اتج جوهرًا متوسطًا مشتركًا بين خصائص المادة وخصائص العالم السماوي هو روح الوجود، وهذه الروح الوجودية بتشخصها وانقسامها تكونت أرواح الآلهة وأرواح الناس؛ على أي صفة كان ذلك الازدواج، وبأي كيفية نشأت تلك الروح العامة، ثم كيف تشخصت وانقسمت، بأي هيئة وعلى أي كيفية؟ ومن أين جاءك أن محدث هذه الأرواح الإنسانية قبل تلبسها بالأجساد هو آفاق الكواكب حتى إذا أدت وظيفتها وخرجت من البدن عادت إلى عالمها هنالك؟ أظن لو صح هذا الكلام عن افلاطون وسئل هذه الأسئلة لما وجد جواباً مقنعاً يرد به على السائل، ولانستكبر عليه أن يقر لمستفتيه بالعجز التام أمام هذا السر المدهش، والظلم العجيب. ثم إن تركته وواجهت أرسطو قائلًا أيها الفيلسوف الكبير الذي جعل التجارب والحوادث والمشاهدات أركان مذهبه، ودعائم فلسفته، من أين حصل لك العلم بانقسام النفس إلى ثلاث: غاذية وشاعرة وناطقة، وبانقسام الناطقة إلى منفعة وفاعلة، وانهاء الأمر بموت المنفعة وبقاء الفاعلة؟ إن قلت إن هذا التقسيم جئت به من مشاهدة حال الإنسان ومراقبة حركاته وأطواره، قلناهب أنك استندت على المشاهدة فيما يختص بالنفس الغاذية والنفس الشاعرة والنفس العاقلة (وان كان هذا التقسيم في نفسه عجيب وغير معقول) فعلى أي مشاهدة استندت في قولك إن النفس العاقلة تنقسم قسمين: منفعة وفاعلة، الأولى تموت بموت الجسد، والثانية تبقى أبد الأبد؟

الانسان لا يجسر بالتقسيم والتجزىء الا على شىء معروف الكنهه والتركيب ، فهل عرفنا كنهه الروح وتركيبتها حتى نقول بانقسامها وموت بعض اجزائها .

وكذلك نقول لا يقور الذى علم بأن الانسان جوهر لطيف له خصائص عالية ، وأنه متى خرج عن البدن تحلل وتلاشى فى الوجود ، نقول له بم حكمت عليه بالجوهريه والطاقة ، وبأى وسيلة أدركت أنه سيؤول الى التحلل والتلاشى ؟ هل رأيت ذلك ؟

أما ذينون فذهبه مادى محض ؛ زعم أن الروح شعاع من شمس الحياة العامة التى هى أصل جميع الكائنات فاذا مات الانسان عادت حياته الى تلك الحياة العامة أى فقدت شخصيتها وتلاشت أنانيتها ويكون مثل الانسان بعد الموت كمثل سائر المواد المتحللة . هذه النظرية توهم أنه رأى ذلك بعينه ، ولذلك فهو يحكم ويجزم ، ولم يدرك كيف لم يلاحظ أنه ناقض نفسه بنفسه ، فانه لم يكديقرر هذا الحكم ويدعمه حتى قال بعده ( على أنه ليس لدينا إلا معلومات صغيرة على هذه الأمور المجهولة ، لأن العقل لا يستطيع أن يدرك نفسه بنفسه الخ ) فلو كان الفيلسوف تدبر جيداً فى هذه الجملة الجليلة ولو بعد أن كتب الجملة الأولى لاستحسن ابدالها بما هو أليق بهذا التواضع الفلسفى ، وأجدر بهذه الساحة العلية .

هذه التعاليم الفلسفية اليونانية كانت موضوع اشتغال الناس وعنايتهم قرناً متطاولة ، اقتصروا بها عما سواها ، وقنعوا بها عن عناء

البحث ، وكذا التنقيب ، وصار أمثلهم أحفظهم لها وأضبطهم لشروحها ، أو أجمعهم لكتبها ، ودام الأمر كذلك حتى جاء الفلاسفة المسلمون فنقلوا فلسفة اليونان كما هو معلوم وزادوها تهذيباً ، وحسنوها شرحاً وترتيباً ، وغرموا (١) بالكلام على الالهيات والنفس غراماً شديداً ، وخرجوا بذلك عن الدائرة الحكيمة التي حددها الله للعقل البشري في كتابه العزيز ، كما سنبينه تفصيلاً عند الكلام على العلم عند المسلمين إن شاء الله تعالى ، ولم يزالوا كذلك حتى قامت أوروبا تحذو حذوهم ، وتحيا بحياتهم العلمية ، الى أن جاء دور العلم العملي الذي هو مقدمة الاسلام ، وطليعة القرآن ، فصاح بالناس : أن سقطت دولة الخرافات ، وثلت عروش الخزعبلات ، وخلص الانسان من أسر الاوهام ؛ ونجا من أحابيل الأحلام ، وآن للعقول أن تطهر من أرجاس ما ورثته عن آباؤها من الأباطيل وللأفكار أن تنشط من قيود ما تحملته تقليداً من الأضاليل ، وحان للنفس أن تستنشق نسيم الحرية ، وتخلع نير العبودية . فأنكر الناس هذه الصيحة أولاً ثم لما ذاقوا حلاوتها ، ورأوا ثمرتها ، خفوا الى دعائها سراغماً ، وهرعوا الى قادتها خفافاً ، ولولا أن أعقب ذلك الحال شيء من الغلو والجور ، لكانت أوروبا اليوم تتلأأ في أنوار الدين الفطرى الحق ، وتحمل لواء الاسلام الى الشرق ولكن هذه سنة الخالق في خلقه فلا يؤوب الضال الى الهدى حتى يجوز المدى ، ثم لا يزال يضطرب حتى يقوم على المنهاج الوسط ، ويزول عنه الشطط

(١) غرموا ( غرم بالشيء يغرم به أى كلف به وشغف )

جاء العلم الاوروبي يوضع للأوهام حداً لا تتعداه ، ويرسم للعقول مجالاً لا تجوزه الى سواه ، ويقرر المدارك دستوراً تسير على مقتضاه ، وحكم بأن كل فكر لا يسنده دليل حسي وشاهد وجودي . وجب القاؤه الى عالم الفروض والظنون ؛ حتى يقر عليه الوجود أو ينفيه ، وقضى بأن العلم غير محدود بحد ولا مقصور على شخص ، وان الانسان مسوق اليه سوقاً قهرياً ، محفور اليه حفراً فطرياً ، فمشكلة اليوم قد تكون بديهية الغد ، ومما يحكم عليه اليوم جزافاً بالاستحالة ، قد يكون بعد غد من الممكنات السهلة . وقد جرى أمثالهم وأعاظمهم على هذا الأسلوب حتى وصلوا اليوم الى مدى بعيد من المعارف الطبيعية بواسطة علوم الطبيعة ، والى غاية عالية من المعلومات الروحية بواسطة علوم ماوراء المادة ، كما تنقله عنهم تباعاً . أما غلاتهم وكفارهم فقد تصدع ركنهم ، وتداعى السقوط حصنهم ، وسيؤوبون للحقيقة وان عاندوها ، والله غالب على أمره .

إذا علمت أن هذا الأدب العلمي لم ينشأ إلا في القرن التاسع عشر ، وأن هذا الدستور لم يتقرر الا في هذا العصر الحاضر ، وأن هذه المناهج العالية لم ترسم الا بعد أن هتكت الخرافات عقل النوع الانساني ، وامتصت دم حياته ، أفلا يكون من المدهش المحير للفكر الجاحد أن ينزل القرآن في القرن السابع من الميلاد أي في العصر الذي لم يعرف فيه للعلم دستور ، ولا للفكر حد ، قائلاً : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » أنظر كيف أوقف

العقل عند حده ، وأتى عن الروح بحد لا يمكن نقضه مهما بلغ العلم من حقائق الوجود ومساير الكون ؟ وضمن الآية مبلغ الرقي الذي بسطناه لك تفصيلاً ، ولمح فيها بتسكيت أولئك الذين ملؤوا الأسفار كلاماً عنها كأنهم بلغوا من العلم غايته ، ومن الفهم أقصاه ونهايته . ان لم يكن هذا من دلائل النبوة فأى دليل أصدق . وأى برهان فى النفس أوقع ؟

﴿ جهة إعجاز القرآن ﴾

كتب لنا حضرة العالم المحترم ( موسى أفندى جاد الله ) من بلده ( روستوف دودون ) من بلاد روسيا يسألنا عن رأينا فى جهة إعجاز القرآن . قال حضرته : ان فى جهة إعجاز القرآن أقوالاً ، ولكنها إذا لاحظنا أن الإعجاز موجود فى كل سورة وآية وأن وجه الإعجاز يجب أن يكون زمن التجدى وظاهراً عند جميع المرسل اليهم ، يشكك علينا تسليم قول من هذه الأقوال . فما رأيكم ؟

( الجواب ) القرآن روح من أمر الله استعد لقبولها الفؤاد المحمدى ، فأشرق فيه شيئاً فشيئاً بواسطة الروح الأمين ؛ حتى تم اشراقها فجاءت هذا القرآن المجيد « الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » هذا التحديد وحده كاف فى ارشادنا الى جهة إعجاز القرآن ، وهدايتنا الى وجه قصور الانس والجن عن الاتيان بمثله وبقائه لليوم معجزة خالدة تتلأأ فى نورها الالهى ، وتتألق فى جمالها القدسى ، ذلك لأن القرآن لما كان روحاً من أمر الله فلا جرم كانت له ( روحانية )



خاصة هي عندنا جبهة اعجازه والسبب الوحيد في انقطاع الانس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سورته، وارتعاد فرائص الصناديد والجبابرة عند سماعه ، وناهيك بروحانية الكلام الالهي .

نعم ان جبهة اعجاز هذا الكتاب الالهي الاقدس هي تلك (الروحانية العالية) التي قلبت شكل العالم وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله في أرضه ، وأرغمت لهم معاطس الجبابرة والأكاسرة ، ووطأت لهم عروش التبابعة والقياصرة ، حتى صاروا ملوك الملوك واخوان الملائكة ، في مدة لا يصعب عد سنيها على الأصابع « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده »

لامشاحة في أن القرآن فصيح قد أخرج بصفاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة ، وسادات القوافي ، وملوك البيان . وهو حكيم ، بهر سيطرة الحكمة والفلسفة ، وأدهش أساطين القانون والشريعة ، وحير أراكين النظام والدستور . وهو حق ، ألزم كل غال الحجة ، ودل كل باحث على المحجة . ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها . وهو هدى ورحمة ونور ، وشقاء لما في الصدور . كل هذه صفات جليلة تؤثر على العقل والاحساس والعواطف والأميال فتحكم فيها تحكم المالك في ملكه ، ولكنه فوق ذلك كله « روح من أمر الله » تصل من روح الانسان الى حيث لا تصل اليه أشعة البلاغة والبيان ، ولا سيالات الحكمة والعرفان ، وتسرى من صميم معناه الى حيث لا يحوم حوله ففكر ولا خاطر ، ولا يتخيله خيال شاعر . هذه الروحانية تنفذ الى سر

سريرة الانسان وسويداء ضميره وتستولى منها على أصل حياته ، ومهب عواطفه واحساساته ، وتخلقه خلقاً جديداً ، وتصوره صورة لا يتخيلها ولوقيلت له لما أدر کہا . ألا ترى كيف فعلت بأولئك العرب الذين لبثوا ألوفاً من السنين على حالة واحدة لا يتحولون عنها ، ولا يسأمون منها ، فنفحتهم بروح عالية قامو بواسطتها يحملون الملوك سلطتهم ، ويطوقون القياصرة بطوق نفوذهم وسطوتهم ، ولم يتموا جولتهم هذه حتى دانت لهم المعمورة من أقصاها الى أقصاها .

أى برهان على تبدل أرواحهم أكبر من هذا ؟ قوم كانوا بالأمس مزقين مشتتين لا تجمعهم رابطة سياسية ولا قومية بل ولا دينية ، فى أحسن مواقع الأرض وأجديها ، وأبعدها عن النظام والحكمة والآمال العظيمة والفتوحات ، يقومون بعد سنين قليلة من بعثة نبيهم ينشرون الفضل والفضيلة والكمال فى أرجاء هذا العالم المضطرب ووسط هذه الفتن المزعجة .

أى حجة أكبر من هذه على ان القرآن روح الهى ، وأمر سماوى وأى وجه من وجوه اعجازه بعد مشاهدة هذا الأثر الفخم أوقع فى النفس ، وأننى للشك وأولى بالقبول من وجه (روحانيته) ؟  
أن للقرآن فوق الفصاحة والعدوبة والحكمة والدستور (روحانية) يدركها من لاحظ له فى فهم الكلام وتقدير الحكمة وادراك الدستور ألا ترى أن الطفل والعامى كيف يعترىهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن ، حتى أنهما ليكادان يفرقان بين ماهو قرآن وما ليس

بقرآنن فيما لو أراد التالى أن يغشهما .

هذه الروحانية تظهر ظهوراً جلياً عند ما تكون آية من آياته جاءت على سبيل الاستشهاد أو الاقتباس فى صحيفة كبيرة ، فانك ترى ذاك الآيه تتجلى لك من بين السطور وخلال التراكيب كأنها الشمس فى رابعة النهار مهما كانت درجة تلك الصحيفة من البيان ، ومنزلتها من جمال الأسلوب وجزالة الألفاظ

هذه الروحانية تظهر للعارف باللغة والجاهل بها . أما ظهورها للعارف فبين لا يحتاج لبيان ، وأما ظهورها للجاهل بها من الأمم الأعجمية فأثرها وتيجتها .

أى انسان يرى أن العربى الذى كان بالأمس جزاراً أو تاجراً أو راعياً وهو من الجاهلية وعدم احترام الدستور على ما كان يعلم الناس منه . جاء اليوم يقود جيشاً يرغم به معاطس أكبر قواد العالم من غطاريف الحرب ثم يدخل الى أحشاء تلك الأمة المغلوبة فيؤمنها على دينها وشريعتها وأموالها وأعراضها ويكون عليها أشفق من رؤسائها وأحنى عليها من نفس حكومتها ، فينشر بينهم العدل والاحسان ويفعمرهم بالافضال والانعام ، قلنا من ينظر الى هذا الأمر المدهش ولا يقرب أن هذا العربى قد اكتسب ( روحاً جديدة ) لم تكن فيه من قبل ، وليست من جنس الأرواح الموجودة فى أعلياء النفوس وأصحاب الفضيلة من الأفراد ؟ كيف لا يستدل هذا الانسان بالحس على تلك ( الروحانية ) وقد أصبح يرجو من كان يخافه ، ويتعلم ممن كان لا يرى

أجهل منه ، ويتخلق بأخلاق من كان لا يعده الا وحشاً كاسراً ؟  
 أفلا يدل هذا التبدل العجيب أعظم دلالة على سمو دين ذلك  
 الفاتح ( وروحانية ) كتابه الذي أنزل اليه ؟ نعم يستدل على ذلك استدلالاً  
 يوجب الايمان ، ويستدعى غاية الاطمئنان ، ويدل على ذلك انه لم  
 تكذب تنشر تلك الطائفة الطاهرة في العالم ، ولم تجل فيه هذه الجولة  
 السريعة ، حتى دخل الى الدين الاسلامي في عشرات من السنين عشرات  
 من الملايين طوعاً بلا دعوة ، وعفواً بلا ارهاق بحجة ، غير مارأوه  
 بأعينهم من هذه الروح الغريبة والحياة الطيبة

هذا رأينا في جهة اعجاز القرآن وهو فيما نعلم يحل كل صعوبات  
 هذا البحث ويمكن الاستدلال عليه بالحس والواقع ، والله يهدينا الى  
 سواء السبيل

أرسلنا هذا الجواب أو ما يقرب منه الى حضرة الأستاذ الموما  
 اليه على حسب طلبه ليجعله رأياً لنا في كتاب يؤلفه في بعض علوم  
 القرآن ونريد أن نزيد عليه هنا أن هذا الوجه الذي أتيناه في جهة  
 اعجاز القرآن هو المطابق لحكم الله فيه وهو أليق الوجوه بالكلام  
 الالهي الأقدس ، أما ما ولع به الناس من أن القرآن معجز لبلاغته  
 وتجاوزه حدود الامكان حتى وقف ذلك الاعجاز منهم ببلاغته دون  
 وجوه اعجازه الأخرى فلم نقف له على أثر من ذات كتاب الله ؛  
 ولا نعلم من أين جاء لبعض الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 كان يتحدى الناس ببلاغة القرآن مع أنه قد ورد ذكر القرآن

في القرآن في آيات عدة فلم نر في واحدة منها ما يو افق ما يذهب  
 اليه الآن الكثيرون . وصف الله تعالى كتابه في كتابه فقال : « ولقد  
 أنزلنا اليك آيات بينات » « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين »  
 « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق » « ولقد جاءكم بصائر من ربكم »  
 « ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون »  
 « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » « وتنزل من القرآن ما هو  
 شفاء ورحمة » « ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل »  
 « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » « ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات  
 ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين » « وانك لتلقى  
 القرآن من لدن حكيم عليم » « أم يقولون اقتراه بل هو الحق من  
 ربك » « ويرى الذين أتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق  
 ويهدى الى صراط العزيز الحميد » « وكذلك أوحينا اليك روحا من  
 أمرنا » وصف الله كتابه في هذه الآيات الكريمة بأوصاف عدة  
 وليس من بينها واحد يشير الى بلاغته اللفظية ، ذلك لأن البلاغة صفة  
 ثانوية للكلام الالهي لا مشاحة فيها ولا ريب ، ولا يصح أن يرحل  
 الى الاستدلال بها على كونه كتابا سماويا مع ترك ما في القرآن من  
 المعجزات الأخرى المحسوسة التي لا يمكن فيها المكابرة والجدل ،  
 وترى لاقتصار المسلمين في الاستدلال على كون كتابهم سماويا بمحض  
 بلاغته اللفظية وقع كثير منهم في الغلو في التنقيب عن تناسب عباراته  
 وتناسق كلماته ، والاغراق في تفتيش تراكيبه ، وبحث مبانيه من جهة

الصناعة والسياسة ، حتى خرجت البلاغة عن معناها الحقيقي وعمما كان يفهمه أصحاب البلاغة من العرب في مدة البعثة النبوية وقبلها ، وتمادى الحال حتى ظن الناس ان البلاغة هي محض تناسب الكلمات وتوافق السجعات ، وتناسق التراكيب ، وذهلوا عن روح البلاغة الحقيقية ، وجوهرها الذاتي .

لو كانت البلاغة هي كما يفهمه الناس اليوم في تناسب التركيب ، وتناسق الألفاظ وترادف العبارات بصرف النظر عن معناها الحقيقي لاستحال أمر البلاغة الى صناعة من الصناعات لا روح من الأرواح ، ولأمكن أنعبي الأغبياء أن ينتقد على أبلغ البلغاء ويدعى أنه غير بليغ لخروج بعض عباراته عن الأقيسة والقواعد التي حفظها في مخيلته وظن أن كل خارج عنها ساقط عن مرتبة البلاغة ، وما الذي يمنعه من ذلك ؟ أليست البلاغة في نظره صناعة من الصناعات ، وبما أن لكل صناعة حدود وقوانين محفوظة فمكل كلام شذ عنها فهو خارج عن حدود البلاغة . فانظر الى أي مدى وقف الجمود ببعض القرائح ؟ انظر كيف غفلت عن أن تلك الحدود مقتبسة من تلك البلاغة وناشئة منها ، وقابلة للزيادة على قدر ما يفتح للناس من أساليبها فقامت تحكم على الأصل بفرعه ، وتقضى على النص بشرحه .

نرجوا أن نوفق في الجزء المقبل لكتابة مقالة في كنه البلاغة وما هيتهما كما يفهمه البلغاء أنفسهم وكما يؤخذ من صفتها الجوهرية لندرك كيف أن القرآن في منتهى درجات البلاغة وفي أعلا قمة الفصاحة ،

ونرجوا أن يكون كلامنا على البلاغة كميزان توزن به جميع أنواع البلاغات ، أو دستوراً يمكن الحكم به عليها بدون شطط .  
 هذا وأنا نرجو ، وقد فككنا القيود عن أنفسنا بتوحيد نمر كتاب الاسلام ، ان نوالى البحث فى أنواع معجزات القرآن من كل وجهة ، فقد صارت فى هذا العصر أكثر من أن تعد ، ونرجوا أن يكون كلامنا كله على الأسلوب المعروف عنا فى الاستدلال بالحس والواقع ، والحكم على الشئ بنتائجه وآثاره .

— ۳۵۳ —

### باب المسائل الاجتماعية

« مجلس نواب للأمة المصرية »

كتب الينا أخ مهذب من موظفى الحكومة ، ورغب الينا كتمان اسمه ، يقول : « لابد من أنكم اطلعت على ماتاولته بعض الصحف سلبا وإيجابا من موضوع انشاء مجلس نواب مصرى فترجوكم أن تشرحو لنا هذا الموضوع شرحا جليا ، وتبينوا لنا هذا النقص الحاضر فى نظامنا القانونى ، وهل طبيعة المصرى وصفته الحاضرة تسمحان له بأن يكون له مجلس نواب بمعناه الصحيح ؛ واذا فرضنا تشكل المجلس فماذا تكون آثاره وماهى مضاره ومحاسنه ، وهل يرى بين الأمة المصرىة أفراد يقومون بهذا العبء الحيوى وتكاليفه الضرورىة ؛ » انا عند ما درسنا القانون النظامى الفرنساوى أخذتنا الدهشة وبلغ منا العجب أقصى مبلغه ، عندما شاهدنا ذلك الاختلاف فى النظامات

بيننا وبين الأمم المتقدمة ، ولا عجب بعد هذا الخلاف الجوهرى أن تقدموا وتأخرنا ، ونهضوا وقعدنا .

« لدى مسائل عمرانية أخرى ، أهمها ما يختص بالتربية والتعليم على الوجه الحديث المناسب للمصرى وهو بين هذا المعترك الحيوى الهائل ، سأخاطبكم عنها حينما تفرغون من هذا الموضوع ان سمحتم بذلك .  
(الجواب) لقد ألقى علينا حضرة الأخ المحترم سؤالاً أيضاً لمن يريد الوصول الى لبابه ، بعيد الغور لمن لا تقنعه قشور المسائل ، كثير التشعب لمن لا يحب الاندفاع بغير علم ، ولكننا لانجد مناصاً من اجابة دعوة داعينا المهنذ لاسيما وجوابنا هذا ، كما يقول حضرته ، ينتظره كل من يعرفنا بمصر ، فنقول والله المستعان :

موضوعنا يختصر فى كلمات بسيطة ، وهى : هل المصرى مستأهل لمجلس نواب ، وماهى آثاره عليه صلاحاً أو فساداً ، وهل فى الأمة رجال ينهضون بتكليفه ، ويضطلعون باعبائه ؟ يمكن الاجابة على هذه الكلمات البسيطة بكلمات مثلها بسيطة ، فنقول مثلاً انه مستأهل أو غير مستأهل ، ونسرد بعض البراهين السطحية على ما نقول ننتزعها : إما من الخيال المحض ، وإما من النظر الى بعض الأمم التى تستفيد من مجالسها ، ثم نختم القول ببحث الحكومة والأمة على الاسراع . . . . بتأسيس ذلك المجلس المحي للأمال ، المعيدة للجد والعظمة .

ولكننا لا نستطيع ارتكاب خطأ هذا الاندفاع ، ولا تحمل



عہدہ ہندہ الجسارۃ ، ولکننا قبل أن نحدث نفسنا ببسط الکلام علی ہندہ المدآلۃ العویصۃ . نسعی أولاً فی تشریح السؤال فی أبعد أجزاءہ ، وتحلیلہ الی أبسط عناصرہ ، كأن نقول مثلاً : ماہو المصری فی أصلہ ، وفی ماضیہ البعید ، وفی استقلالہ ، وفی عبودیتہ ، وفی ملکاتہ الاصلیۃ ، وأخلاقہ الی أورثتہا لہ العبودیۃ للأُم المتغلبۃ ، ما تأصل فیہ من تلك الخلال ، ولا یمكن زوالہ ، وما تشبث بہ منها سطحياً ، ویمكن زوالہ بالتربیۃ ؟ ماہو المصری فی دینہ ، مرکزہ من جامعته ، علاقته بالجمعیۃ الاسلامیۃ العامۃ . هل هو مصاب بما أصیب بہ المسلمون ، قاطبۃ فی ہندہ العصور ، أم لہ أمراض خاصۃ بہ . ما ہی تلك الأمراض ، وما مقدار خطارتہا ، وما ہی علاجاتہا وهل هناك موانع تمنع تعاطی العلاج ؟ هل تلك الموانع ذاتیۃ أو خارجیۃ ، هل ہی مما تزول أولاً ، هل هو عامل علی إزالتها ، هل ہی زائلۃ من طبیعتہا .

ماہو مرکز المصری أمام التیار المدنی السحری الأورو باوی ما کنہ اصابتہ بمیکرو بات المفسد الغریبۃ . ما مقدار قوۃ مقاومته لتلك المکاریب المجتاحۃ ، ما ہی القوۃ المدخرۃ فی طبیعتہ لمغالبة تلك المحن المنصبۃ علیہ ؟

نحن اذا حللنا ہندہ المسائل کلہا علی الأسلوب العلمی التحلیلی عرفنا ماہو المصری ومركزہ الحقیقی من المرض والصحة من الحیاة والضعف من الشعور والخدر الخ ، واذا وصلنا الی ہندہ النقطۃ غیرنا

وجہٴ الموضوع وترکنا المصری جانباً ، وأخذنا نبحت عن ماہیة مجلس النواب فی ذاته ، وعند الأُمم أجمع ، وطفقنا ندرسه من جمیع جہاتہ ، لنعلم هل یوافق دین المصری أو یخالفہ . هل یلائم طبعہ أو یجافیہ ، هل وصل استعداد المصری إلیہ أم لا ، وهل یحفظہ ویقوم بہ اذا وصل إلیہ ، أم لا یلبث أن یضیعہ ، ویرتکس الی أسوا حالة . نحن ان لم نحل کل هذه المسائل حلاً علیاً عمراً نیاً فکیف نصل الی حقیقة المسألة وکیف یقام لحکمتنا علیها وزن ، وکیف یکون لقولنا أثر فی موضوعها ، وتأثیر علی أذهان قرائنا ،

نعم إن هذا الموضوع یلزم له مجلد خاص وکنا ننتدب أنفسنا لوضعه لو کان فی البلاد قوۃ لتحمل مثل هذه المواضع وصبر علی تتبع المسائل الاجتماعیة الکبری ، ولکنا من جہٴ أخرى لانحب أن نضن علی ذلك العدد القلیل من النشأة الحیة بما تنتظره منا ولو بالایجاز المناسب ، فاذا رأى منا بعض قرائنا اغماضاً فی أمر أو تشہی أن یستبین خفیة من الموضوع فعلیہ أن یطلب الینا ذلك ونحن نمدہ إن شاء الله بما یناسب المقام والله وحده ولی الأمر کلہ .

### أصل المصری

المصری اسوی الجنس یقرب من الجنس السامی بلغته وصفاته الطبیعیة أغار علی القطر المصری من طریق العریش ، وأجلی عنه سکانہ الأصلین وكانوا من الزنج وحن بالبلاد مکانهم فی عهد قدیم

جداً يبلغ نحو الستة آلاف سنة قبل الميلاد المسيحى ولا يعلم عنه شيء كبير وهو في مبدا أمره ، الا أنه كان تحت قيادة رؤساء ديانتته الوثنية ، وبناء على هذا فالمصرى اسبوى الاصل من الجنس الأصفر الذى هو دون الجنس الأبيض فى الصفات الطبيعية الجسمية والعقلية على قول جمهور علماء الانسان .

### تاريخ المصرى القديم

لا يكاد يعلم للمصرى تاريخ إلا بعد أن تكونت له دولة مستقلة رأسها (مينا) الذى تولى الملك قبيل المسيح بنحو (٥٧٠٠) سنة ثم أعقبته أولاده حتى انقرضت عائلته وخلفتها عائلة أخرى ، وهكذا إلى أن انتهت الى العائلة السابعة والعشرين سنة (٥٢٥) قبل الميلاد ، ثم انقطع استقلال البلاد بوقوعها تحت سلطة الأعجام مدة ، ثم اتهم المصريون فرصة سنحت لهم وألهبوا نيران الثورة واستقلوا ببلادهم سنة (٤٠٨) قبل الميلاد ، وكونوا العائلة الثامنة والعشرين ، لأن الأعجام عدوا عائلة حاكمة على البلاد ، ثم جاءت العائلة التاسعة والعشرون ، ثم أعقبها العائلة الثلاثون سنة (٣٧٨) قبل الميلاد ، وفى أثناء حكم هذه العائلة هاجم الفرس البلاد وامتلكوها وصار (دارا) ملك الفرس أول العائلة الحادية والثلاثين وهو صاحب الحروب الشهيرة مع الاسكندر ، ولما دارت الدائرة

عليه ، وقعت بلادہ کلہا ومنها مصر تحت حکم اليونانيين المقدونيين  
 وابتدأت فيها عائلة البطالسة من سنة ( ۳۲۳ ) الى سنة ( ۳۰ ) ق . م . ثم  
 امتلكها الرومان لغاية سنة ( ۶۳۹ ) بعد الميلاد ثم افتتحها منهم العرب  
 الى القرن الخامس عشر الميلادي ثم امتلكها الأتراك في مدة السلطان  
 سليم ثم أخذها الفرنسيون منهم في نهاية القرن السابع عشر ، ثم  
 استردها الأتراك ثانية حتى احتلها الانجليز

### المصرى في استقلاله

بلغ المصرى وهو مستقل أقصى درجة معروفة إذ ذاك من المدينة  
 الفكرية والصناعية ، بل هو أقدم رجل متمدن عرف في العالم الانسانى  
 من أول الخليقة ، ومن يزور دار الآثار المصرية القديمة يقف على  
 مبلغ ماوصل اليه من اتقان الصناعة ، ورفعة الشأن ، ولكنه في كل  
 مدة استقلاله لم يغير شكل حكومته ، ولم تحدثه نفسه بذلك يوماً من  
 الأيام ، فقد كان خاضعاً للحكم الاستبدادى المطلق في أقصى أشكاله ،  
 إذ كان الملوك في نظره آلهة يعبدون في حياتهم وبعد مماتهم لأنه كان  
 يعتقد أنهم أولاد الخالق « تعالى عما يقولون علواً كبيراً » ولهذا  
 حفظ التاريخ عنهم خضوعاً متناهياً لملوكهم ، ومراعاة خارقة للعادة  
 لأوامرهم وأحكامهم ، فإكانوا يعتبرون أنفسهم بازاء ملوكهم الاعبيداً  
 أذلاء لا ارادة لهم ولاحرية ، وانك لتصادف فوق الأحجار مايدلك  
 تمام الدلالة على هذا الاستدلال التاريخى ، فقد نقشوا على الصخور

أصغر الأعمال الملوكية وأحقرها ، وجسموها لدرجة أنهم حسبوها من أقصى غايات المجد وأعظم معالم السؤدد

كانت ادارة البلاد بين أيدي رتب متعافية من الموظفين كما هو الشأن اليوم في البلاد المتمدنة ، وكان الناس ينقسمون في نظر شريعتهم إلى خمسة أقسام : ( ١ ) رؤساء الدين ( ٢ ) ورجال الحرب ( ٣ ) والزارعون ( ٤ ) والصناع ( ٥ ) والرعاة وكان أشد هذه الفرق صولة وأوسعها اختصاصاً القسوس ، فكان لكل منهم إله ولكل معبد عدد عديد يقومون بخدمته وتعتبرهم العامة اعتباراً ليس له حد ، وكان الكهان زيادة عن هذه الوظائف الدينية ووظائف ادارية أخرى ، فكانوا يشغلون مراكز القضاء والادارة وكان لهم أحسن أراضى القطر المصرى لا يدفعون عليها شيئاً . وكان يلى هذه الفرقة فى النفوذ والسطوة طائفة الحريين ، وكانت دون الأولين امتلاكاً للأراضى وخيرات البلاد . والخلاصة أن أراضى القطر المصرى كله كانت موزعة على الملك والكهان والجنود ، أما الرعاة والزارعون فكانوا لا يملكون شيئاً وهم تبع لأراضهم التى يحرثونها أى أن مقامهم كان لا يجاوز مقام مواشيهم فى نظر القانون الابشئ ضئيل ، ويدلنا على ذلك ما كان يأتىه فراغة المصريين من الأعمال الجسيمة كاقامة الأهرام والمعابد ونقل الأحجار اليها من الجبال ، وما كان ينتج من توالى تلك الأعمال الهوائية من الذهب بنفوس الألوف المؤلفة من الرجال .

كل هذا ولم يرو لنا التاريخ أن المصرى أنف من تحمل هذا

الزير الثقيل ، أو تململ تحت هذا الكلكل القاسي ، فحدث نفسه بوضع حد للحكم الاستبدادي المطلق ، أو بايقاف سلطة الكهان والجنود عند نقطة معينة ، أو عصفت في وجد انه عواصف الحمية فقام يثبت لنفسه شخصية أمام ساداته الأقوياء ، وكيف يتأتى له ذلك وهو يعتقد أن مليكه الهه وابن الهه ، وان تك قد ثارت في البلاد تائر من فتنه داخلية ، فذلك قد كان من تحزب عائلة ملوكية على عائلة ملوكية أخرى تنازعا صولجان الملك ، وتتقاضاها قسطها من الزعامة .

### المصرى فى عبوديته للامم الغالبة

موقع القطر المصرى الجغرافى ، وشهرته العلمية والصناعية أوجبا عليه منذ القدم من المحن والاحن ، وجر عليه من شهوات الملوك والقادة ، مالا يعطيك فكرة صححية عليه إلا ماتراه من أنه غنيمه الغالب وفريسة السابق دائماً .

خرج المصرى من اسر ملوكه السابقين وعبوديتهم إلى عبودية الفرس ، فتجرع كأس الذل مريراً ؛ وحمل نير الاسترقاق ثقيلًا ، ولقى من مظالم ساداته الأجانب مالا كان يتخيله الا فى ما يطالعه من عقوبات الكافرين فى مستقر الشياطين ؛ ومستودع الهته السفيلين ؛ فماذا يعمل وهو مغلوب على أمره ؛ وماخوذ على يده ؟ جاشت نفسه من توالى تلك المظالم عليه ، واضطربت عواطفه اضطراباً قادته الى طلب الاستقلال

بسیفہ ، ولم یزل یجاہد عدوہ بتلك الروح العالیة حتی أجلاہ عن بلادہ  
وذاق طعم الاستقلال كما كان أول مرة ، ولكنها كانت حركة كحركة  
المذبوح لم تلبث أن همدت ، وتبين للبلاضعفه فساوره ( دارا )  
فأخضعه لسلطانہ ، ثم انتقل من ملك الأعمام الى ملك المقدونين كما  
ينتقل السلب الى السالب ، فتوالى عليه ملوك مقدونيون يدعون البطالسة  
( لأن اسم كل منهم بطليموس ) فسار الأول سيرة العدل ، وأحل  
البلاد محللة الأمن ، وتبعه ابنه في سبيله ، وحذا حذوه حفيده ، ثم  
انقلب الحال وتبدل الشأن ، ورجع العسف الى مجراه وآب الجور الى  
نصابه ، وتلاقت البلاد قن كقطع الليل المظلم ولم تزل كذلك الى سنة  
۳۰ ق . م . ثم جاء الرومان فكانت مصر في مدتهم مرسى للاضطرابات  
والفتن تارة تعصباً للدين ، وأخرى تحزباً للملك ، وكان أكثر الولاة  
الذين يرسلهم امبراطرة الرومان حكاما على مصر غلاظ الاكباد ،  
جفاة الطباع ، منهومين بشرب الدماء ، وكانت البلاد تلاقى منهم من  
اشكال الحيف والعسف ، مالا يصح الا لقطاع الطرق ، وأصحاب  
الدعارة .

ظل المصري تحت تأثير هذا الجو الوبي نحواً من سبعائة سنة  
حتى افتتحها المسلمون سنة ( ۶۳۹ ) فدخلوا ويدهم الدستور القرآني ،  
والتقسطاس الاسلامي يسكنون أرواعاً جائشة ويهدئون نفوساً  
مضطربة ، ويضمدون جراحاً دامية ،  
جاء المسلمون إلى أمة مزقت أحشاءها العتاة الجبارون ؛ وأطاشت

حلومہا القساۃ الظالمون ، مصابۃ بخدر یشبہ الموت ، وضعف یضارع الخمود ، أضعأت معنی الاستقلال والحیاء والعزیمۃ والغریرۃ والحمیۃ ، وكيف یفکر فی ہذہ الخلال من تلقیہ الحوادث بین مدى ہذہ القلاقل المفقدة للرشاد ، المصیبعہ للسداد ، الذاہبۃ بحیاء الفؤاد ؟ تدارک المسلمون ہذہ الأمة وہی علی ہذہ الحال فأمنوها علی عرضہا وماہا ودينہا ، وأقروا بینہم علی الدستور القرآنی یخفف علی الرہوس علی حد سواء لافرق بین مصری وعربی ، فدبت فی نفس المصری غرائزہ الطبیعیۃ الکمیئۃ ، تحت ظل ہذا العدل الاسلامی الوارف ، وسمت نفوسہم عن صفات النقص واحتمال الذل لدرجۃ أن المصری کان یتجشم خطر السفر إلی الحجاز لیشکو ابن عمرو بن العاص لاهانۃ لحققتہ منہ بعد أن کان بالأمس طعمۃ لصغار الرومان وهدفاً لاقزام اليونان .

استمرت ہذہ الحکومۃ العادلۃ ردحاً من الزمن فامتزج حبہا بدم المصری ومہجۃ فؤادہ حتی نسی فی حبہا لغتہ ودينہ ، وأصبح مسلماً الا القلیل منہم مکثوا علی دینہم آمنین علی أرواحہم وأموالہم تحت ہذا العلم الوارف الظلال . ومن ہذا الحین اختلط تاریخ المصری بتاریخ الاسلام العام ونالتہ کل الاصابات التی نالت جسم الهيئۃ العامۃ مع بقاء أمراضہ الاولی کامنۃ فیہ أيضاً .



﴿ المصري في خلاله الاصلية وغيوبه المكتسبية ﴾

قلنا ان المصري من جنس اسويوي يقرب من السامي ، وهو ككل أفراد النوع الانساني متمتع بمواهب وملكات وأميال واحساسات وعواطف، وقابل للترقى والتدلى ، وأهل للانطباع بتأثيرات الوسط الذي يعيش فيه ، وشكل الحياة التي يحياها ، بمعنى أنه ليس جباناً بالفطرة ، ولا فيه عيب عنصرى يفصله عن بقية النوع الانساني ، وإنما نشأت فيه عيوب كثيرة من جراء الأدوار التي وقع فيها ولو وضعت أرقى أمم الأرض مكانه ، وسلطت عليها ماتسلط عليه لأصبحت مثله ، فنحن هنا إن ذكرنا عيب المصري لانزيد أن نشتمه أو نجرح احساسه وإنما نذكرها من باب تشخيص أدوائه ، لنستطيع أن نصف له دواء ناجعاً إن شاء الله ، وما سنذكره هو نتيجة طبيعية لما عملناه من هذا الموجز التاريخي ، وخلاصة فلسفية لهذا التحليل العلي .

( لها بقية )

﴿ كيفية استحضار الأرواح ﴾

جاءنا من حضرة المحترم خليل أفندي فهمي المهندس بمصر خطاب يطلب الينا فيه أن نبسط له الطرق المعروفة في أوروبا لاستحضار أرواح الموتى . قال حضرته مانصه : « وحيث تعلمون أن هذا الأمر مما تشوف اليه النفوس ، وتصبو الى معرفته العقول . فترجوكم

بسطه بشرح واف في الجزء الآتي وبذلك تكسبون ثناء مشترككم  
وخصوصاً هذا المختص «

(الجواب) ان غرضنا الوحيد من كثرة الكلام في أمور ما وراء  
المادة على الأسلوب العصري الذي يسمونه في أوروبا وأمريكا  
بالماتيزم (التويم المغناطيسي) والاسبيريتزم أو الاسبيريتواليزم  
(استحضار الأرواح) هو مطاردة الاحاد المتفشي الآن في كثير من  
أفراد النشء الجديد المغترين بالعلوم المادية التي تعلموا شيئاً منها،  
وكثير من خاصة الدور السابق الذي سحرتهم موهات المدنية الأوربية  
وفتنتهم مظاهرها .

انا لليوم لم نحصل البرهان النهائي على أن ما يظهر في أوروبا للشغليين  
بمسائل ما وراء المادة هي أرواح الموتى حقيقة ولكنها نعتقد ولا ترد  
بأن شيئاً يظهر لهم من وراء هذا العالم فلا ندري ان كان هو روح  
من عالم الأرواح أو عالم الجن أو عالم آخر لا يعلمه « وما يعلم جنود  
ربك الا هو » وسبب عقيدتنا في صحة ظهور شيء من هذا القبيل  
هو اجماع كل الباحثين من العلماء الثقة في كل بلد وبكل لغة على صحة  
ذلك ، واعادة بعضهم لتجارب بعض على اختلاف بلادهم ولغاتهم  
مما يدل المطلع من أول وهلة على استحالة اجتماع هؤلاء الألوفا  
المؤلفة من اكابر علماء الأرض على ضلة عقلية ، أو العوبة سحرية  
ولو توهمنا أن يضل عامة علماء فرنسا المشتغليين بهذه المسألة فلا يسهل  
علينا أن نزعم أن يضل مثلهم علماء انكلترة ، ولو توهمنا ذلك بطريقة

فوق التصور ، لما استطعنا أن نتوهم أن يضل مثلهم علماء إيطاليا أيضا والمانيا والنمسا والروسيا وبلجيكا وسويسره وهولانده وكافة ممالك أمريكا الشمالية والجنوبية . ثم لو تسنى لنا ان تنهم علماء إيطاليا مثلا انهم وهموا في جلسة من جلسات التحضير وانخدعوا للبحضر أو اغتروا بما ليس بموجود ، فلا يتسنى لنا أن تنهم سائر علماء الأرض بأنهم وقعوا كلهم في أحاييل الخداع والتدليس لا سيما وان ما يجربه العالم الفرنسي يعيده العالم الأمريكي والانجليزى وغيره ويكرره في كل حين مادام حاصلًا على سائر الشروط الضرورية لحصوله .

هذا هو سبب اعتقادنا في صحه ظهور تلك الخوارق في جلسات التحضير . أما كون تلك الخوارق منسوبة لأرواح الموتى أو للجن أو لعالم آخر فلم نحصل لليوم على البرهان النهائى الذى يقف بنا عند فرض من هذه الفروض الثلاثة . وسواء صح كونها منسوبة لأرواح الموتى أو للجن فنتيجتها البرهان المحسوس على وجود عالم وراء عالم المادة له شؤون غير شؤون هذا العالم ، وانه أرقى من هذا العالم بمالا يقدر ، وانه مسيطر على هذه المادة تكويننا وافسادا وغير ذلك . وبناء عليه فذهب الالحاد الذى كان يتبجح بنفسه أصبح وهما باطلا ، وضلالا ظاهرا ، وقد انهزم هزيمة لن تقوم له بعدها قائمة أبد الآبدین . ودهر الداهرين . أما ما تراه من بقاء بعض الرؤوس الملحدة للآن فسيبه جهال السواد الأعظم من الأمم بهذه الخوارق ومتى انتشرت بين العالم وأصبحت تجاربها بدائة علمية كتجارب علوم الطبيعة ، قبع

كل ملحد قبوع القنفذ، واطرق بعينه الى الأرض فاما يسلم وجهه لله واما يقاوم الحس، ويكاوح المشاهدات وكفاه بذلك خزيا وألما ينقل بعض الناس عندنا مخترعات الصناعة ومكتشفات العلماء في علوم الطبيعة حتى انهم ليملاون بذلك أسفارا في كل شهر، ولا ترى أحداً يطلب اليهم أن يبينوا كيفية العمل . لماذا ؟ يقال لاقتناع الناس عموماً بعدم الاستعداد لاعادة تجارب الاوربيين وتقليد مخترعاتهم لما تستدعيه من المعامل والأدوات والآلات ! نقول إذا كان لا استعداد لدينا لاعادة أعمالهم في العلوم المادية فبالأولى لا استعداد عندنا كذلك لاعادة تجاربهم في علومهم الروحية . ولو علم حضرات قرائنا أن الأستاذ ( كروكس ) الانجليزى الشهير صرف سنين عديدة في درس بعض ظواهر الاسبرتزم ثم وقف سنة ١٨٩٧ لما أسندت اليه رئاسة الجمعية الملوكية الانجليزية أى بعد مضي نحو ثلاثين سنة يقول لقومه انه ليس في تاريخه العلمى ما هو أشهر من اشتغاله بالمسائل الروحية وانه لم يزل يشتغل بها ، قلنا لو علم حضرات قرائنا ان مثل هذا الأستاذ على سعة معارفه وتوفر شروط العمل لديه يلبث ثلاثين سنة مشتغلا بهذا الفن ثم يصرح بأنه لم يزل يعمل فيه ، لا أدركوا أن هذا موضوع شاق لمن يريد التعمق فيه والوقوف على كبريات مسائله .

هذا الأمر يعوز أولا انسانا اذا تركيب خاص فيه مزية الاشراف على سكان العالم الروحاني ليكون واسطة بين الأحياء وعالم الأرواح وبدونه لا يمكن الحصول على شىء ثم ان هذا الواسطة يحتاج لتدريب



في وقت لم يكن أحد يقابله في فروع العلوم الأخرى ، فوقف حيث هو ولم يفد البلاد شيئاً .

فنحن نكتب في الاسبرترزم من قبيل ماتكتيه المجالات في أبواب المكتشفات الحديثة ، والاخبار العلمية ، وغرضنا من هذا النقل كسر حدة اولئك المقلدين الذين يزعمون أن العالم الأوربي أكبر من أن يعتقد بشيء ، ويصورونه بصورة العتاة الجبارون مع أن أرفعهم رأساً قد خضع أمام آية الاسبرترزم وأناناب ، وفي تتبع أقوالهم العجيب العجيب . فسبحان القاهر فوق عباده

### العلم عند المسلمين

تكلّمنا في مقالاتنا السابقة على بدء تكون العلم عند الأمة اليونانية ثم المعنا الى طرف من تاريخ جامعة الاسكندرية التي أسسها بطليموس الأول وابنه وحشرا اليها من العلماء اليونانيين في سائر فروع العلم ، وأودعها من نفائس الكتب ، وذخائر المدارك ، وكنوز المعارف ما لا يمكن حصره الا في مجلد ضخّم ، ثم استعرضنا نبذاً من معلومات اولئك القادة المتقدمين في كبريات المسائل الانسانية جرياً على اسلوبنا الذي توخيناها في هذا المبحث . وقد انتهى بنا الكلام اليوم الى العلم عند المسلمين

علم الخاص والعام أن الأمة التي ورثت العلوم الكونية من الأمة اليونانية هي الأمة الاسلامية ، فقامت بحقوق الوراثة خير قيام ،

وجعلت من بغداد عاصمة علمية فاقت في الشهرة والنفع والفخامة  
ثغر الاسكندرية الذي اتخذه اليونانيون نقطتهم الجامعة أيام كانت  
السطوة العلمية لهم .

علم الناس هذا وتعدى من الشرق للغرب فأصبح اليوم علماء  
أوروبا يقرون بهذا الفضل لأهله ويعترفون علناً بأن المسلمين  
أساتذتهم ومعلموهم ولا يزالون يكتشفون من كنوز علومهم وأسرار  
معارفهم ما يستفيدون منه في تحسين أمورهم ، وزيادة مادة عرفانهم  
وقدشاع وذاع أمر هذا الاقرار من الأوربيين بفضل آباءنا الأولين ، حتى  
قنع أكثرنا بمحض ذكره بدون بحث عن تفصيله ، فتمى ذكر المؤلف  
عن عالم من علماء الفرنجة نبذة من كلامه في ذلك الموضوع فقد قام  
لقرائه بكل ما ينتظر منه ، وكفاه أن يقول ان المسلمين الاول بلغوا من  
علوم الهيئة والطبيعة والكيمياء والرياضية أقصى الغايات ، وزادوا  
على معلومات اليونانيين فيها زيادات خلدت لهم الذكر العاطر إلى اليوم ،  
أما تفصيل تلك العلوم وذكر رجالاتها واحدا بعد واحد ، والتحسس من  
مصادرهما ومناشئها ، وتتبع سيرها في رقيها على يد رجالاتها وفحولها ،  
وذكر نبذ تاريخ مشخصها ونقل فذلكات شافية من أمهات كتبهم  
ادلالا على مكاتهم فلم يطرق هذا البحث طارق لليوم مع أنه يجمع إلى  
اللذة العقلية الفائدة العلمية التي لا تقدر ، ويسوءنا أن يسبقنا الاوربيون  
إلى هذا المجال الواسع فيسجلون بذلك علينا موات العزيمة ، وفقدان  
الحمية ولا يرضاهما لنفسه الامن اتصف بهما ، والثالث برجسهما .

لذلك رأينا ان شاء الله أن نسد هذا الفراغ الهائل بأبحاث مستفيضة نكتبها على التوالي في كتاب الاسلام كل شهر على قدر الطاقة ثم متى حان وقت زيادة صحفه كما وعدنا تخصص لهذه الأبحاث عشرات من الصحف اشباعاً للقول ، وتوفية لحق الموضوع ، وسيكون ترتيب كلامنا ان شاء الله تابعاً للنمو الطبيعي الذي ظهر به العلم في هذه الأمة متبعاً للسلسلة من أولها في عصر الصحابة رضی الله عنهم ، ثم التابعين وتابعيهم حتى نصل الى طرفها الذي اتصل بالأوربيين .

سيكون كلامنا ان شاء الله في هذا الباب الكبير بالغاً النهاية في التفصيل والبسط ، فان الموضوع كما قدمنا محتاج لذلك خصوصاً في عصرنا هذا ، وسيكون عل الأسلوب العصري في النقد والتمحيص والتحليل ، فلا يفرحنا مثلاً أن نقرأ في كتب العلامة ( درابر ) مثلاً ان العلماء الاسلاميين كانوا متبعين في أبحاثهم الأسلوب العملي التجريبي وهو أسلوب الفلسفة العصرية حتى نبحت على سبب تولد هذا الأسلوب فيهم وكيفية منشأه ، مع علمنا بأنه أسلوب خشن لا يحبه أصحاب الأديان ، ولا يرضاه المواظبة والكهان ، لما فيه من الأحكام الصادرة على ثمرات الخيال ، وبنات الأفكار ، ونجتهد في استنباط ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية .

لامشاحة في أن أول حركة علمية تولدت في المسلمين هي نزول القرآن وحفظهم بعض آياته . كما أن أول معلم فتح لهم باب التعلم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسنجتهد ان شاء الله في درس تلك الأحوال



في أدق مظاهرها ، فر بما استهان الانسان بأمر صغير يجتديه لو احتفل به سرّاً كبيراً ، وعندنا ان كل الفخامة العلية والحركة العظمى التي ظهر بها العرب في عصرهم الزاهر هي عائدة للنبي صلى الله عليه وسلم لا لكونه فقط أول من حثهم على التعلم وبعثهم الرقي بما أودع فيهم من الحياة ، بل لكونه أول من رسم لهم الأسلوب الذي يسرون عليه بسيره معهم في دروسه الأولية ولا يخفى ان صلاح التعلم وفساده مبني على سلامة أسلوبه أو اعتلاله ، فتي كان الأسلوب قويمًا تيقظت ملكات الطفل ، وحيث مواهبه ، وتهيأت لتحصيل المعارف واختزانها ، وبالعكس فيما لو كان الأسلوب معوجاً فإنه لا يوقظ من الطفل ملكة حتى يمت فيه ملكات ويقتل عواطف ويخدر احساسات لا محل لأن نعطي عنها مثلاً في هذه المقدمة .

لهذا نرى أن تدقيق النظر في الأسلوب المحمدي المستمد من الدستور القرآني في التعليم والتلقين أصبح في نظرنا من الأمور الكمية التي تحل لنا كثيرًا من أسرار رقي العرب هذا الرقي السريع في مدة لا تتجاوز الجيل الواحد مما لم يشاهد مثله في تاريخ العالم الآن

درس هذه الحركة القرآنية لا يقف بنا عند هذا ، الحد بل يتعدى الى معرفة كيفية تدارسهم للقرآن ، كيفية تفهمه ، وسؤالهم عما علا عن فهمهم منه وأسلوبهم في جمعه ، ثم يلي هذا المباحث المتسلسلة الكبرى في درس حركة العلوم النحوية واللغوية والأدبية والعلية على اختلاف أنواعها من طبيعيات وفلكيات ورياضيات . كل ذلك بالتفصيل الشافي

وذلك بامسك السلسلة من طرفها الأول وتتبع حلقات رقى كل علم حلقة حلقة مع درس سير رجاله وحفاظه، وما يروى عنهم من الفضل والمكانة في العلم مع ذكر تواريخ حياتهم بشيء من التفصيل والبسط ولا نشك في أن هذا الموضوع على قدر ما فيه من الفائدة والجدة، فيه أيضا من اللذة العقلية والرياضة الفكرية ما يدركه كل انسان بمجرد ذكره هذا البحث يحتاج (جملة مجلدات) على حدتها، وربما يستحسن أن نجعلها مستقلة عن الاسلام في عصر العلم، ولكننا نرى أن كتابتها تباعاً في هذا الكتاب الجامع أولى لنا من جملة وجوه، ثم ان لاح لنا لزوم طبعها على حدتها فعلنا، والله ولي المؤمنين .

قبل الدخول في موضوعنا هذا يحسن بنا أن نورد أمام الكلام نبذة مما كتبه الأستاذ الأمريكي الشهير (دراير) في كتابه (التنازع بين العلم والدين) وفي إمكاننا أن ننقل كثيراً من أقاويل تلميذ أوربا في هذا الشأن، ولكننا رأينا أن نكتفي بقول (دراير) إيذاناً لمن يجهل فضل آباءه من المسلمين، بأننا سنخوض به بحراً خضماً بعيد الغور والساحل . قد شهد له الأجنبي البعيد، فكيف يجحد فضله الولي القريب قال :

« بعد انتقال محمد (صلى الله عليه وسلم) الى الدار الباقية »  
 « ترجمت إلى اللغة العربية أهم المؤلفات اليونانية، وترجمت القصائد »  
 « اليونانية الشهيرة (كالإيذاة، والأوديسية) الى اللغة السريانية »  
 « ليطلع عليها العلماء دون العامة، لما رأوه فيها من الأفاصيص الخرافية »

« عن آلهة اليونانيين مما يخشى منه على عقائدهم . ولما ولى الخلافة »  
« أبو جعفر المنصور . من سنة ٧٥٣ الى ٧٧٥ نقل تخت الملك الى »  
« بغداد وجعلها عاصمة نجيمة . فلم يأل جهداً من بذل الوسع في درس »  
« العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشرعية ، ولما جالس »  
« حفيده هرون الرشيد على عرش الملك سنة ٧٨٦ : اتبع أثر جده »  
« في هذه الفتوحات العلمية . وأمر باضافة مدرسة الى كل مسجد في »  
« جميع أرجاء ملكه ، ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الاسيوية »  
« لم يشرق إلا في خلافة المأمون ، الذي تولى الخلافة من سنة ( ٨١٣ الى »  
« ٨٣٢ ) ، فانه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى ، وجمع كتباً لا »  
« تحصى ، وقرب اليه العلماء ، وبالغ في الحفاوة بهم . »  
« هذا المركز الذي اكتسبه العرب ، وهذا الذوق السليم في »  
« العلم ، استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت المملكة الى ثلاثة أقسام : »  
« حتى أن العباسيين في آسيا والفاطميين في مصر والأمويين في »  
« أسبانيا لم يكونوا متناظرين متغايرين على الحكومة فقط ، بل كانوا »  
« كذلك على الآداب والعلوم أيضاً . »  
« ذاق العرب في الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة »  
« ويصقل الذهن ، وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء »  
« بقدر ما أنجبت الأمم كلها مجتمعة . أما في العلوم فقد كان فوقانهم »  
« فيها ناشئاً من الأسلوب الذي توخوه في المباحث . وهو أسلوب »  
« أخذوه عن فلاسفة اليونان الاسكندرانيين لاعن اليونان »

« الأوروبيين ، فانهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلي النظري »  
« لا يؤدي الى التقدم ، وان الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون »  
« معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها . ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم »  
« الأسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي . وكانوا يعتبرون »  
« الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق . وقد »  
« يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والايديزوستاتيك »  
« ( علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أوعيتها ) ونظريات »  
« الضوء والابصار ، بأنهم قد أهدوا الى حلول مسائلهم من طريق »  
« التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذي قاد العرب لأن »  
« يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمكتشفين لجملة آلات »  
« للتقطير والتصعيد والاسالة ( اسالة الجوامد ) والتصفية الخ »  
« وهذا بعينه أيضاً ، هو الذي جعلهم يستعملون في أبحاثهم الفلكية »  
« الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات ( هي آلات »  
« لقياس أبعاد الكواكب ) ؛ وهو أيضاً الذي بعثهم لاستخدام »  
« الميزان في العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من »  
« نظريته ، وهو أيضاً الذي أرشدهم لعمل الجداول عن الأوزان »  
« النوعية للأجسام ، والأزياج الفلكية ( هي جداول تعرف منها »  
« حركات الكواكب ) مثل التي كانت في بغداد ، وقرطبة وسمرقند ، »  
« وهو أيضاً الذي أوجب لهم هذا الترقى الباهر في الهندسة ، وحساب »  
« المثلاث ، وهو أيضاً الذي هم بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم »

« لاستعمال الأرقام الهندية هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب ارسطو »  
« الاستدلالي على مقالات أفلاطون الاستنتاجية .  
« ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لأجل أن  
« يتوصلوا الى تكوين الكتيبات التي تكلمت عنها ، وقد قيل ان  
« المأمون نقل الى بغداد مائة حمل بعير من الكتب وقد كان أحد  
« شروط معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه  
« احدى مكاتب القسطنطينية التي كان فيها بين الذخائر العلمية الأخرى  
« كتاب بطليموس على الرياضيات السماوية فأمر المأمون  
« بترجمته للعربية وسماه المجسطى . وقد حصلت العناية بأمر هذه  
« المكاتب حتى ان مكتبة القاهرة كان بها نحو من مائة الف كتاب  
« معتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء . وكان يوجد من بين هذه  
« الكتب ستة آلاف وخمسمائة مجلد في الطب والعلوم الفلكية  
« فقط . وكان من نظام هذه المكتبة انها تعبر كتبها للطلبة الساكنين  
« في القاهرة . وكان بتلك المكتبة كرتان أرضيتان احدهما من  
« الفضة والأخرى من البرنز . قيل ان الأولى صنعها بطليموس الفلكي  
« نفسه وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون ( نقود يونانية ) من الذهب  
« وقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس فيما بعد على ستمائة الف مجلد  
« وكان جدول أسماؤها وحده محويا في أربعة وأربعين جزءا ، وغير  
« هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكاتب  
« الخاصة . ومما يحكى ان أحد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان

« بخارى له محتجا بأن كتبه لا يمكن نقلها الا على اربعمائة بعير »  
« لقد كان يوجد في كل مكتبة كبرى محل خاص للنسخ والترجمة . »  
« وقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك . فان هونيان الطيب »  
« النسطوري كان له محل من هذا القبيل ببغداد (سنة ٨٥٠) ترجم »  
« فيه كتب لارسطو وافلاطون وهيبوكرات وغالين الخ . أما »  
« المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة هذه الجامعة أن »  
« يؤلفوا كتباً في الفروع العلمية التي تطلب منهم . وكان لكل »  
« خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . ومن ينظر الى تلك الأفاصيص »  
« والحكايات التي هي مثل ألف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور »  
« الشعري الذي كان لدى العرب . ولم يقف ببحث العرب عند حد »  
« فقد كتبوا في كل فن وفي كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة »  
« والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والابل ، وكل هذه »  
« المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر ، وما يعلم من المراقبة »  
« على الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت »  
« الكتب الزاخرة بالمعلومات التي تصلح لأن تستخدم في المعلومات »  
« كثيرة جداً في الجغرافية والاحصاء والطب والتاريخ وقواميس »  
« اللغة . وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله . »  
« وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض ، »  
« وفي اعطاء الحبر الألوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب »  
« بتشييك تلك الألوان المختلفة من الحبر والابداع في تميمها »

« وتذهيبها على صفات شتى »

« كان الملك الاسلامى العربى مملوء بالمدارس والكتليات ، وكانت  
 « بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد  
 « منها . وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التى فاقت  
 « المملكة الرومانية بكثير مرصد فى سمرقند لرصد الكواكب وكان  
 « يقابله فى الطرف الآخر مرصد جبر الده فى الاندلس . قال جيون  
 « ( عند ذكر الحماية والرعاية التى بذلها المسلمون للعلوم : كان امراء  
 « المسلمين فى الأقاليم يناظرون الملوك فى حماية العلم والعلماء ، وكان من  
 « نتيجة تشيطنهم هذا العلماء أن انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة  
 « التى بين سمرقند وبخارى إلى فاس وقرطبة . ويروى عن وزير  
 « لأحد السلاطين أنه تبرع بمائتى ألف دينار لتأسيس كلية علمية  
 « فى بغداد . وأوقف عليها خمسة عشر ألف دينار سنويا . وكان عدد  
 « الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين غنى وفقير . فكان فيها ابن السيد  
 « العظيم وابن الصانع الفقير على السواء ، وكانوا يكفون التلامذة  
 « الفقراء مؤنة دفع أجر التعليم ويعطون الأساتذة مرتباتهم بكرم  
 « وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الأدبية تنسخ وتجمع سدا  
 « لحاجة أهل العلم وشهوة الأغنياء فى جمع الكتب ) انتهى كلام  
 « جيون . ثم قال درابر : وكانت قيادة المدارس مودعة لذوى  
 « المدارك الواسعة فكانت امايد النسطوريين أو اليهود ، لأن المسلمين  
 « لم يكونوا يتحرون عن جنسية العالم وديانته ، وما كانوا يزنون قدره »

« إلا من أعماله . ولقد فاه الخليفة الكبير المأمون بفكره على حقيقة »  
 « العلماء فقال : ان صفوة خليفة الله وأفضل عباده وأنفعهم هم الذين »  
 « يقفون حياتهم على تربية مواهبهم الطبيعية ، وان الذين يعلمون »  
 « العلم والحكمة للناس هم مصايح العالم ، ولولاهم لارتكس الخلق »  
 « في عماية الجهالة وغياهب البربرية ، ثم قال درابر : ( وقد اتبعت »  
 « المدارس الطبية عموماً مثال مدرسة الطب في القاهرة في اختبار »  
 « الطلبة قبل إخراجهم نهائياً ، بحيث لا يستطيع أحدهم أن يشتغل »  
 « بمهنة التطيب إلا بهذا الشرط » .

« وأول مدرسة أنشئت من هذا القبيل في أوروبا هي المدرسة »  
 « التي أسسها العرب في ( سالرن ) من إيطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها »  
 « هو ما أقامه المسلمون في اشيلية باسبانيا » .  
 « ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا »  
 « عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قدر قوا العلوم القديمة رقياً كبيراً »  
 « جداً ، وأوجدوا علوماً أخرى لم تكن معروفة من قبلهم »

ثم تكلم المؤلف على براعتهم في العلوم الرياضية ، وعلى التسهيلات  
 التي ادخلوها عليها ، وعلى فوقانهم في حساب المثلثات والعلوم الفلكية ،  
 وما ألفوه فيها من الكتب وما سطره من الجداول والتقويم  
 ثم قال — : « العلماء الفلكيون من العرب اهتموا أيضاً »  
 « بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها ، وبحساب الأزمنة بالساعات »  
 « المختلفة الأشكال ، والساعات المائية ، والسطوح المدرجة »



- « الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول ( الرقاص ) »  
 « لهذا الغرض »
- « أما في عالم العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضاً من  
 « محلاتها الشهيرة مثل حمض الكبريتيك وحمض النيتريك والكحول  
 « ( الاسبرتو ) . استخدم العرب علم الكيمياء في الطب لأنهم أول من  
 « نشر علم تحضير العلاجات والاقرباذينات واستخراج الجواهر  
 « المعدنية . أما في علم الميكانيكا فأنهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط  
 « الاجسام وعرفوا تقريباً ناموس الجذب في الأجسام وكانوا عارفين  
 « تمام المعرفة بعلم الحركة . أما في الايدورستاتيك وهو علم موازنة  
 « السوائل وتقدير الضغط الواقع منها على أوانيها فقد كانوا أول من  
 « عمل الجداول الميينة لأنواع الأوزان النوعية وكتبوا أبحاثاً على  
 « الأجسام السابحة والغائصة تحت الماء . أما في نظريات الضوء  
 « والابصار فقد غيروا الفرض اليوناني الذي مقتضاه أن الابصار  
 « يحصل بوصول شعاع من البصر إلى الجسم المرئي وقالوا بعكس  
 « ذلك أي أن الابصار يحصل بوصول الشعاع من المرئي إلى العين ،  
 « وكانوا يعرفون نظريات انعكاسات الأشعة وانكساراتها ؛ وقد  
 « اكتشف الحسن الشكل المنحني الذي يأخذه الشعاع في سيره في الجو  
 « واثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهر حقيقة في  
 « الأفق ، وكذلك في الغروب نراها قليلاً بعد أن يغيبا .  
 « ان نتائج هذه الحركة العلية تظهر جلياً بالتقدم الباهر »

« الذى نالته الصنائع فى عصرهم : فقد استفادت منها فنون الزراعة »  
 « فى أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسن النظمات الزراعية »  
 « الحكيمة وادخال زراعة الارز والسكر والبن ، وقد انتشرت »  
 « المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف »  
 « والحرير والقطن ، وكانوا يذيون المعادن وكانو يجرون فى عملها على »  
 « ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها »

« وكان العرب من عشاق الموسيقى والشعر وقد وهبها وقتاً »  
 « كبيراً وجوها مكانة من افئدتهم . وهم الذين علموا الاوريين »  
 « لعب الشطرنج وبثوا فيهم ذوق مطالعة الأفاصيص . وكان للعرب »  
 « لذات روحية حتى فى المجالات الزاهدة للأديبات الفلسفية ، فكان »  
 « لديهم مؤلفات عالية جدا فى قلب الأحوال الانسانية وعلى نتائج »  
 « عدم التدين ، وعلى زوال النعم وعلى أصل العالم وبقائه وآخرفته ، »  
 « وانا ندهش أحيانا حينما نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا »  
 « نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر . من ذلك أن مذهب النشوء »  
 « والانتقال للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهباً حديثاً كان يدرس »  
 « فى مدارسهم ، وقد كانوا جروا به الى مدى أبعد ما وصلنا اليه ، وذلك »  
 « بتطبيقه على المواد الجامدة والمعدنية أيضاً . فان النظرية التى انبنى »  
 « عليها علم الكيمياء ( كيمياء استخراج الذهب ) هى زعمهم أن المعادن »  
 « تكونت تكوناً تدريجياً . قال الخازنى : اذا سمع الجهال قول »  
 « العلماء بأن الذهب جسم تكون بالتدريج على طريق الترقى يفهمون »

« من هذا بأنه استحال أولاً الى معادن أخرى بمعنى أنه كان في مبدئه »  
 « رصاصاً ، ثم صار خار صينا ، ثم صار برزاً ، ثم صار فضة ، ثم »  
 « استحال الى ذهب . ولم يعلموا أن الفلاسفة يقولون ما يقولون »  
 « عن الذهب كما يقولون عن الانسان . أى انه ما صار إنساناً إلا من »  
 « طريق الترتى التدريجى . وهذا لا يستلزم أن يكون قد استحال »  
 « إلى استحالات نهائية كأن كان أولاً ثورا ، ثم صار حمارة ، »  
 « ثم صار قردا ، ثم انتهى أخيراً بأن صار إنسانا . »

هذه مقدمة نقدمها لحضرات قرائنا أمام الكلام على العلم عند العرب ولا قصد لنا من إيرادها منقولة عن عالم من علماء الغرب الا دلالة القارىء على فضل المسلمين الأولين على العالم أجمع من جهة العلم والعرفان ، وقد اتضح له بما نقلناه ان المسلمين قد سبقوا الاوربيين الى كل مجال عقلى وباحة فلسفية ، وأنهم قد وضعوا علوما جديدة لم تكن من قبل ، وقد نشروا الصنائع والفنون فى جميع ارجاء العالم حتى كانوا أينما حلوا ( كما يقول المؤرخ الفرنساوى دروى ) يحل العلم والتقدم والحياة ، وإذا كان الغربى الذى لا يهمنه عن المسلمين شىء يقول فيهم هذا القول ، ويؤدى لهم هذه الشهادة ، ويعترف لهم هذا الاعتراف ، فلا شك أن أمر العرب كان أكبر من هذا بكثير ، وان الشرقى الذى أصبح يتهم آباءه ويظن ان الاوروبيين هم مفاتيح كنوز العلوم ، ومقاليد أسرار الفلاسفة والحكمة وانهم مكتشفوا المعارف الانسانية كلها ، وأصحاب الفضل الوحيد فيها ، وأن لاهية الا اذا

استمدت منهم وجاءت من عندهم ، وهبت على الأرواح من جهتهم وبلغتهم و و و و و و ..... يجب عليه أن يتقن ويجيد الروية ويرجع الى صوابه ولا ييأس من أن تحل به روح خاصة غير مستمدة الامن ينبوع كل حياة ، ومصدر كل حركة ، فيهب من نومه ويعيد عصور آباءه الاولين في أرقى مظاهرها ، وأشرف مجالها ، ويكتفى مؤونة الاحتكاك بالغير والتلق اليهم . ان قيل كيف هذا ؟ تلونا عليه قوله تعالى « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده »

بعد ما كتبنا هذا الفصل جاءتنا في بريد المساء ( مجلة عرفات ) الفرنسية التي يدبجها يراع صديقنا المجل محمود سالم بك فرأينا فيها جملة جميلة مقتطفة من كتاب تمدن العرب للدكتور الشهير ( جوستاف لوبون ) قال الدكتور الموما اليه :

« العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهتموا تطبيقها على  
 « الصنائع ، فقدأ كسبت علومهم لصنائعهم جودة بعيدة جداً . وانا  
 « وان كنا لم نزل نجعل أكثر الطرائق التي سلكوها في ذلك إلا أننا  
 « نعرف تأنيها وآثارها . فنعرف مثلاً أنهم احتفرو المناجم واستخرجوا  
 « منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب . وأنهم قد برعوا  
 « جداً في صناعة الصباغة ، وأنهم مهروا في سقى القولا ذمارة بعيدة  
 « المدى حتى أن صفاح طليظة أصدق البراهين على ذلك . ونعرف  
 « أيضاً أنه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجلود ولورقهم  
 « شهرة عامة ، وأنهم في كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم ياحق »

« لهم شأ وفيها للآن . ( تأمل )

« من بين المكتشفات المعزوة للعرب ، أشياء ذات شأن كبير »  
 « كالبارود مثلاً وهذه المكتشفات لا يجمع بنا أن نسردها سرداً بل »  
 « يجب علينا أن نهيا شيئاً من التفصيل . . . إلى أن قال . « مما يرتجى »  
 « للقارىء أن ديوان المكتشفات العربية في العلوم الطبيعية لا تقل »  
 « في الخطارة والقدر عما لهم منها في العلوم الرياضية والفلكية . »  
 « وما نسرده عليك هنا يعرب لك عن تلك الخطارة وذلك أنه كانت لهم »  
 « معلومات عالية في الطبيعة النظرية خصوصاً في نظريات الضوء »  
 « والابصار ، وقد حفظ عنهم اختراعهم لأجهزة ميكانيكية من أدق »  
 « ما يعرف من نوعها ، واكتشافهم للجواهر التي تعد من أعظم أراكين »  
 « علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيك ، »  
 « وقد سجلت لهم أكبر العمليات الأساسية مثل التقطير مثلاً ، »  
 « وأثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة والصناعة وخصوصاً »  
 « لاستخراج المعادن وصنع الفولاذ والصبغ الخ وعرف عنهم عمل »  
 « الورق من الخرق ، ويرجح أنهم طبقوا البوصلة على فن الملاحة »  
 « وأدخلوا هذا الاكتشاف الأساسي إلى أوروبا . »

كلمة عمرانية

( العوامل الاجتماعية في رقي الأمة اليابانية )

( تاريخ اليابانيين ) انا نراقب حركات الأمة اليابانية عن بعد ونعجب مثل كل شرقي بما تظهره للعالم من مظاهر البراعة والحذق في علومها وصناعاتها . ولكننا مع اعجابنا هذا لم نتخيل يوماً من الأيام أن في ظهور هذه الأمة الشرقية بهذا المظهر الفخيم الزاهر ما يستوجب الدهشة والتعجب أو يستدعي نسبته الى أسباب تعلق عن متناول العلم وتسمو عن سهاب الفكر ومسارح الروية مما يحسن اضافته الى الامور الخارقة للعادة . وانا لم نكن نتظر أن نكتب في تاريخ هذه الأمة على هذه الصورة لولا أن رأينا من بعض الكتّاب في الجرائد شيئاً من الغلو في تعليل رقي هذه الأمة وشمئنا منهم الصعود في اطرافها لحد تصوير أن ما ناثته في مدى الأربعين سنة الأخيرة يعد من المعجزات المحيرة للبدارك وخوارق العادات التي تعلق عن عالم الأسباب الطبيعية ولم تسمح به الفواعل الاجتماعية العامة والخاصة لأمة من الأمم سواها في مدى تاريخ العالم الانساني . لاننا نرى في مثل هذا الغلو في المسائل الاجتماعية الحيوية شيئاً من التأثير على قتل جرائم اليأس من النفوس المنحطة لأنه يفتح للأفئدة نوافذ الى باحات الأمل والرجاء . ولكننا من جهة أخرى نعتقد أن في أمثال هذه الأغلط العمرانية اضراراً بالغة جسداً تربو عما ينتج عنها من الفائدة الشعرية . ولو كانت تلك لا اضرار تقف حيث تقف اضرار الأفاصيص لكننا أغضينا عنها

وتسأخنا فيها كما يغضى عن غلواء الشعر وخيالات القصص . ولكننا نرى أن في توهم قيام الأمة اليابانية طفرة بدون أسباب طبيعية ولا عمرانية تولت أمر ذلك الرقى في خلال القرون ضرراً لا حد له في أحوالنا الأدبية والاجتماعية . لذلك رأينا أن نكتب في هذا الموضوع كلمة عمرانية نهديها للأمة بلسان المؤيد نرجو أن نقوم لها عقيدتها في أمر رقى الأمة اليابانية . واني هنا أرجوها المعذرة عما ستراه منى في هذه العجالة مما لا يناسب تحمسها لهذه الآثار المدنية المدهشة فان العلم لا يتأثر بالظواهر ولا يزدهيه ما يزدهى الخيال من الصبغ الباهرة فهو لا يبحث إلا عن اللباب فان وصل اليه ازداد سكوناً وتهيباً وربما ازداد ألماً وحرقاً لما يرى أن في اللباب ألف مجهول تطالب بحثاً وتوجب عليه تعباً جديداً .

أنا لا أنكر أن أمة اليابان أصبحت في الصف الأول من الأمم المتمدنة وانها برهنت للعالم كله على حصولها على مواهب وملكات سامية جداً هي أعظم ضمان لحياة الأمم وتمدنها . ولكن أنكر كل الانكار أن يكون ما تتمتع به تلك الأمة من مجالى المدنية الساحرة جاءها طفرة بدون فواعل طبيعية هيأته لها وهيأتها له في قرون عديدة بواسطة الحوادث المهدبة والوقائع الممهدة . أعنى انى أنكر أن يكون هذا الرقى من اليابان جاء خارقاً لنواميس الكون فوق أسبابه المعقولة معجزة تخر لها الأعناق اندهاشا والنفوس حيرة واضطرابا . واني شارع الآن في سرد تاريخ اليابان طبيعياً واجتماعياً في نبذة موجزة فليتبغنى

القارىء بفكره ليرى بعينه من استشراف الأحوال الطبيعية والظروف الاجتماعية التي وجدت فيها الامة اليابانية انها لم تترق بدون تدرج ولا بجدات غير معقول ، وانما هي علل طبيعية متسلسلة أخذت بيدها من دور الى دور ومن حال الى حال حتى أوصلتها لما هي فيه اليوم . لا أقول بطريق الاعجاز ولكن أقول بالعكس ببطء شديد جدا دعا علماء الانسان لأن يتهموا الجنس الأصفر بعدم الاستعداد لبلوغ شأو الجنس الأبيض في شيء . أريد من بسط موجز التاريخ الطبيعي والاجتماعي الياباني أن يتحول ذهن القارىء من الاندهاش بطفرة اليابان لقمة المدينة الى الاندهاش والعجب من ابطائها عن سبق الأوروبيين الى أرقى مظاهر التقدم الصناعي والأدنى بقرون عديدة لوجودها في شروط الحياة وأسباب التقدم منذ أكثر من ألفي سنة أى قبل أن يعرف الأوروبيون معنى الحياة والحضارة .

### جغرافية اليابان

( الطبيعية والاقتصادية والصناعية والعلمية )

المملكة اليابانية مكوّنة من ( ٣٨٥٠ ) جزيرة تختلف في الصغر والكبر يسكنها أكثر من ( ٤٠ ) مليوناً من النفوس وهي في غاية الخصوبة تتخلل مجاريها الأنهار الجارية والعيون الفائرة والبحيرات البعيدة السواحل مما يجعل لبلاد اليابان أكبر قسط من جمال الطبيعة وبهائها . أضف الى هذا انها من أعدل البلاد هواء وأجودها مناخاً



الحيوانات في البلاد كثيرة الأشكال جدا بحيث لا تلجئها الضرورة لجلب شيء من الخارج . وأما نباتاتها فأكثر أشكالا وأبداع أنواعا حتى ان أراضي اليابان في فصل الربيع لتلبس حلة زهرية لا يمكن تصورها إلا بمشاهدتها . وقد يعتنى علماء أوروبا بجلب بعض أنواع تلك الأزهار النادرة لفحص بدائعها في معاملهم .

أما من جهة المعادن فإن اليابان من أكبر البلدان سهماً فيها . اذ يوجد فيها مناجم حافلة جدا للذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكبريت والفحم الحجري وغير ذلك من المواد الأولية ذات الشأن الكبير في اتقان الصناعة . ولا عجب بعد هذا ان قلنا للقارىء ان بلاد اليابان أبرع البلاد في أنواع الصناعات منذ أكثر من عشرين قرناً . وليس فينا من يجمل الابداع المدهش الذي يودعه اليابانيون في مصنوعاتهم الخزفية والحريرية والصوفية مما تغص به أسواق العالم أجمع . بل الذي يذهب الى بلاد اليابان ويشرف على الهياكل المشيدة منذ أكثر من خمسة عشر قرناً على أبداع الأشكال الهندسية مزخرفة بأبهى الألوان وأجمل التصاوير يدرك من أول وهلة أن اليابانيين أنداد الصيادين في الصنائع بل يزيدون عنهم في الاتقان والذوق لحد لا يتصوره الا من يراه بعينه ولقد برع اليابانيون في صناعة الزخرف وأنواع الزينة براعة لم تنلها أمة سواهم للآن ولقد يروى عنهم الرحالات غرائب تشبه الأحلام من كل وجه .

أما من جهة العلم فهي عريقة فيه بعد الامة الصينية ويحفظ لنا

التاريخ العلمى من أسماء علمائها وفلاسفتها وأطبائها وشعرائها عددا يليق أن تفخر به الامة اليابانية على سائر الائم القديمة . بل ان القاء نظرة بسيطة على الصناعة اليابانية يدل واضح الدلالة على درجة العلم فيها من قديم الزمان فان الصنائع أكبر مظاهر العلم وأثر من أصدق آثاره

### الرجل اليابانى

اليابانيون قصار الأجسام سمر الألوان يمتازون عن الصينيين بميل السمرة فيهم الى اللون الزيتونى . وهم أقوياء الجسم أذ كياء العقول ميا لون للاجتماع والانضمام بطبعهم محبون للعمل والدأب ويؤثر عنهم نزوع الى الخلاعة واللهو وشيء من عدم الاحتفاء بعقائدهم وان كانت بلادهم ملامى بالهيا كل والأنصاب ، ومن صفاتهم الغريزية حب الحركة ومجافاة الخمول والراحة وكرهة الحياة المنزلية كل الكراهة ، حتى ان اليابانى لا يمكث فى بيته إلا لضرورة قاسرة فان لم تكن ألقى بنفسه إلى حيث يطيب له السمر أو العمل . ومن خلالهم الفطرية اباة الذل والضميم فليس للحياة عندهم فى سبيل الدفاع عن العرض والشرف قيمة .

### تاريخ اليابان الاجماعى

تاريخ اليابانيين قبل سبعة وعشرين قرنا مملوء بالخرافات والأضاليل ولم يدخل الى نطاق التحقيق الا منذ سنة ٦٦٠ ق . م حيث تولى ملك

البلاد اليابانية بأسرها امير اسمه ( زينمو ) كان حاكما على جزء من جزيرة ( كيوزيو ) هذا الملك أول من اتخذ لقب ( ميكادو ) شعارا له ومعناه العادل ، استمرت عائلته حاكمة على البلاد قرونا مستطيلة تخللتها اضطرابات لاحد لها ولا ضابط لتاريخها ، سببها انقسام البلاد الى امارات متعددة وراثية ، وغلبة حزب الأشراف عليها على حد ما حصل بأوروبا في القرون الوسطى ولا يخفى ما يبنى على هذا الانقسام من التزاحم ، ولم يكن الميكادو الا كواحد من أولئك الأشراف المستقلين ، وان كان له شيء من أهبة فرسمية محضة واسمية بحتة .

لما جاء القرن الثاني عشر قام أحد أولئك القادة واسمه ( يوريتومو ) بتنظيم جيش ياباني عامل للقيام بالدفاع عن حياض البلاد وصد الأطماع عنها من الخارج ، وفي تلك المدة قصد فتح البلاد اليابانية ذلك الفاتح المغولي الشهير مدوخ بلاد الصين ( كوبلاي خان ) فقصد اليابان بأربعة آلاف سفينة تحمل ٢٤٠،٠٠٠ جندي فقام بزعامة الدفاع عن البلاد متولى الشؤون السياسية والحربية إذذاك فدحر المغوليين دحورا وأقصاهم عن البلاد إلى حيث لا يعودون ، فاجتمعت القلوب على محبته وأطبقت على الغبطة به فحسده الميكادو والحاكم فتنازبا فظاهر لكل منهما حزب وتقاتلا طول حياتهما وورث عنهما العداوة اخلافهما إلى نحو مائتي سنة

وفي سنة ١٥٤٢ يممها البورتغاليون فقبولوا بالاكرام وأنزلوا على الرحب والسعة فرجفت على أثرهم جيوش الدعاة والمبعوثين فلقوا

في مبدأ أمرهم عطفاً وهشاشة حتى أدخلوا الى عقائدهم ألوفاً كثيرة من اليابانيين ، ولكن تيقظت في الأمة عوامل الأنفة فقاموا ضدهم بشورة فضيحة قتلوا فيها ألوفاً مؤلفة من الأبرياء واحبطوا بذلك ماشاده أولئك الداعون احبطاً نهائياً .

وفي سنة ١٦٠٩ جاءها الهولنديون للتجارة فأنزلوهم في جزيرة فرياندو ولم يقابلوهم الا بالاحسان ملازمتهم لآداب الضيافة وحقوق الجوار وفي سنة ١٨٥٨ سمح اليابانيون للفرنساويين والانكيز والروس بسكنى بعض الموانى للاتجار ، ولكنهم لم يلبثوا أن دب الى نفوسهم ديب الحقد على الأجانب فقاموا ضدهم بمذبحة هائلة أرعدت لها البلاد الأوربية وأبرقت فجاءها الانكيز بأسطولهم واصطالحوا مع حكومة اليابان على أداء التعويضات لأهالى المقتولين وأبرموا معهم معاهدة لا يدل ظاهرها على باطنها ، وفي سنة ١٨٦٣ تولى دست الحكومة السياسية والحرية رجل حازم بصير بأعقاب الأمور فرجا الميكادو أن يجمع جمعية عامة من سادات البلاد وعظماؤها للاتحاد على وضع قاعدة ثابتة يقوم عليها أمر حكومة البلاد قطعاً لألسنة المشاغب والفتن ، وكبحاً لجماع أولئك القادة زعماء البلاد . ففعل بما أشار به عليه وجمع أولئك الأعيان ففهموا مايراد بهم فأجبروا الامبراطور على الانضمام الى حزبهم وأعلنوا حزب الاصلاح الذى يرأسه ذلك الرجل الحازم بالعداء وأصلوها حرباً دموية تأييداً لمرآكرهم وثبیتاً لنفوذهم ولم يشعروا أنهم يسعون إلى حتفهم بظلمهم فان هذه الحركة أيقظت عواطف

الحية والانفة في الامة فقامت ضد زعمائها بحركة عدائية هائلة صادرتهم بها في أملاكهم ومحت ألقابهم ومحقت آثارهم وتخلصت من سلطتهم وبذلك أصبح الميكادو خالصاً من شرهم آمناً من ثقل سيطرتهم . ولكن زعماء هذه الثورة الأهلية لم يدعوا الميكادو يتمتع بالنفوذ المطلق على الطريقة الاستبدادية بل أجبروه على قبول تشكيل مجلس نواب يتولى أمر حكومة البلاد على الصفة التي يتولاها كل مجلس من هذا القبيل في الأمم المتقدمة . وتم ذلك في سنة ١٨٧١ .

هذه صورة مصغرة جدا من التاريخ الاجتماعي للامة اليابانية سردناه للقارىء سرداً واتبعنا الحوادث فيه بالحوادث اتباعاً سريعاً متسلسلاً ليرى بعينه سير نواميس الترقى كيف بعثت الامة اليابانية من دور الى دور وأفاعيل الحوادث كيف مهدت أمامها السبل ، وذلك دونها الصعاب تديلاً طبيعياً مقولاً كما حصل نظيره في كل أمة من الأمم الأوربية . ولكن مع هذا الفارق الهائل وهو أن تلك الوقائع الممهدة للرقى أنتجت في الأمم الأوربية نتائجها بسرعة وانتظام بخلافها في الامة اليابانية فقد كانت أدوارها بطيئة جداً حتى أن المقدمة التي كانت تضعها الحوادث في قرن من القرون لا تنتج تليجتها إلى بعد ثلاثة أو أربعة قرون ولهذا البطء في السير أسباب اجتماعية ليس هنا محل بسطها .

### نظرة على ما تقدم

اذا تدبر القارىء فيما كتبناه فى مقالتنا السابقة عن موجز جغرافية اليابان الطبيعية والاقتصادية والعلمية والصناعية وعن ملخص تاريخ حياتها السياسية يتحقق أن الامة اليابانية كانت حاصلة من منذ ألفين وخمسمائة سنة على سائر الشروط الحيوية الموصلة للمدينة بأخص معانيها والمؤدية الى الحضارة الكاملة تأدية طبيعية معلومة المقدمات والنتائج، بل نشعر بأن قارئنا يعجب كيف أن هذه الامة وجارتها الضخمة الامة الصينية الحاصلتين على هذه الوسائل الحيوية والموجودتين بين هذه العوامل العمرانية لم تضلوا من المدنية الى مدى أبعد مما وصلت اليه الأمم الأوروبية ولم تسبقانها الى أقصى غايات الابداعات الصورية بقرون عديدة فتكونا اليوم أستاذتين لجميع طوائف الجنس الأبيض المعجب بذاته الفخور باصالته

لا جرم أن هذا البطء فى سير تلك الأمم وتلكوها فى تدرجها هو الذى حدا بعلما الانسان لأن يقرروا حكمهم الصارم بأن الجنس الأصفر أدنى من الجنس الأبيض رتبة وأنه ليس مستأهلا لأن يلحق اشأو مناظره فى شىء وأن النفوذ والسيطرة ستكونان للشانى على الأول فى سائر الأدوار المستقبلية .

قلنا ان من يتمعن فى الأحوال الطبيعية الموجودة فيها الامة اليابانية لا يندesh من تمدنها وتحضرها بل يندesh بالعكس من تأخرها

في المدينة عن الأوروبيين والتجائها الى تقليدهم واحتذاء مثالهم مع أن  
العوامل العمرانية التي توفرت لها لم تتوفر جميعها لآى أمة من أمم  
الغرب المتمدة .

تأمل معى في خطارة هذه العوامل ثم قل لى بعد ذلك أى مانع يمنع  
مثل هذه الأمة من أن تنال من الرقى الأدنى والمادى القسط الأكبر  
والنصيب الأعظم بل أى مانع يمنعها من أن تكون فى مقدمة سائر  
أمم الأرض حضارة وصناعة .

أمة تعد بعشرات الملايين أقوياء الأجسام والأحلام فى بقعة من  
الأرض كثيرة الخصب والريف، غزيرة الأنهار والجداول، شرارة العيون  
والبحيرات، صالحة لأن تنبت كل أنواع النباتات وتقيت كل صنوف  
الحيوانات، معتدلة الهواء جيدة المناخ كثيرة المعادن والمواد الأولية  
الباعثة لأرقى الصناعات اليدوية والآلات الميكانيكية، يكتنفها البحر  
الخصم من جميع جهاتها، بينها وبين أكبر أمم الأرض وأقدمها مدنية  
وهى الأمة الصينية أوامر من القرابة ووشائج من الصلات السياسية  
جرت كثيرا من الأحيان الى حروب دموية بقصد استعمار بعض  
البلاد الساحلية لترويج تجارتها الوطنية. أمة توجد فى مثل هذه  
الشروط الطبيعية والاجتماعية، كيف لا تزهر فيها المدينة، ولا  
تشرق عليها شمس الحضارة من أزمنة قسوة .

الانسان مسوق بطبعه الى الترقى سوقا طبيعياً، فهو السكان  
الراقى الوحيد على سطح الأرض، وهو لا يتأخر عن متابعة سبيله

إلا لحوائل طبيعية ، أو حواجز أدبية قهرية ، أما الحوائل الطبيعية فهي أن لا يجد ما يساعده على الترقى ، كأن يوجد في أرض جديده تجبره على استيعاب كل قواه في طلب قوته الوقتي ، والرحلة من محلة إلى محلة للتحسس منه . أولا تكون أرضه خصبة ، ولا حاصلة على المواد الأولية الضرورية للصناعة ، كالحديد والنحاس وغيرها . وأما الحواجز الأدبية القهرية ، فكأن يكون تحت سيطرة حكومة باغية جائرة ، أو مضغوطة عليه من طائفة جاهلة بسلطة عقائد باطلة ومع هذا كله ترى بواعث المدينة المتسلطة على عواطفه القلبية لا تزال تعمل في فؤاده وتغلي مراحلهما في صدره حتى تلجئه إلى كسر جميع السداد التي أمامه ، واقتحام كل تلك العقبات التي بين يديه . فان كان تأخره لنقص شيء من مقومات المدينة في بلاده ألقى بنفسه الى خارج أرضه وسعى في الحصول على تلك المقومات بطريق المعاوضة والمبادلة ، بأن يعطى ما يفضل عنه من مزايا بلاده ، ويأخذ بدله مما لا بدله منه في تقويم أمر حياته ، فلا تلبث أن تراه متلاذبا في أنوار المدينة ، ساحبا ذبول الحضارة في أبهى مظاهرها .

وأما إن كانت تلك الحواجز أنظمة أو عقائد ضالة فقد شوهد في تاريخه أنه ينوء تحت كلاهما حينئذ ثم يثور ضدها ويكسر كل ما يقوم أمامه من جهتها ويطنى عليها على قدر مارضخ لها ، ثم يسلك من طرق الحياة ما ينطبق على استعداده ويلأتم أميال طبيعته . ومن يتدبر في أحوال مدنيات الأمم القديمة والحديثة يعلم تفصيل ما أجملناه في هذه



الكلمات .

إذا تقرر هذا فالإنسان لا يصدده عن المدنية شيء إلا أن يكون في بقعة محرومة من كل مزية طبيعية وليس فيها ما يصلح للمعاوضة أو يكفي لتكاليف المبادلة . أو يكون قاصر المواهب الطبيعية ناقص القوى الأديية فيظل كما وجد ألوفاً من السنين حتى يفنى ، أو يأتيه داع للحياة غير منتظر ، أو يبقى في تلك الحالة بقاء غير محدود .

أما الأمة اليابانية فلم تكن محرومة قط من شيء من هذه المزايا من أية جهة من الجهات ، بل كانت من سائرها في مجوحة لم توجد فيها أكثر أمم الأرض . فأى عجب في أنها ترتقى وتدهش العالم بمدنيتها . لا عجب في ذلك أبداً وقد ارتقت من منذ ألفين سنة رقياً طبيعياً تدريجياً ولكنها وقفت في دائرة جازها الأوروبيون وسبقوها فيها بعد أن كانوا دونها بمراحل ، بل ان اليابانيين أيام كانوا يدحرون جيش كوبلاي خان فاتح الصين الذي داهمهم بأربعة آلاف سفينة تحمل ربع مليون من الضراغم كان الروسيون حاملين نير حكومة كبتشاه المغولية محرومين من نعمة الحياة الاستقلالية . بل ان العهد الذي كان فيه الأوروبيون لا يعرفون معنى المدنية كان لدى اليابانيين فلاسفة يضعون أصول الشرائع ويبحثون في أسرار العلوم والصنائع ، فهل العجيب بعد هذا أن تساوى اليابان في تمدنها أمة أوروبية ؟ أم العجيب أن لا تكون أرقى من أرقى أمة أوروبية وأستاذة كل من يشرئب للحياة المدنية ؟ ان كان لابد لنا من أن ندهش وتتعجب من معجزة اجتماعية

تحصل بغير الفواعل الطبيعية، فهاهى الامة العربية نهضت فى القرن السابع نهضة فجائية بغير أسباب عمرانية وجودية بل بالروح الالهية التى جاءها بها النبي صلى الله عليه وسلم وماذا عمسك أن تجد من الفواعل الاجتماعية فى أمة جاهلية بدوية ظلت آلاف من السنين محافظة على بدائتها وجاهليتها فى بقعة من أجذب البقاع تربة وأشجها نباتاً وأزرها ماء . لأنهار تتخلل صحاريها الرملية، ولا عيون تعوض لها بعض ما حرمتها من تلك المزية، ولا معادن تسد باستخراجها خلة فاقها، وتجبر بالمعاوضة بها مفارقها . ولا أهمية جغرافية تميل بأعناق الفاتحين اليها، وتحنو بعواطف عشاق الملك عليها، حتى كانت تستفيد من تلك المجاورة والمزاحمة ما تقوم به أمرها، أو تصلح به من شأنها . لا جرم دامت هذه الامة آلاف من السنين على هذه الحالة الجاهلية البدوية قد استوعب عواطفها وملكاتنا الفطرية آلام تنازع البقاء والبحث عن الغذاء فلم تفرغ طرفة عين للفكر فى ذاتها والبحث عن شؤونها . وقد استغرقت حاجاتها الضرورية سائر أوقاتها فلم تجد فرصة ترجع فيها الى نفسها، وتأمل فى مصير أمرها . وناهيك بأمة لبثت أوفاً من السنين عائشة على هيئة قبائل متنافرة، وفصائل متغايرة، لم تصعبها عوامل الرقى لم شعثها، وجمع كلمتها، وكيف يفكر فى الحياة الاجتماعية من لم يأمن على نفسه وولده غائلة الهلاك جو عا طرفة عين؟ أو كيف تبحث عن مستقبلها السياسى أمة لا تدرى ان أبطأ عنها الغيث سنة كيف تعمل وإلى أى البقاع ترحل؟ لا جرم بقيت هذه الامة ملازمة لأبسط

أحوال البداوة ترعى الابل وترود مسارح العشب والكلأ ومن كان منهم في معزل عن أنياب الفاقة لا متلاكه عدد محدوداً من الابل كان يذهب إلى الشام ببعض صنوف التجارة التافهة ويعود بشيء لا يعطيه من روثق المدينة وبهاء الحضارة قدراً لأفقر رجل من الأمم المتمدنة في ذلك العهد.

أنظر الى هذه الأمة في هذه الحال المؤيسة في فقرها وجاهليتها، وبعدها عن حركة العلوم والمعارف، ونأيها عن ساحات المنازعات والمزاحمات السياسية وانقسامها، وتشتتها وعدم حصول أرضها على أي شرط من شروط تحسين المعيشة الباعث الى نوع من أنواع المدينيات. ثم انظرها وهي ناهضة تلك النهضة الفجائية في أقل من ربع قرن تحمل للعالمين صولا للحياة جديدة، ونواميس للسعادة سديدة. ومن أعجب العجب أن هذه الأمة لم تقم بتقليد أمة من أمم المسكونة أو باحتذاء أمثال مدينة من المدينيات الحية كما فعلت أمة اليابان، ولكن قامت بذاتها مستقلة عن جاراتها لم تستعرب حياتها من أحد، ولم تتحرك بحركة أمة من الأمم. وما يزيد على هذا في العجب ويحير الفكر ويوجب غاية الدهشة أنها لم تقم قومتها تلك مطالبة بمجرد حق الحياة بين الأمم قانعة بمزية الانحشار في زمرتها مكتفية بشرف القيام في صفها كما هي حال الأمة اليابانية اليوم مع الأمم الأوربية. بل قامت مطالبة بحق السيطرة على جميع الشعوب الحية رامية الى غرض التربع في دست الزعامة العامة على سائرها. معطية نفسها حق تهذيبها وتقويمها نائطة بذاتها وظيفته تأديتها

وتعديلها . ثم لم يكن هذا مجرد جمعية أو محض ثروة بل لم تجل في الأرض جولة سريعة حتى دان لها الكل ، وأذعن لآثارها الجميع ، وأصبح الكافة معجبين متعجبين من أن يظهر أهل البادية بهذا المظهر الفخيم ، والملك العظيم .

وأى عجب أكبر من هذا : أمة لاعمد لها باجتماع ولا ملك ولا نظام ولا تهذيب ولا تعليم ولا مدنية من أى نوع كانت ولا ولا بما يعرف من مزايا الأمم المتحضرة بل بالعكس في جاهلية جهلاء وغيبة عمياء تقوم فجأة فتهزن للعالمين أجمعين بأنها أحق الأمم بالسيادة وأجدرها بالسياسة وأولها بتهذيب الطاغين وتأديب العاتين وكبح الظالمين وتعليم الجاهلين وتعديل المعوجين . أليس هذا أولى بالعجب وأجدر بأن يكتب بنور العيون لا الذهب .

اللهم صل على مشرق هذه الروح العالية ، ومطلع هذه النفحة السامية ، وسلم عليه وعلى آله وصحابه وتابعي طريقته . آمين .

### ماوراء المادّة

نحن ننقل تحت هذا العنوان بعض ما نطلع عليه في مؤلفات أوربا وجراندها ومجلاتها مكتوبا تحت امضاء الأساتذة والداكاترة وكبار المؤلفين . مضربين عما يكتبه كل من عداهم ليكون تعجب القارىء بأعظم ، واندعاشه أكبر ، ولا يزيد من هذا الاقامة الأدلة المحسوسة

على أن زعماء العلم الأوروبي من الاسبرترزم ومدعشاته في أمر مريخ وأنهم قد خضعوا لحوارقه رغم أنفهم بعد غطرتهم السابقة وتشددهم الماضي، وان الذين يقلدونهم منا في تعاليهم عن النظر وتشاخبهم عن الرضوخ لعقيدة وهما منهم ان علماء أوربالم يزالوا كذلك، انما يقلدون جيلا مضى، وقوماً بادوا. فليرجعوا من قريب خيراً لهم والا « ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين » كتب الأستاذ (موتنييه) الفرنساوي، والاستاذية عندهم رتبة علمية لا يناهها الا افراد نابغون في بعض الفروع العلمية. كتب في المجلة الروحية الصادرة في شهر ما يوسنة ١٩٠٤ تحت عنوان (الاسبرترزم مشبوت علمياً بواسطة الكتابة بدون واسطة والعرانة) ثم ذكر (مقدمة يقارع فيها بعض الكتاب الذين يكذبون بالاسبرترزم ولم يشاهدوه، قال فيها: « وهل عرف المسيو جاستون « مرى كل الحوادث النفسية؟ هل رآها كلها واختبرها اختبار « الباحث النزيه الصبور الخالي من الهوى؟ ان قال لا فقد حكم على « نفسه وانحسنت المشكلة، وان قال انه خير بهذا الموضوع « ويستطيع أن يتكلم فيه كلام الأستاذ فيه، فأنا أعرض عليه مسألة « نفسية بسيطة راجياً فضله في أن يحلها ويفسرها. أنا لا أريد أن « أن استرهبه ومع ذلك فلا أستطيع أن أخفي عنه أن من كل « الفروض التي تخيلت في تحليل حوارق الاسبرترزم لم يفلح الا الفرص « القائل بنسبتها إلى ارواح الموتى. واليك المسألة: «

« أخذت خمس صحف بيضاء وكتبت على كل منها سو الا ثم طويت «

« كل من هذه الصحائف أربع طيات وأضفت إليها خمس صحف »  
 « أخرى بيضاء لأخذ الأجوبة عليها وطويتها كما طويت اخواتها »  
 « ووضعت الصحف كلها في مظروف ولصقته لصقاً محكماً . ثم جئت »  
 « باردوازين جديدين اشتريتهما للتجربة التي عزمت على عملها خاصة »  
 « ثم وضعت هذا المظروف مع قطعة من الرصاص بين ذينك »  
 « الاردوزان وأطبقتهما على بعضهما اطباقاً شديداً وربطتهما بحبلين »  
 « متقاطعين . لما أعددت لنفسى هذه العدة ذهبت الى الوساطة »  
 « وكانت امرأة مشهورة في البلدة بنزاهتها وسمو خصيصتها في الوساطة »  
 « بين الاحياء والاموات وبحدوث الكتابة من الأرواح بحضرتها . »  
 « فقبولت وأدخلت إلى حجرة في الطبقة الأولى من البيت وسط »  
 « في الاتساع قد أعدت للتحضيرات الروحية وهي محلاة باثاثات »  
 « بسيطة ولكن متينة . وصادفت في وسط تلك القاعة مائدة »  
 « مربعة عليها غطاء . فما كان مني إلا أن رفعت الغطاء لأتحقق من »  
 « عدم وجود أى آلة ميكانيكية تحتها ثم قشيت كل شيء بعناية تامه »  
 « وبعد أن تحققت من عدم وجود شيء يشك فيه في الغرفة جلست »  
 « بجانب تلك المائدة ووضعت عليها اردوازي ولم أفقدهما من بصرى »  
 « ولا لحظة صغيرة من عهد دخولى دار الوساطة . وكانت الساعة »  
 « إذ ذاك (٣) فاتمت الجلسة في الساعة (٣٠ و ٣) أى لم تمكث »  
 « اكثر من عشرين دقيقة . »

« الوساطة امرأة شقراء لم يتجاوز عمرها الثلاثين سنة طيبة »

« البنية باشة وذات معارف عادية وهيئتها بسيطة طبيعية وتشنجها »  
 « لا يكاد يكون محسوساً ، وكانت ذاهبة آية في الغرفة تحدثني بما »  
 « تراه ثم أخذت قطعة من الورق الأبيض وكتبت ألقاب الأشخاص »  
 « الذي ذكرتهم أنا في أسئتي المظروفة وكنت الاحظ يديها وهي »  
 « تكتب فوق المائدة . وبعد ربع ساعة أذنتني بأن الجلسة انتهت . »  
 « فأخذت اردوازي اللذين لم يتحركا قط من مكانهما وفككت »  
 « الحبل عنهما فوجدت المظروف لم يمس مطلقاً ولكن القطعة »  
 « الرصاصية لم أجد لها أثراً ، ففضضت المظروف وأخرجت منه »  
 « الورق المكتوب عليه المسائل ثم الورق الذي كنت أعدته »  
 « للأجوبة فوجدته مملوءاً كتابة بالقلم الرصاص ( تلك الأوراق »  
 « موجودة تحت تصرف من يريد فحصها

« وجدت من نص الاجابة أن شخصية مستقلة هي التي أجابت »  
 « تلك الاجوبة بطريقة لا يشك في حقيتها . وغير ذلك فان بين خط »  
 « الاجوبة وخط الانسان الميت من التشابه بحيث أن أهل بيته عموماً »  
 « أدركوه وقضوا منه بالعجب »

« لا أجل أن أرى المسيو جامرى كنه الاحتياطات التي اتخذتها »  
 « ضد أي غش أو تزوير من قبل الوسطة ولأجل أن اتقى من »  
 « قبل حضرته بعض الاعتراضات عديمة الجدوى أضيف الى ماسبق : »  
 « ( أولاً ) بأن تلك الوسطة تجهاني كل الجهل واني غريب في »  
 « تلك البلدة »

- « (ثانيا) ان تلك المقابلة مع الواسطة كانت با كورة تعارفى بها »  
 « وانها لم تكن تقدر على معرفة شىء منى ولا من عائلتى »  
 « (ثالثا) انه لم يحصل بينى وبينها قبل التحضير أى محادثة تمهيدية »  
 « مما كان يمكن أن تستفيد منها بعض فوائد تدلها على ما أنا بصده »  
 « (رابعا) الجلسة حصلت فى ضوء النهار الناصع فى الساعة »  
 « الثالثة بعد الزوال »  
 « (خامسا) لم يدخل جلسة التحضير شخص ثالث فى أثناء »  
 « الجلسة »  
 « (سادسا) ظلت أبواب الحجرة مقفلة طول مدة التحضير »  
 « ولم يوجد فيها لا حواجز ولا أجهزة من أى نوع كان يمكن أن »  
 « تسهل التزوير »  
 « (سابعا) لم تمس الواسطة الاردوزين بيديها »  
 « (ثامنا) لم يكن فى جيبى لا خطابات ولا مكاتيب أخرى آتية »  
 « من قبل الاشخاص المكتوبة أسماءهم فى الأسئلة مما يمكن أن »  
 « تعرف منه الواسطة الأسماء التى أمضت على الأجوبة التى تحصلت »  
 « عليها »  
 « ثم قال : « وانى قد اتبعت هذه الجلسة بجلسة أخرى بعد ثلاثة »  
 « أيام فكان نجاحها كنجاح سابقتها لأنى توخيت لها الشروط »  
 « التى توخيتها للأولى »  
 « هل يحسر المسيو غاستون مرى بأنه يدعى أن هذه الالوف »



المؤلفة من الذين شاهدوا هذه الخوارق مغشوشون مغرورون؟ وهل  
« يحسر بأن يزعم بأن البارون (غولدنستوب) الذي عمل أكثر من  
« ألقى تجربة روحية من سنة ١٨٤٦ الى سنة ١٨٦٩ أمام شهود من  
« أعلم علماء الاوروبيين والأمريكانين وأجدرهم بالثقة كان مخرفا  
« مصابا بالهوس؟ وان (ولاس) و (زولنر) و (فيشت) و (اكسون)  
« و (هار) و (دال) و (أوين) و (اكزاكوف) كلهم كذابون  
« خراصون؟ »

الى أن قال: « يظهر مما تقدم بيانه بأن الاسبريتو الزم أصبح  
« مثبتا بالبراهين العلمية لأن المعلومات التي تأتي من قبل الأموات  
« والعرافة التي يتمتع بها الوسطاء تثبت بطريقة لا يمكن دحضها  
« بأن المشاهدات التي تنتج من هذين الفنين الروحيين آتية من جهة  
« عقل أعلا من العقل المتلبس بالمادة أي من عقل يسمو على عقل  
« الانسان مثبت ووجوده ثبوتا علميا ويمكن مشاهدته في كل حين  
« تتوفر فيه الشرائط الضرورية؛ ومن هنا صارت الاعتراضات  
« التي وجهها المسيو جاستون مري لا تحتمل النقد. وبما أنه لا يستطيع  
« أن يحل المسألة التي عرضاناها عليه في مقدمة هذا الفصل الا بفرض  
« تداخل الأرواح فنؤكد بأن هذا الغرض هو وحده الذي يمكن  
« قبوله والاعتماد عليه في حل أمثال تلك المسائل »

« فاطلب النور، ثم اطلب النور يامسيو غاستون مري، وان  
« كنت صاحب الحقيقة، فتكرم بأعلامنا بها فانها مرمى أغراضنا »

ومنتهى آمالنا انتهى

الامضاء

( البروفسور موتننيه )

نحن نجشم أنفسنا كل حين ترجمة مثل هذه الحوادث ليرى المسلم بعينه . أن العالم أصبح على خلاف ما كان عليه في مقدمة القرن التاسع عشر ، والذي قبله من جهة الاعتقاد بالعالم الروحاني ، وإذا كان العالم الأوروبوي الذي كان ماديا بالأمس أصبح يعترف (دعك من استحضار الأرواح ) بأن في الانسان سرا مكنوناً ، ومعنى علوياً مصوناً ، وان جسمه هذا غلاف مؤقت لهذا السر السماوي يضمه حيناً ، ثم ينفرج عنه ، فيصعد ذلك السر الى عالمه النوراني يسبح في سبحات الافاضات الرحمانية مع الأرواح الملكوتية ، قلنا اذا كان العالم الذي كان ماديا بالأمس . أصبح يقول هذا القول : أليس الأولى به منه المسلم الذي بعثه الله لاعطاء الروح حفوفها ، وتأمين العواطف الانسانية على مطلوبها ، واذا كان صرعى المدنية الجديدة يقارعون أنصار العقائد الحقة بالعلم الأوروبوي فيها هو العلم الأوروبوي وهام قادته وأرا كينه ، حيارى أمام آية من آيات الحق جل شأنه ، أرسلها إرغاماً لمعاطس الكفر ، وكسراً من شررة العناد ، والله غالب على أمره .

كروية الأرض ودورانها

كتب لنا حضرة الوحيد ( السيد علي بن أحمد بن شهاب ) من

مدينة ( بويتنزورغ ) بجزيرة ( جاوه ) يسألنا هذين السؤالين :  
هل الأرض كروية ؟ هل الأرض تدور . فنجيب حضرته :  
كروية الأرض معروفة منذ القدم من أول تكون الجرثومة  
الأولية للعلم تقريبا . وقد استدل آباؤنا الاولون على ذلك باختلاف  
شكل السماء بالنسبة للسائر على وجه الارض ، فانه لو كانت الارض  
سطحا مستويا لحفظت السماء شكلها دائما للرأى مهما تنقل على  
ظهرها . ومما جعل مسألة كروية الأرض حقيقة علمية بالنسبة  
للأقدمين ما رأوه عند كسوف القمر من ظل الأرض عليه ، فقد  
رأوا ذلك الظل مستديرا مما يدل واضح الدلالة على أن الارض  
كرة مستديرة ، كالشمس والقمر وسائر النجوم والكواكب .  
ويمكن أحدنا أن يستدل بنفسه على كروية الأرض بدليل  
محسوس ، بأن يقف على شاطئ البحر ، مراقبا اقبال سفينة من  
بعد بواسطة المنظار . ذلك أنه لا يرى أولا الاطراف سواريتها ،  
ثم كلما تقدمت السفينة نحوه علت تلك السوارى عن سطح البحر  
رويدا رويدا ، حتى يظهر مقدم تلك الفلك ( اى السفينة ) ثم اذا  
أدمنت فى السير علا سطحها على سطح البحر قليلا قليلا على نسبة  
سيرها حتى ترى السفينة بأكملها طافية على وجه الماء . واليك دليلا  
محسوسا غير ماسبق على كروية الارض ، واشد منه اقناعا للعقل  
وازهاقا للشك أو هو ماحدث من تطواف الارض فقدطافها كثيرون  
فى شهور قليلة خرجوا من بلدة شرقا ثم عادوا اليها من جهة الغرب

ومما يشبه هذا الدليل في الاقناع اختلاف ساعات الليل والنهار بالنسبة للممالك المختلفة فان في الوقت الذي يكون فيه النهار مشرقا في ( جاوه ) يكون الليل ضاربا اطنا به في بلاد المغرب وما يليها وبالعكس وقد جرى علماء الهيئة من المسلمين على هذه النظرية من عهد دخول العلم اليوناني الى بلادهم بواسطة الخليفة المنصور العباسي ولم ير علماء الدين في ذلك ما يضر بالعقيدة . أما ماورد في كلام الله تعالى مما يؤخذ منه انبساط الأرض ودحوها فالمستند عليه لم يحسن فهم كلام الله . قال الامام الرازي في تفسيره قوله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا » الآية . قال واستدل بهذا على أن الأرض ليست كرة ، وهذا بعيد جدا . لأن الكرة إذا عظمت جدا كانت القطعة منها كالسطح في امكان الاستقرار عليه ، والذي يزيده تقرير ان الجبال أوتاد الأرض ، ثم يمكن الاستقرار عليها ، فهذا أولى والله أعلم .

أما دوران الأرض فهنا موضع الخلاف والنزاع ليس بين أبناء الأئمة الأولى فقط ، بل بين أبناء هذا العصر أيضا ، وان كان العلم الرسمي الأوروبي والأغلبية العظمى في جانب دورانها على نفسها وحول الشمس معاً .

مسألة دوران الأرض على ذاتها يظهر أنها كانت معلومة من القدم لتلاميذ الفيلسوف ( فيثاغورس ) قبل الميلاد بنحو خمسة

قرون ، ولكن لم يشع هذا الأمر ولم يدخل الى العلم الرسمى الا بظهور الفلكى الشهير ( كوبرنيك ) البولونى فى القرن السادس عشر ( ١٤٧٣ - ١٥٤٣ ) فانه أثبت بالدلائل القوية المقنعة أن الأرض متمتعة بحركتين فى آن واحد . حركة رحوية على ذاتها وبها يتكون الليل والنهار ، وحركة محيطية حول الشمس لتكوين الفصول المختلفة من برد وحر واعتدال .

الأدلة على دوران الأرض حول الشمس غير حاصلة على صفة الأدلة المحسوسة ، حتى لا يمكن الخوض فيها كسألة كرويتها ولذلك ترى نفرآ من العلماء والرياضيين لا يزالون يتشككون فى ذلك ويشككون غيرهم . كتب المسيو درومون فى جريدة ( ليبرارول ) الباريسية فى ٩ يناير الماضى يقول : « لم يقم الدليل للآن على صحة « دوران الأرض كما كان يزعم جاليليه » ( هو ناشر تعاليم كوبرنيك ) « ولا على أنهم مركز العالم الشمسى وهذا المسيو ه . بوانكاريه أكبر « علماء الهندسة والطبيعة الفرنسيين لم يجزم للآن بدوران الأرض « لأنه يقول ( يقولون ان الأرض تدور وانا لاأرى مانعا من « دورانها ، فان فرض دورانها سهل القبول ويمكن به فهم كيفية « تكون ونمو الدنياوات ، ولكنه فرض لا يمكن اثباته ولا نفيه « بالأدلة المحسوسة ، هذا الفضاء المطلق أى الحيز الذى يلزم نسبة « الأرض اليه للتحقق من دورانها أو عدم دورانها ليس له وجود « فى ذاته . من هنا ترى أن قولهم الأرض دائرة لا معنى له البتة .

« لأنه ليس في وسع أية تجربة اثباته لنا بالحس . هاتان الجملتان «  
 « (الأرض دائرة) و (الأسهل فرض أن الأرض دائرة) لا تعينان «  
 « إلا شيئاً واحداً ولا يمتاز أحدهما عن الأخرى في معنى جديد «

وجاء في جريدة (الكبير) الفرنسية في ١٧ فبراير الماضي تحت  
 « إمضاء بعض الكتّاب قولهم : « ليس من المحقق الثابت أن الأرض «  
 « دائرة ، ومع ذلك فهذه نظرية شائعة ذائعة وعقيدة علمية كبرى «  
 « لا يحسبون لها سقوطاً . هذا وانك ترى أن نظرية الجاذبية العامة «  
 « قد عادت لمجال المناقشة وان قوانين كبلر اشتهرت بكونها فروض «  
 « غنية ليس إلا ( يريد الكتّاب أن يقول اذا كانت نظرية الجاذبية «  
 « العامة وقوانين (كبلر) تعتبر فروضاً قابلة للبحث فلم لا يكون «  
 « الأمر كذلك بالنسبة لنظرية دوران الأرض

سرد العلامة الفلكي الشهير هذه الأقاويل في (المجلة) الفرنسية في  
 المجلد التاسع والأربعين ورد عليها بحجج فلكية منها :

لا يشك أحد في أنه يرى كل يوم الشمس والقمر والكواكب «  
 « والنجوم تشرق من جهة الشرق ثم تستوي في كبد السماء وتبلغ أوجها «  
 « الأعلى ثم تهبط غاربة نحو الغرب وتظهر في اليوم التالي في أفق «  
 « الشرق بعد أن تكون سرت من تحت الأرض . «

« ليس للإنسان في تعليل وتفسير هذه المشاهدة العامة إلا أن «  
 « يفرض أحد فرضين : فاما أن يقول بأن السماء هي التي تدور من «  
 « الشرق إلى الغرب أو ان أرضنا هذه هي التي تدور أمام السماء من «

« الغرب إلى الشرق . »

- « اذا فرضنا الفرض الأول وجب علينا أن نعزو للأجرام العلوية »  
 « سرعة في الدوران مناسبة لابعادها عنا . مثال ذلك أن الشمس »  
 « التي تبعد عنا بمسافة تقدر بقطر الكرة الأرضية ٢٣،٠٠٠ ضعف »  
 « يجب أن تسرى في الاربعة وعشرين ساعة محيطاً أكبر من محيط »  
 « الأرض (٢٣،٠٠٠) ضعف أى بسرعة (١٠،٦٩٥) كيلومتر في الثانية »  
 « الواحدة. والمشتري الذي هو أبعد من الشمس عنا بخمسة أضعاف »  
 « يجب أن يكون سيره بسرعة (٥٣،٠٠٠) كيلومتر في الثانية الواحدة . »  
 « ونبتون الذي يبعد عنا أكثر من الشمس بثلاثين ضعفا يلزم »  
 « أن يتحلى بسرعة تقدر بـ (٣٢٠،٠٠٠) كيلومتر في الثانية . وأقرب »  
 « نجم الينا المسمى ( الفادوساتور ) الذي يبعد عنا أكثر من بعد »  
 « الشمس ( ٧٥ ، ٠٠٠ ) ضعف يجب أن يجرى في الجو بسرعة »  
 « ( ٢،٤٩١،٠٠٠،٠٠٠ ) كيلومتر في الثانية الواحدة وكل النجوم أعلامنا »  
 « بما لا يمكن حسابه إلا بخفى . فان كانت الأرض هي الثابتة والكواكب »  
 « هي الدائرة وجب أن تكون كل هذه الدورانات المدهشة من »  
 « تلك الأجرام الكبيرة حاصلة حول نقطة صغيرة هي الكرة »  
 « الأرضية عرض هذه المسألة الفلكية بهذه الصفة هو بمثابة حلها »  
 « اللهم الا أن يحدد بالأقيسة الفلكية والعمليات الهندسية المتوافقة »  
 « تمام التوافق ودوران الأرض الليلي ، وهي حقيقة مثبتة بالواقع »  
 « إن فرض دوران الكواكب هو بمثابة فرض دوران الكانون »

« والمطبخ والبيت والبلدة بأجمعها حول قطعة من اللحم تشوى »  
 « بالنار كما تخيل ذلك أحد المؤلفين الأخلاقيين »

هذ مايقوله ( كاميل فلا مريون ) ، فان تركته جانبا ونظرت الى  
 مايقوله الأستاذ الفلكي الطائر الصيت الذي يعد أول رياضى الآن  
 فى البلاد الفرنساوية كما جاء فى ( المجلة ) الفرنساوية رأيته يقول :  
 « اذا فرضنا أن السماء مغطاة بالسحب دائما وان لا وسيلة لدينا  
 « مطلقا لرؤية الكواكب ، كان يمكننا مع ذلك أن نستنتج دوران  
 « الأرض بانبعاجها وبالأولى بتجربة ( فولت ) ( ١ ) ومع ذلك  
 « لوقلنا فى هذه الحالة ان الارض دائرة فهل يكون لهذا القول معنى ؟  
 « واذا كان ليس هنالك فضاء مطلق فهل يمكن الدوران الا اذا كان  
 « منسوبا لشيء موجود ؟ ومن جهة أخرى كيف يسوغ لنا أن  
 « نقبل استنتاج ( نيوتن ) والتصديق بوجود الفضاء المطلق »

« لنرجع الى الفرض الذى فرضناه أولا وهو ان هنالك سخابا  
 « كثيفة تحجب الكواكب عن أعين الناس فلا يرونها بل ولا  
 « يتوهمون وجودها ، فكيف يعلم أولئك الناس حينئذ أن الأرض  
 « تدور ؟ كانوا بلا شك يعتقدون أكثر من أسلافهم بأن الأرض  
 « التى تحملهم ثابتة غير متحركة ، وكانوا ينتظرون آمادا طويلة حتى  
 « يأتهم ( كوبر نيك ) . ثم ينتهى الأمر بمجيئه ، فكيف يحيى ؟ »

( ١ ) هو طبعى فرناوى اثبت دوران الأرض الليل بواسطة البندول ( الرقاص ) توفى



« قبل مجيء كوبرنيك يكون العلماء قد اخترعوا شيئاً من موالاته »  
 « الجدد والتنقيب ليس بأعجب من كرات ( بطليموس ) الزجاجية »  
 « ويكونون قد جمعوا الفروض على الفروض وزادوا المسائل تعقيداً »  
 « واشكالا حتى يأتي ( كوبرنيك ) المنتظر فيمكنسها كلها دفعة واحدة »  
 « وهو يقول : من الأسهل أن يفرض الانسان ان الأرض تدور »  
 « وكما أن ( كوبرنيكنا ) جاءنا يقول : « من الأسهل أن نفرض »  
 « أن الأرض تدور لأن قوانين علم الفلك تدخل بهذا الشكل في »  
 « قالب أسهل » كذلك يأتيهم ( كوبرنيكهم ) وهو يقول : « من »  
 « الأسهل أن نفرض أن الأرض تدور لأن علم الميكانيكا يصبح »  
 « بذلك في قالب أسهل » وهذا لا يمنع من أن يكون الفضاء المطلق »  
 « غير موجود أعني أن العلامة التي يجب عزو الأرض إليها للتحقق »  
 « من دورانها ليس لها وجود حقيق . ومن هنا ترى تأكيدهم بأن »  
 « الأرض تدور لا معنى له لأنه لا يوجد ما يثبتها بالتجربة . الخ »

يرى قارئنا من تضارب هذه الأفكار بين أكبر علماء الأرض ان  
 أمر دوران الأرض غير حاصل على ما يجعله من العلوم البديهية فان  
 مثل العلامة ( بوانكاريه ) لم يكن يتجاسر على مثل هذا القول وهو  
 أكبر رياضي فرنساي اليوم ان لم نقل أكبر رياضي فلسفي في العالم  
 اذا لم يكن على ثقة تامة بما يقول وعلى بينة بما يرمى اليه . ولو كان المعلون  
 في أثناء تدريسهم للعلوم الطبيعية يسلكون مسلك العلماء في الاقرار  
 بالجهل فيرون تلامذتهم وجه الضعف في المعلومات الطبيعية لأدوا

لتلامذتهم أكبر خدمة لأنهم بهذا يعودونهم على الأدب النفسى فتنشأ نفوسهم معتادة على التواضع أمام نخامة الكون وجلالته والسجود أمام مبدعه ومصوره . ولكن أكثرهم يدرسون لهم العلوم المشكوك فيها والفروض الطبيعية الظنية بصفة حقائق ثابتة فيتذرع بها أولئك التلامذة الاغرار متى كبروا الى الاحاد ونفى الروح والخلود ولا يدرون أنهم يتمسكون بالظنون « وان الظن لا يعنى من الحق شيئاً »

### استشكالات على دوران الأرض

كتب لنا حضرة المحترم سلامة أفندى محمد بنظارة الأشغال العمومية كتاباً يقول فيه :

( أولاً ) هل ورد فى القرآن الكريم ما يفيد دوران الأرض ، ان كان ورد ذلك فى أى آية ؟

( ثانياً ) اذا كان القرآن أفاد أن الشمس والقمر يسبحان فى فلكهما وهذا محسوس بحاسة البصر فما فائدة دوران الأرض ؟

( ثالثاً ) اذا قيل ان دوران الأرض يوجد الليل والنهار فما معنى قوله تعالى « فاتقوا الاصباح » وقوله تعالى « ومن آياته الليل والنهار » ان قيل انه لحصول الفصول ، فما معنى قوله تعالى « وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب »

( رابعاً ) اذا كانت الأرض دائرة فلم لم يرد ذلك في القرآن مع ما ذكر فيه من تسخير الشمس والقمر والنجوم والسحاب والفلك في البحر . هل دوران الأرض شيء صغير في جانب تسخير السحاب ؟  
( خامساً ) ما هي البراهين الحسية التي يرتكز عليها الفلكيون والجغرافيون في القول بدوران الأرض ؟

هل انفصلوا عنها إلى الفراغ وشاهدوها مستقلة عنهم كما يشاهد الواقف على الشاطئ السفينة جارية ، ولو كان فيها ينظر البحر سائراً ؟  
( سادساً ) هل قال أحد من مفسري القرآن ان الأرض دائرة حول الشمس ؟ ان قيل نعم فمن هو من الاثمة وما رأى حضرتكم في كلام الفخر الرازي في هذا الموضوع وما الاوجه المفضدة لكلامه ؟  
نقول : ان ما كتبناه في هذا الفصل كاف في الاجابة على أسئلة حضرة الكاتب المحترم ولا ينقصه الا بيان محظورية الاستدلال بآيات الكتاب الكريم على تقرير ورفض العلوم الطبيعية ويحسن بنا أن نعيد له هنا ما كتبناه في هذا الصدد سنة ١٣١٧ في مجلة « الحياة » : قلنا :

ان علم الفلك مثل سائر العلوم الطبيعية خاضع لناموس الترقى والتدرج فلوقارنت بين نظرياته التي كانت لدى المصريين والآشوريين قبل أربعة آلاف عام وبين نظرياته عند علماء الاسلام في القرن الثالث والرابع الهجري وجدت اختلافاً عظيماً ورقياً محسوساً ، على أن سائر نظرياته رغمًا عن تقدم العلم في هذا العصر لم تزل ظنية .

ولا يخفياكم أن أقرب الظنيات للحقيقة هو أسهلها انطباقاً على الظواهر المحسوسة وأكثرها حلاً للمعاضل المجهولة . فلو كنا الآن نقبل نظرية دوران الأرض حول الشمس ونطرح رأى المتقدمين من ثبوتها فما ذلك إلا لكون النظرية الأولى تحل لنا من المسائل الفلكية ماتعجز النظرية الأخيرة عن حلها ، ولكن إذا ظهر رجل وأثبت لنا ثبوتها وقرر لنا نظرية علمية تحل لنا من غوامض المسائل العلوية أكثر مما تحل تلك النظرية ولا تعارض أحكام النواميس المحسوسة قبلنا رأيه واعتمدها إلى ما شاء الله ، ثم قلنا هنالك : وان قوله تعالى « ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » ترينا بطريقة جليلة ان كل ما ذكر في الكتاب الشريف من أمر الكواكب والسموات لم يقصد به تعليم علم الفلك بل القصد منه لفتنا الى التدبر في جلائل مصنوعات الله وتنور أسرارها ليس الا ، وعندنا أن تطبيق علم الفلك الحديث والقديم على ما جاء في القرآن المجيد يعتبر تهجماً غير محمود على كلام الله تعالى ، ذلك لأن القرآن الكريم إنما جاء بالقواعد العامة والناواميس الكلية التي لا يعتريها تبديل ولا تحوير والتي هي لسان حال الوجود ومطلوب الحياة الانسانية من جهتها المادية والمعنوية ، فالساعى في تطبيق العلوم الفلكية على آياته الكريمة يكون ملوماً لأمرين : ( أولهما ) : ان القرآن العظيم إنما جاء لتربية الانسان وتهذيب خصائصه ، تلك التربية وذلك التهذيب اللذين يفكان أغلال المدارك النفيسة ويكسران مقاطر المواهب البشرية ويستخرجان أنوار الحقائق

الملكية من كثافات تلك الطبيعة الطينية ، ليتجلى الانسان في الوجود إنساناً صالحاً لأن يلم بأسرار عالم الشهادة بحواسه الظاهرة ومساير عوالم الغيب بمشاعره الباطنة كما حصل ذلك في الأمة العربية الأولى فقد جاءها هذا الدين وهي على حالة البساطة الخلوية فهدب نفوسها وربى ملكاتها فانبعثت ينابيع مواهبها الانسانية من صنخور حياتها الوحشية ، فتجلت بعد بضع عشرات من السنين أمة طمست لألاء مدينتها الحققة سائر المدينيات البهيمية وأمسكت يمينها صولجان العظمة الدنيوية ونشرت في الخافقين روح الحرية والعلم لدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشر .

لاحداث مثل هذا الأثر التهذيبي جاء القرآن المجيد « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » الى أن قلنا هنالك : إذا تقرر هذا كله نقول : نحن معاشر المسلمين الذين أنزل الله علينا : « وقل رب زدني علماً » والذين كان لآبائنا اليد الطولى في ترقية العلوم وعدم الوقوف بها عند حد ، الذين سن لنا عليه الصلاة والسلام خير سنة في الأخذ بما صلح من تجارب الغير يجب علينا أن نسابق الأمم في ميادين العلوم الجديدة ونسعى في زيادة مادتها لاسيما وقد ظهر أنها أقرب الى الحقيقة مما عداها . وبناء على هذا يجب علينا وجوباً حتماً أن نلفظ آراء المتقدمين في علم الهيئة ونتمسك بآراء المتأخرين منهم لكونها تحل لنا من معاضل الظواهر الفلكية ما لا تحله لنا تلك منتظرين ما يهديننا الله اليه في المستقبل

بمزید التواضع . وكيف لا يتواضع للعلم قوم أنزل عليهم ربهم « وما  
أوتيتم من العلم الا قليلا . »

— ٤٥٤ —

## ماهو الاسلام

( زيادة بيان )

لو أدرك الناس كافة معنى الاسلام وفقهوا كنه مايرمى اليه لما  
بقي على وجه الأرض من يدين بدين آخر ، لأنه مطلوب كل روح  
ومرمى كل قابلية ، وأنشودة كل استعداد ، ومطمأن كل احساس ،  
ومنتهى كل عقل من معنى الدين والامان ، وهذا سر قوله تعالى  
« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون » ولولا أن الاسلام دين ينطبق على كل قابلية واستعداد ،  
ويلائم كل عاطفة واحساس ، لما كلف الخالق به عموم خلقه من  
إنس وجن وهو سبحانه وتعالى القائل بلسان الرحمة « لا يكلف الله  
نفساً الا وسعها »

هذا اجمال يستدعى شيئاً من البسط وانا موجزون الآن بحثاً في  
هذا الموضوع تفصل به للقارى معنى تكليف الخلق كافة بهذا الدين  
ونفسر له مايقوله علماء المسلمين من أن هذا الدين سيرث عموم الأديان  
وسيسود على جميع نوع الانسان وأنه منطبق على كل قابلية وصالح  
لكل جيل من البرية . وهو بحث جليل الفائدة يجلى لنا الحقيقة الاسلامية  
في أجلى مظاهرها وأكمل معانيها .

## (الناس أمام الأديان)

الناس ثلاثة أقسام : فهم إما جهلة لا يدرون من معنى الوجود والحياة والعالم ما علمه بعضهم من أفواه بعض علماء ناقصاً مشوشاً ، وأما علماء وقفوا على غايات العلم على قدر ما فتح الله على الناس من حقائق طبيعية وأسرار كونية ونواميس وجودية ، وإما أوساط لم ينحطوا إلى حضيض الجهال ولم يصعدوا إلى منصات العلماء فهم وسط . بين ذلك . هذه أقسام ثلاثة كلية بينها أقسام ثانوية قد لا تعد ولا تدخل ضمن حد . فإن الجهال أصناف شتى وطبقات عدة ، وكذلك العلماء والأوساط ، إلا أن صعوبة هذا الاستقراء وعدم فائدته لنا في موضوعنا هذا يقف بنا عند هذه الأقسام الكلية ، فإنا إنما نريد أن نعطي قارئنا صورة جمالية عامة لها صور تفصيلية لا تستقصى بتغيير بتغيير الأحوال والظروف ، ولا يمكن إدخالها إلى قاعدة . فلندرس الآن كلا من هذه الأقسام من حيثية علاقته بالدين ، ليرى قارئنا تفصيل ما أجملناه له في مقدمة هذه المقالة بيان جلي وشرح كاف فنقول :

## ( حظ الجهال من الدين )

قلنا الجهال أقسام لا يمكن حصرها بالضبط ولا فائدة لنا هنا من التقيدها والسعي في حصرها فإنه يكفيننا أن نعرف مقدار الجهال في العرف فقط .

لا نريد بالجهال من لا يقرأ ولا يكتب فقط فقد يكون الرجل

قارئاً كاتباً وهو من الجهل بحيث لا يدري أنه جاهل .

إذا كان يمكننا أن نشبه حياة العالم بحالة الانسان في اليقظة في وضوح مجال الوجود أمامه ، ونصرع أشياءه في نظره ، وادراكه اطراد علله في انتاج معلولاتها، وارتباط أسبابه بمسبباتها، وانتظام حلقات الكائنات واتساقها، يمكننا أن نشبه حياة الجاهل بحياة الانسان في الحلم ، فهو يرى ويسمع ويبصر ويشم ويحس بكل ما هو من خصائص الحس ولكن احساساً ناقصاً غير مرتبط ولا متسق . يرى العلل ولا يجد من نفسه القوة على رؤية معلولاتها ، ويرى المعلولات ولا يرى عللها، فيخلط بينها خطأ وربما علل وجود الشيء بما هو سبب عدمه . يرى الحوادث تترى وتمر فيحسبها حوادث يقذفها الوجود على غير قاعدة ، وتلفظها الشؤون بغير ضابط لا حظ له من تتاليها الا الاشراف على آثارها والفرح والحزن بما يقع على حسه منها .

الجاهل قليل العجب بالبدائع ، ضعيف الشعور بالجمال على أخص معانيه لأنه لا يعرف النظام ولا يدرك معنى الائتلاف والاتساق ، ذئب الحظ من اللذة من حيث هي لأنه محروم من اللذات المعنوية لعدم قابليته للشعور بها ، ولا نصيب له من اللذة إلا ما يشعر به جسده وهو مما يشاركه فيه العالم ويزيد عليه شعوره بمكان تلك اللذة من عالمها الخاص بها .

كل منا علم الجاهل علماً ذاتياً وذاقه ذوقاً وجدانياً حينما كان طفلاً من بعد السنة السابعة الى السنة الثانية عشرة تقريباً ، وقد يزيد هذا



التقدير عند بعض الناس وقد ينقص على حسب الأحوال وهو أمر لا يغير جوهر الموضوع ، فكلنا ذاق الجهل وعلمه ويستطيع أن يعطى نفسه منه صورة على قدر طاقته في تصوير المعاني ومكانه من حسن المذاكرة .

هذا الجاهل لاحظ له من الدين الاعلى قدر ما يخفف عنه من ألم في مصيبة ، ويخفف له من دمة في نازلة ، من وعد بأجر ونعيم ، واعد على معاقبة عدولهم ، أما فيما يسمو على ذلك فشعور الجاهل به ضعيف ، وطلبه له أضعف ، لذلك ترى شيعة الباطل من الأديان جهالا كلهم وقد يكون معهم أفراد من الأوساط المتأثرين بآثار العادة والآلف ، لانهم لا ينتظرون من الدين الا التغذية في وقت الشدة ، والعدة بالتعويض في دار بعد هذه الدار . وهذه الخاصية موجودة في سائر الأديان على خلاف بينها في وجوه تلك التغذية ووسائل ذلك التعويض وموجباته . لهذا لا يفكر الجاهل في أن يثور على دينه بشك أو يقاومه بريية وان كان يتألم من تناقض يجده في بعض قواعده واختلاف تصادفه في أمهات مسائله ، الا أنه ألم لا يلبث مع سلطان العادة وبطش الوراثة ووسطوة التقليد الأعمى فتراه لا يكاد يضطرب بوجودانه هاجس من مقدمات الشك حتى تغشاه غاشيات الوراثة من كل فج ، فيعتبرى ضميره نوعا من الاغماء فلا يفريق الا وهو في واد آخر من أمور حياته وشئون جهاده ، مع كل هذا فالجاهل المسلم أحسن حالا وأوسع صدرا وأقل هواجس وأروح روحا من أى جاهل من جهلة الأديان الأخرى ، لأنه لم يكلف باعتقاد

مالا يعقل ولا بتصديق ما لا يدرك ولا بعمل ما يشق عليه ولا بقتل عاطفة من عواطفه فهو يحس من نفسه الحرية ويأنس من روحه الغبطة والسرور دائما ، فتراه في صلاته وصومه ونسكه وتسيحه حتى في سلامه ودعائه فرحاً مسروراً مطمئناً مرتاحاً ، يكرر الحمد مرارا في يومه على أن خلق مسلماً ولا يرى فوق ذلك نعمة ، ولا يجيش في صدره أن يرتد عن دينه لأى سبب يمكن تصوره ، بينما ترى جهال الأمم الأخرى يسلمون كثيرا ولو عنيت صحف الأخبار في بلادنا وفي غيرها باستقصاء عدد الذين يسلمون يوميا لبلغ في السنة مئات الأنوف . وقد سمع عن أهل الملل الأخرى من يهدد أهله باسلامه اذا لم يسعفه بمطوبه ولم يسمع عن أجهل المسلمين مثل هذا التهديد مطلقا ولو بلغ ألمه وكدره أقصى مبلغه ، وفي هذا دليل محسوس على الطمأنينة السائدة على نفسه والهدو المستفيض على روحه .

### (الأوساط والدين)

قلنا ان بين الجهال من الأمم والعلماء طائفة وسطى لم تنحط الى حضيض الجهل ولم تصعد الى قمة العلم فهي في عالم وسط في الحياة ويمكن تشبيه حالها في الوجود بالنسبة لشعورها به وبنظام كائناته وارتباطها بحالة الانسان بين النوم واليقظة ، يشعر شعور الصاحي ويدرك مداركه وليس كالصاحي في ضبط علاقات ما يقع على حسه من الحوادث وادراك النسب الموجودة بينها ، وهو لا يعنى بذلك ولو عنى به وسعى وراء

تحصيله خاتمه وسائله فيحصل منها مايشبه الحقيقة وليس بها . ولو  
 كلفت نفسك باستشرف أفكار هذه الطائفة وهي الشق الأعظم من  
 متنورى الأمم لرأيت لكل من أفرادها فلسفة خاصة تشمل كل المسائل  
 الانسانية فله فلسفة فى الدين والعلم والمدنية والعمران والأخلاق على  
 قدر وسائله تعطيك شكلا فلسفياً كاملاً وان كان ناقصاً من جهة  
 الاستقراء والاستدلال وخالية من روح التحليل والتشريح ، ولكنها  
 على أى حالة فلسفة يقنع بها أهل طبقها ويقف معها ذووها من  
 أهل درجتها

قلنا ان هذه الطائفة لها فلسفة على الدين خاصة بها فتطلب ديناً  
 ينطبق على مقررات العقل ولا ينافى بدائه الحس

ديناً يحبها فى الحياة ولا يزهدها فيها

ديناً ينشطها للعمل ويحرضها على استصلاح المعيشة

ديناً يحبها لطلب العلم ويدعوها لاحترامه واستثماره

ديناً يبيح لها مجال الفكر ويفسح لها ميدان النظر

ديناً يسمح لها بالتمتع باللذائذ البدنية المعتدلة ولا يحرم عليها الا

الافراط فيها

ديناً يفيض على نفوسها روح الحرية ويثبت فى أفئدتها حرارة

الشمم والحمية

ديناً يفضى بالروح الى خالقها ولا يقيم الوسطاء بينهما

ديناً يرحمها فى ضعفها ولا يطلب منها فوق طاقتها ويتنزل معها الى

حيث هي ويعلو بها ولا يعلو عنها  
ديناً يرعى بها أودار الطبيعة ويلاحظ لها أطوار الحياة فيعطى  
لكل دور ما يناسبه ، ويقابل كل حال بما يلائمه

هذا هو الدين الذى يتطلبه الأوساط من الأمم ولا نجد فيما نراه  
من صور الأديان الموجودة للآن ديناً فيه هذه الخاصية وزيادة غير  
الدين الاسلامى . لذلك ترى الأوساط من هذه الأمة أغير الناس على  
دينهم وأحماهم قلباً على كرامة ملتهم ، حتى أنه ليوجد بين أوساط هذه  
الأمة نهضة دينية تشبه من كثير من الوجوه تلك النهضات التاريخية ،  
وقد سرى تيار هذه الحماسة الدينية فى الأفتدة كافة وصار من مقررات  
الرأى العام اليوم أن تأخر المسلمين سببه ترك الدين وهجر تعاليمه ،  
وهو اجماع عجيب فى عصر هجر الدين فيه كل الأمم الراقية والاسلام  
وان يكن حقيقاً بهذا الاجماع وزيادة ، الا اننا نعجب من أن فتنة  
المدنية التى اجتاحت كل عاطفة فىنا كيف أبقت على هذه العاطفة  
الدينية مع معارضة المدنية لها جملة وتفصيلاً .

هذا عجيب فى ذاته ولا علة له إلا أن الاسلام أشودة روحية  
غالية جداً لا تسطوا عليها فتنة مها عمت وطمت ، بل ربما كانت  
الفتنة تبعث النفوس اليها وتأخذ بأ كظام العواطف لهفأ عليها  
كيف لا يكون التفاف أوساطنا حول الاسلام عجيباً وكل شىء  
فى الشرق الاسلامى اليوم منفر من الدين ومبعد من الايمان واليقين ؟  
أمامهم مدينة قامت بلا دين ، بل بنت عظمتها من أنقاض مجد أشياعه

وهي للآن تعمل على اسقاطهم وراحة العالم منهم ، وبين يديهم جرائم ومجالات تدس لهم السم في الدسم ، وتصور لهم العلم الأوروبي في صورة وحش كاسر سطا على العقائد فقوضها ، وعلى التقاليد الانسانية فهدمها ، وعلى كل قديم فأوهى أساسه وتركه خاوياعلى عروشه ، وزيادة عن ذلك فبين أيديهم نفر من شذاذ الآفاق أتوا بلادهم للارتزاق وهم من عدم احترام دينهم بالمكان الأسفل ، وكفى بهم مثالا شيا لامة اصابتها موهات سحر هذه المدنية اصابة أفقدتها التمييز والرشد . اليس اصرار أوساط المسلمين الآن رغما عن كل هذه الحوائل على الدعوة الى الدين والحماسة به يعد أمرا عجيبا مدهشا ؟ نعم والذي هو أعجب من هذا وأدعى للبحث هو ذلك السر الكبير الذي أودعه هذا الدين القويم ، وما منحه من لدن خالق الكون والانسان من تلك القوة الطائلة التي تسمح له أن يقارع بها كل هذه الحوائل الصورية والسواحر المعنوية والفتن الاجتماعية والفردية ويتغلب عليها ، ونكون في القرن الرابع عشر الهجرى أو القرن العشرين الميلادى على الصفة التي نحن عليها ننتظر روحا اسلامية تحل بنا ، وحية محمدية تفيض علينا ، فترجعنا الى مثل ما كان عليه اباؤنا صلاحا وكالا .

لا يمكن أن يكون هذا كله الا لأن الاسلام حاصل على الخصائص التي ذكرناها وزيادة ، ولولم يكن كذلك لما أمكن أن يكون هذا أثره على العقول والعواطف في عصر أصبح فخار أهله فضلا عن شعارهم الطعن عن الأديان والاقرار بتخلصهم من سلطة سائرهما .

هذه الطائفة الوسطى تعترى أفرادها شكوك في بعض مقررات الدين ، ولكنها شكوك مشوبة بعاطفة من الغيرة والحب ، فترى الرجل منهم يشك ويتمنى من صميم فؤاده أن يرزق بمن يزيل له شكه أكثر مما يتألم من فقد ابنه مخافة من أن يفصله ذلك الشك عن أنشودة روحه ، ومطمأن عواطفه وهو الاسلام ، وقد رأينا بأعيننا شاكين يتألمون من وجود الشاكين ، فهم بهذا الفعل المتناقض كأنهم يعترفون في سويداء أفضدتهم بفساد شكهم وحقيقة الدين في ذاته ، وإن كان عقلمهم يتطلب برهاناً من عالم العلم يزدادون به قوة في عالم الاعتقاد ، وهذه سلطة على النفوس قد لا تصادف في متبعي دين غير هذا الدين . يقول بعض المتفلسفين هذا تأثير قانون الوراثة ، وأثر من آثار قوة العادة ، ويغيب عنهم ان لقانون الوراثة حداً محدوداً وسلطة الأوهام العادية نفوذاً معلوماً ، فان الحقائق الساطعة ، بل الحوادث المضلة والفتن المفسدة المستمرة تقف أمام قانون الوراثة حيناً وأحياناً ، ثم تحمل عليه حملة منكرة فتبدد آثاره تبديداً ، وتصل في اندفاعها الى أبعد ما تصل اليه لو كان الطريق أمامها خالياً ، لذلك ترى فجور الفاجر بعد الصلاح أشد وطأة من فجور من نشأ على الفجور من أول مرة على ان هذا القانون الشديد البطش لماذا يصدق على المسلمين دون غيرهم ؟ هاهي شعوب أوروبا لم تقو فيها الوراثة الدينية على صدكتائب الشبه والشكوك فنجحت إلى الاحاد عامتها وخاصتها وجاهر الكل يبنده للدين على حد سواء . بل هذه أمم الشرق الأقصى من الهند الى

الصين إلى سائر الأمم الأخرى سواء كانت أسيوية أو أفريقية مما يستوى في الجمل مسلموها وغيرهم ترى المسلمين ثابتين على دينهم ، مستبشرين بعقائدهم، وترى غيرهم من الوثنيين المجاورين يدخلون إلى ملتهم أفواجا أفواجا بطريقة مستمرة تشبه الحوادث الطبيعية ذات النواميس الثابتة ، فلماذا تشتد آثار الوراثة على المسلمين وتضعف عن الآخرين ؟ ليس لكون سلطان الاسلام على العقول والأرواح قويا جدا يصعب أن لم نقل يستحيل زحزحته عن مكانه ؟

هذا الاثر بعينه ظاهر في الطبقة الوسطى من المسلمين اذا قورنوا بأمثالهم من الأمم الأخرى وهو دليل محسوس على ما نقول من أن الاسلام مطلب كل روح وانشودة كل استعداد وقابلية كما ان هذه الطبقة الوسطى لا تنزه عن شك في الدين كذلك هي عرضة لنفثات المشككين ولكن لا نتيجة لهذه النفثات الا تثبيتهم في دينهم وإن كان ذلك خلاف المتبادر للذهن

ذلك لأن المشككين انما يتصيدون الشبه على القرآن وعلى الداعي اليه تصيدا ، ويتعسفون في صرغها تعسفا بينا ، وفوق هذا كله فانهم يتسلحون لها بسلاح من الاتقاد ماض جدا فاذا تشبعت أحد المسلمين بشبهاتهم وتسلح بتلك الأسلحة الاتقادية في نقد ما يقدمونه اليه من تعاليم دياتهم التي يدعون اليها كرراجعا الى الاسلام رغم أنفه لما يجده أمامه من التناقضات والتعاكسات التي لا تدخل تحت حصر فيرجع للاسلام لارجوع المفضل له على غيره ، بل رجوع الموقن به المتحمس

له تالياً على نفسه قوله تعالى « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله »

ثم ان هذا التشكيك على دين الاسلام من أولئك المشككين يفيد الاسلام من جهة النشر فائدة كبيرة جداً ذلك انا قلنا انهم في تشكيكهم يتصيدون الشبه تصيداً ويستعملون سلاحاً انتقادياً حاداً جداً فيطلع أهل ملتهم بحكم الحال على تلك المقالات الانتقادية الحادة سواء كانت في الحوادث التاريخية أو في الأمور الاعتقادية أو في المعاملات فيكتسب الشاب منهم قوة انتقادية خاصة به تشدد وتضعف على قدر مداركه ، فاذا استعرض معتقداته أمام نظره بذلك العقل الانتقادي الصارم وأشرف عليها وهي على ما يعلم الناس من التناقض والمجافاة لبدائه العقل في أكثر جهاتها رجع والشك الصق به من ظله ، فلا يجد له محيصاً إلا السكوت على مضمض ، وإلى متى ؟

بهذه الصفة ترى أن هؤلاء المشككين يخدمون الدين الاسلامي أجل خدمة ، وان كانوا لا يتوهمون ذلك ولا يضطرب في خيالهم ولو كان في بلادنا إحصاءات . لرأينا أن عدد الداخلين في الدين الاسلامي في هذه الأيام الأخيرة التي انتشر فيها أولئك المشككون يزيد يوماً بعد يوم ، وهو وان كان لا ينتشار العلم أثر كبير في احداثه لأن العلم يبعث الانسان نحو الحقيقة دائماً ، الا أن لأولئك المشككين أثر ، يذكر ايضاً فانهم بتشكيكهم يوقظون العواطف النائمة ، ويبعثون الشبه الكامنة ، ويجعلون المسألة الدينية في مجال



البحث والمجادلة ، وكفى بهذا الجهاد محرصاً لساكنين منهم على ترك دينهم والمجاهرة بزعة يقينهم .

قلنا ان هؤلاء المشككين لا يكسبون من وراء جهادهم شيئاً غير تثبيت المسلم في دينه ، ونصبه مناظراً لدودا لهم ينقض بنيانهم ويفض حائلهم لأن المسلم ان شك في دينه لجأ الى النظر والاستدلال واعتصم بالعلم والبرهان ، وكل هذا من أصول ديانته وقواعدها ، فهل يسمح له أهل دين آخر بأن ينظر ويستدل أو يستشهد بالعلم والبرهان على أصل من أصول العقائد .

اذا تقرر هذا علمنا أن الطبقة الوسطى من المسلمين يستحيل عليها أن تصبأ عن دينها الى دين آخر وأنها أثبتت بدينها عن نظيراتها لدى الأمم الأخرى ، وهذا ما قدمناه من أن الاسلام أنشودة كل فطرة ، ومطمأن كل عاطفة ، ومطلوب كل استعداد وقابلية .

### العلماء والدين

أريد بالعالم هنا : العالم العصري الذي تركزت في مداركه صورة مصغرة من معلومات هذا الجيل على اختلاف أصولها وفروعها ، وتجلت له بكل شدتها وهولها . تلك المعارك القلبية الصارمة التي حدثت بين حفظة القديم ، وأنصار الجديد في القرن الماضي ، والذي سبقه .

أريد من صنف العلماء الموما اليهم من سلمت نظرهم من

الطمس ، وظهرت جواهرهم من خبث العماية الجبلية . فاننا في بعض كتبنا قسمنا الفطر الى ثلاث : فطرة مؤمنة ؛ وفطرة كافرة ، وفطرة جامدة . لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء . فأريد هنا من العالم : العالم السليم الفطرة المتلألئ الوجدان ، فهو الذي اقصده ، وهو المستحق لهذا اللقب الفخيم بأخص معانيه ، بل هو الذي يصدق عليه أنه صورة حية من حال القرن الذي يعيش فيه . أما غيره فلا يريك تلك الصورة الاناقصة مشوهة .

الدين روح كلية مستولية على سائر الأرواح الجزئية استيلاء البحر على احيائه السابحة فيه ، لكل روح منه قسط يناسب مداركها ، ونصيب يوافق شعورها ، ويلائم استعدادها ، ومن أنكر الدين في ذاته ، فقد أنكر أكبر أرواح الوجود تأثيرا ، وأقواها على العالم تساطاً ، وكان كالعاقمة الصغيرة . تسبح في القطرة ، وتنكر البحر الذي يشملها ، أو كالبعوضة . تمرح في جو الحجرة ، وتجدد الجو الذي يحملها .

قلنا الدين روح شاملة تأخذ منها كل روح على قدر حالها وقد درسنا حظ الجاهل من الدين وحظ الطبقة الوسطى منه في الفصلين المتقدمين ، وهنا ندرس حظ العالم منه .

أخص صفة من صفات العالم العصري ( الاقرار بالجهل ) حتى حدد الأستاذ ( ايزوليه ) المدرس ( بمدرسة فرنسا ) العلم بقوله ( ان علومنا هي الجهل المرتب ) وتدحلل الفيلسوف الانجليزي ( هربرت

سبنسر) العلم الانساني في كتابه (الأصول الأولية) فأحاله الى درجة العجز المطلق أمام ادراك كنه أصغر ذرة من ذرات الوجود وقرر أنه لا يكسبنا في الامام بأشياء الوجود الادراك علاقتها ببعضها وصفاتها الخارجة عن كيانها وكنهها.

إذا تقرر أن الاقرار بالجهل هي صفة العالم العصري وان العلم الحالى قد بث هذه الروح في نفوس أهله، قلنا ان كل دين لا يكون من أوليات أصوله ومبنى قواعده ما يلائم هذه الروح التي اكتسبها العالم العصري من العلم الحاضر فلا يصلح أن يكون له ديناً. بل أن كل دين لا يقول للانسان « وما أوتيم من العلم الا قليلا » ولا يعترف له بقانون الترقى بالنص قائلاً له « وقل رب زدنى علماً » ولا يريه أن المعلومات غير قابلة للانتهاء وان الانسان بازاها شيء صغير كقوله تعالى « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً » قلنا كل دين لا يواتى الانسان من جهة هذا الميل لا يصلح أن يكون ديناً للعالم العصري بوجه من الوجوه .

أ كبر مسألة متسلطة على الفؤاد الانساني هي مسألة العقيدة بوجود الخالق . مسألة تتولى الانسان من أول شعوره بالعالم حتى كأنها قطعة من فؤاده أو كأن فؤاده قطعة منها . فلا يزال يترقى في الشعور بها حتى ينتهي لأن يعجب من نفسه في عدم استقرارها من هذه المسألة عند حد، وكيف يقف منها عند حد وهي مسألة الخالق جل جلاله.

الذى ليس كمثلته شئ.

قد كشف العلم العصرى لذويه من أحوال الأمم البائدة أو العصرية الجاهلة في درجات مداركها من هذه العقيدة ما يريك بالحس كيف يعبد الانسان خياله وكيف يجسم وهمه . صورت كل أمة الخالق تقديست صفاته على قدر عقولها وعلى حسب قوة خيالها حتى لو أردنا إيراد مذاهب كافة الناس في هذه العقيدة للزمن أن نفردها مجزئاً كبيراً ثم لانستطيع حصرها بالضبط . أفلا يعذر العالم العصرى أمام هذه الأفكار بل الأوهام المختلفة أن لفظها كلها الى عالم الخرافات والأضاليل وحكم عليها حكمه الصارم الذى يرهبه اتباع الأديان الباطلة في كافة البلدان ؟ اذا كان العلم العصرى قد كشف لذويه بالدلائل العيانة أن الانسان قاصر عن ادراك ذات المادة وأنه جاهل جهلاً مطلقاً حتى فيما يدعى معرفته ، فكيف يشرئب الى زعم تصوير الخالق بصورة ذهنية ، ويتعالى الى الحكم على ذاته وصفاته بحكم ليس له عليه دليل مشاهد ؟ لاجرم ان كل دين لا يقرر فى أوليات أصوله معجز الانسان عن ادراك الخالق ووجوب وقوفه عند حده كقوله تعالى « ليس كمثلته شئ » « يعلم ما بين أيهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً » لا يصلح لأن يكون ديناً للعالم العصرى مطلقاً . بل لا يريح بال العالم العصرى ويقطع هو اجسه الا دين ينص له مانصه له العلم من أن كل تلك العقائد أوهاام وظنون وان الحق وراء ذلك كقوله تعالى « إن يتبعون الا الظن وإنهم الا يخرصون » « إن هى الا أسماء سميتوها

أتم وأباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان» «وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا»  
وإذا أن العالم العصرى يرى من العلم أن يقر بعجزه عن إدراك  
خااق الكون كذلك يرى من العلم أن يقر بقصوره عن ادراك كيفية  
خلق الكون وان لم يكن ذلك الادراك من المستحيلات عليه . وكيف  
لا يقر بقصوره وكل يوم يكتشف من قوى الوجود ما لا كان يحلم به  
ويرى بعينه أن مجال البحث بعيد الاكناف ومجاهيل الوجود لا تدخل  
تحت حساب وتبرهن له المكتشفات كل حين بأنه كان جاهلا وأنه  
لا يزال كذلك حتى يأذن الله له بشيء من الفتح لا يضطرب فى خياله ؟  
من هنا يرى العالم العصرى أن العلم متبع ناموس الارتقاء وهى  
حقيقة لا يمتري فيها انسان فلا يجب أن يكون دينه الذى يدين الله به  
واقفاً بالعلم عند حد ، أو حاكما عليه بحكم . بل يرى أن الدين أجل  
من أن يتبع العلم فى دور من أدواره السابقة أو اللاحقة لانها كلها  
ناقصة باعتراف الحس والمشاهدة . فكل دين من هذا القبيل لا يصلح  
أن يكون دين العالم العصرى ، فهو لا يرضخ الا لدين يقول له « ويسألونك  
عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » إشارة إلى أن ليس من  
وظيفة الدين إلا الحقائق الأولية لا المعلومات الناقصة الجزئية ويقول له  
« قال فما بال القرون الاولى قال » أى موسى « علمها عند ربى فى  
كتاب لا يضل ربى ولا ينسى » إشارة الى أن ذلك ليس من وظيفة  
الانبياء حتى يسألوا عنه ، بل هو مما يفتح الله به على بعض المشتغلين به .  
ترى العلوم التاريخية للعالم العصرى حال أهل الأديان كلها

في اختلاف وشقاق واقفين مع مفاهيم الألفاظ متشاكسين في مضامين  
الكلمات ، منقسمين فرقا وأحزاباً يكفرون بعضهم بعضاً ويمزق  
بعضهم أحشاء بعض . يرون هذا شائعاً في أهل كل دين على حد سواء  
غير مقصور على قوم دون قوم ، فيرون أن ذلك كله ليس من الدين وإنما  
هو من الأهواء والنزغات فلا يرضى العالم العصرى أن يدين الله إلا بدين  
يقول له « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء »

ترى الفلسفة الانتقادية التاريخية للعالم العصرى ان كتباً قد كتبت  
لدى أهل كل دين على حد سواء ومثلت بالمقالات الطويلة الذبول في  
الكلام على الخالق وصفاته وأحواله وعلى مذاهب المخالفين لهم مما  
يستوجب الردود المستفيضة ويستدعى المجادلات العنيفة في مواضع  
يستوى الجميع في جهلها ، ولا يفضل بعضهم بعضاً في العجز عن ادراكها ،  
فيرى العالم العصرى ان كل ذلك ليس من الدين في شيء ، وان هؤلاء  
الناس انما يتناقشون فيما وصلوا اليه من العلم ، وانتهت مداركهم اليه من  
الفهم ، ولا اثم عليهم في شيء من الجدل ، لولا أنه جدل في الدين أقاموه  
باسمه وروجوه بسطوته ، فلا يرضى العالم العصرى إلا بدين يقول لأهله  
« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي  
أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »  
دين يقف صاحبه على الناموس الطبيعي في اختلاف المدارك  
وتباين القابليات لادراك الحقائق كقوله تعالى « إن تدعوهم لا يسمعوا  
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا

ينبئك مثل خير »

يرى العالم العصري من استقراء التاريخ أن حوادث اجتماعية كبيرة وانقلابات سياسية وحرية هائلة حصلت على أثر ظهور رجال حفظ التاريخ أسماءهم للآن ، ظهروا في أمم مختلفة ، وأزمنة متعاقبة متحدنين في الوجهة متوافقين في الغاية ، يظهر أمرهم أولاً ضعيفاً حينئذ يقوى ويشدد ، ولا يزال كذلك حتى تصير كل قوة بازائهم ضعفاً وكل مقاومة استسلاماً ، وهم في زمان قوتهم كما في زمان ضعفهم كبراء الأئمة لا تستخفهم المموهات الأراضية واللذات الوهمية ، أحرار لم تأسرهم فواتن الدنيا ولا سواحر الحياة ، مسلمين وجوههم لله لا يخافون بطش جبار ولا سطوة غاشم ، داعون إلى سبيل الله لا يفترون ولا يملون ولا يضعفون ولا يجبنون ، جسوم آدمية وأخلاق ملكية ، قد وسع الناس حلهم وعلمهم ، واتسع لكل صدرهم ووجههم ، فقراء ولكن تستخذي الملوك أمامهم ، حلما ولكن ترتعد العتاة بحضرتهم . هؤلاء القادة العظام الذين برهنت أفعالهم على صدق أقوالهم ، وجاءت الحوادث مؤمنة على دعائهم ، اتحدوا كلهم على القول بأنهم رسل الله إلى خلقه ، وأمنته على أسرار وحيه ، وأن بينهم وبين العالم العلوي صلة مستمرة ، ومدداً لا ينقطع ، وأنهم جاءوا للأرواح بنورها وللعقول بريحانها ، وللأئمة بمطلوبها ، وللصدور بشفائها . رأى العالم العصري هذه الحوادث الكبرى في التاريخ يتلو بعضها بعضاً كأنها سلسلة متجانسة الحلقات فلم يسعه إلا الاعتراف لأولئك الرسل الفخام بوظيفتهم وكيف

لا يعترف لهم بها وقد ادعوها وأقاموا الدليل المحسوس على أنهم رجالها وأصحاب تكاليفها بنجاحهم فيما تصدوا له وهو أمر جليل ، وعمل دونه كل عمل .

يرى العالم العصرى نفسه مرغماً على الاعتراف لهؤلاء الرسل بوظيفتهم لانهم قالوا نحن أنبياء وجاءوا لمن بين ظهرانيهم بألوف من الدلائل المؤيدة لدعواهم وقالوا نحن رسل الله ونصبوا الأعلام الواضحة على صدق مدعاهم ، قالوا من آمن بنا نجا ، ومن أعرض عما جئنا به هلك ، فكان ما قالوه رغماً عن تألب أعدائهم عليهم وتمالئهم على إحباط سعيهم ، قال كل منهم إني جئت بشريعة ناسخة لشريعة من كان قبلى أو مكملة لها وفعل كما قال وأيده الله رغماً عن كل معارضة ومنازعة .

هذه آيات يهديها تاريخ العالم الانسانى للعالم العصرى ويجليها له بالاسلوب النقدى التحليلى تجلية لاتدع الناظر شكاً بأن لهذه الطائفة الطاهرة شأناً فى الوجود غير شأن الانسان العادى مما لامشاحة فى وجوب التسليم لهم بما يعزونه لانفسهم من أنهم فى عالم وسط بين العالمين الانسانى والملكوتى وأنهم يشرفون على ما فى الحضرة الروحانية بخاصية وهبهم الله إياها بالفطرة فيرون من أمر الملائكة على ما لا يرى الناس ، ويأتون لنا من ذلك الطريق بمعلومات يقصر العلم أن يتوهمها توهمافضلاً عن أن يتطلع على شىء منها .

يرى العالم العصرى السليم الفطرة أن لامناص من التسليم لهؤلاء الرسل كلهم بكل ما عزوه لانفسهم من المكانات الروحانية والمقامات



الملكو تية لانهم قالوا وبرهنوا ، وادعوا وأقاموا الدليل المحسوس  
نعم يرى العالم العصري أن يسلم لهؤلاء الرسل بشأنهم ولكن  
بدون تعصب لبعضهم على بعض ، وما الموجب لهذا التعصب المستغرب ؟  
كيف يسوغ لمن ينظر في تاريخ الانسان هذا النظر المجرد عن الغرض  
المضل أن يؤمن بجميع الانبياء ويكفر بواحد منهم أو باثنين مع أن  
مثل الكل واحد ، والناموس الذي ساروا عليه في وظيفتهم واحد ؟  
إذا كان هذا التعصب في ذاته عجيباً ، فأعجب منه الهوى الذي  
يحمل بعض الناس على التكذيب بنبوة خاتمهم وامامهم محمد صلى الله  
عليه وسلم مع أنه أقرب منهم اليناعدا وأفعاله وأقواله وأحواله وسيرته  
محافظة في الصدور والسطور تناقلتها الامم عن الامم من عهد مبعثه  
إلى اليوم وهي حاصلة على كل الشروط التي تسمح لاقصى أساليب  
الفلسفة الانتقادية أن تتناولها بحثاً وتنقيها وقد بدا أمره صلى الله  
عليه وسلم عجيباً غريباً كما بدا أمر كل رسول ثم انتهى إلى أن أفرغ  
وانتشر نوره شرقاً وغرباً وأحدث في الوجود تغييراً لم يحدثه أى  
رسول آخر من يحفظ التاريخ اسماءهم فهل يليق بالعاقل أن يسلم  
برسالة كافة الرسل الاخاتمهم وهو على ما نصف الكمن وضوح السيرة  
وقرب العهد ونخامة الآثار وجلالة الاعمال ؟ الا ينجل المكذب  
برسالته من أن يتهم نواميس الحكمة الوجودية وقوانين الحياة الانسانية  
بهذه التهمة الباطلة ؟ هل عهد الناس أن الحكمة الالهية تؤيد المبطلين ،  
وتعلو برأسهم فوق الرؤوس أجمعين ؟ هل عهد الناس ان العدالة الالهية

تنصر المدعين للرسالة ، وترفع من شأنهم حتى يسود دينهم على سائر  
الاديان ويبقى حجة قائمة للآن ؟

الله أكبر ! إذا تشكك الانسان في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم  
فبأى رسالة بعدها يصدق وبأى رسول غيره يؤمن ؟ هذا رسول  
ايدته الحوادث وشهدت له الوقائع ، وأقام الوجود له من دلائل الشهود  
مالا يسع العقل انكاره ، ولا يسوغ للبصيرة جحوده ، فبأى حيلة  
يحمده الجاحد وبأى جسارة يكذب به المكابر ؟

هذه مسألة حلها العلم العصري ولئن كان في الشرق والغرب للآن  
رجال لا يزالون جامدين على موروثات آباءهم ، وواقفين من أمر الانسان  
والانسانية عموما على ما وجدوا عليه أهل بلادهم ، فقد قضى العلم بأن  
هذا تعصب لا يطول أمده ، وقد انقطع مدده ، وأن العلم قد وصل  
بالعلم إلى نقطة عرفه بها أن العالم الانساني عائلة واحدة يجمعها أصل  
واحد ، وهي وان كثرت أفرادها حتى توزعت في أقطار شاسعة واصقاع  
متناثرة الا أنها لا تزال يجمعها ناموس واحد .

هذه الأمم التي تفرقت وتوزعت وانقطع الاتصال فيما بينها قرونا  
مستطيلة فظنت كل منها أنها قائمة بذاتها فكونت لنفسها أديانا خاصة  
سيتهى أمرها كلها لان تتصل ببعضها اتصالا أخويا بضرورة الاحوال  
الاقتصادية والسياسية والعلمية . وقد ظهر أمر هذا الاتصال ولاحت  
بوادره فان الآلات البخارية والأجهزة الكهربية جعلتنا نعرف عن  
أحوال أقصى بلاد الله في الساعة الواحدة مالا كان يحلم آباؤنا أن

يعرفوه في سنة ، بل نحن الآن مرتبطون ببلاد لم تكن معروفة للعالم قبل خمسمائة سنة .

هذا الاتصال بين شعوب الارض سينتهي أمره شيئاً فشيئاً لان يمحو اختلافات الجنسية والقومية والوطنية الذي فرق العالم الانساني لليوم وكان سبباً لكل المنازعات التي حصلت بين جميع أفرادها .

هذا الاتصال يستدعي أن تقوم جميع الامم من الدين على عقيدة يرضى بها الناس أجمعون ، ولا تكون سبباً لان يتشاكس عليها المتعاملون . هذا مالا مناص منه لأن حالة التقرب بين الشعوب تولد الشعور به توليداً طبيعياً حتى أنه لو لم يكن في العالم دين فيه هذه الخاصية لأسس العالم ديناً من هذا القبيل فما بالك وهو موجود وقد شهد له الوجود

قلنا ان الأحوال الاقتصادية والسياسية والعلمية عاملة جاهدة في ربط الامم وإيصالها ببعضها وهل يمكن انكار هذه الحقيقة أحد بعد ما يرى بعينه أن التجارة وهي أخص مظاهر الأحوال الاقتصادية أصبحت أكبر أسباب التعارف بين الامم شرقياً وغربياً متمدتها ومتوحشها ؟ وهل يتجاهل الناظر في الأحوال السياسية العصرية ما أحدثته من اختلاط الامم ببعضها ان لم يكن طوعاً فكرها ، وهل يجحد انسان حق العلم في مساعدة تيسير هذه الغاية البعيدة ، وقد أصبح بمعلوماته الحقبة في التاريخ والعمران والفلسفة أكبر صقال للأذهان العصرية يزيل عنها تلك الاغشية التعصبية التي ركها على مدارك البشر أولئك القادة الذين تسلطوا على الشعوب آماداً طويلة ، فصوروا لهم الحياة بغير صورتها ،

ومثلوا لهم الجمعية البشرية تمثيلا ساقهم اليه الحقد وحب الاثرة والتفريق  
نعم جاء العلم فأرى الناس عموما معنى قوله تعالى « يا أيها الناس  
إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم  
عند الله أتقاكم » فبات محبو الخير العام ينتظرون ذلك اليوم الذي يكسر  
فيه العلم تلك السدد الوراثية التي أقامها القادة في الاجيال الماضية بين  
الامم واخواتها . في ذلك اليوم المنتظر يدرك الناس أجمعون معنى  
( الاسلام ) ومعنى ( خاتم النبيين ) ويظهر من أمر هذا الدين الالهي  
ما يشاء الله أن يظهر مما يكاد اللاحقون يساوون فيه السابقين ، والله  
في خلقه شئون

قلنا ان الامم كلها مسوقة بعوامل الامور الاقتصادية والسياسية  
والعلمية إلى الوحدة سوقا قسريا لا يمكن إيقافه ، وقلنا ان هذه الحالة  
تولد فيها الشعور بوحدة العقيدة توليدا طبيعيا كما تشاهد بوادره الآن ،  
وقلنا ان ذلك الدين العام لو لم يكن موجودا لأوجده الشعور العام  
بحكم الضرورة ، ثم قلنا ان ذلك الدين موجود وهو الدين الاسلامي ،  
فما برهاننا على ذلك ؟

نحن لأجل البرهنة على أن الاسلام جاء لتوحيد الاديان كلها  
وتخليصها من التعصبات التقليدية والغشاوات الخرافية ، لا تتكلف  
أن نسلك مسالك الجدل ، ونعتمد الى أساليب الفلسفة ، لأننا نرى  
ان مجرد تذكر وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كما وصف به نفسه ودعا  
الناس اليه ، يكفيننا مؤونة كل جدل ويرينا رأى العين ان ديننا هو

ذلك الدين الذى يساق البشر اليه سوقا طبيعيا وسينتهى أمرهم اليه  
لا محالة « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق  
أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد »

جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم داعيا الثقلين إلى دين الله الاقوم  
وناموسه الاعظم وهو توحيد الله وتنزيهه والوقوف بهذه العقيدة  
الالهية عند الحد الذى حددها الله به فى المعنى الانسانى فكل ظن وكل  
وهم وكل هاجس يخطر بالبال مما يميل به الانسان لتحديد صفات  
الله تعالى والحكم عليها بقضايا هذا العقل الناقص فهى مردودة على  
صاحبها ليست من الدين الحق فى شيء ، لانها لو كانت من الحق  
لاهدى الناس منها الى النقطة الجامعة ولما كانت سبب الخلاف  
والنزاع بين العالم . أليس افتراق العالم الى مئات من المذاهب فى صور  
هذه العقيدة يدل على أن الجميع انما يغتفون مقالاتهم من عالم الخيال  
والظن ؟ أليس يكفى مجرد هذا الافتراق على اعتقاد أن الداعى اليه  
( وهو توق العقل لتصوير الخالق وتكليفه فى الذهن ) ليس من  
الدين العام فى شيء ؟ وكيف يكون من الدين العام ولم يفرق بين العالم  
فى العقائد عامل أكبر منه .

لو وقف الانسان من العقيدة بالخالق فى الحد الذى يشعر به فى  
معناه الانسانى وهو اعتقاده ان لهذا الكون خالقا عظيما قويا حكيما  
عليا ، ولم يكلف نفسه البحث فيما وراء ذلك لما رأيت فرقا بين  
الايض والاسود من الناس فى شيء ، بل لرأيت عقيدة أعلم العلماء

لا تفرق عن عقيدة أجهل الجاهلاء من هذه الوجهة مطلقا .

جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الى هذه العقيدة الفطرية ويطلب العقول بأن تتخلص من الغواشى الوهمية التى غشاها بها قادة الاديان وهى الاساس الاول لتوحيد دين النوع الانسانى لان النفوس متى لفظت تلك العقائد الوهمية التى اخترعها رؤساء المذاهب وزعموا أنها وحى من الله اليهم استحال الناس الى تلك العقيدة الاولية الفطرية التى هى واحدة عن جميع أفراد النوع الانسانى . ومتى استحالوا الى هذه النقطة استقامت **كل** عقائدهم الاخرى ، واعتدلت جميع افراطاتهم وتفريطاتهم من ذاتها ، كأن التوحيد حصن الروح ، وموئل العواطف ، ومطمأن العقل متى وصل اليه الانسان تأدت قواه ومواهبه الى جانب الامان الالهى ، والسلام الصمدانى

ألم تر أن العرب لم يكن بينهم وهم فى الجاهلية الجاهلاء ، والفتن الصماء ، وبين ما آلوا اليه بعد اسلامهم من المكانات العلى ، والمقامات الكريمة ، الا أن يصلوا لدرجة التوحيد والتنزيه على الاسلوب القرآنى والتعليم المحمدى ؟ لا غرابة ان رأينا هذا الانتقال الفجائى الباهر من جاهلية جهلاء الى ملكية علياء ، فقلنا لا بد من أن يكون لعقيدة التوحيد والتنزيه يد قوية فى احداثه ، ولا عجب بعد ذلك ان بذلنا الجهد فى التحسس من هذا السر الكبير ، والاكسير الشافى « والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين »

نعم ان عقيدة التوحيد والتنزيه تحمل للنفس الانسانية روحا من

الادب لا يقدر على الاتيان بمثلها غيرها مما يتخيله البشر ، ذلك لان هذه العقيدة تؤثر على كل قوة من قوى النفس تأثيرا مناسبا لها من الجهة الخاصة بها فقيمها على صراطها العدل اقامة تحير شيوخ الفلسفة وتعجز أساة الاخلاق ، وان تصغ الى أحدثك بطريقة من هذا الباب تهديك لشيء من عجائب هذا السر .

العقيدة بوجود الخالق أول العقائد التي تولدت بالفطرة في نفس الانسان ، فان شئت فقل انها لازم من لوازم معناه ، وان شئت فقل انها صفة من صفات جوهره ، وان شئت فقل انها شعور روحاني حملته روحه معها من عالمها . هذه العقيدة هي أعطف شيء عليه في مصائبه واحنى آس عليه في نوازله ، يعتصم بها في مخاوفه ، ويلتجى اليها في معاطبه ، ويستسهل بها صعوبات الحياة ومرارات العيش ، ويموت بها مرتاحا قرير العين لتيقنه أن يدا تنتظره لتحمله الى عالم أرقى من هذا العالم وقدرة تختف به تحفظه من عاديات الفناء وجائحات العدم تأمل في أمر هذه العقيدة التي تمس أخص جهة من جهات حياة الانسان وتدبر بأمعان في شعوبها وفنونها السارية من سائر عواطف النفس مسرى الكهرباء في أسلاكها والأشعة على ذرات أثيرها ، ثم دع هذا العالم الباطني واستجل هيكل الانسان الظاهري تر قوى النظر والشم واللمس والذوق والحس مستخدمة ومسخرة لهذه العقيدة أيضا ، فما مناظر هذا الجمال التكويني وبدائع هذا العالم الحسى مما يؤثر على كل حاسة من جهة قابليتها الا مثيرات لهذه العقيدة موقظات لزيادة الشعور

بها. تأمل هذا بامعان ثم تيقن أن كل تغير يحصل في العقيدة بالله  
 مهما كان صغيرا يقع من هذه المشاعر الباطنة والظاهرة موقعا  
 يناسبه، وينزل منها منزلة تلائمها فان كان هذا التغير في الجهة التي تقويها  
 قويت كل قوى نفسه على حسب جهة تلك القوة، وان كان في الجهة  
 تضعفها ضعفت كل تلك القوى ضعفا مناسباً. ونحن لانعني هنا بالقوة  
 والضعف ما يعطيها اللفظان على اطلاقهما، وانما هما قوة وضعف  
 معنويان يديرهما كل من يشعر بقوى ذاته

علينا مما مر أن العقيدة بالخالق جل شأنه مستولية على سائر  
 عواطف النفس وقواها استيلاء تاماً بحيث انها تعتبر المصرة المدبرة  
 لتلك العواطف والقوى على ما يناسبها ويلائمها، وعلينا تبعاً لهذا  
 أن كل تغير وتحوير يحصل في تلك العقيدة يؤثر على تلك العواطف  
 والقوى تأثيراً خاصاً على أشكال لا تحصى ولا تعد

ونحن هنا قبل أن ندرس الأدب الالهى الذى تهبه عقيدة التوحيد  
 والتنزيه لنفس الانسان وجميع قواها يحسن بنا أن نورد هنا صورة  
 موجزة من الآثار التى تحدثها عقيدة وجود الخالق على عواطف  
 الانسان لنعرف بالحس كنه تسلطها عليها جميعها ترشيداً لا ادراك كنه  
 ذلك الأدب الالهى الذى تفيضه عقيدة التوحيد والتنزيه عليها فنقول :  
 القلب يشعر بوجود خالق لهذا الكون البديع أقامه على هذا  
 السميت المدعش، فتهتز في العقل عاطفة تعطفه لان يتعقله ويدركه  
 فيستعين بالفكر فى إيتائه تلك الأنشودة فيجول صاحبنا الفكر فى



فيافي التصورات فيعتضد بالخيال في شطحاته فيليه الخيال بنشاط بعد أن يعد كافة جنوده المعنوية ، فتثور في داخلية الانسان ثورة تتيقظ لها سائر عواطف النفس وقواها لأن الموضوع ماس بها من أخص جهاتها ، فهب الحواس الخارجة أيضاً من سبباتها ، فتتنظر العين إلى أبعد مدى تصل اليه فاذا كلت وحسرت تركت ما بعد قواها لجياد التصور والفكر فاذا تجزأ دعوا الخيال لينفذ الى حيث لم يصل اليه ، وهكذا حتى يصل الانسان لتصوير خالقه بأكمل صورة يشعرها ويهبه من الصفات أكمل ما يدرك أنه كمال ، فاذا ارتقى عقله درجة أدرك أنه وصف إلهه وصوره بما لا يحسن فيصلح من خطاه ، ثم يرتقى عن ذلك أيضاً فيرجع للتغيير والتحوير . وهذا ما تريناه فلسفة التاريخ في جميع أطوار النوع الانساني . وليس هذا موضوع بحثنا فانا انما نريد أن نصور لقارئنا صورة موجزة من صور انفعال قوى النفس وعواطفها لتأثيرات العقيدة بوجود الخالق توطئة لادراك كنه ذلك الادب الالهى الذى تهبه عقيدة التوحيد والتنزيه على سائر تلك القوى والعواطف

( يتبع )

## المحاضرات

لاحظنا أننا كثيراً ما نسأل في نوادينا الخاصة أسئلة كبيرة الخطر جليلة الفائدة فنجيب عنها شفها اجابات لا يحسن اغفالها عن قرائنا

المحترمين لا سيما وقد تسبقها محاوره بديعة تجعل لتلك الاجابات من  
الوقع في النفس ما يثلج له الصدر ويرضى به العقل . وقد كنت أود أن  
أجعل لتلك المحاضرات مكانا من الاسلام في عصر العلم حرصا على  
ما يحىء فيها من افكار جديدة ، ومدركات ثمينة أخشى عليها الضياع  
من الذاكرة مع طول الترك واستحسننت أن أكتب كل محاضرة تحت  
عنوان خاص ، وأعقد لها مقالة انقلها فيها من لسان المخاطبة الى لهجة  
العلم ، الا انى رأيت فيما بعد أن فى ذلك من التعب ما لا يحتمل لاستلزام  
كتابتها الى الزمان الطويل واستيعاب كل واحدة منها جزءا من أجزاء  
الاسلام فى عصر العلم الشهرية فضرت الصفح عن ذلك وعولت على  
طريقة أحسن لنا ولقرائنا وأكفل للاتبان بما نرمى اليه وزيادة ،  
وذلك بانشاء باب جديد فى الاسلام فى عصر العلم نجعل اسمه  
المحاضرات نودعه أكثر ما سئلنا عنه وما اجبنا به ونزيده ما يحتمله  
المقام بما لم نسأل عنه من الخواطر التى تخطر بالقلوب وتدب فى الضمائر  
ويميل صاحبها لان يحددها حلا أو يسمع عنها تفصيلا شافيا . ولذلك  
رأينا أن نسلك لها مسلكا منتظما فنبداه بالكلام على الالهيات وما يتعلق  
بها من معارف وحقائق أو شكوك وشبهه ، ثم تتبعا بالنبوات وما يمس  
من الكلام على الوحي وإمكانه والانبيا وأحوالهم وخصوصاً حال  
خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يتلو ذلك الكلام على  
الروح والخلود والعقل والنفس والادراك والعلم والمدنية وجميع  
ما يرتبط بالمسائل العمرانية الكبرى التى تشغل فؤاد العالم العلمى اليوم

كل هذه المعارف ستأتي على أسلوب المحاوررة بين اثنين ولنا من ذلك غرضان . أولهما أننا بهذا الأسلوب نتغلب على أشد النفوس استعصاء على المطالعة ونجبرها على استيعاب كل ما يكتب في هذا الباب لأن شكل المحاوررة وما سنودعه فيها من الجواذب البيانية والكلامية يقهر الانسان على المطالعة ويجعله يتمنى لو طال الموضوع الى ما لا نهاية، وكفانا ذلك نشرأ لمبادئنا، والفتاى الى نظرياتنا، ودحضا للشبه المستعصية التي تلم بالقلوب وتنشب فيها . والغرض الثانى لنا من الشروع فى هذه المحاضرات هو محاولة الوصول الى سرائر النفوس ، والنفوذ الى ضمائر القلوب للتنقيب فيها على ما أشربته من لفحات الشبه الهائلة ، وما تأثرت به جيشات الشكوك الفادحة التي تستلزمها قشور العلوم العصرية ، وتسلك من النفوس مسالك الخفاء والبطون حتى يكون صاحبها بالعمل على أشد المذاهب الحادا وفتونا ، وهو بقوله يظن أنه على الحنيفية السمحة . وربما ظن فى نفسه أنه أحد الأبدال ، وقطب من الأقطاب ، هذه الشكوك والشبه التي تدق حتى لا تدرك ، وترق حتى لا تتوهم ، لا يمكننا أن نتألفها فى صميم الأفتدة الابهذا الأسلوب التحليلى الذى عقد سميناه بالمحاضرات ، فاننا به توصل ان شاء الله لمناجاة السرائر ، ومناغاة الضمائر ، ومكاشفة النفس بأدوائها بحيث لا نجرحها ولا نجرحها ، والله نسأل أن يوفقنا لتوفية هذا الموضوع حقه فانه من أصعب ما تصدنا لكتابته وهو ولى المؤمنين .

نحن لاجل البدء في موضوعنا تتخيل أن فيلسوفاً عصرياً ممن تركزت في مداركهم ضرورة كاملة من صور العلم بجميع مسائله ومعاضله ، يقابل رجلاً مسلماً وقف من أحوال العالم على كل ما يعنى الانسان صاحب الشعور الحى والفؤاد الصاحى ، وتتخيل أيضاً أنهما تعارفا وترافقا وتعاشرا أياما وليالى وعرف كل منهما من أحوال صاحبه ما يعرفه الآخر من أخيه وسنشير الى المسلم بحرف (م) والى الفيلسوف بحرف (ف)

( م ) — أظن أننا قد وصلنا من صلة المعرفة والمرافقة الى حد يسمح لنا بتبادل النصيحة فما من أحد الا وهو فى حاجة الى الارشاد ممن هو فوقه أو مثله أو دونه ، وأراك قد عاشرتنى وزاملتني وعرفت من أخلاقى وصفاتى وعاداتى ما لا يكاد يطلع عليه غيرك ، ولا أشك فى أنك رضيت من أمورى أشياء وسمخت أشياء كما سرتنى أنا أيضاً منك أحوال دون أحوال ، فهل لك فى مساجلتى البحث فيما يحيك بصدرينا بما لم يرضه أحدنا للآخر لتؤدى لأنفسنا واجبا انسانيا جميلا فى هذا الدور دور الحياة الأرضية ، والفتنة الجثمانية .

( ف ) — لقد كاشفتنى بما كنت أحدث به نفسى ، نعم قد عليك أموراً لا يقر عليها عقلى ولكنك قد أثرت على بلطفك وحسن مراعاتك الدرجة أحب معها أن تبدأنى بما تلاحظه على

( م ) — أشكرك على هذا الادب ولولا انى أرى فى امثال الدعوة معنى لا يقل عن الادب قدرا لنازعتك شيئاً من حقى فى هذا

الجمال الخلقى .

أول شيء الاحتظه عليك عدم ذكرك للخالق الذى فطرك وصورك فارك تقوم وتنام وتكد وتعمل ، وأنت لاه عن حقوق العبودية ساه عن أنشودتك الروحية ، كأنك ممن لا يرضخ لعقبة ، ولا يدين لله بطريقة رشيدة ، وهو أمر لا يتفق مع ما أراه فيك من سمو الفطرة ، وسلامة الشعور ، وسعة المدارك .

( ف ) — انى لأعجب من اتفاق الضميرين لهذا الحد . وأنا أول شيء اتقده عليك مع ما أراك عليه من غزارة المادة العلية ، والتبسط فى المدركات الفلسفية ، والنفوذ لسرائر المذاهب العصرية ، ان تكون كما أنت مسبحاً مصلياً تقوم لاهم لك الا الركوع والسجود ، وتنام ذا كراً الملك المعبود ، وهكذا يتحلل كل حركاتك وسكناتك لهف وشغف يتغير ان بتغير الاوقات والمشاهد فلم هذا الشغل الشاغل والكمد المتواصل ، وأى فائدة تعود على جسمك وعقلك منه ؟

( م ) — الا تعتقد بوجود الصانع جل وعز .

( ف ) — هب أنى أعتقد وجوده فما فائدة تكرير ذكره وما فائدة الصلاة له ركوعاً وسجوداً ، هل هو فى حاجة لذلك منك ، أو ان مدده ينقطع عنى لا يفعل مثل فعلك .

( م ) — الآن تبين لى انك لا تعتقد وجوده ، اذ لو اعتقدت وجوده لما آل بك الحال لقطع الصلة التى تربط المخلوقات به وهو خالقها وقيومها . وبما أن المقام مقام تناصح فأرجوك أن تصدقنى .

( م — ١٢ — ثانى )

هل تعتقد بوجود الصانع ام لا ؟

( ف ) — ماذا تعنى بقولك الصانع . اما ان كنت تعنى به ذاتا متشخصة لها أنصار وأعوان من الملائكة على شكل الملوك الارضيين يأمر وينهى ويصرف الأمور ويدبرها على أسلوب السلاطين المطلقين ، والقادة الأعلى ، فتلك عقيدة لا تحتاج لدليل على أنها بقية من بقايا الأولين ، وأما ان كنت تعنى بالصانع بمجموع النواميس الطبيعية التي يقوم عليها أمر هذا الكون البديع فذلك مما لا تجد من يخالفك فيه .

( م ) — أما نحن معشر المسلمين فلا نعنى بالصانع ما وصفته من شكل الملوك والقادة بل تلك أمور صرفنا ديننا عن تخيلها تخيلا فضلا عن اعتقادها اعتقادا ، ولكنى قبل ان أجلى لك ما عليه أهل ملتنا من هذه العقيدة الرئيسية ، أحب ان أسألك عما أردته بقولك نواميس الطبيعة التي جعلتها قيوما لهذا الكون البديع .

( ف ) — وهل مثلك يجمل معنى نواميس الطبيعة

( م ) — انالا أجمل معناها العلى ومغزاها من حيث تقريب المعلومات إلى الذهن ، فهى فى نظرى آلات تعبيريه ، ووسائل علمية ليس إلا . مثال ذلك : رأينا أن الاجسام الثقيلة متى تركت ونفسها فى الفراغ سقطت إلى الارض فقلنا لاشك فى أن فى الارض قوة تجذب الاجسام اليها وتتجه بها نحو مركزها وسمينا تلك الظاهرة الطبيعية ناموسا طبيعيا . ورأينا أن الكواكب السماوية معلقة فى الفضاء بدون سناد لا يحمّل لها نظام ولا يعتري وحدتها انفصام . فقلنا لامناص

من فرض أن هذه الاجرام مجذوبة إلى الشمس بقوة اصطلاحنا على تسميتها بالجاذبة العامة وسمينا ذلك ناموسا طبيعيا أيضا . من هنا يتضح لك أن مانسميه نواميس هي قضايا ذهنية استنتجها العقل من نسبة بعض الكائنات إلى بعضها وعلاقة الاجزاء فيما بينها ، فهي صفات الموجودات وخواصها . ولوازم المركاب وأحوالها ، فهل يسلم العقل بأن تكون صفات الشيء سبب وجوده وقيام بقاءه . ومن يدعى أن نواميس الطبيعة هي سبب إيجاد الكائنات وبقائها بعد ما اتضح لنا أنها صفات الاجسام وخواصها كان كمن رأى الانسان وهو حي مدرك عاقل حكيم فادعى أن حياته وعقله وحكمته نواميس طبيعية وانها هي التي صورتها وأبدعته

(ف) — هذا تمثيل لا ينطبق على الواقع

(م) — أنا لا أرى فرقا بين الامرين . فان من يستجلى الطبيعة وقواها ويستعرض كائناتها وممالكها ويشاهد عاقلاتها ببعضها ويسمى تلك العاقلات نواميس طبيعية ثم يدعى أنها هي التي صنعت الكون بما فيه لا يفترق في نظري عن جعل صفات الانسان سبب إيجاده ، على أن صفات الانسان من حيث الادراك والعلم والشعور والارادة والاختيار أكمل بما لا يقدر من نواميس الطبيعة . إذ ليس بين تلك النواميس ما يسمى ناموس الشعور ولا ناموس الادراك وهما كما لا يخفى أكمل صفة موجودة في الكائنات

(ف) — انكم معشر الاعتقاديين لا تفارقكم الحماسة كيفما كنتم

وحيثما وجدتم ، وانك لتكلمنى ويخيل لى أنك تتهياً الحرب دينية على مثال ما حدث فى القرون الوسطى . وانى لا أزال أوكدك انى لى غاية الاندهاش من رؤية سطوة العقيدة بفؤاد عالم متضلع مثلك . ولعل هذه أول مشاهدة لى من هذا القبيل ، وهى تؤكد لى ما سمعته من أن العلم الاوروبى الذى جرف أمامه عقائد العالم الغربى أحدث فى المسلمين حركة من الحماسة الدينية تشبه ما كان لآبائهم منها قبل عشرة قرون . ولعل هذه الحماسة هى التى جعلتك تنظر للقضايا العلية بهذا النظر المزرى المستخف ، ولا غرو بعد ذلك ان رأيت العلم حقيراً وتأنجه أحقر منه وضربت بقضايه عرض الحائط كما تفعل الآن .

( م ) — حاش لله أن يحقر المسلم العلم الحق وهو قوام عقيدته وملاك يقينه ودعامة ايمانه ، وانما هو يحقر الظنون والآراء الخالية التى الصقت به زورا وغرورا ويرى نفسه مسوقاً لمحاربتها انى وجدها لأنها هى التى أضرت بعقول البشر وغشتهم وسممت فطرهم بما نفتته فيها من سموم الاحاد الذى لا موجب له البتة ، وهأنا أراك تتكلم باسم العلم ولا تتأخر عن القول بأن الصانع هو نواميس الطبيعة ، فهل نواميس الطبيعة هى غير ما وصفت لك ؟ وهل العلم يبيح لك هذا القول ؟

( ف ) — يرينا العلم بالمشاهدة والحس أن الحوادث الطبيعية مقودة فى حصصها بقوانين ثابتة معينة ، فلا تسقط ذرة ولا ترتفع شعرة الا بسبب معقول تابع لسبب أرقى منه ومرتبط بسائر الأسباب



ارتباطاً رياضياً منتظماً . وكلما ارتقى الانسان في العلم واستشرف من مساتير الكون ما كان محجوباً عنه أدرك نواميس جديدة وأشرف على علاقاتها الاكيدة ببعضها فهو أمام هذه المشاهدات المحسوسة لا يتمالك نفسه من أن يستنتج ان قوى الكون كله نواميس مرتبط بعضها ببعض تنزل عنها الحوادث تنزلاً ميكانيكياً اضطرارياً ، هذا كل ما في الموضوع فان ثلث حدة هذه الحماسة قليلاً رأيت الامر كما أراه جليلاً لا يحتاج لجدال ولا نزاع

(م) — ان ماقلت لك أنفاً يكفيني مؤونة الرد على ما تقول الآن ذلك انك مهما ارتقيت في استجلاء الابداع الطبيعي وسموت في استعراض مساتيره واسراره ، وأشرفت على نواميس لها أعلا وأعم ، فانك لاتزال تشرف على صفاتها وخواصها لا على أسباب ايجادها . ومن العجيب أن يغيب عن مثلك وجه التفرقة بين صفات الشيء وعلته وجوده مع الشاسع بينهما . فان كنت ترانى مغلوباً للحماسة الدينية فالتمس لنفسى بها عذراً أمأنت فلا أرى لك عذراً في هذا الخلط ، ولعله من الحماسة الفلسفية

(ف) — أنا ما قلت لك ان هذه النواميس المشاهدة : هي التي أبدعت هذا الابداع كله ، بل قلت لك انك كلما ارتقيت في علم الكون وجدت نواميس أعلى وأرقى مما يدلك على أن مصرف الكون هي قوانينه ، ومتى ثبت أنها المصرفة له المدبرة لشئونه ، فلا يبعد عن العاقل أن يستنتج بالبداهة انها هي أو نواميس أرق منها قد

صورته على هذا الشكل المدهش ، ولا موجب لفرض قوى وراء الطبيعة . على أنى أعجب كيف تنكر أن صفات الشيء هي سبب وجوده ، مع أنك تشاهد أن مبدأ الانسان علقه صغيرة كونتها النواميس الجسمية فى صلب أيبه ، ثم تولت تلك العلقه نوااميسها ونوااميس الرحم وما يتبع ذلك مما له علاقة بتكوينه وما زال ينمو ويتصور حتى صار كامل الخلق فأثرت عليه نوااميس فاندفع من بطن أمه الى هذا العالم ، وما زالت به القوانين الوجودية حتى بلغ أشده واكتمل عقلا وجسدا ، أليس فى هذه المشاهدة ما يجعلك تعتقد بالحس أن صفات الشيء هي سبب تكوينه وتصويره ، وقس على ذلك سائر الكائنات علويها وسفليها ، جليلها وحقيرها .

( م ) - أنا أعجب غاية العجب من هذا النظر القصير ، لا تؤاخذنى فى هذا التعبير ، لا جرم أن من يعتقد ما تقول كان كالذى رأى تلك الآلة الكبيرة البديعة التى يلقى اليها دقيق وماء فتخرجه بعد قليل خبزا ، فاعتقد أن الخبز نتج بقوى عدد تلك الآلة بدون دخل لمصرف ولا مدبر آخر ، وغفل عن ذلك العقل الكبير الذى اخترع تلك الصناعة المدهشة وأودعها تلك القوى المختلفة وأضرب عن ذلك العامل الذى يمددها بالحرارة التى تدير حركاتها . وبالشحم الذى يسهل دورانها . ألا ترى أن هذا التشبيه منطبق على من يعتقد ما تقوله تمام الانطباق . فانك ان قلت ان النوااميس الطبيعية تتولى الأشياء وتربها من أول ما تكون خلايا ميكروسكوبية الى أن تصير كائناً من

أبدع الكائنات الأرضية ، ووقفت عند ذلك الحد ولم ترد أن تصعد  
بفكرك الى ما بعد هذا المدى القصير ، كنت كمن يظن أن قوى تلك  
الآلة نواميس فاعلة مستقلة ، ويدعى أن الآلة قائمة بذاتها لا تحتاج  
لمن يمدها ويحركها مع أن المشاهدة تدل على خلاف ذلك ، إذ قد تبين  
أن تلك الآلة محتاجة في كل لحظة لعقل المدير وعنايته . وهل هذا  
الوجود بنواميسه المختلفة ، وفواعله الكثيرة ، التي تراها تحدث  
وتربى وتلاشى ، الا كمثل تلك الآلة الضخمة بما فيها من عدد  
ولوالب ومحركات وضواغط الخ وهذه الآلة كما احتاجت لفكر  
المخترع وعقله وعناية المدير ورعايته ، كذلك الكون احتاج الى مبدع  
يبدعه ويحتاج دائماً الى مصرف يصرفه ومدبر يديره هل بعد هذا  
يمكنك الوقوف مع نواميس الطبيعة المجردة ؟

( ف ) — انكم معشر العلماء الاعتقاديين برعتم جدا في العلوم  
الجدلية لأنها اسلحتكم الوحيدة التي تحفظون بها مراكزكم أمام العامة  
والخاصة ، ولكن الوجود يأخى غير متبع في تركيبه وتشكله وبقائه  
أو تلاشيه قوانين العلوم المنطقية ، وقواعد الفلسفة الكلامية ، ولو كانت  
عويصات المسائل تحل بمثل هذه الوسائل لصحت جميع الديانات  
الوثنية الموجودة على سطح الكرة الأرضية ، لأن رؤساءها كلها من  
أبرع الناس في الكلاميات ولم يؤسسوا مذاهبهم الا على قوانين منطقية  
معقولة لديهم ، ولو ظللنا في مبحثنا جارين على هذا الأسلوب الجدلي  
لأفينا أعمارنا ولم نصل لنتيجة .

( م ) — انا ماجادلتك الا للوصول الى فهم مادعيته من أن الصانع جل وعز هو نوا ميس الطبيعة ، وأظن أن لي الحق في استيضاحك ما يهيم على من كلامك والافتكون أنت واقع فيما تنعيه على غيرك ، وإذا كنتم معشر أنصار الفلسفة الحسية تقولون مالا يمكنكم شرحه ، وتستندون على مجاهيل يقف العقل أمامها خاسئا حسيرا فما فضلكم على من يعتقد مالا يعقل ، ويسجد لمالا يوجد .

( ف ) — انا ان كنت عجزت كما تقول عن شرح ما أبديته لك فذلك لأنه من قبيل مالا نعلم ولم يصل العلم البشرى اليه لمساسه بمبدأ الخلق وأصل التكوين ، وليس بعار على الفيلسوف أن يقف حيث انتهى اليه علمه ، ووصل اليه فهمه ، منتظرا ما يفتح عليه من مساتير الخليقة فيوالى السير للأمام ولكن يبطء وتحفظ لكيلا يرتطم بما يضلله ، أويته فيما يجمله . اما أتم معشر الاعتقادين فتهجمون على المجاهيل الكبر تهجم العارف بها المحيط بسرائرها ، وتتحكمون عليها نقضا و ابراما وسلبا وإيجابا كأنكم أمتتم شر الخطأ ، أو تزهرتم عن الخاطب والخبط ، هذا ما جعل مذاهبكم تعد بالألوف وكلها في تشاكس وتنابد لا ينقطع مددهما ولا تغيض مادتهما ، بخلاف أنصار العلم واتباع الفلسفة الحسية ، فكلهم على طريق واحد على اختلاف البلدان واللغات وتعدد المناحي والاتجاهات . الاتخذون لكم من ذلك عبرة

( م ) — هذه النعمة لا تفارق أنصار الفلسفة الحسية في كل محاولاتهم وقد جعلوها حصنهم الحصين في الهروب من وجه الحجج المفحمة ،

والدلائل الملزمة ، فما نقرأ لهم كتابا علمياً في أى موضوع كان الا وتجد فيه هذا الدرس في كثير من أبوابه كأنه رقية سحرية ينفثونها في أذهان أصدادهم فتقلبهم الى جهتهم ، وقد رأينا كثيرا من الناس متى أصغوا الى هذه المقالة التي تختلف لفظاً على حسب أساليب الكتاب وتحد معنى ومغزى ، قطبوا وجوههم واهمين أنها أصابت منهم المقتل ، وبلغت بهم المقطع مع انها قضية كلامية ، الماديون أحق بها من غيرهم .

انهم يزعمون اننا تهجم على مبدأ الوجود وأصل التكوين ثم نتحكم عليهما فنصدر أحكاما جائرة لا تتفق مع الحقيقة تنزع بنا الى التخالف والمناذرة ، وهو ليس بصحيح فاننا ما عصينا أحكام الحس والمشاهدة في شيء مما ذهبنا اليه . وذلك اننا رأينا وجودا محسوساً فقلنا لا بد له من وجود ، ورأينا ذلك الوجود حيا مترقيا بحكم الصنع مدهش التركيب ، فقلنا لا بد من أن يكون موجوده حيا عالما قادرا حكيما الخ ، وهذه الاحكام كلها مستندة على الحس والواقع . أما ما نشأ من الخلاف فهو في تحديد هذا الخالق وتكييفه وهو من شهوات العامة واهوائهم . اذن لسنا في شيء من التهجم ولا التحكم . أما أنصار الفلسفة الحسية فقد تهجموا وتحكموا . أما تهجمهم فلزعمهم ان الكون قديم لا أول له وادعائهم قيامه بنواميسه المجردة ، وأما تحكمهم فلا دعائهم قيام هذا الوجود المدهش بنفسه وبمحض فعل تلك النواميس الميكانيكية ، وذهابهم مذاهب السفسطة والخيال في تعليل وجود الحياة من نواميس ميتة ، والعقل من فواعل مجردة منه والابداع التكويني من عوامل لا تدرك الجمال ولا معناها ..

الا يعد هذا من التحكم الشائن الذي يجب أن يتنزه عنه العاقل ؟  
 ( ف ) - ان الذي يسوقنا لما تسميه تهجما وتحكما هو اندفاعكم  
 أتم ، فانكم بمقالاتكم وكتاباتكم في هذه الامور وطنطتكم بنتائجها  
 تلجئونا الجاء لان نقف لكم في الجهة المضادة لجهتكم لنستدرجكم الى  
 التأمل والاعتبار . أما لو كان أمر العالم لنا وحدنا لما وجدتم لهذه  
 المسألة ذكرا في كتبنا البتة ، لانها مما لم نصل بعد اليه

( م ) - لماذا ؟ أليس في فطرتكم الانسانية ما يدفعكم للوقوف  
 على أخص ما يمس حياتكم الشخصية

( ف ) - الاحبذا ! ولكن من لنا بهذا . ان أفئدتنا لتسلب ناراً  
 للوصول الى أصل الحلقة والعلة الأولى في التكوين ولكن كيف  
 السيل والمجاهيل تحوشنا في كل مكان ، والمسائير تدهش منا الأذهان  
 ( م ) - اذن أتم أشوق الناس للوصول الى ذلك السر ولكنكم

تستوعرون الطريق وتتوقعون التعويق

( ف ) - هذا أمر لا يحتاج لتأكيد

( م ) - اذن أتم من هذه الوجهة مسلمون مع فارق لا يكاد يكون  
 ولكنكم لا تشعرون

( ف ) - وكيف ذلك وقد حدثت مبادئنا بعد ظهور الاسلام  
 بأكثر من ألف ومائتي عام ، وما هو كنه ذلك الدين الذي يأخذ ذويه  
 بهذا الأدب العلمي الصارم ؟ بل كيف يسمى ذلك الدين دينامع علمنا  
 بأن الأديان تعطى لنفسها حق حل سائر رموز الكون فهي لاتدع

مسألة من المسائل الاوتبدى عليها أحكاماً نهائية لا يجوز لها النقد ولا يحسن فيها الأخذ والرد  
 ( م ) — أين أنت من الأدب الاسلامى الذى أفاضه الله على فؤاد  
 الآخذ بهذا القرآن الكريم . « يتبع »

### ما وراء المادة

كتب الكاتب الفرنسى الطائر الصيد ( جول بوا ) فى جريدة  
 ( الطان ) الباريزية الشهيرة الصادرة فى ٢١ يونيو من هذه السنة يقول :  
 « ان أحدث المخترعات العلمية من أول التلغراف اللاسلكى  
 وأشعة رنتجن إلى خصائص الراديووم والأشعة المعتمة ، وموت صاحب  
 الخوارق المدهشة الدكتور ليبولت حديثاً ، تستلفت أنظار العالم  
 دائماً الى التنويم المغناطيسى والسحر والعلوم السرية والحوادث  
 الروحية لمذهب استحضر الأرواح . »  
 ثم قال : « ان ما حدث من أنواع الشفاء بالتنويم المغناطيسى مما  
 يكاد يعد معجزة ، وما حصل من الفوائد من فن التلقين بالاستهواء ،  
 وما يشاهد من فوائد الاعتقاد وثبات الارادة ، والمحاورات المدهشة  
 بواسطة التليياتيا ، ومسائل الاحساس بالمستقبل وقراءة الأفكار ،  
 وظهور شبح الانسان فى مكان بينما يكون هو فى محله لم يتحرك ،  
 واستخراج القوة الحيوية من الجسد ( وقد توصلوا الى رسمها وقياسها ) ،  
 وما يراه الإنسان من الغيوب فى النوم والأنباء بالامور المستقبلية ،

والخوارق الحاصلة من الوسطاء والفقراء الهنود التي هي في الغالب صحيحة صادقة كل ذلك يتكون منه مجموع هائل من حوادث ومشاهدات يستحيل على الانسان أن يزدريها وأن لا يعبأ بها بل ان من أوجب الواجبات بحوثها وفحصها من قرب ثم نشر نتائج هذه المباحث بين العالم جميعه وعدم تركها في أيدي سمناسرة الاحتيال والحقى « ثم استأنس الكاتب لكلامه بجملة كان نشرها الشاعر الشهير ( فيكتور هوغو ) في هذا المعنى . ثم قال :

وقد عمل الناس بهذه النصيحة فان جمعيات المباحث النفسية في لوندريه ونيويورك وألمانيا وإيطاليا وروسيا مؤلفة من طبيعيين وأطباء وكيميائيين وعمرانيين وفلاسفة والكل مهتمون غاية الاهتمام بهذه المسائل الجذابة التي طالما هزى بها الهازنون وزرى عليها الزارون ، وقد تأسست في باريس نواد مخصصة للمباحث النفسية والمباحث النفسية الفزيولوجية حصلت من علماء النفس الرسميين على مساعدين مثل ( دارسونفال ) و ( بوشار ) و ( ميزير ) و ( بويسون ) و ( متسكينكوف ) و ( بيريه ) و ( جيار ) و ( سوللي برودوم ) الخ وبذلك فقد أصبح مستقبل هذه المباحث بملاحظة هذه العقول الكبيرة سائر أعلى دستور علمي ومأموناً عليه من الخطأ . وبناء عليه فهؤلاء العلماء الأعلام والمفكرون العظام سائرون في تحقيق أمنية الشاعر ولكن يبطله ونظام . «

من هنا يرى القارىء أمرين : أولهما ان هذه المدهشات أصبحت شغلا شاغلا لكبار العلماء في العالم المتمدن كله خلافا لما يذهب اليه بعض الكتاب عندنا وليس بعد ما نقلناه عن جريدة الطان وهي من أشهر



الجرائد الأوروبية بقلم كاتب من أشهر كتاب فرنساويين مقال لقائل في هذا الموضوع . ثانيها ان شرة الاحاد الاوربي قد انكسرت وأصبح عباد المادة لا يحIRON جوا بامام هذا السيل العرم من الخوارق للعادة الذي لم يدع مكنا الا وتسرب اليه وأشرف عليه . حتى أصبحنا ننتظر من علماء المدينة الاجهاز على البقية الباقية من صنم الاحاد والجمود وكان ذلك أولى بنا وأوجب علينا . وباليتنا نسير مع السائرين ولكن متورونا وقفوا مع الواقفين ، كأنهم أحفاد أولئك الماديين وباليتمهم وقفوا ساكتين بل جمدوا وتبطين صادين ، كأنه يضرهم ان يثبت فيما وراء المادة عالم آخر ، ويؤذهم أن يكون الانسان ذا روح تحيا حياة أبدية ، فليقفوا أولمشوا ان الله ناصر رسله ومؤيد دينه ومحقق وعده والسلام على من اتبع الهدى .

إليك ترجمة بعض تجارب نفسية أجراها الكولونل العلامة ( دوروشاس ) ناظر مدارس الهندسة في باريز وهو من كبار المشتغلين بفن التنويم المغناطيسي في العالم وله فيه تجارب بعيدة الغايات بديعة النتائج . نقلت هذه التجارب المجلة الروحية الصادرة في هذا الشهر « سبتمبر سنة ١٩٠٤ » تحت عنوان

« قهقرة الذاكرة وخاصة معرفة المستقبل » قال :

« علم الناس من زمان مديد أن خاصية تذكروا الحوادث الماضية في الانسان تقوى وتنضبط جداً في بعض أحوال خاصة لاسيما في أخريات لحظات الحياة ، وقد شاهدت أخيراً أن من الممكن الحصول على هذه

الخاصية بالتجربة بتنويم الشخص بواسطة الاشارات الطولية . بهذه الوسيلة يمكن التطواف بالشخص على كل أدوار حياته السابقة . ومتى أثر عليه المنوم بالاشارات العريضة وصل به الى حالته العادية ماراً على حوادثه الماضية بالترتيب حتى يصل الى السن الذى هو فيه فان أمعن فى العمل أوصله الى سن الشيوخة وبلغ به عكس ما بلغ أولاً أى انه بالفعل الأول يصل به الى سن الطفولة تدريجاً وبالفعل الثانى يصل به الى ما سيصل اليه من سن الهرم »

« اذا كان الشخص صاحياً وأثر المنوم عليه بالاشارات العرضية أى بالاشارات المهرمة ، هرم الشخص شيئاً فشيئاً وتغلغل فى حوادثه المستقبلية ، فلأجل ارجاعه الى سنه الأصيل يجب التأثير عليه بالاشارات الطولية التى تلاشى آثار الاشارات الأولى »

« قد تحصلت على هذه التجارب بطريقة واضحة جدا على شخصين وهما أنا مورد بعض تلك المشاهدات من سجل التجارب الخاصة بها . ولزيادة البيان أذكر القارىء بأن الحوادث المغناطيسية تولد عند أكثر الناس سلسلة من أدوار ليتارجية ( الليتارجيا حالة شبيهة بالموت ) تتعاقب مع أدوار الانتقالات النومية كما تتعاقب النوم واليقظة فى الحياة العادية وفى حالة الليتارجيا كما فى حالة النوم العادى يسمع الشخص بقوة أو بضعف ولكن لا يستطيع الكلام ، وهو فى حالة الانتقال النومي من جهة الحالة الطبيعية كما هو فى حالة اليقظة غير أنه لا يحس احساساً جليدياً »

## ( الحالة الاولى مع مدام لمبير )

ذكر أنه بدأ تجاربه مع مدام لمبير ، ونجح في قهقرة ذاكرتها تدريجاً حتى مر بها على جميع أدوار حياتها السابقة الى أن أوصلها إلى الحين الذي كانت فيه جنينا في بطن أمها ، ثم أصدد ذاكرتها حتى تذكرت نفسها لما كانت روحاً مجردة على هيئة كرة من نور سابحة في الفضاء ، ثم عكس الأمر فأثر عليها بالاشارات العرضية بقصد التغلغل بروحها في حوادثها المستقبلية ، فما زالت روحها تتنقل بها من دور الى دور حتى وصلت الى سن الهرم ، وشعرت بما ستكون عليه قبل أن تصل إليه . فطلب اليها الأستاذ أن يهرمها ، حتى تصل لدور الموت المنتظر لترى كيف يكون حالها فيه فأبت .

## ( الحالة الثانية مع جوزفين )

وصف الأستاذ ( جوزفين ) بأنها خادمة عمرها ١٨ سنة في بيت أحد معامليه ممن يعتقدون بالأسبر ترم ، وأن لها حساسية شديدة وأن صحتها جيدة الخ الخ ، ثم قال : « لما رجعت إلى ( فوارون ) عدت إلى التجارب ذاتها مع ( جوزفين ) بدون أن أكشف أحداً بأعمالي في باريس . الجلسة الاولى . . أتمتها بواسطة الاشارات الطولية للحصول على قهقرة ذاكرتها ثم أيقظتها بأشارات عرضية ، فلما عادت الى حالتها العادية ورجعت اليها مداركها أدمت التأثير عليها بالاشارات العرضية بحجة ايقاظها كلية . فلم يمر الا دقيقة أو دقيقتان حتى قالت لي انى شارع في

تويميما بدل ايقاظها ، فكلفتها أن تترك نفسها بدون أن تخشى شيئاً ، فاعتراها دور ليتارجيا مكث عدة ثم استيقظت منه في دور انتقال نومي ، فسألته عما اذا كانت لم تنزل عند المسيو . س (هو سيدها الحالي) فأجابت بالسلب قائلة انها تركته من منذ ثلاث سنين لترجع الى بلدها في م ... وأنها الآن لدى أهلها ولها من العمر ٢٥ سنة ( مع أنها الآن لا تتجاوز ١٨ سنة ولكنها ترى مستقبلها )

فأثرت عليها ثانياً بإشارات عرضية فاعتراها دور ليتارجيا كانت في أثنائه في غاية السكون ، ولكن لم يمض الا قليل حتى لاح عليها ألم شديد جدا ، فأدارت وجهها وخبأت يديها ، وبكت بكاء مرا حتى ان مدام . س . تأثرت من فعلها غاية التأثير وانسحبت الى غرفة أخرى فلما وصلت الى الدور التالي وهو دور الانتقال النومي ظهرت حزينة كئيبة كما كانت ، فسألته عما أصابها ، فلم تجب ولفتت وجهها كأن بها حياء من شيء فأعملت الظن والحديس في سبب آلامها وقلت لها لعلك تزوجت الآن فقالت : « لا ، انه لم يرد مع أنه وعدني الزواج بي و وعد أصريحا فقلت لها أخبريني عن اسمه وانا اجتهد في التأثير عليه واقناعه . فأجابتنى قائلة : انك لن تصل الى غاية معه واني قد بذلت استطاعتي فلم أنجح » فعلمت منها انها لم تنزل في بلدتها وان سنها بلغ ٣٢ سنة وانها أصيبت بما أصيبت من منذ سنتين ، ولم أنجح في معرفة اسم الذي تيمها لما رأيت حالتها من الكرب الذي أثر علينا جميعاً لشدة وقعه و ظهور فداحته أعدتها الى حالتها العادية بالاشارات الطولية وهي مارة

على الأدوار المتعاقبة من الليتارجيا والانتقال النومي  
الجلسة الثانية . — أعدت أعمالى السابقة فقهقرت ذاكرتها أولاً  
بالاشارات الطولية ثم سرت بها نحو المستقبل بواسطة الاشارات  
العرضية ، فاعتراها بعد الحالة الاعتيادية دور من الليتارجيا فيه هدو  
ثم استيقظت وهى فى سن ٢٥ سنة فى بلدتها ، ثم اعترها دور ثان  
من الليتارجيا بالآلام وخجل كما مر ، ثم استيقظت ثانياً فى سن ٣٢ سنة  
فذكرتها بعلاقاتنا السابقة فى ( فوارون ) وأقنعتها بأن تتقبنى ، فلفظت اسم  
مريمها بارتباك وإذا به شاب من الزراع فى بلدتها اسمه ( اوجين ف . )  
وأنها قد جاءت منه بولد ( ١ ) فزدت التأثير عليها فاعترتها ليتارجيا ثم  
أعقبه انتقال نومي ثم استيقظت فى سن ٤٠ سنة ، ساكنة ببلدتها م . . .  
وهى فى غاية الحزن وعلمت منها أن ابنها مات قبل قليل وان  
( اوجين ف . ) تزوج باخرى .

فزدتها تأثيراً فاعتراها دور رابع من الليتارجيا أعقبه دور رابع من  
الانتقال النومي واذا بها فى سن ٤٥ سنة معاشها خياطة القبعات لأحد  
الخياطين ، وجدتها مكتئبة جداً وليس لديها علم بسادتها الأولين ،  
وعلمت منها أن لويزه أصدق صديقاتها فى ( فوارون ) قد كتبت لها  
ثلاث خطابات ثم قطعت المكاتبه .

فزدتها تنويمياً بالاشارات العرضية المهرمة وكنت قد تعبت فسألتها

( ١ ) بحث فى تلك البلدة فوجدت أن هذا الشاب موجود بها الان ولد سنة ١٨٥٨ من عائلة

فلاحة مثرية .

بعد جملة دقائق من دور ليتارجيا ظاهرية عما إذا كانت قد تقدمت أدواراً عديدة الى الامام ، فأجابت بأنها الآن في غاية الهرم والشيخوخة ، وأنها عائشة بمجد جهيد بفضل خياطتها ولكن الآن نسيت شيئاً من آلامها السابقة فكلمتها عن الموت وسألتها عما إذا كانت تود أن تعرف ماسينالها منى تركت هذه الحياة . فأجابت بالايجاب ، فقلت اذن يلزمنى أن أزيدك هرما فقاومت كثيراً ثم لما أكدت لها أنى أعيدها الى حالتها الراهنة رضيت ورضخت . عند ذاك زدتها اشارات عرضية ، فلم يمر إلا دقيقتان أو ثلاث دقائق حتى رأيتها انقلبت على ظهر كرسيا بآلام شديدة جداً ثم خرت إلى الأرض واعتراها النزاع وسكرات الموت ، فزدتها مغطسة لأجاوز بها هذا الدور الشديد ولكي أسألها ، فماتت فرأيتها غير متألمة بل ولم تر أرواحاً وأمكنتها أيدان تتبع جنازتها ودقها وتسمع ما صار يقوله الناس عنها كقولهم « الموت أولى بهذه المرأة المسكينة فليس لديها ماتقيت به نفسها » ورأت أن دعوات القس لم تغدها فائدة تذكر ولكن دورانه حول تابوتها كان يمنع احتفاف الأرواح الشريرية وشاهدت أن الأفكار الاسبريتية التي تعلبتها عند سيدها القديم قد أنفعتها جدا لأنها أعلمتها بحقيقة حالها .

فلما وصلت بها إلى هنا لم أر حسناً أن أبعدها عما وصلت اليه فاعدتها إلى حالتها الأصلية بالاشارات الطولية ، فأحدثت الظواهر التي مضت ، ولكن بطريقة عكسية فانها تقهقرت حتى هرت إلى دور النزاع ، ثم منه إلى علاقتها بذلك الرجل .

﴿ اعذار وعدة ﴾

طراً علينا في هذين الشهرين ما حال بيننا وبين طبع الملازم الشهرية للإسلام في عصر العلم ، فنعتذر الى حضرات قرائنا عن هذا التأخير ، ونرجوا الله أن يقدرنا على تنظيم مواعيده بعد الآن ، لاسيما وقد أعددتنا له مطبعة خاصة أمام نظرنا ، وأصبح بذلك تحت رقابتنا وملاحظتنا ، وانا في هذا المقام نقدم جزيل الشكر والامتنان لحضرات القراء الغيورين الذين ساءهم هذا التأخير فكتبوا لنا يستنبئوننا عن السبب ، فجزاهم الله خيراً ، وإنا نعدهم تلقاء هذه الأريحية ببذل غاية الجهد في تكميل موضوعنا وتحسينه وسيرور بعد اليوم إن شاء الله ما يسرهم حساً ومعنى .

﴿ الأدب الذي تفيضه عقيدة التوحيد والتزير على المسلم ﴾

لا ينكر علينا اليوم أحد أن العرب بعد أن كانوا من الجاهلية على حال من الخلل الاجتماعي والخلقي لم يمكنهم من الصعود في مراقب العمران درجة واحدة ، أصبحوا فجأة بواسطة الروح التي بعث الله بها رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أمة دانته لها الأمم طوعاً وكرهاً وآلت إليها خلافة الله في الأرض قروناً طويلة كانت في خلالها حاملات لواء العدل والعلم والحرية والمساواة والرقى الصورى والمعنوى بأخص معانيها .

إذا تقرر هذا فلا مناص من التسليم بأن لهذا الرقى الفجائى سرا كبيرا أتاهم من تلك الروح الكاملة العالية التى تنزلت عليهم وما تنزلت عليهم تلك الروح الا لما استنزلوها بما أشربوه من عقائد وخصال . من هنا كان البحث فى اسرار عقائد الاسلام هو الطريق الصحيح المؤدى الى ادراك تركيب ذلك الاكسير المحمدى الطاهر ، ولما كان التوحيد والتنزيه هو أكبر ما جاء النبى صلى الله عليه وسلم لتقريره للعالم الانسانى ، فلا شك فى أنه القانون الجامع لأسرار ذلك الاكسير كله ، وأنه العنصر الفعال فيه من بين سائر عناصره الأخرى التى هى بمثابة المساعدات لفعله ، العاملات على أثره . وهانحن شارعون فى بحث هذا الموضوع الجليل على الأسلوب التحليلى والله ولى المؤمنين التوحيد هو أن توحيد الله فى ذاته وصفاته وأفعاله ، ومعنى ذلك فى اصطلاح المتكلمين كما جاء فى كليات أبى البقاء « إن للتوحيد ثلاث مراتب : مرتبة ( توحيد الذات ) وهو مقام الاستهلاك والفناء فى الله فلا موجود الا الله ، ومرتبة ( توحيد الصفات ) وهو أن يرى كل قدرة متفرقة فى قدرته الشاملة ، وكل علم مضمحلا فى علمه الكامل ، بل يرى كل كمال لمعة من عكوس أنوار كماله ، و ( مرتبة توحيد الأفعال ) وهو أن يتحقق بعلم اليقين أو بعين اليقين أو بحق اليقين أن لا مؤثر فى الوجود الا الله . »

وأما التنزيه فهو أن تنزهه سبحانه وتعالى عن مشابهة الخلق وان تتبرأ من كل ما يجيش بصدرك من الميل الى تكليفه وتصويره ، وان



تسد نافذة الخيال في مجال التفكير فيه ، وان تعتقد قلبا وقالبا بأنه الحى القيوم اللطيف الخبير « ليس كمثل شيء » « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً » « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار » وان كل سعى تبذله في تصوره بصورة ، وكل جهد تعمله في الوقوف له على ماهية أو كيفية أو كمية ، ضائع سدى وذاهب عبثا ، وان تجزم جزما لا تردد فيه ان « كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك »

لهاتين العقيدتين أثر على نفس معتقدهما من جهة التأديب النفساني والتكميل الخلقى لا يدرك خطارته الا من أشرفت عليه لمعة من نوره وحفت به نفحة من جلاله . فهما اكسيران الهيان ، وروجان سماويتان ، تنزلان من النفس الانسانية منزلة الشمس من سماها فطردها من دياجير الرعونات البشرية ، وتزيل من ادران المقتضيات السفلية ما لا تستقل بوصفه الأقلام ، ولا تتطلع لمداها الافهام ، كما سترى له شيئا من التفصيل .

قلت إن لهاتين العقيدتين أثرا على نفس المعتقد بهما ، وأريد بالمعتقد من يدل عليه اللفظ بمعناه الصحيح ، لا من ألصق نفسه بالعقيدة وادعاها ، فان أصل معنى ( اعتقد الشيء ) صدقه وعقد عليه قلبه وضميره ، وقد تسامح الناس في هذا المعنى حتى أطلقوه على الذين يتوهمون أنهم معتقدون وما هم كذلك في الواقع ، وما هم الا قوم ورثوا عن آباؤهم تينك العقيدتين بعد أن طال على آباؤهم الأمد ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، فأخذوهما عنهم لفظا مجردا ، وحشروا

أنفسهم بذلك في مصاف أهل التوحيد والتنزيه أسما ، ثم تركوا أنفسهم عملا وفعلا لأهوائهم ، وأهواء آبائهم من قبلهم مما ينافي تينك العقيدتين ويجافيهما ، وسموا ذلك ديناً لهم جروا عليه أحقاباً وقرونا فجمدوا عليها جمود الانسان على صفاته الموروثة ، وعاداته المألوفة ؛ فان نههم الى ذلك مستشكل قابله بحشوم التأويلات ، وقذفوه بسيل من القياسات والتشبيهات حتى يفحموه أو يهجروه ، وليس هذا يبدع في أصحاب العقائد بل هو مقتلهم الوحيد ، وجهة ضعفهم التي يتسرب منها اليهم التشييت والتبديد « وماربك بظلام للعبيد »

نريد بالمتعقد بهاتين العقيدتين من عقد عليهما قلبه ، ووقف عليهما عقله ولبه ، فسرت أنوارهما في أعماق سرائره ، ونفذت سيالاتهما المحيية الى طويات ضمائره ، وبات وهما أدخل في نفسه من نفسه ، وألصق بمعناه من سائر همه .

لاجرم أن المعتقد على هذه الصورة يحس في نفسه آداباً عظيماً ، ويأنس من ذاته بجايائها فخماً ، تنشأ فيه نشوءاً طبيعياً ، وتنبع من جوهره نوعاً ذاتياً ، فلا يلبث ان يكون فاضلاً وهو لا يدري معنى الفاضل في عرف الحكمة الأخلاقية ، ويصبح حكيماً وهو لا يدرك تحديد الحكمة في الاصطلاحات الفلسفية ، وهل يغير هذا البيان يستطيع الباحث ان يفسر سرعة تطور العرب من الجاهلية الجاهلاء ، الى المدنية الأديية العليا في أقل من ربع قرن ، وهي مدة لو كانوا قلبوا فيها البيوت مدارس وأتو العرب بكبار فلاسفة الرومان واليونان والفرس لما كانوا

يستطيعون أن يطلوا ما كانوا مغرمين به من شرب الخمر ، وهو أقل مصائبهم خطراً فما بالك بتلك القوة التى كرهتم ( بدون مدارس ولا فلاسفة ) فى الخمر والميسر وطلب النار وحب الانتقام والغارات والانقسامات والتفاخر بالآباء وعدم المساواة وهضم حقوق النساء ودفن البنات أحياء الخ الخ من المصائب الاجتماعية ، والبلايا الأخلاقية ، ثم ان اضفت لهذا ماتلاه من رقيهم السريع وقيامهم بخلافة الله فى الأرض قياما أدهش الحكماء وحيير العرفاء ، وأرغم معاطس العتاة ، وطأطأ جباه المتألهين الجفاة ، وهم شرذمة معدودة ، وآحاد محدودة لعلمت أن هذه قوة القوى وأن الباعث لها من العقائد لا بد من أن يكون ناموسها الأكبر وملاكها الأعظم .

أنا هنا لا أريد أن أسوق البراهين الطبيعية الدالة على وحدانية الله تعالى وتزهمه عما يشاكل مخلوقاته ، وعلوه على كل ما يخاطر ببال أحد من عباده ، فان الكون بجملته وتفصيله يدل على هاتين العقيدتين دلالة لا تحتاج لاجالة نظر ، وأعمال فكر ، انما الذى أريده هو أن أشرح ذلك الأدب الالهى الذى تفيضه تانك العقيدتان على المعنى الانسانى فقلبه انسانا سويا على مقتضى القلب الفطرى والنموذج الالهى بدون علاج من كتب الأخلاق ، ولا رياضة من قانون الفلسفة ، ولو كنت واثقا من صحة وجود اكسير الكيمياء الذى يقال انه يقلب المعادن ذهبا ، لقلت ان هاتين العقيدتين تشبهانه من حيث استيلائهما على جوهر الانسان ونقى التلونات العارضة عنه ، وسبكه سبكا جديداً على

مقتضى قانون ليس في قدرة العقل الحوم حول تفاصيله .  
 من وجد الله فقد اعتقد أن « لا اله الا الله » ومن اعتقد ذلك  
 رسخ في ضميره عقائد تتبعها ، وانجلى عنه أوهام لا تتفق معها . أما  
 ما يرسخ في ضميره من العقائد التي تتبعها فتيقنه بأن لا معبود إلا الله ،  
 ولا محي إلا الله ، ولا ميت إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، ولا حارم  
 إلا الله ، ولا نافع إلا الله ، ولا ضار إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،  
 وان لو اجتمعت الانس والجن على أن ينالوا أحدا بخير فلن يستطيعوا  
 ذلك إلا باذن الله وتقدير الله ، وان أجمعوا على أن يصيروه بشر فلن  
 يطيقوه إلا بقضاء الله وحكم الله ، وان كل ما دون الله وجود حائل ،  
 وظل زائل ، وما يشاهد من أفعال الناس وحركاتهم مما ينسبه  
 قصر النظر اليهم ، فهي نسبة مجازية ، وأمور اصطلاحية . أما هم في  
 الحقيقة فآلات منفعة ، وحوادث متصرفة ، لا يملكون لأنفسهم نفعا  
 ولا كسبا ، ولا يستطيعون لغيرهم شرا ولا ضرا ، ملوكون لقدرة لا تحد  
 بحد ، ولا تقاس بعد ، فما مثل الملوك في أهبتها وتعاضلها ، والقادة في  
 تكبرها وتغشمرها أمام هذه القدرة المحيطة بالأكوان ، التي لا تحدها  
 الأذهان كمثل الضعفاء في مسكنتها ، والبسطاء في خمالتها وعجزها .  
 لو عقد الانسان فؤاده وعقله على هذه العقيدة ، وأبعد عنه شياطين  
 التاويلات وأبالسة التحريفات ، تنزلت على فؤاده من عالم الكمال الالهي  
 صفات عالية وخصائص سامية ، تستدعيها الحالة التي آل إليها ذلك الفؤاد  
 من التجرد والصفاء كما يستدعي الملزوم لازمه ، وكما يطلب الموصوف

صفته ، وأول ما يهب عليه من عالم النفحات القدسية عاطفة الاستقلال والحرية تنزل عليه هذه العاطفة من اعتقاده أن لا معبود ولا نافع ولا ضار ولا رازق الا الله وأن لا حول ولا قوة الا بالله فيحس أنه والكل سواء ، فما الملوك في قصرها ، والكبراء في ثروتها ورياشها الا مثله مربون مملوكون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، فيسقط من ذهنه صنم الوهم الذي يخيفه منهم ، ويدعوه للتحكك بهم ، لثقتهم أنهم آلات منفعة لقوة الله وتأثيره ، واشباح تروح وتجيء بأمر الله وتسخره ، فيرى أنه حر ليس لأحد عليه سلطان في أى أمر كان ، وانه والعالمين في مستوى واحد من حق الوجود ليس لأحد عليه ميزة في الحقوق الانسانية ، وأن القانون الذي يجب أن يشملهم هو وجميع أفراد نوعه هو قانون العدل والمساواة ، لا قانون التمايز والمحابة ، ويتحقق أن ما طرأ على العالم من مصيبة الخضوع للقادة المطلقين والسادة القاهرين الجبارين ، هو تسامح الناس في حقوقهم الشخصية وخضوعهم لقوتهم الوهمية التي تريهم أن قادتهم من طينة أرقى من طبيعتهم ، فتراهم مسوقا سوقا اضطراريا لأن لا يسلم بتحكم روح على روحه ، ولا بعدوان أحد على حقوقه ، فلا يرضخ لمسيطر يميل لتسخيره في أهوائه ، وتصريفه في شهواته ، هذه الروح المستقلة تدفعه بطبعها لمعاداة كل من يعارضها من نبي نوعه سواء كانوا من المدعين للوصاية الروحية ، الملتصقين بالوظائف الدينية . أو من الذين يريدون اغتصاب السطة الدينية ، وصراف الأمة الى أحكامهم الاستبدادية ، فهو من هذه الجهة من ألد

أعداء المتألمين ، وأشد أصدقاء المستبدين ، من أى قبيل كانوا وبأى صبغة ظهروا ، فلا تذله ما يبذله الملوك من كواذب الألقاب ، وجواذب الوسامات ، ولا تأسره ما يأتيه به مدعو السلطة الروحية من فواتن الأوهام ، وخوادم الأحلام ، لما يرى فيها من العدوان على استقلاله ، والذهاب بحريته وكماله .

تخيّل امة يكثر بين آحادها الموحدون الصادقون ، ثم انظر كيف تعدم فيها تانك السلطان الضارتان : سلطة الملوك المطلقين ، وسلطة الرؤساء الدينيين ، وهما السلطان التان نخرتا عظم الانسانية ، وبلغتا من هضم حقوقها الى زعم أن لا وجود لها مع وجود رؤسائها وان حياتها فانية فى حياتهم .

نعم تعدم هاتان السلطان وينعدم معها ما يتبعها من نقص فى نظامات الحكومة ، وجور فى قوانينها ، وامتيازات بين رعاياها ، واستئثار من طائفة منها بالسلطة الروحية ، مدعية حق الهيمنة على ارواحها وعقائدها ، مما دعا ويدعو الى امور تستقر العواطف الساكنة ، وتوقظ الفتن النائمة ، وتجر الى كراهية السلطة ومجافاة الدين بالكلية هرباً من أولئك المغتصبين ، وحالة العالم كله شاهد بما نقول .

هذا وحده أثر عاطفة الاستقلال التى يشعر بها الموحدون بحكم عقيدتهم ، وأعظم به من أثر . أما ما ينشأ عن التوحيد من عواطف أخرى فما لا يستقل باستيفائه كتاب ، كعاطفة الشمم وكبر الفؤاد التى تنتج من اعتقاد الموحد وتيقنه بأن لا رازق ولا حارم إلا الله فتراه

أنى الفؤاد عزوف النفس لا يداهن للبلوك والامراء ، ولا يتقرب الى الأغنياء ، لتيقنه ان الذى أعطاهم قادر على أن يعطيه أضعاف ما عندهم ، ان أراد ذلك ووقفه له . فان هم به خاطر رغبة الى الصعود لتلك المراكز الدينية وجه وجهه شطر من يده الاعطاء والمنع راغباً اليه أن يهبه من القوة والأهلية ، وان يوقظ في ذاته من عوامل النجاح فى مراميه القصية ، ما يذل به صعاب الحوائل ، ويسنى له منال الوسائل ، فان نال مناه ، وبلغ مداه ، زاد بالحق يقينا ، وفي مذهبه تمكينا ، وان أخفق سعيه ، وأكدى جهده ، اتهم الوسائل التى استعملها ، واستقل القوى التى بذلها ، فزاد فى وسائله تكميلا ، وأمد قواه تنشيطاً ، حتى يبلغ ما قدر له وهو على الهمة ، كبير الفؤاد لم يلق به الجهل إلى مداحض الذلة ، ولم يدهوره الطمع الى مزالق الخسة . « يتبع »

## المحاضرات

« تابع ما قبله »

لم ينته المسلم مما قاله للفيلسوف حتى غشى مجلسهما ثلاث رجال ذوى صبغ مختلفة يجمعهم والمسلم رحم اللغة والدين والمعرفة فانقبض الفيلسوف عند ذاك عن الاسترسال فى المحاضرة وارتأى أن توجل الجلسة الى الغد . فقال له المسلم : لاداعية للتأجيل فانك لو علمت صفات الثلاثة لرأيت أن وجودهم من متمات بحثنا ومكملات موضوعنا ، ولو لم يكن فيهم الا مايريك اتجاه الأفكار المختلفة فى الشرق لكفى

ذلك محبباً لك لمعاشرتهم ولو أمد المناظرة .

(الفيلسوف) أنا ما تقبضت عن الاسترسال فيما كنت بصدده  
الا لعدم الاثقال عليهم ، أما وقد علمت أنهم مشخصو بعض المذاهب  
الشرقية العصرية فن أوجب الواجبات على الآن أن أرحب بهم وأعد  
وجودهم مكملاً لما نحن فيه . فحبذا لو تكلمت بتعريف بمراكرهم من  
الحركة الفكرية عنكم .

(المسلم) - حباً وكرامة ، أما الأول فاسمه (المحافظ) وما سمى كذلك  
الا لأنه زعيم حزب المحافظين عندنا ولا أعنى بالمحافظين زعماء السياسة  
فأنا لم تتمتع بعد بالحكم النيابي وإنما المحافظون عندنا هم الواقفون  
مع كل قديم لا يرون الخير إلا فيه ولا يرجون الحياة الا به ، ولديهم  
أن كل جديد سواء في العلوم العقلية أو الصناعية فصورة مأخوذة عن  
القديم بعد تشويه أحدثوه فيها ، ومسوخ أوقعوه عليها ، فهم هذه الروح  
الخاصة بهم لا ينظرون لمدينة أوروبا الا بنظر الساخر المستحقر ، ولو  
جاءت بالعجب ، وأخذت بأكظام الشرق من كل سبب .

وأما الثاني فاسمه (التممدن) وهو زعيم الحزب المضاد للحزب  
المتقدم . يرى اتباع هذه النحلة أن مدينة أوروبا هي أكمل وأجمل  
مظهر انساني ظهر للعالم بمعنييه الصوري والأدبي ، ووجهيه الكلي  
والجزئي ، فهم عشاق المدنية في كل مجلى من مجالها مستسلمين لأفاعيلها ،  
مستيمين الى دوافعها ، منقادين لتياراتها ، ان وردت بهم مورد لهُو  
يعدو على الكيس والكيس ، أو يسطو على النفس والنفس ، فلا



يعدون ذلك نقيصة فيها بل أحوالات تقتضيها طبيعة الشؤون ، وتستدعيها حالة الارتقاء ، ولديهم أن كل معارض المدنية من نقل أو حكمة أو أو أثر فلا محل له عندهم من أفئدتهم ، لانهم يعدونه معارضاً للطبيعة وكل معارض الطبيعة فزائل لا محالة .

وأما صاحبنا الثالث فاسمه ( المستفيد ) وهو غريم الفائدة يأخذها حيثما صادفها ، وطالب الحكمة يلتقطها انى وجدها ، وقف على شيء من آثار الجديد الساحر ، وذاق جرعا من اناء هذا البدع الباهر ، ولكنه مع ذلك مغرم بالقديم الأسر ، مجل لمعهده الزاهر ، معتقد أن المال اليه وان كابر المكابر ، وسخر الساحر ، ولكنه مع ذلك لا ينكر فداحة الشبه الجديدة ، وخطارة الشكوك الحديثة ، فهو يرى من تمام متاعه أن يحول دونه ودون عبث العابث ، وعيث العاث ، فهو لذلك شاهد كل مجال ، واذن لكل حكمة تقال .

( الفيلسوف ) نعم المجلس مجلسنا . لعمري ان الحكمة لا تنجلي في مجلاها الكامل ، والفلسفة لا تتجلي بحلاها الشامل ، الا باحتكاك العقول بالعقول ، وتلاقى الأفكار بالأفكار ، وتجاول المدارك بالمدارك ، مادام الحق انشودة الجميع وضالهم فلنأخذ فيما كنا فيه :  
قلت لى أين أنامن الأدب الاسلامى الذى يفيضه الله على الآخذ بهذا القرآن الكريم ، نعم أنا بعيد عن ادراك كنه ذلك الأدب ولكن هل يخلو ذلك الأدب عن كونه أدباً دينياً جاء به دين ؟  
( المسلم ) نعم هو أدب جاء به دين .

( الفيلسوف ) هذا خط الانفصال بيننا وبينكم ، فان الدين يبتدىء حيث ينتهى العلم لأن مبناء كشف أحوال ما وراء الطبيعة والتغلغل فى علم ما بعد المحسوسات ، والعلم كما لا يخفى كم لا يخول لنفسه حق الذهاب بالفكر عن عالم الحس فهو مع المحسوسات حيث هى ، يوسعها فحفا وتنقيبا ، ويجهد وراء نواميسها فليا وفحفا ، لا يتعدى دائرة العيان والتجربة قيد شبر ، خوفا من الوقوع فى ما وقع فيه الأقدمون والجهلاء العصريون ، من تجسيم مرأى الخيال ، والاستعباد لبنات الوهم . وما دام الدين يبتدىء حيث ينتهى العلم فما معنى قولك أكاد أكون مسلما لولا فارق ضعيف ، وما هو هذا الفارق الضعيف بعد ما رأيتك هذا الخلاف الجوهرى ؟

( المسلم ) أنا قلت لك تكاد تكون مسلما لولا ذلك الفارق مع على بكل ما قدمته ، ولم أزل مصرا على قولى ، وأزيدك بأنى سأبرهن لك ان شاء الله على أن أصولكم العلية التى تفخرون بها علينا والتى أدتكم الى الذهاب بالابداع الصورى كل مذهب ، موجودة كلها فى ذلك الادب الاسلامى باسلوب أكمل ، ورواء أجمل ، ويصاحبها أدب روحانى مدنيتكم وعلومكم عارية عنه بالمرّة وهما أصلان لا تكمل الإنسانية الا بهما ونراكم مدفوعين اليهما من حيث تشعرون ولا تشعرون ولكنى الآن لو ساجلتك فيما هو الاسلام وما هو كنه ذلك الادب القرآنى ، وروح دينك الأصلين المادى والروحانى خرجنا عن موضوعنا الأصلي ، وطوحتنا الاستطرادات الى مطارح بعيدة من البحث ،

فلنسلك لموضوعنا طريق الترتيب ، ولنردع الكلام في الاسلام الى موضعه

( الفيلسوف ) النظام ادعى لعدم الخطل ، فنعم مارأيت هنا عرضت للفيلسوف جلسة في الغرفة المجاورة مع زائر جاءه فقام بعد أن استأذن فقال ( المستفيد ) :

لقد كنت أتمنى أن يشهدني الله مثل هذا المشهد الفلسفي الحافل بالعلم والحكمة ، لابل هيأما في صدرى ، وأشقى علة في فؤادى ، فأحمده على أن وفقنى لوجدانه ، وأجلسنى بين أقرانه ، وكيف لأمتلىء سروراً وغبطة وأنا أتوقع أن تستعرض أممى سائر الأصول الفاسفية والعلمية في معرض جدل خال من التعصب ، وحوار نزيه عن الغرض

( المحافظ ) رويدك أيها الأخ الصالح ، فهاهى الفائدة التى تتوقعها من نفاث صدر هذا الملحد المظلم الفؤاد ، وما أغنى عقلك عن الالتياث بما يقذفه من فيه من الشبه والتشكيكات والاشكالات

( المستفيد ) ان تلك الشبه التى تخافها على موجودة في ذهن من هو أقل ادراكا منى وقد نفثتها في الأذهان ألسنة الحال ، لألسنة المقال ، والافما سبب انصراف الخاصة والعامة عن الدين ، والانسجار بباطل هذا البدع المشين ؟ وانى أرجو فى جاستى هذه أن أعرف صور هذه الشبه بلسان المقال وأسمع الردود الداغمة عليها من صديقنا المسلم

( المتمدن ) أنا كما يعهدنى كل من يعرفنى أحب الحرية والتدريج بكل ما يجيش بصدري ، لهذا أرجو أن مأسافو له لا يقع من صديقنا

صاحب هذه المناظرة موقع المشاركة والخط من كرامته، وكفاكم دليلاً على الاخلاص اني معتقد ما أقول . أنا ارتأى ان نفض هذه المناظرة وتخلص منها بالتى هي أحسن ، لئلا نستهدف لاستصغار ذلك الفيلسوف بنا وامتھانه لنا حين يقذفنا بحججه العلية الدامغة ويرشقنا بسهام أدلته الانافذة ، ويستظهر علينا بسطوة العلم الأوروبى وبطشه فلا نحير جواباً ولا نطبق خطاباً . فمن ذا الذى يتصور أن يفوز أنصار الدين على زعماء الفلاسفة الأوروية وقد شهد الوجود على ان ذلك محال تلك سنة مضت ، وأدوار حدثت وانقضت . ونحن الآن فى عصر العلم . فمن رضخ لسلطانه تبجا ومن عرض له صفحته وقاوم أحكامه هلك

( المستفيد ) ان شأنكم معشر أنصار المدنية الأوروية عجيب لا يكفيه التعجب ، لقد غلوتم فى أ كبار سطوة العلم ، والرهبة من صولته حتى تصورتموه أسدا كاسرا بحيث لا يقركم على فكرتكم هذه أهله أنفسهم ، فان العالم الأوروبى ذاته يجعل أكبر مفخرة للعلم العصرى انه متواضع يقر بالاقلال . ومخلص يرجو الكمال

لم يكذبتم المستفيد جملته حتى دخل ( الفيلسوف ) فقال :

هلم ، فقد أدبت ماوجب

( المسلم ) تبين لى ممامر أنكم وفقتم مجهوداتكم ، وقيدتم مدارككم على عالم الحس ، لاتعدونه الى ماوراءه ، وما أضيق هذا المجال على الوجدان ، الدائم الجولان ، الذى لا يرضيه حد فيلتزمه ، ولا يقنعه مرمى فيسكن اليه

( الفيلسوف ) نعم هو مجال ضيق ولكن بالنسبة لشطحات الخيال وجولات الأوهام ، التي لا تقيد بقيد ، ولا تطالب بدليل ، أما بالنسبة للعقل الذي طبع على أن يحاسب ويحاسب فهو ميدان لا يتناهى ، وباحة يضيق عنها ذرعه ، وان هذا العقل كلما تذكر أنه بعد جهاده في عالم الحس أوفوا من الأعوام لم يحصل منه الا ما لا يجمل به أن يفخر به علم أنه في وسط بحر خضم حافل بالمجاهيل والأسرار ، زاخر بالبدائع والآثار ، وهذه الذكرى تثنيه عن طلب المزيد ، وهل يطلب المزيد الا من بلغ المدى ، وأشرف على الغاية

( المسلم ) في الانسان قوى مختلفة ، وقابليات عديدة تستدعى كل منها بلوغ الغاية مما خلقت لأجله ، وطبعت على تطلبه ، ولا شك في أن هذا العالم الحسى يواتى مطالب كثيرة لبعض تلك القوى والقابليات الانسانية بما أودع فيه مما يناسبها ويلائم فطرتها ، ولكن مما لا مشاحة فيه أن البعض الآخر من تلك القوى والقابليات يبقى أمام هذا العالم الحسى وهانا مضطربا يطلب أنشودته فلا يجدها ، ويبحث عن رغيته فلا يصادفها ، فهل يعقل أن الطبيعة تواتى حاجة بعض القوى دون البعض الآخر ؟

( المستفيد ) اسمحوالى أن اقترح عليكم اقتراحا تدعونى اليه سماحتكم وذلك أنكم معشر العلماء لما منحنموه من بسطة المدارك ، وسمو القرائح ، تعلو عباراتكم عن أفهام الناس حتى ان العربى منها قد يكون أعجميا عند أهل اللغة وأرباب البيان ، لكثرة ما تودعونها من الاشارات

( م - ١٤ - ثانى )

الخفية والمرامى الفلسفية ، فأرجو أن تاذنوا لى فى استيضاحكم كل ما يغم على من أقوالكم ، فأرجو الآن مثالا محسوسا على ما قاله حضرة الأخ المسلم

( المسلم ) فى الانسان مطالب جسدية كالمأكل والمشرب وغيرهما ولكل منها من عالم الحس مرتع هنىء وميدان وسيع ، وفيه رغائب عقلية كميله الى ادراك المجهولات واستنباط الخفيات ، والوقوف على الأسباب والمسببات ، وهذه الرغائب لها أيضا من الابداع الوجودى والنظام العالمى مسرح باهر ، ومرتاح زاهر ، ولكن فى الانسان غير هذين النوعين من المطالب أنشودات روحية ، وضالات نفسية ، مثل غرامه بمعرفة سر حياته ، وبما يؤول اليه بعد مماته . هب أن رجلا نال من نعيم الجسد مالا يرجو معه مزيدا ، ومن شهوات العقل مالا يبلغ شأوه مزاحم ، غرق فى الخيرات المادية ومملوء من النظريات والبداءة العلية ، ثم ادركه الهرم وقارب أن يفارق أهله وولده ، ويغادر معارفه وبلده ، ويدس الى حفرة يستقنر أن يمر بها ، ويستوى الاشراف عليها . فهل تغنى عنه وهو فى تلك الحالة حالة السماح بحياته المحبوبة ، والبكاء على ما سيتهى اليه أمره بعد قليل ، فهل يتصور أن الطبيعة ( فى اصطلاح الفلسفة ) تهب لاميال الانسان المادية والعقلية مطالبها بهذا السخاء العظيم ، ولا تهب ما يهدى اضطرابه على أحب محبوب لديه ، وأكرم موجود عليه ، وهى حياته الشخصية وما يتعلق بها ؟

( الفيلسوف ) ان الانسان بميله الى معرفة حظه بعد انتهاء حياته يريد أن يدرك ما وراء الطبيعة المحسوسة ، ولما لم يكن له وسائل تمكنه من ذلك فهو يسلط عليه فكره وخياله ، ولا يزال عاثماً بين سراب تينك القوتين حتى يتهى وجوده على حالة من الأحوال ، فهل تود أن نطلق لأنفسنا عنان الخيال فيما لم نوهب آلة الوصول اليه ، ونكون كأحد الملل والنحل التي كونت كل منها على عالم ما وراء المادة سفرأ ضحماً بل أسفاراً كلها كلام في كلام وأوهام في أوهام ، وهل ذلك يقنع العقلاء ويليق بالعلماء ؟

( المسلم ) انا لأطلب منك الا أمراً واحداً وهو أن تعترف لي بتلك المطالب الروحية ، فإذا أقررت بوجودها كان لي كلام آخر في شأن وجود عالمها أو عدم وجوده

( الفيلسوف ) ماذا تعني بالمطالب الروحية

( المسلم ) أعني بها تعطش الانسان لمعرفة سر حياته ، وما يناله بعد مماته ، وغرامه بالخلود بأخص حالاته

( الفيلسوف ) اذا كان حب الانسان لكشف الأسرار الكونية ، ورفع الحجب الوجودية أمراً لا يحتاج لدليل ، فهو من باب أولى أكثر حبا لكشف سر ذاته ، والاشراف على ماسيناله بعد مماته ، أما غرامه بالخلود فهو أمر مشاهد لا يحتاج لبيان ، ولكن هل كل ما يحبه الانسان ، داخل في حدود الامكان ؟ اذن لصحت سائر الأديان ، على ما فيها من بطلان ولتحققت سائر الأهواء الانسانية وأصبح الهوى برهاناً يستدل

به الفيلسوف ويتوكأ عليه المتجادلون  
 (المسلم) لاتعجل بالاستنتاج ، فاني ماطلبت اليك الا الاعتراف  
 بغرام الانسان بمعرفة سر ذاته ، وحظه بعد حياته وقد اعترفت بهما .  
 الآن أسألك كيف أن الطبيعة التي لم يعهد الجراف في عملها وصنعتها  
 قد وهبت الانسان هذا الشغف الهائل بذاته ، ولم تهبه مايطغى لهيبه ،  
 ويبل من غلته ، مع أنه أكبر شيء يهيمه في وجوده ، واخص مايعنيه  
 من شؤونه

(الفيلسوف) ان الطبيعة لم تهمله من تلك الجهة فقد دلته باطوارها  
 وأدوارها ونواميسها على أن تلك الطلبة من المشتبهات الهوائية غير  
 الممكنة ، ومتى علم الانسان أن مطلوبه مستحيل أفلح عنه ،  
 (المسلم) إن جوابك هذا غير وجيه ، إذلا يتصور أن الطبيعة  
 تشعر كائننا من كائناتها بحاجة شديدة جداً ثم تريه بعد مضي آلاف من  
 السنين بواسطة علم النواميس أن تلك الحاجة غير موجودة . إذأأجعت  
 إنسانا حتى اشتدت به سورة السغب ثم عرفته بأن الغذاء مستحيل  
 وجوده ، فهل يقلع عن طلب الغذاء بمحض تلك المعرفة ، وهل يستطيع  
 أن يقاوم تارات ألم الحاجة زمناً مديداً ؟

(الفيلسوف) قد شبهت الحاجات النفسية الأديية بالحاجات  
 الجسدية المادية ، واستفدت من ذلك التشبيه فائدة التأثير على الاذهان  
 القرية المدى السهلة التأثير ، فلاسله لك جدلا لا طالبك بالبينة  
 الواضحة على ماتقول ، فانك لم تسمح لنفسك بالاتيان بهذا التشبيه ،



والانتصار لما أنت بصدده هذا الانتصار الحماسي إلا وأنت عارف  
بسييل الوصول لاشباع تلك الحاجة النفسية فتكرم بها غير مأمور ،  
فكلنا طالبها وهائم بها

( المسلم ) يظهر لى من لحن كلامك وروح إقائك أنك لم تكلف  
نفسك عناء البحث عن هذه الطلبة الروحية قط

( الفيلسوف ) أوكد لك إني مررت في أثناء نظرى في الفلسفة على  
أكثر ما كتبه فلاسفة اليونان الاقدمون وعلماء الدين في القرون  
الوسطى ، وعلى ما كتب في عصرنا الحاضر أيضا من هذا القبيل  
بواسطة اللاهوتيين المحدثين ، فمائلج صدرى ولا اطمانت خواطرى  
لشيء من ذلك ، بل الذى لاحظته أن كلام الجميع يقبل النقد  
ولا يستعصى على التعقب ، والسبب في ذلك ظاهر ، وهو أنهم بعقولهم  
المحدودة يودون حصر حقيقة الحقائق في دائرة التعبير ، والوصول  
للسبب الاول بوسائل الفكر القاصر ، فلا جرم أن أخفق سعى الجميع ،  
وذهب تعبهم ادراك الرياح

( المسلم ) هل تعتقد أن وراء هذه الحقائق الوجودية حقيقة كلية ،  
وان وراء هذه الاسباب الثانوية سببا أوليا ؟

( الفيلسوف ) أرجوك أن لا تأخذنى بظواهر ألفاظى ، فانا ان  
قلت حقيقة الحقائق والسبب الأول فلا أطلقهما على ما يطلقهما عليه  
أصحاب التعبير ، وسامسة المنطق والفلسفة الكلامية ، بل أريد بهما  
كنهه مانراه من الظواهر ، ومهب مانشاهده من تلاطم هذه القوى

الكونية بأفعالها المدهشة

(المسلم) عبر بما استطعت من ألفاظ ، فلا أخالك تنكر أن وراء هذه المشاهد الباهرة المتغيرة ، وخلف هذه الافاعيل الابداعية المدهشة ، وبعد هذه الحركة التكوينية الهائلة ، قوة تمدها ومنظما ينظمها ، وحكمة تهيمن عليها ، ودستورا يدفعها عن الانحراف ويزعجها عن الزيغ ؟

(الفيلسوف) نعم وراء ذلك النواميس الوجودية ، والقوانين

الكونية

(المسلم) انك عبت أهل التعبير ، وسماسة المنطق بالجمود مع الالفاظ ، والاستراحة للكلام ، فلا تقع فيما عبتهم من أجله . فانك مهما حاولت في اعلاء شأن النواميس فلا تستطيع أن تنكر أنها من مكتشفات العقل القاصر ، والفكر الناقص ، فهي من قبيل الأمور الفكرية والقضايا الذهنية ، وإن علوت بها وقلت انها من باب الأمور الطبيعية والمشاهدات الحسية ، فسيان عندي ، ولا يخرجها هذا الاعتبار عن كونها من القوى الطبيعية ، والمؤثرات الوجودية وقد قلنا وقلتم انه لا بد من أن يكون وراء هذه المشاهد المادية والقوى الوجودية حقيقة كلية ، هي أصل الحقائق وقيوم الكائنات . وإن أصررت على أن النواميس هي غاية الغايات ، ونهاية النهايات ، فقد حاكيت الواقفين مع أفكارهم ، المستعبدين لخيالهم ، المؤلهين لأهوائهم ، الحاصرين الوجود غير المحدود في فكرهم المحدود ، والحاكمين على

غير المتناهي بهذا النظر القصير المتناهي

(الفيلسوف) لاشك في أن وراء هذا الطلسم الكوني، وخلف هذا الغطاء الصوري كونا آخر يعلو عن هذا العقل العادي، وقد علمنا اكتشاف أشعة رنتجن التي تخترق الحجب الكشيفة، والراد يوم ذوا الخصائص المدهشة، أن الكون الذي نحن فيه مشحون ببدايع تحير المدارك، وتدهش الالباب، منها ما نحن مستأهلون لادراكه ولكننا لم نصل اليه بعد لقصور وسائلنا، ومنها ما يعلو عن تناول حواسنا وعقولنا فلن نصل اليه أبداً، ومن كانت عقيدته في الكون هكذا فكيف يحصر الكون في فكره، أو يدعى بلوغ الغاية من العلم به ؟

(المسلم) هل تستطيع أن تتصور أن كل هذه الابداعات المحيرة للعقول، وهذه الصنائع البالغة نهايات الدقة، بل وهذه العوامل العاملة الجاهدة، والديناوات الذاهبة الآية وماحوته من جمادات ونباتات وحيوانات وأناسي، وماتدرى ومالاندري من أكوان ووجودات وعوالم، هل تستطيع أن تتصور أن كل هذه الحركة الكونية حاصلة من نفسها غير مقودة بحكمة شاملة، وقدرة كاملة،

(الفيلسوف) أما حدوث حوادث هذا الكون على مقتضى الحكمة فذلك أمر لا ينكره مكابر مهما بلغت منه الرعونة بل محض النظر لأجهزة الحيوانات وأعضائها ودقة تركيبها على بعضها والاغراض التي وضعت من أجلها يدفع الانسان رغم أنفه لأن يندهش من سعة

سلطان هذه الحكمة ، فما بالك لو صعد الانسان بفكره الى استعراض سائر عوالم الكون مما يعلمه بالحس وما يدركه بالاستدلال ، أو ما يتوهمه بالحدس والتخمين .

(المسلم) لقد قاربنا أن نتفق . ان إيماننا بالخالق تقدست صفاته هو إيماننا بتلك الحكمة المهيمنة على الكون التي تقول انها من المشاهدات التي لا تنكر ، وعبادتنا لها هو لاحداث الاتصال بيننا وبينها ، وقبول الامداد من جهتها . الفرق بين المؤمن وغيره هو هذا : المؤمن اعتقد أن حكمة الهية أبدعته وربته ، ومتعته بأعضاء وأجهزة وركبت فيه عواطف وأميالا صالحة لتكميله وايصاله الى غاية عالية من الرفعة الصورية والمعنوية ، وهي دائمة العناية به في نومه ويقظته وذكوره وغفلته ، فلم ير من العقل أن يغفل عنها ، وهي قيوم حياته والمهيمنة الدائمة على وجوده ، بل أدام ذكره لها ، وأخذ يفكر في وسائل زيادة الاستمداد منها ، فاهتدى لتلك الوسائل رجال ، فقالوا من مراكز الانسانية شأوا بعيدا سنحدثك عنهم إن شاء الله تعالى ، فعاشوا عيشة السعداء ، وماتوا ميتة الكبراء الشهداء . وأما غير المؤمن ، فهو مع رتوعه في خيرات هذه الحكمة الالهية ، ومرحه في نعمها وإحسانها أعرض عن الفكر فيها ، ووقف مع لذات الحس وصوارف الشواغل المعاشية ، فهو يعيش معيشة البهائم ، وان نال من المدنية الصناعية أقصى الغايات وبلغ من الملذات الجسدية منتهى النهايات . ترى المؤمن يموت بين خشن الفراش وأنياب الفاقة . قرير

العين ، واثقا بأن تلك الحكمة الأزلية دائمة العناية به في سائر تطوراته الجسدية ، وانها لن تنساه في أى حالة من أحواله ، فيسلم الروح باسما راضيا يمثلاً مشاهديه إيماناً و يقينا ، وترى غير المؤمن في تلك الساعة الهائلة ملقيا على ناعم الحرير ، وبين يديه فاخر الرياض ، وعلى رأسه الثريات الكهربائية ؛ فلا تغنيه تلك المشاهد الباطلة شيئاً ، فتزهق روحه وهو على حال من الآسى والكمد من فقد الحياة والولد لا يمكن تخيلها .

ما انتهى المسلم إلى هنا حتى دقت ساعة الاستراحة ، فقام كل الى منزله على أمل العودة . فخرج المسلم ومن معه من أصدقائه ، وفيما هم سائرون . قال المستفيد : لله درك من حكيم ، لقد تركت خصمك في حرب ضميرية لن يهدأ لهيبها حتى يصالحك على الايمان بالله . فلقد آنست علامم الاتعاض بادية على وجهه .

( المحافظ ) دعنا من هذا فاني لا حظت أن رفيقنا المسلم يتساحل خصمه في التعبير و يلين له في الكلام فيذكر له حكمة وقوة و يتلطف له فيجاريه في التسليم بمقررات الفلسفة الحديثة على ما بها من افساد للعقائد و مجافاة لبداء العقل . فهلا زجره و انتهره ، وأظهر له سطوة الايمان ، وحماسة الدين ، ودعاه للعقيدة دعوة الأعلى للأدنى ، و المهتدى للضال .

( المسلم ) قال الله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن » ، و إنى لأرجو أن أنال منه بهذه

الروح الهادئة ، والنفس المطمئنة الساكنة عملاً بهذه الآية الكريمة  
ملا أناله بالاخشان ، والله المستعان .

( يتبع )

## الولاية والكرامة والوسيلة والشفاعة

كتب لنا حضرتنا الأستاذان المحترمان : الشيخ أحمد محمد الألفي ،  
والشيخ محمد بسيوني . الأول من علماء طوخ القراموص ، والثاني  
من علماء بني عامر بأبي الأخضر يسألانا رأينا الخاص في هذه  
المسائل الهامة التي أصبحت اليوم شغلا شاغلا لأهل العلم وطلابه  
وأشار علينا بإفاضة القول فيها على طريقتنا ، ونحن نقبل إشارتهم مع  
الشكر لها على الثقة بشخصنا ، وإن كنا نظن أن الوقت المناسب لاثارة  
أمثال هذه المسائل لم يحن بعد ، وأن المتناظرين عندنا بازاء أشباه هذه  
الأمور على طرفين متناقضين لأوسط بينهما ، فهم أما مستسلمون  
لكل ما ينقل وما يقال بدون نقد ولا تمحيص ، مستريحين لكل ما سطر  
في الكتب بلا نظر ولا تعديل ، وهم امام مستعصون على كل ما قيل في  
هذا الباب لا يقبلون فيه كلاماً ، ولا يتخيّلون لما حكموا به عليه تقضاً  
ولا ابراماً . فالدين في نظر الأولين جملة وتفصيلاً هو هذه المسائل ،  
أوبالآقل لا يتم إيمان المسلم الا اذا اتخذها متممة لعقائده ، وحلية  
لايمانه ، وعند الآخرين الشرك معقود بأذيالها مرتبط بارادتها ،

والمسلم لا يتم له ايمان ، بل ولا تصح له عقيدة حتى يدع ذكرها جانبا ، ويظهر فؤاده من تخيلها ، وعلامة مجيء الوقت المناسب فيها للكلام عندنا أن يتلاطم هذا الحزبان حتى يبلغ كل منهما من خصمه ، وتكسر الحرب من خيلاء كل منهما حتى يحس بلزوم المخرج من ورطته والنجاة من هوته ، ويتضح له جهات ضعفه وقوته ، ومثار دائه وعلته ، هنالك يجأر الى الله بطلب القول الفصل ، والحد العدل ، فان جاءه قبله مرغما ، ورضيه بدون تعلق ، أما الآن فلم يجيء بعد الوقت المناسب للقول . لأن الحزبين وان تميزا فلم تثر بينهما تلك المعمعة الهائلة التي تفت في عضد كل منهما وتنال من شرته وغلوائه ، فحن وان كنا في الوسط اليوم ، فلن يكون نصينا منه الا مثل ما كان لنا من كتابة كتابنا ( المرأة المسلمة ) في الرد على القائلين بكشف الحجاب ، اعتبره مناظرونا ردا علياً ، لاحلا نهائياً ، وعده أصحابنا دحضاً فلسفياً ، واتخذوه سلاحاً قوياً ، واكتنفوا بذلك عن تأمله ، والاشراف فيه على ضروب الحلول الفلسفية في مسائل المرأة المختلفة كذلك كلامنا الآن في هذه المسائل قبل أن تأخذ الحرب فيها مأخذها وتبلغ حدها ، سيكون لكل من هذين الحزبين فيه اعتبار خاص ، ولن يبلغ ما نريد أن يبلغه من جوهر الموضوع . على أننا نرجوا أن يتفجع بما نكتبه ناس يكثر بهم عديد الأمة المعتدلة ، وعلى الله قصد السبيل .

ليس فيما نقوله حظ من كرامة حزب من الأحزاب فان كلا

يعتقد الصواب فيما يذهب اليه ويتمسك به عن حسن نية ، لا مكابرة ولا مكيدة ، كما أنه ليس فيما قدمناه من اكارنا لما سنقوله نخر ولا عجب ، فانا نعتقد أن رأينا هو الرأي الأعدل الحاصل على مزية الانطباق على نصوص الكتاب وقضايا العلم الحق ، ولا هجته على أحد من مثل هذه العقيدة ما دام مخلصا فيها .

( تمديد )

نحن نشرع في كتابة المقالة ونحن عالمون أن من أصعب الأمور وأعصاها علاجا احالة الآراء عن مجاريها ، واحادتها عن طرائقها التي ألفتها ومرنت عليها . ذلك لأن مجال الجدل بعيد الأطراف واسع الباحات لاسيما ان كان في العلوم النظرية ، وفيما يمكن الخوض فيه بالاستنباط والتأويل ، لذلك لا يعدم أحد الحزبين المتجادلين حجة يقارع بها خصمه ويحيره بها على اضاءة الزمن في دحضها وتزييفها ومقابلته بأشد منها ، وهكذا حتى يسأم الخصمان ويؤوبا للسكينة وهما على ما ابتدأ به المناظرة ، ومما يزيد المتناظرين طمسافى البصائر وضلالا في المشاعر ، مجاراتهما للسفهاء السفلة في التقاذف بالهجر من القول والبذىء من الألفاظ ، هنا يحط الشيطان بينهما بجرانه وتستحيل المناظرة العلية الى مشاتمة سفلية ، فيدخلها الباطل من هذا الباب الابليسي الواسع الى مسارب مضاله ، ومخالب متاهاته ، ويرتد عنهما أشياعهما زارين عليهما متبرئين من أخذ الدين عنهما . لهذا لا يتفجع من شهود المناظرات الا طالبو الحقيقة المتحرقون





والنصير ، وفي الاصطلاح الولي هو الرجل الصالح الذى أدى أوامر الله واجتنب محارمه ، وتقرب اليه بالفرائض والنوافل ، حتى أشرفت عليه أنوار التجليات الالهية ، وعبقت عنه فوحات الأخلاق الملكية ، وأصبح مثالا يحتذى طريقته من أراد الكمال الصورى والمعنوى كما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ورد فى الكتاب الكريم ما يشير الى هذه المنزلة السامية . قال تعالى : « الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . » وجاء فى الكلام القديم مايومى ، الى أن من نال هذه المنزلة الرفيعة من القوة النظرية وهى الايمان ، ومن القوة العملية وهى التقوى ، فان الله يتولى شأنه ، ويسدده فى أموره ، وينصر حجته . قال تعالى : « الله ولى الذين آمنوا . » « وهو يتولى الصالحين » « أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم » « انما وليكم الله ورسوله » « ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » « أنت ولى فى الدنيا والآخرة » هذا كله يشعر بأن من تولى الله ( أى اتخذه وليا ) تولاه الله وأفاض عليه من سبحات نوره ، وأشرافات أنسه ما يجعله مثالا للكمال بمعنييه ، ونموذجا للفضيلة ينسج الناس عليه .

هذا مالا تتخيل أن ينكره أحد من أى قبيل كان من المسلمين ، انما عضلة العقد ، ومهب اللد هو مسألة الكرامة ، فالناس أمامها



والفرق بينها أن النبي معجزته مقرونة بالتحدى ولكن كرامة الولي لا تحدى فيها من أى وجه كان . ويقولون ما دام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وقلب العصا ثعبانا ورد الأعضاء التالفة إلى سيرتها الأولى وتكثير الطعام القليل حتى يكفي الجيش الكثير الخ الخ وغير ذلك مما حصل لعيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام صحيحاً مثبتاً بالنصوص المتواترة الأسانيد فأى مانع يمنع من أن يحبوا الله رجلا من خاصة عباده يمثل هذه المزية لأمر خاص ومصلحة خاصة ؟ لم يرد في الدين ما يشير الى بعد ذلك بل فيه نص على حصوله قال تعالى فى شأن مريم « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » وما حصل لأصحاب الكهف وليسوا بأنبياء بل « إنهم قتيبة آمنوا بربهم وزدناهم هدى » ويقولون مادام هذا كما نقول مثبتا بالنص القطعى الذى لا يخالفنا فيه واحد من أهل القبلة ولم يرد فى الدين ما يشير الى انتهاء ذلك الأمر وذهاب وقته ، وتبدل سنة الله فيه فالمانع اذن من استمراره وحصوله على يد أصحاب الأرواح العالية والنفوس الزاكية من خاصة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

يقولون وكيف يجسر منكر على انكار الخوارق وقد أثبت العلم الاوروبى نفسه أنها أمور حاصلة على يد أصحاب الرياضات النفسية من الامم الشرقية كالهنود وسكان جزائر فيجي وغيرهم من أكثر الشعوب السحيفة وكلهم على دين غير حق ، بل وأثبت الاستاذ كروكس الانجليزى

وهو من أشهر كيمائى العصر ان النار لا تحرق من كان فى حال من أحوال النوم المغناطيسى ، وقد وضع بنفسه جذوة نار فى يد امرأة وهى فى تلك الحالة فلم تصبها بضر ما ، يقول مثبتو الكرامات اذا كانت الرياضات النفسية توصل غير المؤمن الى درجة من درجات القوة الروحية يكون معها على ما نصف من الاقتدار على احداث الخوارق فما بالك بالمؤمن بالله وكتبه ورسله إيماناً خالصاً لا يشوبه شرك ظاهر ولا خفى وهو من تربية نفسه ورياضته لها على السمى الذى كان عليه الأنبياء والمرسلون والصديقون والصالحون من أصحاب الأئمة العامة بنور الله ، والنفوس المشرقة بجمال قدسه ، فكيف لا يصدر من مثل هذا الانسان أضعاف أضعاف ما يصدر ممن ليسوا على شاكلته فى شىء من الكمالات الخلقية ؟

يعتمد أنصار الكرامات على هذه القواعد ثم يفسحون لأنفسهم مجال القول ويبسطون للناقلين مهاد القبول فان أخبرهم مخبر بأنه رأى فلاناً الصالح أشار الى الصخرة قائلاً لها كونى ذهباً بأذن الله فكانت قالوا ان الله قادر على كل شىء يكرم عباده الأصفياء بما يكرمهم به ، لاراد لأمره ولا معقب لحكمه ، ثم ينقلها السامع لجاره وصاحبه ويجعلونها فاكهة مجالسهم ينشطون بها أنفسهم للعبادة ويزدادون بها حباً للصالح والصالحين . ولو فرضنا أن قال لهم قائل ان فلاناً التقى قال لكوكب الزهرة على مرأى من الناس أغرب بأذن الله فغرب ، ثم قال له اشرق بأذن الله فأشرق ، قالوا كما قالوا أولاً ولم يجدوا فى أنفسهم

( م - ١٥ - ثانى )

حرجاً من التصديق، ولا المأ من الشك، لأنك لو ناقشتهم علقوا الفعل على قدرة الله وحوله، لا على مهارة العبد وحيلته، وما دام الأمر مسنداً لله فإن ربي قدير لما يشاء.

## منكرو الكرامات أو محددوها

من الناس من ينكر الخوارق أصلاً وفرعاً زاعماً ان حصولها يقدر في المعجزات والنبوات والآيات القرآنية. أما قدحها في المعجزات على قولهم فلكون الله تعالى جعل المعجزات دلائل على النبوة فحصولها على يد غير النبي يخرجها عن كونها دليلاً على النبوة. واما قدحها في النبوات على دعواهم فلأن من بين ما يعده للناس من تلك الخوارق انطواء الارض للولى حتى يقطع منها في اللحظة مالا يقطعه غيره في شهر. وقد انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة في أيام عديدة ولم يروله في طي تلك الشقة البعيدة مثل ما روى لبعض الاولياء، وهكذا حصل لسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام. واما قدحها في الآيات على رأيهم فهو أن الله سبحانه قال عن الدواب «وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس» فكيف يتفق هذا مع ادعاء أن الولى يقطع المسافات البعيدة بلا تعب ولا نصب. لا يخفى أن مجرد النظر لهذه الاستشكالات يدل على انها واهية لا تحتمل كبير جدل. فان الكرامات لا تقدر في المعجزة التي هي

دليل النبي لأن الولي نفسه يؤمن بمعجزة ذلك النبي ويعترف له بوظيفته ويعتقد أن كرامته من ضمن معجزاته الدالة على صدق شرعه. ولا تقدر في النبوات أيضاً فإن الله مع خاصة أنبيائه وأوليائه شأناً لا يحوم حول معرفة العامة ، فإنه تعالى إن لم يطو لرسوله الأرض حين هجرته فقد طواها له حين أسرائه ، ولكل منهما حكمة يعلمها ربها . وأما عدم قدحها في الآيات القرآنية فلا لأن الكرامات لا توهب إلا للأفراد المجتبيين لالكافة المؤمنين ، فهي أمور نادرة والتادر لاحكم له .

هؤلاء المنكرون للخوارق يفسرون الكرامة بكونها كرامة أديبة روحانية محضنة ، فيكون من أثرها على الولي أن يفيض الله عليه أنوار الصفات الجليلة والسجايا الشريفة ، ويسبل عليه رداء السكينة وبرد الوقار ، فيصبح انساناً فاضلاً يتخذ مثالا على الحياة والكمال ، ونموذجا لغيره في التخلق بشريف الخلال ، ولزوم جادة الاعتدال .

بين هذين الحزبين ( حزب مثبتي الخوارق وحزب منكريها ) حزب شعواء ، ومنازعات وضوضاء قامت فيها الحماسة على ساق وقدم ، وحمى فيها الوطيس من القدم ، تقاذف فيها الحزبان بالتفكير ، وتنابذا بالتشهير والتعير . وقد خاض هذه المعمعة كثير من أئمتنا السابقين ايجابا وسلبا فنال كل فريق من الآخر نيلا وكانت الغلبة دائما لا لاي الحزبين بل للعوائد البلدية والمصطلحات القومية لأسباب شتى ، بعضها ناشىء من ضعف القوة العلية الوازعة ، وبعضها من نقص دستور الحكومة ، وأكثر مصدرها جهل الافراد ووههمهم في معنى الدين . وقد تواتل

على ذلك القرون وتعاقبت الشؤون حتى وصلنا إلى ما نحن عليه اليوم من موقفنا أمام أوروبا المتمدنة معرضين لفتنها العلية والدينية مستهدفين لسواحرها العادية والصناعية . ولا يستهين بهذا الموقف ولا يحقره الا من لم يضرب في علم الامم بسهم ولم يأخذ منه بقسط .

شارفتنا أوروبا بجواذها وفواتنها من صناعة وعلم ، وقابلتنا بقواهرها وقواسرها من قوة وبطش ، ونحن في دور سبات عميق فهبنا من نومنا حيارى طائشين لم نكد نشعر بدهشة المداهمة والمباغثة حتى غشيتنا غاشيات الزخارف والمموهات الصناعية من كل فج فكان حالنا من العجب بمكان : نشعر بمرارة الأخذ وحرارة الأسر مشوبة بلذة الافتان وسكر الاغترار ، لاجرم فنحن بين تلك المرارة وهذه اللذة في حال من الذبذبة القلبية تفقدنا من رشدنا كل يوم ولو استمرت هكذا أتت على البقية الباقية من إرادتنا فأصبحنا نوما في زى ايقاظ ، وخشبا في هيئة رجال . تلك المرارة تعطفنا على القديم بكل نخامته وجلالته فتمر بنا على ما كان لنا من عظمة وسؤدد ودولة ورجال فتكاد تلك الذكرى وان كانت معنوية تمتلخ القلوب من نياطها وتحرق الكبود في احشائها فتشور فينا نائرة القيام على نهج آباءنا السابقين وأئمتنا المهديين استرداد المجد سابق ، وغبرة على شرف متداع ، فنقول ونكتب ، ونصخب ونخطب ، وتتحرك حركة يكاد رائيها يظنها حياة هبت من مكانها ، أورو حآنزلت من مستقرها ، فانا لكذلك واذابتلك الفتنة المدنية قد ساورتنا من كل مكان : من جهة العقائد . من جهة العلم . من جهة العادات . من جهة



اللغات . من جهة الزى . من جهة كل شيء . ساورتنا من جهة العقائد  
بيث الشبه المستعصية ونفت الاشكالات النفسية . وساورتنا من جهة  
العلم بهدم مقرراتنا العقلية والغاء بدائنها الفكرية وساورتنا بما بقي من  
الجهات بما يناسبها . فماذا تتق من هذه الأسنة وعن ماذا نزوغ من  
هذه الشهب ؟

قابلتنا أوروبا من جهة العقائد بحشورث من أفكار فلاسفة القرن  
الثامن عشر ومقدمة التاسع عشر ، فنفذت أصولهم المادية الى اذهان  
الطبقة المتصلة بها وبتقاليدها مناوسرى منهم الى من دونهم وهي في  
كل دور تتطور وتنشكّل على قدر عقول الطائفة التي تحل فيها حتى  
وصلت إلى العامة لابسّة ثوباً يظنه رائيه عامياً شرقياً وهو نسيج اوروبي  
وإنما صبغته الافكار المنحطة والمقتضيات البلدية الساذجة بصنع مختلفة  
يظهر للرأى انه منقطع العلاقة بأوروبا وهو منها أصلاً وان كان يباينها فرعا .  
من هنا كان الناس أولى بالحماية من جهة أصول العقائد وأميات  
المسائل ، ولهذا شعرنا بالحاجة الشديدة الى مكافحة التيار الغربي من تلك  
الجهة المتسلطة على كل جهاتنا الأخرى . لانا تحققنا أنه مادامت رابطينا  
الاصلية سليمة من الانفصام وهي لاروح لها إلا الدين ، سلت هيئتنا  
الكلية من فواعل التحلل ، ونجت من عوامل التفكك ، وصلحت  
الامة للكاوجة والمدافعة ولا يمضى عليها زمن ما حتى تفيق من غفوتها  
وتسترد شخصيتها . أما مسائلنا الدينية الفرعية فما كنا نهبها مثل هذه  
العناية لتحقيقنا أن المحافظة على الاصول أولى بالابتداء وأجدر بالتقديم

أما وقد اثالت علينا الاسئلة من كل فج و قطعت علينا خطوط الرجعة فلم نر الا الانصياع لمطلوب الأمة منا وان كان الكلام فيما تدعوننا اليه سابقاً أو انه .

مما يزيدنا وجلا من طرق باب هذا الموضوع هو ما نحن فيه من الافتتان بمدينة أوروبا وعلومها والحادها وليس لهذا الافتتان معنى في لسان العلم العمراني الاحتمال عناصرنا بقوة مؤثرة علينا ، فكل ذبذبة تحدث فينا وكل حركة تلم بجسمنا الكلي ونحن تحت ذلك التأثير المحلل لا تكون نتيجتها حسنة الا اذا كان قائدو تلك الحركة على حذر ويقظة لأن أجزاءنا التي تتناثر بتلك الحركة لا تكون منجذبة الى اجزائها الأصلية فقط بل هناك قوة خارجية جذابة أيضا مترصدة لاجتذاب كل جزء يشذ عن الجماعة لسبب من الأسباب . أعنى بهذا الكلام اننا معشر المتكلمين في مسألة الكرامات بخوضنا في هذا الموضوع ايجابا وسلبا نحدث حركة كبيرة في أخص جهة من معتقدات العامة والخاصة ولا شك ان كلا من الحزبين المتضادين سيؤثر على عقول من كانت تنكر عليه فتم للخروج مما كانت عليه للالتحاق بالمذهب المضاد فيخشي أنه وهو في هدنة الانتقال من مذهب لمذهب آخر ينجذب الى عالم الاباحة والاحاد المؤثر علينا من فتنه المدنية الغربية من منذ مائة عام فنخرج من هذه المناظرة وقد خسرنا خسارة لا تعوض وأحدثنا في أمورنا اضطرابا لا يغتفر لنا بوجه من الوجوه .

من هنا نرجو كل متكلم في هذا الموضوع أن يؤوب الى رشاده وان

## موضوع النزاع بين مثبتى الكرامة ومنكريها ( ٢٣١ )

يهدى من ثورته في مقارعة الحزب المضاد له حتى لا تكون النتيجة عليه سواء كان غالباً أو مغلوباً . هذه اشارة الى موضوع خطير جدا جذير بالالتفات اليه والتعويل عليه .

آن لنا الآن بعد تقديم هذه المقدمة أن نشير الى موضوع النزاع بين كلاهذين الحزبين المتناظرين من باب السرد المجرد عن الحكم الشخصي حتى اذا أممناه عدنا الى عقد فصل لمحاكمتها على نصوص الكتاب ، والله ولى الكفاية .

## موضوع النزاع

بين مثبتى الكرامة ومنكريها

ليس سبب كل هذه الجلبة والضوضاء في هذا الموضوع اثبات الكرامة أو نفيها ولكن فيما يجر اليه ذلك الاثبات والنفي من العقائد والعادات والذهاب بآيات الكتاب الشريف مذاهب التأويل والمخالفة لما كان عليه أسلافنا الصالحون الخ الخ ، وانا موجزون لك النقط الأساسية التي يؤسس عليها كل من هذين الحزبين عقائده و يناقض بها نظيره ، نوجزها على أسلوب شارح فنقول .

يقول مثبتو الكرامات (١) : ان الله تعالى من صفوة خلقه رجالا يختارهم في كل زمان ومكان من عباده المخلصين يصعدهم الى مقامات سامية من الكمال الروحاني ويجهوهم بهبات جليلة لا تخطر على بال من لا يكون على شا كلتهم ، ويحدث على أيديهم أموراً تخالف العادة ولا

يمكن تعليلها بما نعرفه من قوانين الطبيعة (٢) هؤلاء الأولياء لسمو  
أرواحهم وكرامتهم عند الله يؤثرون على من دونهم بالامداد الروحى  
ويكون لدعائهم أثر صالح فى أحوال المحيطين بهم الراجين معوتهم (٣)  
هذا الامداد لا ينقطع بعد موتهم وانتقالهم بل يقوى ويزايد على قدر  
درجة رقيهم فى ذلك العالم النورانى الباهر . من هنا يجوز زيارة قبورهم  
والاستمداد من بركاتهم وطلب النفحات منهم (٤) يجوز التوسل بهم  
الى الله كأن يقول الداعى : اللهم انى أتوسل اليك بعبدك الصالح فلان  
أن توفقنى وترشدنى الخ

أما منكر الكرامات أو محددوها فيقولون : (١) ان لله أولياء  
يصطفهم من خيرة عباده ولكنه لا يخرجهم ذلك عن كونهم عباد الله  
الضعفاء مثلهم كمثل غيرهم من الناس أمام الله وأحسن مثال لهذا الصنف  
من الناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان  
وعلى واخوانهم وكل ولاية تقاس على غير ذلك المثال فليست بولاية  
وما يعزى لصاحبها من المقامات وما تقتضيها فتوليد الخيال وتصوير  
الأوهام مما ينطلى على عقول العوام ليس الا (٢) هؤلاء الأولياء  
لاتأثير لهم بشيء بل التأثير كله لله والانسان العاقل بدل أن يتمسح  
بهم ويتزلف اليهم يجب عليه أن يوجه وجهه لله وحده فهو المعطى المطلق  
والواهب الذى لا معقب لحكمه (٣) الانسان مهما كانت حاله من  
الصلاح والروحانية متى مات انقطع اتصاله ببنى نوعه واتصل بعالم  
آخر له مقتضيات أخرى لانعلما . وان زيارة قبورهم لاتفترق عن

زيارة قبور اخوانهم المؤمنين الآخرين ولا ينالهم منها غير ماينال الزائر من زيارة قبر ميتة من الثواب الذى أعده الله للمعتبرين ومن طلب الى ميت شيئاً فقد أشركه بالله وحبط عمله (٤) لايجوز التوسل الى الله بوسيلة غير الاعمال الشخصية الصالحة أمارفع اليد بالطلب من ولى والقسم على الله بعبد من عبيده فمحذور يكاد يكون شركاً .

هذه هى النقطة الرئيسية التى تميز مثبتى الكرامات عن منكريها أو محدودها ولا حاجة بنا لأن نقول ان كلا من هذين الحزبين يدعى أنه يستند الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكل منهم حجة عقلية فلسفية عدا عن الحجج النقلية نوجز لك أشد تلك الحجج العقلية على وقعا الطرفين وندع الحجج النقلية لفصل المحاكمة بينهما .

يقول منكرو الكرامات أو محدودها مما يدل على فساد مذهب خصومنا وأنهم ذهبوا بالاسلام مذهباً يوافق هواهم جملة أمور مهمة وهى : ( ١ ) حدوث مذهبهم بعد القرون الثلاثة الاولى من عهد النبى صلى الله عليه وسلم . فلم تعرف فى القرن الأول ولا الثانى ولا الثالث مسألة زيارة قبور الصالحين والتطواف بها وسؤال الحاجات عندها ولا غير ذلك مما يعملونه اليوم . ( ٢ ) وجود أمثال هذه العادات عند كل أمة وهى عند الأمم المتوحشة أكثر . فما من أمة الا ولها رجال مقدسون تقيم لهم الأعياد والموالد ، وتقرب لهم القرابين والعوائد ، وتبنى على قبورهم النصب والشواهد ، وتقصدهم

فى الملقات والشدائد ، وتروى لهم من عجائب الخوارق وغرائب الكرامات مالا يدخل تحت حصر ولا يضبطه استقصاء . أفلا يدل شيوع هذا الأمر بين طوائف الانسان واتحادهم عليه معنى وغرضا على أنه من مطالب الأهواء ومحسنات الخيالات ، وأنه تريكة الوثنية ومظهر مموه من مظاهرها الأولية ؟ ( ٣ ) استواء الحالين عند من يدعو الأولياء لمعوتته ومن لا يدعوهم فى شدته ، بل المشاهد ان الذين لا يدعون الأولياء ممن يأخذون بالأسباب العادية ويتربصون للفرص الحيوية أحسن حالا وأكثر مالا وأخف مظهرا وأكرم معشرا وأعلا كعبا من الذين يدعوهم ويتوسلون اليهم . بل هذه وفود الأوربيين الذين يأتون بلادنا للارتفاق لا يدعون وليا ولا مقدسا ومع ذلك فقد احتكروا تجارة البلاد وثروتها وهم كل يوم يزدادون غنى واستيلاء ومناظر وهم من تجار البلاد وسرواتها ممن لا يبدعون فى عمل ولا يشرعون فى أمر الا بعد الاستغاثة بالأولياء واستئزال معوتهم قد أصبحوا عيالا على أولئك الأجانب ولا يمضى كبير زمن حتى تتلاشى ثروتهم وتذهب فى خبر كان . وهذه الأمهات المصريات اللاتى يهملن الاخذ بالأسباب العادية والوسائل العلمية فى تطيب أولادهن ويكتفين متى أصاب أحد عيالهن مرض أن يزرن به الأولياء ويفسلن وجهه من بئر مساجدهم يفقدن من أولادهن أكثر من الثلثاى فى الغالب بينما نرى الأمهات الأجنبية اللاتى لا يعرفن غير الوسائل العادية لا يفقدن من بنين الا الشاذ النادر وهذه الاحصائيات تريك العجب . الا يدل

ذلك كله على وهم الناس فى مسألة الاستغاثة بالأولياء ، بل الا يشير ذلك بأدل دليل على فساد رأى الخاصة والعامة فى ذلك الامر وأنهم بذلك يحاربون سنة الله فى خلقه ويستعينون بما لا ينفع ولا يضر من عباده ويكونون السبب فى تسويد الا جانب عليهم ووصم دينهم بما هو براء منه ؟ ( ٤ ) لو كان ما يرويه أنصار هذه العادات من تأثير الأولياء فى الأرض بعد موتهم وكرامتهم لمن يلوذ بهم صحيحا لكان الأحق بذلك أهل الصدر الاول من المسلمين وهم اجلاء الصحابة من المهاجرين الأولين والأنصار المبجلين ، فلقد قامت بينهم فتن على عهد عثمان وعلى رضى الله عنهما وحدث بسبب ذلك من الشغب والاضطراب ماشق عصا المسلمين وأوجب اقتنائهم ومع ذلك فلم يحجى صحابى جليل لأخيه فى النوم فيرشده إلى الحزب الناجى أو يزرعه عن مشايعة الفتنة ومتابعة العصبية فهل يعقل أن يحدث لمن بعدهم من أهل القرون المتأخرة ما لم يحدث لأولئك السابقين الأولين وهم أراكين الدين وأئمة الايمان واليقين ؟ هل يتصور أن يتمثل ولى لأحد متر فى هذا العصر مبشرا اياه برتبة أو نبى شان ولا يأتى رسول سلام بين المسلمين ؟ الأتدل هذه الملاحظات على أن ما يروى وما ينقل من الكرامات والمبشرات والخالخ أمور أولدها الخيال وكبرها الوهم فاعتقدها الناس وجعلوها جل دينهم والعقد الأول من إيمانهم ؟

هذه هى الحجج العقلية الرئيسية التى يعتمد عليها منكرو الكرامات وما انبى على اعتقادها من العادات ، ولخصومهم حجج

عقلية خطيرة الشأن أيضا يجب علينا سردها سردا أمام نظر القارىء ليرى بعينه جهتى ضعف كل من الحزبين وجهتى قوتها وليكون على بينة مما نصدره على كليهما من الأحكام الشرعية .

يقول مثبتو الكرامات : ( ١ ) اذا كان مما لا يمكن انكاره من مقررات الدين أن الموتى ينتفعون من دعاء الأحياء لهم وهم فى هذا العالم عالم المادة ومقتضياتها فكيف لا ينتفع الأحياء من دعائهم وهم فى عالم الجمال والتقديس حيث لا مقتضيات جسدية ولا مطالب سفلية ، بل تجرد لاستشراف الحق وسبحات وجهه واستشراق النور وتارات فيضه ؟ هل يتصور أن نكون نحن ونحن فى هذا العالم مع شغلنا الشاغل وهمنا المتواصل تذكر موتانا وتعطف عليهم بالدعاء والترحم ، ولا يتذكروننا وهم فى عالم الروح والريحان ومشرق الافضال والاحسان . مع أنا أحوج الى انعطافهم علينا منهم الى انعطافنا عليهم لتخلصهم من الجهاد الحيوى وبقائنا فيه ، ومن وقوفهم على حظهم من الحياة وجهلنا به ؟ ( ٢ ) اذا كان مما لا يستطاع ججوده أن الموتى يسمعون من يسلم عليهم عند زيارة قبورهم وقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم قتلى بدر قائلا « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً » ثم لما قال له أصحابه كيف تخاطبهم يارسول الله وهم موتى ؟ قال « ما أتم بأسمع منهم » أو كما قال ، فهل يستنكر على رجل ذهب الى قبر رجل صالح وسلم عليه ثم خاطبه راجياً اليه أن يدعو الله له لتفريج همه وكشف ضره ؟ ( ٣ ) اذا كان الانسان فى هذا العالم لا يأتهم من قوله للطبيب عاجنى وللرئيس اعطنى أو وظفنى



ولأخيه احمى وانصرنى وقد جاء هذا الاستعمال على السنة الأنبياء  
 والصالحين ولم يحدوا فيه إثمًا ولا حرجاً ماداموا يعتقدون أن خالق  
 كل شيء ومحركه هو الله تعالى ، فكيف يأثم أو يشرك من يخاطب  
 الميت قائلاً أريد وظيفة أو دواء أو نصراً أو حماية الخ الخ مع عقيدته  
 بأن ذلك الولى عبد الله الفقير اليه الذليل بين يديه . ان قيل هذا يشبه  
 قول مشركى العرب عن آلهتهم فانهم ما جعلوهم أرباباً الا توسلا الى  
 الله بهم ومع ذلك فقد سجل الله عليهم الكفر والشرك . قلنا بعيد ما بين  
 الحالتين . فان نص الآية هكذا « مانعدهم لإليقربونا الى الله زلنى »  
 والمسلم لا يعبد وليه وانما هو يرجوه ، بل لو قلت لاجهل جاهل أنك  
 تعبد هذا الولى لأنكر عليك وربما أهانك ، غيرة منه على التوحيد الذى  
 امتزج بدمه وحياته ، وشتان بين العبادة التى أقر بها مشركو العرب  
 وبين الرجاء الذى لا يجاوزه الى ما فوقه أجهل المسلمين . ان قلت ان  
 منهم من يسجد أمام الولى قلنا ليس ذلك بسجود عبادة بدليل أنك لو قلت  
 للعامى انك تسجد لهذا الولى كما تسجد لله لأنكر عليك قولك ولقال لك  
 ان هذا سجود تعظيم أعماله لهذا الصالح كما تعمله أنت أمام السلطان فهل  
 كفرت بسجودك أمام السلطان حتى تكفرنى بسجودى أمام هذا الولى  
 العظيم ، ومع ذلك فانى ما سجدت له ولكنى قبلت الأرض بين يديه كما تخبر  
 أنت أمام ملكك وتقبل قدميه فى نعليه . وقد سجد الملائكة تعظيماً لآدم  
 بأمر الله فهل تستطيع أن تلاحظ عليهم ؟ (٤) انكم معشر منكرى  
 الكرامات مفتونين بمدينة اوربا وتريدون أن تقلدوها حتى فى ترك

الدين ولما كنتم لا تستطيعون تركه لتبرئه من مطاعن العلم وتنزهه عن  
مآخذ الفلسفة فتريدون بالأقل أن لا يجافى الفلسفة المادية فى شىء يلاحظ  
عليكم وتعبرون به بمن تقلدونهم . ولما كان الشكل الذى رسمتموه فى  
مخيلاتكم عن مدينة أوربا هو دفن الميت والانصراف عنه سراعاً إلى  
معاهد الأعمال واللهو واسدال ثوب النسيان على ذلك الفقيد ومن  
تقدمه من الموتى ، وكيف لا تهمل الجيف المضرة بالصحة ؟ وتسى  
العظام الرميم والاشلاء المبعثرة ؟ لما كان الشكل الذى تخيلتموه عن  
مدينة أوربا هو هذا فلا يرضيكم أن نكون متأخرين عنكم فى ميدان  
المدينة لما يربطنا بكم من روابط الدين واللغة والوطن . لذلك لا تألون  
جهداً من السعى فى ابطال تلك العادات وعدّها أمر افريقيا ، وقد غاب  
عنكم ان من وظائف الدين تعزية الانسان فى مصائبه وتسليته أمام اخطار  
الحياة وهوادما وتذكيره بالآخرة وأحوالها وما ينتظر العاملين  
المجدين أو المقصرين المتبطلين من نعيم مقيم أو شقاء محدود أو غير محدود .  
ومن أخص ما يجلى هذه التعزية ويعطيها وزنها الحقيقى هى ما ينبه الدين  
الانسان اليه من أن الحاجز بين الموتى والأحياء رقيقاً وما يحجبنا عنهم  
إلا انصرافنا مع الشواغل البدنية واهتمامنا بالمطالب الجسدية وعدم  
عنايتنا بترية نفوسنا وترقيقها . هذا من أخص صفات الدين وهو روح  
الهدو الذى ينزله على فؤاد الأم الثا كل والأب الحزين والابن الشفيق .  
فلو سعيتم فى تغليظ ذلك الحاجز بيننا وبين الأموات والذهاب بنا  
مذهب مادى أوربا يدفنون ميتهم ويرمون جثته أو يحرقونها ويذرونها

في الهواء وهما منكم أنه أرقى مظهر مدني فأتم اذن تسعون في ابعاد الناس عن التدين ، لأن التدين إذا كان مطلوباً لمحض التخلق بمكارم الأخلاق والصفات الجليلة فتلك موجودة في كتب الماديين أنفسهم ، ويمكن الاكتفاء به عن الأديان ، واذن تصح حجة العلماء الماديين أن في العلم الاوروبي غناء عن كل دين . ومع ذلك فقد غاب عنكم أنكم بينما تمثلون مدينة اوربا المادية نرى علماء اوربا شعروا بوخامة انصرافهم عن عالم الموتى ونسيانهم له وهو مألهم ومصيرهم ، فقاموا يبحثون من المباحث لاثبات الروح والخلود مالو سمعته لقلتم انهم مخرفون مجنونون. فهل تريدون أن توقعونا في فتنة مادية ترجو اوربا نفسها أن تتخلص منها وتهرب من مخالها ؟

## المحاكمة بين هذين الحزبين

لقد سردنا أمام نظر القارى أكبر ما يمكن أن يتسلح به الخصمان من الحجج العقلية فان أردنا أن نسلك في ارجاعهم الى خطة الوسط مسلك من تقدمنا بأفساد حجج الفريقين أو ردها الى الصراط القيم لم نستفد من عملنا شيئاً غير اثاره العواطف وتثبيت كل حزب في مقرراته واقامته خصماً لدوداً لمناظره ينتظره الدوائر . وهذا ليس من أسلوبنا الذي اختططنا له لأنفسنا في شيء ، لذلك نريد أن نذهب في محاكمة هذين الفريقين المتضادين مذهبياً يرضيهما جميعاً بل لا يجدان عن التخلف عنه عذراً فنقول :

تبين لنا من سرد أقوال الخصمين أن لكل منهما فيما يذهب إليه حجة قوية ولكنهما أعطيا حجتهما من سعة السلطة ما ليس لهما فكان الإفراط لأحدهما والتفريط للآخر من حكم طبيعة الحال ، ونحن في حكمنا عليهما لانستطيع مع هذا الوجه أن نخطئ أحدهما تخطئة مطلقة ونصوب مذهب الآخر تصويبا صرفا ، ولكننا سنسعى في التوفيق بينهما من جهتهما القويتين ، ليكون لمذهبهما المشترك قوة على قوة ، وليس للمسلم من كل محاولاته حظ غير الحق « وماذا بعد الحق إلا الضلال » .

إذا كان مما لا مشاحة فيه ان هذا الاحتفال بالقبور والمقاصير والتطواف حولها والطلب الى أصحابها واقامة الأعياد لهم لم يحدث الا بعد القرن الثالث ، وهذا من حجج منكرى الكرامات أو محديها ، فما لا مشاحة فيه كذلك أن النبي كان يزور القبور ويوصي بزيارتها للتعاضد ويقرى سكانها السلام والتحية ، وهذا من حجج مثبتى الكرامات فكما لا يحسن بعقل أن يقطع علاقاته بموتاه وموتى المسلمين ارتكائاً على الحججة الاولى حتى يكون بالماديين أشبه ، والى اليائسين من أصحاب القبور أقرب ، كذلك لا يجمل بذى فطنه أن يحلل كل مناهى الشرع ، ويؤول نصوص الآيات والأحاديث الواردة فى الزيارة والدعاء والتوسل ارتكازا على قوة الحججة الثانية . وبما أن الحال الاول تفريط كذلك الحال الثانى إفراط ، وكلاهما ليس من العقل ولا من الدين .

وإذا كان مما لا جدال فيه أن الآخذين بالسنة العادية التى خلقها الله فى الكون أحسن حالا وأكثر مالا وأعلا كعبا فى كل شئ من

الذين أهملوا تلك السنن ولجؤوا الى الصالحين في الطلب والاستغاثة وهذا من حجج منكري الكرامات أو محددتها كذلك مما لا شك فيه وما هو مقرر شرعا أن الموتي يشعرون بالأحياء ويعنون بأمورهم ويهتمون لما يهمهم ، وإن لمن يترحم عليهم ويستغفر الله لهم ثوابا من الله وأجرأ عظيما ، وهذا من حجج مثبتى الكرامات ومؤيديها ، فكما لا يليق بالمتبصر العتدل أن يتكى على الحججة الأولى ويوجه وجهه شطر السنن الوجودية المجردة مهملا ما يناله من زيارة القبور والدعاء لأصحابها والاستغفار لهم من الثواب الجزيل والأجر الجميل ، كذلك لا يجدر بالمسلم المحتاط لنفسه أن يتخذ الحججة الثانية مستنداله يبيح لنفسه بما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه ولا تابعوهم ولا تابعو تابعيهم من الطلب الى الصالحين الميتين والاستغاثة بهم والتطواف بقبورهم ورفع القباب عليهم وغير ذلك مما ورد النص بتحريمه صريحا .

وإذا كان مما لا شبهة فيه أن الاعتماد على زيارة القبور ونداء الصالحين والاشتغال بالموتى قد أحدث في عامة الشرقيين نزوعا الى ااهال الأسباب العادية والسنن الكونية وأوجب عليهم بذلك نحولا وعودا عن العظام ، وهذا من حجج منكري الكرامات أو محددتها ، فكذلك مما لا مرأه فيه ان من أخص وظائف الدين ترقيق الحجاب بين عالم الأحياء وعالم الأموات ، وتلطيف الحاجز الذى يفصلنا عنهم ، ولولا ذلك لما كان الدين بشير السلام للأرواح ، وسفير

الرجاء للافتدة، وسبب الطمأنينة والسكينة ولقام مقامه كتاب في الاخلاق ورسالة في التريية النفسية، وهذه من حجج مثبتى الكرامات وكما أن من الغلط الشائن الاعتماد على البرهان الأول، فى قطع كل علاقة بين هذا العالم والذى يليه وتغليظ الحجاب الذى يفصل الأحياء عن أعزائهم الميتين، لما فى ذلك من غمط أخص حقوق الدين، والغفلة عن أكبر عوامله تأثيراً على النفوس، كذلك من الشطط البين التذرع بالحجة الثانية فى اعطاء تلك العلاقة التى تربطنا بالأموات وذلك التأثير المتبادل بيننا وبينهم شكلاً لم يحصل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على عهد أصحابه، وتجعلنا من تلك الجهة محاكين للغلاة من أصحاب الأديان الأخرى التى جاء الاسلام عابثاً عليهم سوء تصرفهم وشدة خبطهم فى أهوائهم .

إذا كنا غير أهل لأن نرفع من بيننا الخلاف ونحسم من أنفسنا مادة الشقاء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه رضى الله عنهم ، فقد عظمت فتننا وطمت بليتنا ، وبتنا هدفاً لفتن كقطع الليل المظلم تدع الحليم حيرانا ، وهانحن موردون عليك نصوصاً من الكتاب تبين لك مذهب القرآن فى هذا الشأن وهو صراط الله ودستور العلم السماوى ، فمن انحرف عنه ، فقد كفاه انحرافه دليلاً على خبطه وخلطه فإليك .

( ١ ) إن لله أولياء من خاصة خلقه هم المؤمنون المتقون . قال تعالى « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا

وكانوا يتقون » .

( ٢ ) هؤلاء الأولياء لهم استمداد روحاني من جانب القدس الالهي ، واستشراق من عالم الجمال العالی . قال تعالى : « لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

( ٣ ) لهؤلاء الأرواح العلية سلطة على عالم المادة ، وهي سلطة طبيعية اقتضاها لهم سمو أرواحهم ، وعلو قواهم ، ولا ينكر سلطان النفس القوية الخالصة من أسر المادة البشرية إلا من لم يضرب في علم الانسان بسهم ، هذه السلطة تظهر أحياناً بإيقاف فعل النواميس العادية والتأثير على المادة تأثيراً خاصاً ، وهو ما يسمى بالكرامة ، وفي القرآن ما يدل على حدوثها للصالحين : كقصة أهل الكهف ، ولبثهم في الكهف ثمانين ثلاثمائة سنة وتسع سنين لم يصيبهم تحال ولا تأثير . وكاتيان آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام بعرش بلقيس من سبأ في أقل من ارتداد الطرف كما قال تعالى « فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » الخ ( ٤ ) بيننا وبين الموتى علاقات خفية ، فنحن نذكرهم بالدعاء والترحم ، والله يذكرنا بالمشوية الحسنة عنهم .

( ٥ ) لا يجوز اتخاذ القبور في المساجد ، واعلاؤها ونصب الشواهد عليها ولا بناء المقاصير حولها ، ولا رفع القباب فوقها ، ولا إيقاد السرج لأجلها ، ولا الطلب الى أصحابها ، ولا نذر النذور لها ، ولا ذبح الذبائح عندها . كل هذا ورد في تحريمه النص شرعاً ، ولم

يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أصحابه ولا تابعوهم ،  
 وشيء لم يفعله الرسول ولا أصحابه ، وورد النهى بالنص عما يحيط به  
 ويلاسه ، لجدير بأن ينصرف عنه المسلم خشية أن يكون فيه مالا  
 تحمد عقباه وتعظم بلواه .

المسلم يكفيه من الدين ما كان عليه الانبياء صلوات الله عليهم ومن  
 تبعهم بخير وإحسان أما مانا في سميت الانبياء أو خالفه أو استدعى  
 شيئاً من التأويل لكتاب الله ، أو أوجب عملاً بالرأى أو كان مستندا  
 فيه إلى أقوال العامة وغلوهم فما للمسلم وله ، وما أغنى فؤاده عن هذا  
 كله ، وما أبعدته عن الحاجة إليه . ألا يكفيه أن يكون على طريقة  
 رسول الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم يضعها نصب عينيه ويجاهد  
 عليها نفسه وهواه ويحذنها خطوة مدققة متحريراً حتى يلقي ربه  
 خالصاً مخلصاً . هل يحسب عاقل أن رسول الله مع شدة تحريه لمراضى  
 ربه ومحابه وكثرة توخيه لا يتبع أو امره يترك شيئاً يعود منه على روجه  
 خير أو أثر نافع ؟ وهل يتمثل في تصور انسان أنه مع محبته لقومه  
 وشدة شغفه بفلاحهم يترك ارشادهم إلى أمر فيه لهم خير في الدين  
 أو الدنيا ؟ اللهم لا ! إذن فكيف لا ترضى لانفسنا من الدين والعادات  
 بما رضىه رسوله لنفسه ولاصحابه ولماذا نعمل برأينا في أمور تعظم  
 فيها العهدة وتشتد فيها الورطة ؟ ما الداعي لذلك ونحن مسلمون  
 كتابنا القرآن ، ورسولنا محمد ، وديننا الحق ، ومذهبنا الصراط  
 المستقيم ، وغايتنا السعدتان سعادة الدنيا وسعادة الآخرة



بقية المسائل

بقيت بقية لم يسعها هذا الجزء من المسائل الخاصة بهذا الموضوع  
وهي مسألة الشفاعة والتوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء تأتي  
عليها إن شاء الله في الجزء المقبل ونعتذر لحضرات أصحاب المسائل  
الأخرى ونعدهم بأجاباتهم كلهم قريبا إن شاء الله .

الأدب الذي تفيضه عقيدة التوحيد والتزويد على المسلم

« تابع ما قبله »

تخيل أمة يكثر فيها أمثال هؤلاء الافراد من الموحدين ترها أنعم  
مظهرا ، وأكرم مخبرا من آية أمة عصرية بمن وقرت في نفوس آحادها  
عاطفة الاعتماد على النفس ، والثقة بالذات كالانجليز والألمان  
والامريكان مثلا ، فان هذه الأمم استمدت هاته العاطفة من النظر في  
نواميس الحياة نظراً مقصوراً عليها أما أولئك الافراد فتزلت عليهم  
هذه العاطفة من جانب السكالات الالهية الاقدس فلا جرم ان التاثت هذه  
العاطفة لدى الأمم العصرية بشيء من النقص والجور والشره والمزاحمات  
الجنونية القاتلة لكثير من العواطف القلبية ، ولا غرو ان نشأت تحت  
سمائم القوضيون والعدميون وغيرهم . أما الاولون فتراهم مع  
تمتعهم بتلك العاطفة الشمم وكبر الفؤاد متراحين متعاطفين ،

جمعتهم الحياة برباط من حب خالص ، وود وثيق العرى لاتحاد وجهتهم في طلب الكمال الالهى ، لالقيام أمرهم على النفع الدينوى . هؤلاء لا يتزهون عن أمراض المجتمعات الحية فتصميم لفحات من التنافس على اعراض الحياة ، وفواتن السلطة والحياة ولكنك مع ذلك لاتعدم فيهم تلك الأريحية للرحمة ، وذلك الميل للتصافى والحب ، فلا يضع بينهم فقير ولا يهضم لديهم حق ضعيف ، وإن ضاع فقيرهم أو هضم حق ضعيفهم ، فهما ضياع وهضم يعد ان رحمة اذا قيسا بما يصيب ضعفاء سواهم من الامم التى فيها عاطفة الاعتماد على الذات ومرتكزة على قوانين الحياة الحيوانية .

هذا كله ولا تنس عاطفة الشجاعة والعزة التى هي من أخص صفات الموحدين وهى تنبع فى افئدتهم من اعتقادهم أن لا ينفع ولا يضر الا الله . نعم متى اعتقد الانسان أن الانس والجن لن يصلوا اليه بأذى لو حماه الله ، وأنهم لن يصيروه بحسنة إلا إذا بعثهم الله ، سقط من عينه كل صم يقيمه الوهم فى ذهنه ، فتراه لا يخشى إلا الله ولا يرجو إلا الله ، ومن كان كذلك كانت الشجاعة ألصق به من ظله ، فمتى رأى خطرا امر الله بغشيانه واقتحامه دفاعا عن دين أو قتالا فى سبيل الحق القى بنفسه غير هيب ولا متلكى ، وكيف لا يلقى بنفسه وهو لا يخاف الا الله ، ولن يموت الا اذا أماته الله ، وهذا موقف قد أمر به الله ، فى الذى يؤخره عنه غير جيشات الوهم ، وسطوات الجبن ؟ هذا تفصيل موجز لبعض الخصال الكريمة التى تنشأ من عقيدة

التوحيد نشوءاً طبيعياً ولا احيالك فى نظر ذلك بالحس الاعلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم وحدهم المثال الكامل الذى يليق أن يتخذ حجة محسوسة على ما نقول :

من هنا ترى أن عقيدة التوحيد تهب على الانسانية بأدب الهى يقيم الشخص على صراط الحق ويبعثه للسير فيه بعنا ذاتيا ، ويحليه من الصفات الصالحة لعارية للأرض وحماية الجامعة بخلائق تعجز عنها الترية وتعيادونها أساليب التقويم والتهديب المعروفة .

هذا الآداب لا يقتصر على تأدية الانسان لأرقى مظاهر الكمال الدنيوى فقط بل يؤديه لأسمى منصات الرقى الروحانى أيضاً ، لأن الروح الانسانية لا يججها عن مشاركة عالمها الذى تنزلت منه ، ولا يمنعها عن المتاع بجمال مشاهدته ومعاهده الا ما استدعاه هذا الجسم من صفات الحيوانية ، ولوازم الحياة البهيمية . هذه الصفات واللوازم التى اكتسبها الانسان بتلبسه بهذه المادة كالهلع والجزع ، والبخل والشح ، والخوف والجبن ، والحسد والحقد ، وغير ذلك من الصفات الذميمة المستوعبة لحيوية أكثر الناس ، والمستولية على مجموع همهم ، والمالعة لهم عن السكون الى ذاتهم ، والطمأنينة الى أرواحهم سببها نقص ايمانهم بالخالق الحق ، فان الهلع والجزع صفتان معناهما اظهار الحزن من فقد الصبر عند المصيبة . قيلهما بمعنى وقيل ان الهلع أخش الجزع ، فهاتان الصفتان ليستا من صفات الكاملين قال تعالى « ان الانسان خلق هلو عا إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً الا المصلين الآية . » وكذلك

البخل والشح والحقد والحسد والخوف والجبن صفات خسيئة لا تحل الا قلوبا جاهلة خلت من الايمان الكامل لأن مدارها كلها على الشؤون السافلة ، والامور المنحطة ، ومن كان يؤمن بالله ايمانا كاملا ويرى أنه الفاعل الحق والمؤثر الفرد ، فلا يحقد ولا يحسد ولا يخاف ولا يجبن ، ولا يشح ولا يبخل ، فيخلو ففكره من الجولان في هذه الصفات وما يلازمها ومتى خلا فكر الانسان من الرتوع في قدر هذه الصفات الخسيئة وتوابعها التي يقضى فيها ناقصو الايمان أعمارهم الثمينة جال بطبعه في عالم الحقائق وسلك من باحاتها طرقا سلكها قبله الأنبياء والصالحون فيمر في أثناء سيره على عوالم الجمال والكمال بطريقة طبيعية لاصناعية فتزداد علاقته بالعالم الروحاني متانة ، ويزداد الاتصال بينه وبين حقائقه أحكاما فيرتقى فيه ارتقاء تدريجيا كما يرتقى جسمه في عالم المادة ، فتكون روحه في عالم القدس تمرح وتتمتع ، وجسمه في عالم الحس يكافح ويجاهد كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكافة المرسلين والصديقين مع اختلاف في الرتب وتباين في الهمم كما لا يخفى على القارىء..

من هنا يرى قارئنا أن ( لا إله إلا الله مفتاح السموات والأرض ) كما جاء في الخبر النبوي ، فهي مفتاح السموات لأنها تؤدى الشخص الى الكمال الروحاني في أبداع مجاليه ومعانيه ، وهي مفتاح الأرض لأنها أقوى عامل كما رأيت لتربية ملكاته ، وتهذيب مواهبه وتأديته الى أرقى مظهر من مظاهر الحياة الأرضية .

أما عقيدة التنزيه وهي اعتقاد أن الخالق أعلا من أن يحد بحد أو يصور بصورة ذهنية ، فأثرها على النفس من أكبر الآثار وأعجبها أيضاً واليك شيئاً من التفصيل .

قلنا ان الانسان مفطور على العقيدة بالخالق عز وجل لمساسها بحياته الشخصية وعواطف فؤاده الداخلية ، وقلنا ان هذه المسألة مستولية على سائر مشاعره واحساساته استيلاء غير محدود فعقله وفكره وخياله وذاكرته مسخرة لها مشغولة بها شغلا يعرف بعض آثاره من أحوال الأمم قديمها وحديثها ، وأن مسألة هذا شأنها من التسلط على فؤاد الانسان لخلقة بأن تقف في مهب فكره ، وتكون دائماً حيال خياله ، ولا عجب بعد ذلك ان شطح الانسان بمدركاته فيها شطحاً استنفديه وسع الخيال ، وجاوز به حدود الاعتدال ، ولا غرو بعد ذلك أيضاً ان أصبح لكل أمة في صفات الله تعالى وذاته كلاماً ينافي كلام جارئاتها ، ولماذا لا تكون هذه العقيدة بعد ذلك تابعة لنمو المدارك وسعة العقل ، فيصلح اللاحق غلط السابق ، وينقح الأبناء ما تسامح في اعتقاد الآباء ، وينتهي الحال بالناس الى النظر لأصحاب الأديان نظرهم للحرفين المؤولين ، المتذبذبين المتلاعبين ، ولهم الحق في هذا النظر .

جاء الاسلام ساداً هذين البابين الهائلين باب الفكر في ذات الله وباب أعمال الخيال في ادراكه ، مقررأ أن كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك . منذراً بالهلاك والثبور كل من يتجارى على التطفل على الحوم حول هذا الحمى المنيع ، أو التطلع لاكتشاف هذا السر العزيز

لأنه ليس من اختصاص هذا العقل العادى الوصول اليه ، والاشراف عليه . الا ترى ان هذا العقل يهدم اليوم ما بناه امس ، ويزرى فى هذا القرن بما كان يكبره فى هذا القرن السالف ، فلو أطلقنا للعقل حريته فى الفكر فى ذات الله وشؤونه العالیه ، وسمحنا للخيال ان يأخذ حظه من هذه المجالات السامیه ، أصبحت عقائد الدين كعقائد العلم عرضة فى كل جيل للتحوير والتغيير ، وكفى بهذا مسقطا لمهابتها من نفوس الآخذين بها ، ولو تركت بلا تحوير ولا تغيير لسكانت بنفسها أدل الأدلة على أنها أفكار بشرية ، وخيالات ذهنية ، صورها الجهل ، وزينتها الا هواء ، ولا صبحت بذلك فى واد وعقول اتباعها فى واد آخر ، اذ يستحيل على الانسان ان يعتقد ما لا يعقل أو يحترم ما يحزم أنه وهم باطل ، وخيال من الحقيقة عاطل ، كما هو حال اتباع أكثر أصحاب الأديان اليوم .

قلنا ان عقيدة وجود الخالق أمس ما يمس حياة الانسان الشخصية فهو يبحث عن صانعه الحكيم طلبا للطمأنينة على ذاته ، وغيره على حياته ، لأنه لا يستطيع أن يدرك له وجوداً أبدياً ، ولا حياة فيها جزاء عادل على الحسنات والسيئات ، ولا ناموساً عادلاً سائداً على الكون والكائنات حفيظاً عليها ، ومراقباً لحركتها وسكناتها ، ولا قدرة شاملة ، وحكمة كاملة وضعت هذا الكون على قواعد الحكمة وحسن التقدير ، الا باعتقاد وجود ذات أولية متمتعة بكل الكمال ومتصفة بأقصى ما يمكن من صفات الجلال . ثم قلنا ان هذه العقيدة

لما كانت أمس العقائد بحياة الانسان ، فهى أكثر مدركاته تسلطاً على مداركه ومشاعره وقواه ، ثم قلنا وان مسألة هذا شأنها من التسلط على فؤاد الانسان لخليقة بأن تقف فى مهبط فكره ، وتكون دائماً فى مضطرب خياله ، ولا عجب بعد ذلك ان شطح الانسان فيها بمدركاته شطحا استنفذ فيه وسع الخيال ، وجاوز به حدود الاعتدال . ثم قلنا بعد ذلك جاء الاسلام ، فسد باب الفكر وباب الخيال دون هذه العقيدة ، وحال بين شهوات العقل وبينها حيلولة لا يصح إسلامه إلا بها ، فكيف يمكنه الصبر على هذا الفصل بينه وبين أكبر شئ يؤثر على فكره وخياله ؟

نقول ان الذى يصبره على ذلك ويثبت فيه : هو ما يشعره بسببه من الكمال المعنوى الحقيقى الذى ينبع فى فؤاده ، والنور الذى يشرق على سرائره فيملأه سعادة وغبطة . والانسان مغرم بالكمال ، ومشغوف بالنور والسعادة . واذا أردت معرفة طرف من ماهية تلك اللذة والسعادة وكيفية نشوءهما فإليك .

الانسان : ما انساق إلى الفكر فى ذات الله والطيران فى أجواء الخيال فى صفاته وشؤونه ، الا ما يجده من اللذة المعنوية فى ذاته من جراء التحسس على علم ما لم يعلم ولو وهما . وقد عودنا أنه متى عدم الحقيقة ولذتها قنع بالخيال وتلهمى به ، وربما غلا فقهر نفسه على اعتبار خياله حقيقة ، وهو يعرف هذا الضعف من نفسه ولا ينكره . كل منا يشعر بلذة العلم الذى يمس مصلحته من أى جهة كانت

فتراه يرتاح لسماعه أو لاستنباطه ، ومتى حصل له منه شيء طار به فرحا وترنح له عجبا وأودعه في صميم فؤاده ، لا سيما لو كان ذلك العلم ماسا بما يشعره من الحاجة الدينية ، وما يرمى إليه من المقاصد الروحية ، وقد تحمل هذه اللذة بعض الناس على هجر أهله وبلده اكتفاء بها عن كل محبوب ، وتفصيلا لها على كل ما لوف .

ما منا أحد إلا وقد شعر بهذه اللذة العلمية سواء كانت فيما يتعلق بمصالحه الدنيوية ، وبمراميه الدينية ، ومطالبه الروحية ، وهو أمر معقول لدى الكافة لا يتردد في حصوله أحد لأن اللذة نتيجة سبب معلوم وهو العلم . ولكن ادعأونا حدوث لذة ونور وسعادة بمحض صد . قوى الفكر والخيال عن الجولان في موضوع العقيدة وبمجرد القناعة بها كما هي بدون تحديد ولا تعريف ، أمر لا يسلم لنا إلا بدليل منير .

نقول اذا كان سبب اللذة المعروفة لنا هو العلم فان عقيدة التنزيه أكبر درجة ممكن أن يبلغها الفكر البشرى من درجات العلم ، فلا عجب ان كانت لذتها أكبر لذة معروفة عند البشر . أما كونها أكبر درجة من درجات العلم البشرى فلأنها تتعلق بصفات الخالق الأقدس من جهة كونها صفات غير محدودة ، ووجالات غير محصورة . وان أردت أن تعرف كيف أن التنزيه أكبر العلم فإليك .  
قلنا ان التنزيه هو أن تنزه الخالق عن كل ما يشاكل خلقه وان تعتقد أن كل ما خطر ببالك فهو بخلاف ذلك . ولما كان الفكر



والخيال عاملين دائبين وراء استكناه المجاهيل واستنباط المساتير ،  
 باعثن للعقل على مجاراتهما في تجوالهما فسيأتياك من جهة هذه العقيدة  
 بمحصول ويحثانك على اعتقاده فان كنت غير مسلم فرحت بنتيجة  
 كدها واعتقدت ما أتياك به من العلم حتى ينهبك منه على ضلالك  
 أو يرتقى ففكرك وخيالك درجة فيهدمان من ذا كرتك ما بيناه أو لا  
 ويقمان لك عقيدة جديدة وهكذا ، أو يجمدان بك على عقيدة راسخة  
 رسمية من قبل الطائفة المسيطرة فلا تستطيع أن تعداها وهما وان  
 كنت قد فقها فعلا . وأما ان كنت مسلماً منزها عاملاً بواجب التوحيد  
 والتنزيه واقفا بقواك العقلية موافقها الحق على حسب التعليم القرآني  
 يحصل بينك وبين تلك القوى الادراكية فيك ثورة داخلية يكون  
 تيجتها من العلم العالی ما يحبيك ويسعدك . ولأجل تجلية عقيدة التنزيه  
 كما هي في جلالتها ، وتصوير ما يحدث في المعنى الانساني من الأخذ  
 والرد فيها حتى يطمئن الضمير على حقيقتها نصف لك هيئة المناظرة  
 التي تحصل بين القوى النفسية في سر الانسان :

(العقل) انا نعتقد بوجود الخالق سبحانه وتعالى . ولكن ما هو

وكيف صفته ؟

(الفكر) لقد سألت ما يجب أن يسأل عنه ، وسأبذل لك

أقصى قواي في الاشراف بك على أحسن ما تتوق اليه . وسأعتضد  
 بالخيال .

(الخيال) ليك وسعديك : اني معك حيثما تذهب فان عجزت

عن الطيران بمقتضى طبعك طرت وحدى وصدقتك فيما أحدث .  
( عقيدة التنزيه ) كفوا عن هذا الجدل . فأتتم ومن فى الأرض  
والسموات جميعاً أقل من أن تصلوا الى الله من هذا الطريق طريق  
المشاعر الحسية ، والعوامل الجسدية ، فان سلطانكم مقصور على عالم  
الشهادة وأشياءه وليس الله تعالى بما يشابهه أو يشا كله حتى تقدروا  
على الوصول اليه من هذا المسلك .

( العقل ) وما هو اذن وكيف الوصول اليه ؟

( عقيدة التنزيه ) هو أكبر من أن يحيط الوهم بسرادات كماله  
وأعلا من أن يصعد التصور الى معارج مجده وعلائه ، قدرة لا تحد  
بحد وحكمة لا تنتهى لغاية ورحمة دونها كل نهاية ، وصفات كمال لو أردت  
تصورها بهذا الفكر القاصر فلن تصل لشيء منها لأن فكرك مصوغ  
على قالب هذه العوالم المرئية المحدودة وأقيسته منتزعة من عالم الحس  
المتناهى فمهما صعدت فانت فى عالمك هذا لاتعداه والله تعالى أعلا  
من أن يقاس بالحدود والهيئات أو يدرك بالمعلومات والآلات

( العقل ) اذن فكيف يعتقد الانسان ما يجمل ؟

( عقيدة التنزيه ) إني أقول لك ان حقيقة الله أكبر من أن  
يصل اليها العلم ، وأجل من أن يصورها الفكر ، وأعز من أن تحوم  
حولها المدارك . وصفاته أعظم من أن تحصر أو تحد ، أليس هذا  
أكبر درجة من درجات العلم وأقصى غاية من غايات قوة الإدراك ؟  
( العقل ) العلم فى عرفنا أن نعلم حدود الشئ وصفاته وعلاقاته بغيره

أما هذا النوع الذي تذكره فلم نصلح على تسميته علماً  
( عقيدة التنزيه ) ان ما اصطالحتم على تسميته علماً أليس قابلاً  
للتحوير والتبديل والزيادة والنقصان حتى فيما تدعونه علوماً تجريبية ؟  
( العقل ) نعم وهذا من أخص صفات العلم  
( عقيدة التنزيه ) أفتريدون أن يكون شأن العقيدة كشأن العلم  
من حيث قبولها للتحوير والتبديل علا حسب درجات العقل ورقى  
المدارك ؟

( العقل ) لا ! لا يليق ذلك فان فيه خطا من كرامتها  
( العقيدة ) اذن فليس لنا الا أمران . امانا ولها بالآلاتنا القاصرة  
وعقولنا المحدودة وتعريضها للتحوير والتبديل على نحو ما عليه عقائد  
الأمم المبطلّة واما وقوف العقل عند حده والاقرار بعجزه المطلق عن  
تناول ما ليس من عالمه ولم يؤت وسيلة الصعود اليه  
( العقل ) اذن كيف يثلج الصدر بالعقيدة وتطمئن الخواطر لها  
( العقيدة ) الاعتقاد على النحو الذي أرسمه له لا يكاد يخالفك فيه  
أكبر ملحد فضلا عن أنه أحسن ما يثلج عليه صدر المؤمن لانه مستند  
على الحس

( العقل ) كيف ذلك ؟

( العقيدة ) ألا تشعر بضرورة وجود قدرة أبدعت هذا العالم  
المدهش وتلك القدرة كبيرة للدرجة القصوى ؟  
( العقل ) هذا أمر بديهي لا يحتاج لجدال

(العقيدة) ألا ترى ان هذه القدرة المدعة دأمة العناية بمبدعاتها مواصلة الامداد والترية لها  
(العقل) كيف ينكر الحس عاقل؟ ولكن الملحدة يسمون هذه  
القدرة نواميس طبيعية

(العقيدة) اذا كنت تنكر عليهم تسميتهم لهانواميس طبيعية فلماذا  
تهم أنت أيضاً بتقليدهم في تصورهما على صورة ما والحكم على صفاتها  
بحكم يناسب حالك؟ اذا كان الملحدة قد جاروا بتحديدهم تلك القوة  
فلباذا تريد أن تجور أنت أيضاً من جهة أخرى؟ ألا ترى انك لو  
اكتفيت بالعقيدة الفطرية وهي الشعور بوجود قدرة لاتحد أبدعت  
هذا الوجود على مقتضى الحكمة والعدل وأقلعت عن تحديدها وتصورها  
على قدر وسائلك القاصرة، وكان اكتفى الملحد من جهة أخرى بشعوره  
الذي لا يمكنه أن يخالفك فيه مطلقاً لأنه شعار هذه الانسانية أمام هذا  
الوجود المعجز، لأن الانسان لا يستطيع أن يدعى مطلقاً وجود هذا  
الوجود بلا قدرة عالية قلت لو كنت اكتفيت أنت بما تشعره بالفطرة  
من وجود تلك القدرة واكتفى هو أيضاً ولم يسمها نواميس أما كان  
ذلك داعياً لاتحادكما في العقيدة وتأخيكما عليها؟ ولكنك لم ترض  
بالوقوف مع الشعور الفطري فقامت تصور وتحكم ولم يقف هو أيضاً  
في ركزه بل أخذ يجمل ويفصل حتى سماها نواميس طبيعية. فنشأ  
بينكما خلاف موهوم ما كان لينشأ لو وقفتما عند حدكما ولزمتما مقامكما  
أما ثلج الصدر واطمئنان الخواطر فهى من لوازم التنزيه وصفاته.

فان شعورك بقدرة عالية متوالية أمر الكون والكائنات على دستور العدالة والحكمة والعلم وانها كما تولتك وانت نطفة وربتك تلك الترية الجنينية ثم هدت أمك لتربيتك وساقتها للعناية بك حتى كبرت وترعرعت ، هي نفسها التى تتولاك الآن وتبعثك بالدوافع التى وضعتها فيك الى كمال أنت مستأهل له وان لم تنته بعد اليه ولم تشرف عليه . شعورك بأنك مقود بتلك القدرة التى لاتتحده ولا توصف والتى لا يستطيع أن ينكرها أحد يجعلك هادىء الضمير تلج الصدر خاليا من جيشيات الشبه وسطوات الشكوك وهل الشبه والشكوك تطراً الاعلى محصولك العلمى وقضاياك العقلية ولكن هذه العقيدة التى لاأسمح لك فيها بالحكم عليها بفكرك القاصر وعلمك الناقص وأريد منك أن تدعها فطرية طبيعية كما هي ، كيف يطرأ عليها الشك وليست من قبيل معلوماتك المتحولة وقضاياك المتغيرة ؟

الأترى معنى بعد هذا ان التنزيه أرقى درجة من درجات العلم وانه أوجب لأن يطمئن اليه الخاطر وينشرح له الصدر وأدعى لأن تجتمع الأئم كلها عليه وتتآخى فيه تأخيا خاصا لتساوى الكل فى الشعور بموضوعه شعوراً فطرياً . وانه أعدل طريق يسلكه الانسان أمام حاجته للعقيدة وارتياحه لها .

أما النور الذى يحل بالصدر والسعادة التى تفاض عليه من حلول عقيدة التنزيه به فلأن ردع القوة الفكرية والخيالية عن الجولان فى أكبر موضوع يؤثر عليهما وإيقافهما عند حدهما دون الخوض فى

مسائله يستلزم حدوث انقلاب غريب فى دستور مملكة الانسان الباطنية واتجاهات قواه الداخلية . فانه بر دع تينك القوتين عن الجولان فى هذه العقيدة المستولية على مهاب مشاعر الانسان ومسارب مداركه كما اثبتنا ذلك قبل قليل تنقطع عن شياطين الأوهام والخرافات التى تلتصق بالدين زورا مادة البقاء فتنجلى عن النفس بحكم الضرورة وهذه الشياطين كما لا يخفاك قوى تسويلية تضليلية تحل بالنفوس المستعدة لها كما ينجذب الميكروب الى البقعة التى يجد فيها غذاءه فيفرخ فيها ويتكاثر حتى يخرج ذلك الشيء عن أصله بالتحلل . كذلك النفس الوهامة المخرفة تنجذب اليها تلك القوى الخبيثة فتفرخ فيها وتنمو وتستدعى ما هو أفتك بالحياة منها ولا تزال بضمير الانسان حتى تحلل فضائله أو تمسخها وتصرفه فى شؤونها وأهوائها الى أن ينتهى وجوده على حال من الأحوال . ولكن حلول التنزيه فى الفؤاد من جهة العقيدة وهى الجهة المتسلطة على سائر عواطف النفس واميالها يقف بالنفس موقف الطهر ويحميها من فواتك الصفات الخسيسة وخوانس القوى الشريرة فتدع الانسان لقواه الطبيعية وموابه الفطرية وهى أولى القوى بحق قيادته وأهدى الأدلة لارشاده وهداياته عقيدة التنزيه تفعل بالنفس من التطهير والتنقية وتعمرها من أرواح السكينة والحياة الصحيحة مالا يفعله العلم الطبيعى الذى يزعم اليوم أنه يحل محل الدين فى قيادة الانسان وتخليصه من أسر الخرافات الاعتقادية التى حملها لنفسه ومسوخ بها فطرته . يقول علماء الطبيعة

والإنسان ان الخالق تقدست صفاته وهب الإنسان مواهب جليلة ومنحه بما يزا نديلة وركبه مادة ومعنى على صورة قابلة للترقى والتهدب ووضع في وجود مناسب له من كل وجه وصالح لصقل ملكاته لما بينهما من الارتباط والمناسبة ولكن الأديان وكهانها قد كانت ولم تزل عقبة كئودا في سبيل رقيه بما تفتحه له من مجال الخيال والأوهام وما تلتطخ به فطرته من الضلال والأحلام وما تصرفه فيه من الأعمال التي تفسد كيانه وتمسخ طبيعته فتجعله مملوكاً للأهواء مستعبداً للأساطير بجاء العلم الطبيعي بعد أن فاز على رؤساء الأديان ونجا من مخالبهم لتخليص هذا الإنسان الضعيف من أيدي مستعبديه ومضليه بخلع كل تلك الكسف المتركمة على فؤاده ولبه من عقائد باطلة وأوهام عاطلة وتجريد فطرته عما يقف بها في أحوال النقص ويغمسها في اقذاء الرجس فتخلص مواهبه من قيودها وتستقيم ملكاته على مناهجها ويزداد على نسبة العلم والعرفان الذي يعطى له رقياً ورفعة .

هذا ما يزعمه العلم الطبيعي العصري ويرجوه ويعمل عليه فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة تخليص الإنسان من أسر الأهواء حقيقة ولكنه جار فعراه من عاطفة الدين أيضاً فضج العالم منه ضجة لم يزل دويها يخترق الآفاق للآن يسمعا أصداء الآذان والأفئدة وان أنكرها الصم المفتونون قال ( فيرنس جيا فرت ) في كتابه الغمة الحاضرة « ان العلم قد غلا في الاستفادة من سرعة تصديق العامة أكثر مما غلا رؤساء الدين ، فلقد أثبت لها عدم صحة رموزها الدينية

القديمة ووعدها بتعويضها لها بأصول ثابتة أبدية لدين حسي جديد ، فلم يف بوعده لها . ولما آب للإنسانية رشدها ، وقد فقدت شعرياتها السابقة ، وجدت نفسها حيال فراغ أوسع مما كانت فيه قبلا . وفي الواقع ماذا يفيد الانسان علمه ببعض الحوادث الطبيعية بجانب ذلك الالحاد المتجدد المؤلم الذي يجرنا اليه ضميرنا الفاقد لحرارة الحياة «  
«انهم ينصحون كل إنسان بأن يكون لنفسه دينه الخاص ، ولم يفظنوا إلى أن هذه النصيحة المزدوجة تحتوى على تناقض بين حيث ان المذهب الحسى لم يترك للإنسان مجالا فى غير المسائل المادية المحضة . »  
« ان الحقد والعداء يزدادان يوما فيوما فى نفوس أهل البأساء المحكوم عليهم بالفاقة إلى الأبد ، وان جنون البذخ والكبر ينمو على قدر ذلك لدى أهل اليسار والبذخ ، وهذا الالحاد الآخذ فى النمو يسوق جميعاتنا بعاطفة المساواة إلى حالة ثورية دائمة . وأصبحت ترى الملوك العظام يتعاقبون على عروش الملك بسرعة لم تكن تشاهد فى وزراء الأزمنة الماضية . والحكم الاستبدادى بدل أن يتشبح فى بعض الافراد أضحى منتشرا بين الملايين فكل ديموقراطى يتمنى أن يبلغ الرتب العلية . وترى الشعب لما أحس أنه خلص من أسر الواجبات الروحية التى تفرضها الكنيسة وازدرى بذلك الدستور السياسى الذى يراه يتغير بسرعة جنونية أعطى لعاطفة الأثرة فيه كل الحرية وصار يعتبر أن ماله من حق المساعدة فى إدارة شؤون حكومته وسيلة لنوال بهمار الحيوانية بأسرع ما يمكن ولقد رجونا أن نداوى مصائب النوع



الانسانى بالكنوز المادية التى أقيمت بين أيدينا من منذ قرن من الزمان. كما تكاتف العلماء والمهندسون والصناع والميكانيكيون على زيادة متاع الحياة الدنيا زيادة عظيمة . ولكن لم يكن من نتيجة كل تلك المكتشفات الا نشر حمى حب المال فى الطبقات السحيقة جداً

« فأى قانون أخلاقى يكفى لكبح جماح أهوائنا وادخالها إلى مجازيها الطبيعية المعتدلة » « لقد ذهب عنا الكمال المعنوى ولم يبق فينا إلا خوف مبهم من شيء غير مدرك . لان العقيدة بالله لا يمكن زوالها من النفس فترى الذين لا إحساس لهم يستفيدون من وراء ما وقعنا فيه من الظلمات . وترى العقول المستتيرة بالعلم ، المحرومة من الدين تعذرهم فى ارتكابهم الجرائم وبهذا فقد أصبحت الشهوات غير وافية عند حد »

« ان تحت هذا السلم الذى اقتضاه الخوف العام لأحقاداً تختمر اختاراً بأشد مما كانت فى أى زمن من الأزمان . فان جرائم الفوضويين وافلاس الماليين واتجار الاسر بأجمعها والوساوس الخرافية الآخذة فى الانتشار بين الناس والجنون الذى لا ينتظر الاسنوح الفرص ، وأصحاب الأثرة البائسين ، وكل هذا الفساد الخلقى الشديد الوطأة البعيد القرار الذى عم أجناسنا ناشئ من عدم وجود قاعدة دينية تصالح لاحداث الوحدة والاخاء بين احتياجنا الدائم للعمل وبين عاطفتنا للحب ،

« لذلك ترى ظلمات من الحزن والكمد آخذة فى الاسوداد كل يوم

ملقية اطنابها على عالمنا . ويزعم الانسان في غروره أن حرية الأثرة ستحصل له كل ما يتمناه من سرور وانسراح حتى صرنا وكل يوم لنا من طلب جديد وكل طائفة تسعى لنوال امتيازات جديدة ، وكل فرد يدعى لنفسه حقوقا ليس لها حد تنتهي اليه وبذلك فقد أصبح الانسان بين هذا العذاب المنصب عليه من الكبر والتمرد معترفا بأنه أمام الحياة أضعف مما كان في أي زمن من الأزمان »

وقال العلامة (كاميل فلا مريون) ونظن أنه غير مجهول لدى المسلمين : « لا يجوز لنا ان نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط لاننا راضينا به وأصبحت عقولنا المتشعبة بالأثرة لاهم لها الا اغراضها الذاتية اليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها ، والحصول على المجد بطريق الاغتيال لا الكسب والجمود وعدم الاهتمام بالدستور والواجبات ؟ » وان من التناقض بين المؤلم ان ترى ان الرقى الباهر الذي حصل في العلوم بملا مثيل له في التاريخ ، وان هذه الفتوحات المتواليه التي تمت للانسان في الطبيعة بينما رفعت عقولنا الى المدركات العاليه اهبطت انسانيتنا الى احس الدركات . ومن المحزن ان نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوما بعد يوم ، تنطفئ حرارة قلوبنا وتتصوح زهرة حياتنا القلبية بتأثير غلبة المطامع المادية والشهوات الجسديه » انتهى

إذا علمت هذا رأيت أن الصراط الآلهي الأعدل والمخرج من كل هذه الفتن المزججة المحتاحه هو الاسلام فانه المنهاج الوسط بين افراط

الأديان المحرقة وتفريط العلم الطبيعى . افطرت الأولى فى أسر الانسان واطلق كيانها لأنفسهم عنان الحرية فى أسر العالم وتسخيره بأرادتهم فثارت الانسانية فى وجوههم وقارتهم بالحديد والنار حتى خلس العالم منهم بقاء العلم ولكنه فى طرف التفريط فزال عن النفوس اعز مطلوباتها وسعى فى اقناعها بما كان قيامها على الصراط الحيوانى مقصوراً على الطين ولذاته والحس ومقتضياته ، منكرأ لها الروح والخلود والثواب والعقاب وعالم ما وراء المادة فاستراحت اليه هنية واستنامت له برهه ثم أحست بما أفرعها وازعجها ، فقامت تنشد مطلوبها بعز أو تطلب مفقودا غاليا . وما هو ؟ هو الاسلام لأنه حاصل على ارقى ماتوق اليه النفس من مطالب روحية وكالات نورانية وعواطف قلبية ، وحال بأقصى ما يتمناه العلم من معاداة الخرافات ومجافاة الظنون والوقوف بالنفس موقف الطهر عن اعتقاد الأوهام واقتفاء أثر الخزعبلات وتسليم قياد النفس للقادة المضلين والهداة الغاوين الخ الخ مما يطلبه العلم ويجهد نفسه فى تقريره . لأن عقيدة التوحيد وهى توحيد الله فى ذاته وصفاته وأفعاله وعقيدة التنزيه وهى ردع الفكر والخيال عن الحوم حول تصوير الخالق وتكييفه وما يقتضى ذلك من الأدب النفسانى الباهر وما يتبع ذلك من البعد عن الظن والتقليد والاعتقاد بلا دليل الخ الخ مما هو من قواعد هذا الدين القيم كل ذلك يجعل المسلم أشد حيلة لنفسه من أى عالم أو متعلم على الاسلوب الحديث فان المسلم يعتقد أنه مسؤول عن كل شئ

وعن أقل زئج في الدنيا والآخرة لاني الدنيا وحدها كما هي عقيدة طلاب العلم الطبيعي فهو بالضرورة أكثر احتفاظاً منه بنفسه . لا تقل فلم لانرى المسلمين كما تصف فاني أقرر ماهية الاسلام من أنه الصراط الالهى الأعدل الذي سيرث العلم والأديان معاً . أما المسلمون فلنا عليهم كلام آخر .

إذا تقرر هذا فقد ظهر لك بأجلا الأدلة أن الاسلام الذي عنوانه لا إله إلا الله محمد رسول الله وحليته التوحيد والتنزيه بأخص معانيهما هو الدين الحق الذي سيؤوب اليه المفرطون والمفرطون معاً . أما المفرطون من أصحاب الأديان فانهم يلاقون من أنفسهم ومن الوجود كل يوم حربا عوانا وقد رأيت وترى انهم يقولون في كل صقع ويضؤلون في كل جهة وليس هذا الاضمحلال عرض يزول بل هو مستند على موانع طبيعية تمنع من بقاء أديانهم لمخالفتها للعقل وللطبع معاً . وأما المفرطون من أصحاب العلم الطبيعي فلا يمكنهم الثبات في وقفهم مع الحس وقد أريناك أنهم أخذوا يجأرون ويصيحون بفقد العقيدة . اذن فلا بد من دين يتفق عليه الطرفان ويكون وسطا بين الافراط والتفريط وكتابه محفوظاً من التحريف والتخليط وتاريخه معروف مشهور . ولادين فيه هذه الصفة الالهية غير الاسلام الذي جاء يدعو الناس اليه محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله فيه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً أو نذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « سنريهم



بسحر التمدين الغربي ، بأن محض تقليد الأوربيين في مظاهر مدنيّتهم يرفع من شأن الأمم لهذه الدرجة التي تشاهد عليها الأمة اليابانية يحدث فيها أموراً جساماً ويكون في أحشائها جرائم مضرّة أكثرها يميت لعواطفها الذاتية مجتاح لعناصرها الحيوية ، لأنها بذلك تلقى بنفسها بين يدي مظاهر المدنية الساحرة بدون حساب ولا روية وتوهّم بأن التقليد على إطلاقه سبب حياة الأمة وسرّ تقدمها فتهمك بصورة علنية في التقليد الشائن الذي هو عرض من اعراض مرضها الاجتماعي الشديد الوطأة ، ثم لما تأنس من نفسها الضعف والانحلال كلما تمدت في التقليد والمحاكاة ظنت بنفسها الظنون ، ووقر في قلبها انها أمة ميتة لا محالة ، ولولا ذلك لأفادها العلاج الذي أفاد غيرها ، ومتى سكن ميكروب اليأس في فؤاد أمة تناسل وتكاثر وأتج من صنوف الأمراض الاجتماعية والأديية ما لوزل بعضه بأمة لتكث قتل القتها ونقض حبل رابطتها ونخر عظام تماسكها وجعلها أترا بعد عين . والله يشهد أن الأمة اليابانية أمة حية من منذ ( ٢٥٠٠ ) سنة أدتها حياتها لأن تختلط بالأمم الغربية بدون أن تفقد شخصيتها واستقلالها وناهيك بهذا دليلاً محسوساً على سابق حياتها ثم لما شارفت العلوم الجديدة والمكتشفات الصناعية الحديثة التهمتها بهمة الاحياء وغيره الأقوياء فبرعت فيها وكادت تفوق الأوربيين ، وستفوقهم لا محالة إن شاء الله . هذا هو الحق الصراح ولكن بعض كتابنا أبوا الا أن يتحمسوا لهذه الأمة بدون حق ، ولقد غالوا حتى جعلوها أعجوبة العالم مما لورآه الياباني نفسه

لانكره وضحك منه وعده شيئاً فرياً كما غالوا قبل سنين باطراء البوير  
والتمدح بشجاعتهم حتى زعموا أنهم أشجع أمة ظهرت في الوجود من  
لدى آدم عليه السلام لليوم مع أنهم لم يقفوا للعالم موقفاً كوقف  
بدر وحنين واليرموك والقادسية وغيرها مما يتلألاً بذكره التاريخ  
العام وصار آية باهرة للأنام .

هذا هو الضرر الاجتماعى ، أما الضرر الدينى فهو أن هؤلاء  
الكتاب بزعمهم أن الأمة اليابانية حيت هذه الحياة المدهشة فى أقل  
من نصف قرن قللوا من أهمية معجزات الانبياء وخصوصاً معجزة  
امامهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان المسلم متى تخيل أن الميكادو  
وبعض الزعماء رفقوا الأمة اليابانية بعد أن أحيوها فى أقل من نصف  
قرن فلا يجد فرقاً كبيراً بين هذه الحادثة وحادثة احياء رسول الله  
صلى الله عليه وسلم للأمة العربية فى ثلاث وعشرين سنة فيخرج الايمان  
من صدره رغم أنه لما يراه من التشابه بين الحادتين والتشاكل بين  
النتيجتين فيستعد فواده بذلك لقبول كل الأفكار الاحادية بدون نقد  
ولا روية . والله يشهد أن هذه جريمة لم يقصدها كاتبوها ولكنهم  
مدينون على كل حال كما يدان كل انسان يتكلم فى الشؤون الاجتماعية  
والامور الحيوية ويعطى نفسه وظيفة الارشاد والتقويم قبل أن يتخذ  
العدة الكافية التى تقويه شر السقوط بالامة فى أمثال هذه المخاطر  
الاجتماعية والأدبية ، فهو كالرجل الذى لم يتقن صناعة الطب وإنما  
حفظ شيئاً من اصطلاحاتها وبعضاً من تراكييب علاجاتها فهو يعالج

كل مرض يعرض له ويقيس النظر على نظيره ولا يدري أنه قد يتشابه الأمران في ظواهرهما ويتخالفان كل التخالف في طبيعتهما وعلاجهما حتى أنه لو عولج أحدهما بما يعالج به الآخر لاستشرى أمره وتفاقم خطبه وصار داء مميّساً لا محالة بعد أن كان قد رجي علاجه . هؤلاء الكتاب كتبوا في هذا الموضوع كثيراً ولا يزالون يكتبون ولا ندري إلى أين يتهبون بالامة كما لا ندري إلى أي درجة تروج مغالاتهم بعد أن كتبنا في المؤيد لمبتنا تلك التي نقلناها في مباحثنا في شهر تقدم ونحن بالعود إلى الكتابة في هذا الموضوع نرجو بأن يؤبوا إلى الاعتدال في مقالاتهم وان يتحروا المسائل الاجتماعية ويستتجوا نتائج كل ما سيكتبونه قبل أن يخطوا حرفاً واحداً فيه فان وظيفة ارشاد الامة ووظيفة عظمى تهبها العالم ولا يكاد يتولاها إلا مرتعد الفرائص ، مرتعش اليد واللسان ، لتحقيقه من خطرهما . فكيف لا يكون غير العالم أولى بذلك التهب وأجدر بأكثر من هذا التخوف ، ولكن هو الشعور وعدم الشعور فمن شعر بخطر المركز وخرج الموقف تأدب وتهيب ، ومن لم يشعر بشيء من ذلك أقدم غير هيب ولا متلكنى . وما يزيد الأمر استعصاء ويكسب هؤلاء المتهجمين على مالم يحسنوا اقداماً وتهجماً هو أن الامة ضعيفة النقد خصوصاً فيما يختص بالمسائل العلمية لقلة المشتغلين بها في بلادنا ولاحتقار من يشتغل بها بأمثال أولئك المتهجمين احتقاراً لا يجاوز أفئدتهم ولكن لو كان في الامة روح انتقادية شديدة تطالب كل قائل باقامة الدليل على ما يكتب ونصب الحجة على ما يقول لقل خطر



أولئك المعطين أنفسهم رئاسة الأمة الفكرية بغير حق .  
 هذا ما حدا بنا لكتابة ما كتبناه عن الأمة اليابانية ويحدو بنا  
 لمواصلة الكتابة في هذا الموضوع لنستطيع بحول الله أن نلاشى الخطر  
 الذي تنتجه تلك المقالات الغلوئية على أحوالنا الاجتماعية والأدبية  
 ونبدأ اليوم بترجمة مقالة كتبها الاستاذ الفسيولوجي الشهير ( شارل ريشيه )  
 ( في المجلة ) الفرنسية ثم تتبع مقالته بما كتبه الفيلسوف ( جان فينو )  
 مدير المجلة المذكورة ردا عليه ليقف المسلمون من خلال المحاوره بين  
 قائدين عظيمين من قادة النهضة الأوربية على حكم العلم وحكم الفلسفة على  
 الشرق والشرقين لاسيما وان هذه المقالات تجمع الى الحقيقة العلمية  
 اللذة العقلية مما يحسن بنا أن نجعل لها محلا من مباحثنا ، والله الموفق وهو  
 حسبنا ونعم الوكيل .

قال الاستاذ شارل ( ريشيه ) : ( المجلة مجلد ٤٩ )

حضرة المدير المحبوب

اسمح لي أن استلفت نظر حضرات قرائك إلى نقطة يلوح لي أنها  
 جديرة بالبحث الدقيق ولو أنها مهمة كل الإهمال ألا وهي مسألة الحرب  
 بين الروسية واليابان . ولست في حاجة لأن أقول ان هذه الحرب في  
 نظري فاضحة ككل حرب تقدمتها ، لأنها حلقة من حلقات سلسلة  
 الفظائع الانسانية المستمرة وأظن أن كل انسان متمدن يشعر بشيء من  
 الخجل حينما يرى أن الوحشية والبربرية لم تزل موجودة قوية في العالم  
 رغمًا عن مساعي العقول السامية الكاملة في محوها .

لاشك عندنا في هذه النقطة نغلنا منها  
 أما طلب بعض الناس لتداخل فرنسا في حسم هذه المحنة فضلال  
 لا يستحق أن ندحضه نغلنا منه أيضاً  
 ولكن مما يصعب تفسيره أنه يوجد شيء من التردد في الاحساسات  
 العامة من جراء حدوث هذه الحرب

نعم ان هذه الحرب هي أول حرب فعلية حدثت بين عنصر وعنصر  
 آخر . وقد تقدمتها حروب أخرى بين البيض والسود وبين البيض  
 والصفير ولكنها لم تكن حروباً في الحقيقة ، فان مقارعة السود أو الحمر  
 أو الصينيين للبيض لم تكن صورة حرب فانها فارت ثم هدأت بسرعة  
 وبصفة حاسمة . أما هذه الحرب الحاضرة فعلى الضد من ذلك فان  
 الأسلحة فيها متساوية أو تكاد تكون كذلك فهي فيما أعلم أول حرب  
 عنصرية محزنة هبت في تاريخ العالم .

متى كانت أمتان أوروبيتان مشتبكتين في حرب فتلك حرب أهلية  
 حقيقية لأن كل الأمم الأوروبية مرتبطة ببعضها بروابط القرابة . فان  
 سكان الممالك المتحدة بأمريكا هم خليط من كل الامم الأوربية والايطاليان  
 وسكان جنوب فرنسا هم من القرابة القريبة بحيث يستحيل عليك أن تميز  
 بعضهم عن البعض الآخر . وان الانجليز والالمان والبلجيكين والفلنك  
 قد اختلطوا بعائلتنا بروابط أكيدة بحيث انه لو صح أن يقال ان  
 هناك أمة فرنساوية وأمة انجليزية وأمة ايطالية فلا يمكن أن يقال  
 جنس فرنساوي و جنس ايطالي و جنس انجليزي . هذا من الحقائق

الواضحة التي لا يمكن المراء فيها من هناصارت كل حرب بين الاورويين فيما بينهم مستفظعة غير شرعية مثل كل حرب تقع بين الاخوان. أما الاختلافات الحاصلة بين هذه الأمم في أشكال حكومتها ولغاتها وطبائعها ودياناتها فليست الا اختلافات سطحية شأنها شأن التخوم والحدود التي يقيمها محصلو الجمارك . أما الذات الانسانية بالنسبة لكل الاورويين فهي واحدة لا تتغير . ان أردت الدليل فرب شاباً فرنسياً في روما وآخر في ادمبورج يصعب عليك بعد أن يشبا أن تميز الاول من الايطاليين الذين عاش بينهم . وأن تميز الثاني من الأيكوسيين الذين أخذ اخذهم في اللغة والعوائد .

ولكن هذا ما لا يشاهد له أثر اذا قارنت بين رجال الأورويين ورجال من الجنس الأصفر ويكون الخلاف أشد لو كانت المقارنة بينهم وبين رجال من الجنس الأسود . فاذا ريت طفلاً يابانيا في روما أو لندرة أو مدريد أو برلين فلا تراه الا يابانيا دائماً متميزاً عن كل أفراد الجنس الأبيض الذين عاش بينهم ولم يختلط بهم . واذا غفرت لي هذا التشبيه الهزلي قلت ان ذلك الياباني يمكن تمييزه بين الأورويين كما يمكن تمييز الكلب الصغير ذى الشعر المجعد عن الكلب الاسبانيولى الكبير ذى الوبر الطويل فالغلط في تمييز الياباني عن البيض غير ممكن بوجه من الوجوه . لأن الخلافات بين الجنسين ليست غاشة سطحية تصورية تجلبها العادة واللغة والترية بل هي اختلافات حقيقية متأصلة لاشيء يقلل من ظهورها أو يمحو أثرها . فان الجمجمة

اليابانية يعرفها رائيها عن بعد بينما لا أظن أن أكبر عالم بالانسان يستطيع أن يميز بين جمجمة أحد سكان أيتنا وكومباناهاج أونيو يورك . وبناء عليه فيوجد بين الجنس الأبيض والجنس الأصفر خلاف ظاهر وهذه دعوى الثانية التي لا تفترق في الجلاء والظهور عن سابقتها .

وبما أنه وجد الخلاف فلا بد اذن من أحد أمرين : فاما هنالك تساوي في الادراك أو فوقان أمة على أمة فيه . وهذه قضية لا أتصور أحدا يتردد فيها وهي ان الجنس الأبيض هو الأعلى مكانة والاسمى منزلة وهذا أمر واضح لا يحتاج لدليل فان قيل لى ان دعواك سمو الجنس الأبيض على غيره تجرئه على استحلال الخديعة والكذب والسلب والقسوة والوحشية ، قلت انى ما أبحث له ذلك ولا استحسن وقوعه منه ولا غرض لى من قولى هذا الا اثبات سموه على الجنس الأصفر وسأحاول أن أثبت ذلك له الآن بالبرهان .

لأبدأ موضوعى بابداء دليل يمس مصلحة مناظرى الذاتية فأقول : انى أظن أنه لو كلف أحد المعجبين باليابانيين بالتزوج بامرأة يابانية زواجا شرعيا لقطب وجهه وأبدى من ذلك أنفة واشمئزاز . ولا يرتاح أبدا أولئك اللوردات الانجليز المتشيعين لسياسة المعاهدة اليابانية لو رأوا يوماً من الأيام أن بناتهم يمان الى أولئك الاعيان اليابانيين القصار المضحكين الماشين مشية العجب والخيلاء فى شوارع (طوكيو) وان كانت البستهم محلاة بأشرطة الذهب والفضة . وأرجح أن أحقر

عامل في جريدة التيمس تلوح عليه علامات الغضب الحق اذا علم أن ابنه تزوج بامرأة من سروات اليابانيات ولا شيء من هذا الزواج يخشى منه ولكنى لا أظن أنه يمكن أن يسردلى منه حوادث عديدة وقعت فعلا . وهذه مدام كرزاتيم ليست الا حيوانا صغيرا من مقتنيات أهل البذخ ، ظريفة طائعة ، بل ذليلة رقيقة تصلح لأن تكون في البيت بجانب البيغاء والقرود تسلية في أوقات النفي والانغزال .

هل هذا الاحتقار الذى يظهره الجنس الأبيض بازاء الجنس الأصفر مشروعا حقيقيا ؟ نعم وهذا هو التاريخ يجيبنا عن ذلك وهذه كل فتوحات المدنية ، وان لم تكن للآن شيئا كبيرا ثبت وتشهد بأن الجنس الأبيض هو الذى عمل كل شيء .

هذا ( هومير ) و ( نميدياس ) و ( أرسطو ) و ( تاسيت ) و ( كبلر ) و ( كنت ) و ( لينيز ) و ( شيكسبير ) و ( نيوتن ) و ( فولتير ) و ( لافوازييه ) و ( باسكال ) و ( فيكتور هوجر ) و ( باستور ) و ( بتوين ) و ( جوث ) لم يكونوا الا مليزيين ولا صينيين ولا يابانيين ولم يكن فى دماهم قطرة واحدة أجنبية . فالعالم يرتقى مقوداً بالجنس الأبيض وحده ، وهذه حقيقة لا يجسر على نكرانها الا من كان عديم الذمة . واذا قص علينا قاص بدون دليل ولا حجة بأن الصينيين هم الذين اخترعوا الطباعة قبلنا والبارود فلا نندش من ذلك لأنهم لم يستطيعوا ان يستفيدوا منها . ترى لهم ألف باء تدل على بهالة أهلها

( م - ١٨ - ثانى )

وأديات مضحكة . أما من جهة صناعتهم التي ضربوا بها المثل فليسوا هم الذين نحتوا تمثال فينوز بميلوا ولا المصارع المحتضر من عمل صناع طوكيو . وليسوا هم أيضا الذين كتبوا قصتي « دون جوان » و « لوهانجرين » . وليس لديهم ما يشبه أقاصيص فوست وهاملية والبؤساء . والعلماء فولتا وجالفاني وأمبير وفاراديه لم يستعينوا بعلماء تلك الأصقاع في مباحثهم الكهربائية والحساب والهندسة التحليلية وقانون حفظ القوة ونظرية الميكروبات لادخل لعلماء الصينيين في حدوثها . وهذه الخطوط الحديدية والتلغراف الكهربائي والفتوغرافيا وكل صنائعنا بدون استثناء من فتوحات الجنس الأبيض دون غيره .

ومن يضع بجانب كل فتوحاتنا العقلية الجليلة تلك الأواني الصينية والحواجز والأشياء الصناعية التافهة وتلك الصور المضحكة المقطبة المعروضة في المعارض العمومية فقد صنع ما يمثل المزاح في أقصى درجاته .

فلنعلن اذن على رؤوس الأشهاد بغاية الصراحة ما يفتكره كل واحد منا في ضميره ولتكن جسورين في ابداء رأينا ولنقل أن اليابانيين هم من مهرة المقلدين ليس الا . فقد أريناهم كيف يعملون مدرعة فعملوها ( في انجلترا ) وعلمناهم مزية الدستور الياباني فأحدثوه حتى أن لهم مجلسين عموميين . وقد قلدونا حتى في الخدمة المتنقلة مما نسميه جمعية الصليب الأحمر التي تسعى أن تتلاقى بالليل شيئا من المصائب التي حصلت بالنهار . وما يدل على انهم يقلدونا تقليداً أعمى هو أن لديهم

صحافة وطنية تطعن على الأجانب على شاكلة الصحافة الوطنية في باريز ولوندره . فاليابانيون اذن مقلدون بل من أمهر المقلدين ولا نبخل عليهم بهذه الصفة ولكن العالم لا يقوده المقلدون وقد دل التاريخ العام في مدى الخمسين قرناً التي حيينها الجنس الأصفر بأنه غير أهل للاكتشاف والاختراع .

هنا ربما يعترض على بذكر كونفسوس . فأقول ان كونفسوس هذا الذي لم يقرأ عنه أحدنا شيئاً ولم تتكلم عنه الاسماعا والذي ربما كان صورة ذهنية محضة هو من قبيل المستثنيات الظاهرة على خلاف العادة أو الظواهر المناقضة للعاديات فلم يكن نصيبها الا أن تكون مقصورة على المكاتب . واذا وضعنا كونفسوس في جهة وفي الجهة الأخرى سقراط وافلاطون وسينيك والمسيح ومارك أوريل وارسطو وسان اجوستان وكونت وتلستوى وليبنيز وباسكال وديكارت وكانت وكل فلاسفتنا الاخلاقيين فلا يمكنك أن تتمالك نفسك من الضحك اذا أردت المقارنة « نقول هكذا فليكن التعصب الذميم »

ان انحطاط الجنس الأصفر عن رتبة الجنس الأييض لا تستنتج من حوادث التاريخ فقط بل يمكن اثباتها عليا أيضا .

النوع الانساني قائم بذاته لا يشتهه بغيره فلا يمكن التردد في تحديد فرد من أفراده حتى لو قارنت واحداً من أحط المتوحشين بقرد من أرقى رتب القرود ، لانه لا يوجد شك في الحد الفاصل بين الانسان والحيوان . ومع ذلك فانه يوجد على كل من الحديد الناصلين لهذين

المملكتين الانسانية والحيوانية بعض ظواهر مهمة من القرابة ، فان ابعاد الزوايا الوجهية وحجم المخ ونسيج بعض العضلات وبالاختصار فان التشريح الذى لا تأول نصوصه يقرر هذه القرابة بين انسان الجنس الأصفر . وبين القرد . ولكن التشابه يقل فى الجنس الأصفر . هذا أدريه ولا أجمله ، ولكن مما لاشبهة فيه ان فى هذا الجنس علامات تشريحيه تقرب أفراده من القردة أكثر مما لدى الانسان الايض منها .

هذه حقيقة مشاهدة فلا يعيننا ان أفرحت بعضا وكدرت البعض الآخر لانها حقيقة علمية يجب الرضوخ لها ولما ينتج منها ، نقول هذا بكل تحفظ واحتراس . وما على المتردد فى هذه القضية الا أن يزور دارا من دور تشريح المقارنة ليتحقق بما نقوله بالدليل المحسوس . وكل ما يقوله محبو النوع الانسانى مما يخفف هذه الأحكام العلمية لايساوى تأثيره على العقول تأثير وزن مخ أو أخذ مساحة جمجمة أو قياس زاوية وجهية ، ومما قرره العلم وأصبح من بدائمه هو أن الفرق بين القرد الانسان الايض أكبر بكثير من الفرق بينه وبين جنس من الاجناس الاخرى

من هنا لا يتضح فقط ان بين الجنس الايض والجنس الأصفر اختلافا بينا ولكن يتضح أيضا ان سمو الاول على الثانى من المقررات البدئية علميا وتاريخيا و باجماع العالم سواء كان هذا الاجماع استنتاجيا أو نصاً بين سائر البيض حتى بين الصفرة والسود معا



نعم ان هؤلاء الرجال أمثالنا في الانسانية وهم اخواننا . هذا أمر  
لامرية فيه ولكن مما لامرية فيه أيضا انهم اخواننا الا حطون .  
اذا تقرر هذا فما هي النتيجة التي أستنتجها من هذا البحث ؟  
انها بسيطة جدا ويمكن اختصارها في كلمة واحدة الا وهي : العدالة .  
فانه مادمننا نعامل انسانا مثلنا سواء كان احط منا أو مساويا لنا فله علينا  
مراعاة العدالة الحققة . وان نقض العهد حرام في ذاته سواء كان بازاء  
زنجي أو أبيض . واتصاف انسان بالوحشية والقسوة أمام أي كان  
لا تخليه من وصمة الوحشية والقسوة . ومن يسرق صينيا شيئا أو يخون  
يابانيا أو يضرب زنجيا أو يكذب على ماليزي فقد ارتكب آثاما فظيعة  
ولا عذر له على سرقة وخيائه وكذبه .

وإني لأدعي بأن صفاتنا من السمو على الجنس الأصغر توجب  
علينا أن يكون لنا أخلاق أسمى من أخلاقه ، ولكننا في غالب الأحيان  
نرى الجنود الأوربية بأسلحتها المتقنة ونظامها العسكري المخيف تظن  
أنها مطلقة التصرف في حياة المغلوبين لهم ولا يدري أولئك الغفل أن  
سيرتهم هذه بهذا الاجحاف والسلب تسقطهم الى حضيض أدنى من  
الحضيض الذي فيه مغلوبهم . اذ لاشي أجدر بالتحقير والازراء من  
الافراط في استعمال القوة

كلاثم كلا إن انتساب الانسان لجنس أرقى من جنس آخر  
لا يعطيه حق العسف والاجحاف مطلقا  
ولكننا اذا كنا مدينين لهؤلاء الأجانب ولهؤلاء البرابرة بالعدالة

فلسنا مدينين لهم بشيء آخر . ومتى ادعوا لأنفسهم كما هي الحالة الراهنة حق الصعود الى الدور المكروه دور الفتح والغارة على الأمم وجب علينا أن نرفض عليهم كل ادعائهم وان نردهم الى العدل .

يجب على كل إنسان أن يعنى بمستقبل النوع الانساني . فان حدث في تاريخ الانسان هذا الحادث المستحيل وهو فناء الجنس الأبيض أو خضوعه للجنس الأصفر فتلك حادثة أكثر خطراً على العالم من انكسار الحوادث الجوية التي يمكن أن تسقط من السماء على هذا الكوكب الأرضي . لأنه بهذا الحادث الجلل يكون مستقبل الانسان مهدداً للغاية اذ تحل تلك الهياكل الصينية وتلك الصور المضحكة وتلك اللغة المركبة من مقاطع فردية محل مدينتنا هذه الفخيمة الآرية ويكون هذا الانقلاب مبدأ لرجوع النوع الانساني للحيوانية .

### خوارق العادات والأسباب العادية ككلاهما ممكن

( والفعل والتأثير فيهما لله وحده )

كتب لنا حضرة الأستاذ المحترم : صاحب الامضاء مقالة بهذا العنوان ، فلم نربدا من نشرها في مباحثنا واتباعها بما يعن لنا في هذا الصدد الخطير الذي أصبح الشغل الشاغل لكثير من الناس ، والله الموفق للصواب . قال حضرة :

التوحيد هو افراد المعبود بالعبادة ، واعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا

وأفعالا ، وتوحيد الأفعال : هو أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما ، والا لزم أن يستغنى ذلك الأثر عن مولانا عز وجل ، سواء كان خوارق عادات أو أسباب عادية ، وهو محال . إذ أن سائر الأفعال لله تعالى وحده خلقاً وإيجاداً ، وما نسب لغيره فمن باب الكسب والمجاز ليس إلا والناس بهذا الاعتبار مخاطبون ومكلفون . وكما أنه لا يقال لمن اتخذ الأسباب الكونية العادية واسطة في أحواله وشؤون المعاشية ، كافر أو مشرك . كذلك لا يقال لمن اتخذ خوارق العادات واسطة مشرك أو كافر أيضاً ، لأن كلا الأمرين ممكن ، والفاعل المطلق فيهما هو الله وحده ، والا لزم عليه كون الأمرين المتساويين مساوياً لصاحبه ، راجحاً عليه بلا سبب وهو محال .

والبرهان على أن الله سبحانه وتعالى كما شرع الأسباب الكونية ، شرع الاستشفاع والتوسل بالأنبياء والأولياء ما سنوضحه فيما يأتي إليك البيان : الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وباخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء ، والصالحين ، هي عبارة عن سؤال الشفاعة منهم لقضاء الحوائج ، ودفع النوائب ، وتفريج الكرب ، ولا ريب أن كل من يناديهم من المؤمنين ، فهو عالم أنه لا يعبد إلا الله ، ولا يفعل ما يريد ويمنح ما يطلب إلا الله ، وليس هؤلاء إلا شفعاء فقط ، وقد أرشدنا الله ورسوله للاستغاثة بعباد الله الصالحين من الأنبياء والأولياء . قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا

إليه الوسيلة « والوسيلة ما يتوسل به الى الله تعالى من عمل صالح أو عبد صالح .

وجعل العبد الصالح وسيلة الى الله تعالى ، إنما هو من اعظام جانب التوحيد لأن من شهد سوء حاله وكثرة ذنوبه لا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه فتجتمع همته على التوسل لله تعالى بأوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب ، وانكساراً للرب واعظاءً لجانب القدرة الالهية ، وإيماناً بأن الله هو الفعال لما يريد .

وأحبابه المرضية شفاعتهم لم ينالوا ذلك الا لاتباعهم لنبيهم الكريم ولوقوفهم عند أمره العظيم قال في الكشف عند هذه الآية المتقدمة : ( الا كل ذى لب الى الله واسل ) وقال تعالى « ولوأنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » دلت الآية على حث الأمة على المجئى اليه صلى الله عليه وسلم والاستغفار عنده واستغفاره لهم وهذا لا ينقطع بموته وإن وردت الآية في قوم معينين في حال الحياة لكنها تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين وذكرها المصنفون في المناسك من أهل المذاهب الأربعة ودلت أيضاً على أنه لا فرق على الجائين بين أن يكون مجيئهم بسفر أو غيره لوقوع جاءوك في حيز الشرط الدال على العموم وقد صح صدور التوسل من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها أما صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم فقد صح

في أحاديث كثيرة منها أنه كان من دعائه ( اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك ) وصح في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعوا به فنها مرواه بن ماجه بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك الخ أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك ) وذكر هذا الحديث الجلال السيوطى فى الجامع الكبير وكثير من الأئمة فى كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون ، حتى قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند الخروج الى الصلاة ؟ فانظر الى قوله : بحق السائلين عليك ، فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن ، وروى الحديث المذكور ابن السنى باسناد صحيح عن السيد بلال المؤذن رضى الله عنه ، ورواه الحافظ أبو نعيم فى عمل اليوم والليلة ، ورواه البيهقى فى كتاب الدعوات ، فعلم من هذا كله أن التوسل صدر من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر أصحابه أن يقولوه ، ولم يزل السلف من التابعين ومن بعدهم يستعملونه ولم ينكر عليهم أحد .

ومن التوسل أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى بعض أذعيته بحق نبيك والانبيا الذين من قبلى رواه الطبرانى بسند جيد فى الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه من حديث طويل يتعلق بالدعاء للسيدة فاطمة بنت أسد رضى الله عنها وروى ابن أبى شيبه عن جابر رضى الله تعالى عنه مثله وابن

عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنهما مثله ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضى الله عنه ذكر ذلك كله الجلال السيوطى فى الجامع الكبير . ومن الاحاديث الصحيحة الواردة فى التوسل مارواه الترمذى والنسائى والبيهقى والطبرانى باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابى مشهور ( ان رجلا ضميرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم الخ فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك . وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعي في ، فعاد وقد أبصر ) وليس لمنكر التوسل أن يقول إنما كان ذلك فى حياته صلى الله عليه وسلم لان هذا الدعاء استعمله الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم رضى الله عنهم فقد روى الطبرانى والبيهقى ( ان رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة لا يلفت إليه فشىكى ذلك إلى عثمان بن حنيف الراوى للحديث المذكور فأمره بالوضوء والصلاة والدعاء المذكور ثم أتى إلى عثمان بن عفان بعد ذلك فقضى له حاجته ) وروى البيهقى وابن أبى شيبه باسناد صحيح أنه حصل تحط فى خلافة عمر فجاء بلال بن الحرث رضى الله عنه إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يستسقى لأمته فسقوا ، وفيه النداء والتوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم بعد الموت وهو من أعظم القرب . وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم عليه السلام قبل وجوده فى الدنيا حين أكل من الشجرة وهذا الحديث رواه البيهقى باسناد

صحيح في كتابه المسمى دلائل النبوة عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ورواه الحاكم وصححه . وإلى هذا الحديث أشار مالك رضى الله عنه للنصور حين سأله أأستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعوا ، فقال له ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى ذكره القاضى عياض فى الشفاء باسناد صحيح والسبكي فى شفاء السقام والسروردى فى خلاصة الوفاء والقسطلانى فى الماواهب اللدنية وابن حجر فى الجوهر المنظم

واستقى عمر بالعباس عام الرمادة لما اشتد القحط فسقوا كما فى صحيح البخارى ، وفيه رد على من منع التوسل مطلقا وعلى من منعه بغير النبي صلى الله عليه وسلم ، واستسقاء عمر بالعباس دون النبي صلى الله عليه وسلم ليبين للناس جواز الاستسقاء بغيره كما يجوز الاستسقاء به صلى الله عليه وسلم . وإنما خص عمر العباس دون غيره لبيان أنه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ، فان عليا رضى الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضى الله عنهما . فيحصل مما تقدم أن مذهب أهل السنة والجماعة جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين كما دلت عليه الأحاديث السابقة وغيرها مما يطول شرحه ، لأننا عشر أهل السنة لانعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا إيجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا الله وحده . والأنبياء والأولياء لا تأثير لهم فى شىء . وإنما يتبرك بهم ويستشفع بمقامهم لكونهم احياء

الله تعالى . والذين يفرقون بين الأحياء والأموات وبين الأسباب الكونية وخوارق العادات هم الذين يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات وللأسباب الكونية دون خوارق العادات ، ونحن نقول : الله خالق كل شيء « والله خلقكم وما تعملون » فالمجيزون للتوسل بالأحياء دون الأموات هم المعتقدون تأثير غير الله وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم الى الشرك ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم . فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحياء الله تعالى ، على أن ذكر هؤلاء الأحياء سبب عادي في حصول ذلك التأثير من الله تعالى مثل الكسب العادي فانه لا تأثير له أيضا بنفسه . ونقل عن الخطيب البغدادي عن الحسن بن ابراهيم الخلال أنه قال ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به الا سهل الله سبحانه وتعالى الى ما أحب . وذكر ابن الجوزي في صفوة الصفوة أن ابراهيم بن الحربى كان يقول قبر معروف الكرخي الترياق المجرى . وذكر مثله الخطيب البغدادي في تاريخه وصح ان الامام الشافعى رضى الله عنه قال قبر موسى الكاظم ترياق مجرب . وقال سيدى أحمد الرفاعى الكبير فى كثير من كتبه ان التوسل بالأولياء انما هو بمحبة الله تعالى لهم . ومحبة لهم صفة له تعالى ونعم الوسيلة له صفته جل وعلا وما بقى بعد هذا الا العناد واختراع التأويلات الباطلة على غير مراده . وبالجملة فمن أفرط واعتقد أن



الانبياء والأولياء متصرفون مستبدون قادرون على الفعل والقطع والوصل من غير التجاء الى الله تعالى فهو مذكور به مبعود وقوله مردود . ومن فرط وقاس الأنبياء والأولياء بالأصنام والمسلمين المستمدين منهم الذين اتخذوهم شفعا الى الله تعالى كعبدة الأوثان فهم أقبح من أولئك وأسوأ حالا وأضل سبيلا

والحق أنه لا معبود الا الله ولا تأثير لغير الله وأن التوسل والاستمداد والاستعانة والاستغاثة والاستشفاع بالانبياء والأولياء في قضاء الحوائج الدنيوية والاخروية جائز عقلا وشرعا وحاصل فعلا بمحبة الله تعالى وكرامته لانبيائه وأوليائه المنقولين وكرامات الاولياء ثابتة بالكتاب والسنة وواقعة بالفعل لهذه الامة من زمن نبيها صلى الله عليه وسلم الى اليوم

وكما أوضحنا معنى الوسيلة والاستشفاع وغيرهما مما يرادفهما وذكرنا الاحاديث الصحيحة الواردة في مشروعيتهما وجواز فعلها عند أهل السنة والجماعة رأينا أن ذلك فضلا عن كونه لا يتنافى التوحيد فهو من كمال التوحيد وانكسار القلب الى الرب جل وعلا

نأتي هنا على بيان معنى الكرامة وجواز تنوعها وبطائفة من الكرامات الواقعة بالفعل لهذه الامة وثبتت في صحيح السنة يطلع عليها من لم يكن عالما بها فنقول :

الكرامات جمع كرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدي ودعوى النبوة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف

بشرعته مضحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم .  
 ودليل جواز وقوعها أن ظهور الخارق أمر ممكن في نفسه وكل  
 ما كان كذلك فهو صالح لشمول قدرة الله تعالى لا يجاده إذ لو لم نقل  
 بجواز الوقوع للزم تعجيز قدرة الله تعالى التي تتعاق بالممكنات وللزم  
 ترجيح بعض طرفي الممكن على بعض وكلاهما محال .

ودليل امكان ذلك الامر أنه لا يلزم من فرض وقوعه محال عقلا ،  
 ودليل الوقوع بالفعل لهذه الأمة ماسياتي بيانه

وقبل أن تأتي على ذكره تتكلم على بعض أنواع الكرامات فنقول :  
 من الكرامات مقام التصريف في الكون للأنبياء والأولياء  
 المنقولين اذ معنى ذلك أنهم اذا توجهت نفوسهم إلى الله بطلب شئ من  
 الامور الدنيوية لعبد من المؤمنين وأذن لهم في الطلب أن يعطيهم ماسألوا  
 من غير تحويل لارادته تعالى بل ذلك يحصل بمشيئته تعالى وإرادته .  
 ومن الكرامات الاخبار ببعض المغيبات والكشف وهو درجات  
 تخرج عن حد الوصف ولا يعارضه قوله تعالى « عالم الغيب فلا يظهر  
 على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » لأن ما في الآية يجوز أن  
 يختص بحال القيامة بقريئة السياق والمراد سلب العموم نحو لم يقم كل  
 انسان ، لاعموم السلب ، نحو كل انسان لم يقم ولا يعارضه أيضاً قوله  
 تعالى « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » لأن  
 علم الأولياء بالغيب إنما هو باعلام الله تعالى لهم وعلمنا بذلك إنما هو  
 باعلامهم لنا وإعلام الله للأولياء ببعض المغيبات لا يستلزم محالا عقلا

فإنكار وقوعه عناد وإطلاع الأولياء على بعض الغيبات ثابت عند جمهور أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين والاصوليين فانهم نصوا على وقوع ذلك للأولياء وان الكرامات واقعة للأولياء بجميع أنواع خوارق العادات لا فرق بينها وبين المعجزات إلا التحدى ودعوى النبوة ، ومن الأخبار بالمغيبات أخبار الصديق الأكبر رضى الله عنه في مرض موته بولد يولد بعده ثم أتى وقد كان .

ولم يثبت في شيء من كتب المذاهب الأربعة المتواترة اصولاً وفروعاً القول بانقطاع الكرامات بالموت .

وليس من شرط مسائل الاعتقاد الثبوت بالدليل القطعي بل متى كان الدليل حديثاً صحيحاً وهو من روايات الاحاد جاز أن يعتمد عليه في بعض تلك المسائل حيث لم يكن من مسائل الاعتقاد التي يشترط فيها القطع .

ولنأت على سرد بعض الكرامات الواقعة بالفعل لهذه الأمة فنقول :

الكرامات واقعة في الكتاب العزيز كما في قصة أصحاب الكهف والسيدة مريم ووزير السيد سليمان وغيرهم مما لو ذكرناه لطلال المقال ، وقد ذكر بن تيمية الحنبلي المشهور بخلافه لمذهب أهل السنة والجماعة في بعض مسائل الاعتقاد في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان مانصه .

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً

مثل ما كان ( أسيد بن حضير ) يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج هي الملائكة نزلت لقراءته وكانت الملائكة تسلم على ( عمران بن حصين ) وكان ( سلمان وأبو الدرداء ) يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها . ( وعباد بن بشر وأسيد بن حضير ) خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاء لهم نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما ، رواه البخارى وغيره . وقصة ( الصديق ) في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف الى بيته وجعل لا يأكل لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك الخ و ( خبيب بن عدى ) كان أسيراً عند المشركين بمكة وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنب و ( عامر بن فهيرة ) قتل شهيداً فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما قتل رفع فراه عامر بن الطفيل وقد رفع . وقال عروة فيرون الملائكة رفعته وحديث أم ( أيمن ) حين هاجرت وعطشت فرأت دلوأ معلقاً في الهواء فشربت منه وما عطشت بقية عمرها . و ( سفينة ) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معه حتى أوصله الى مقصده . و ( البراء بن مالك ) كان اذا أقسم على الله أبر قسمه و ( خالد بن الوليد ) حاصر حصناً فقالوا لا نسلم لك حتى تشرب السم فشربه فلم يضره و ( سعد بن أبى وقاص ) كان مجاب الدعوة وهو الذى هزم جنود كسرى وفتح العراق و « عمر بن الخطاب » قال ياسارية الجبل فسمعه وأمر

أن يسند الجيش ظهره الى الجبل فهزم الله العدو . ولما عذبت « الزبيرة » في الاسلام وكف بصرها قال المشركون أصابها اللات والعزى فقالت كلا والله فرد الله بصرها و « العلاء بن الحضرمي » مشى مع الجيش على الماء فلم تبتل قدماه وقد حصل مثله « لأبي مسلم الخولاني » الذي ألقى أيضاً في النار فلم تضره الخ بما لو أتينا على جميعه لاحتجنا الى التطويل

فلنكتف الآن بما قدمناه ليعلم المنكرون للتوسل والكرامات المدعون أن أهل القرون الثلاثة لم يعملوا ولم يعلموا بها وان الكتاب والسنة والتاريخ ليس فيها شيء من ذلك أن دعواهم لا تروج الاعلى قليلى البضاعة وضعفاء العقول الذين لا قابلية لهم في أنوار التوحيد ولا استعداد عندهم للخير وهل يمكن لهؤلاء المانعين للتوسل والكرامات ان ينفوا لنا ما أثبتناه في هذا الباب من الكتاب والسنة الصحيحة

ويحدر بنا في هذا المقام أن نستلفت أنظار ساداتنا علماء الدين الحنيف الى ما كتبناه في هذا المقام وإلى ما يجريه المبشرون بالدين الجديد في طول البلاد وعرضها من التشكيك للأمة في أمر دينها ولا يخفى على حضراتهم أن هؤلاء المبشرين لم يمكنهم أن يلبسوا على الناس ما زعموه في شكل اصلاح الابدعوى الاجتهاد المطلق الذى يتعذر وجوده في شخص في هذا العصر كأئمة السلف المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين . وهل فى امكان رجل فى هذا العصر أن يحيط علماً بالكتاب والسنة لغة وشريعة بحيث تكون اللغة له ملكة وسليقة

يدرك بها المعنى المراد كما كان البدوى فى القرون الاولى يدرك ذلك بمجرد السماع ويعرف بهذه الملكة سر إعجاز القرآن ، وأن يعرف الخاص من العام والمطلق من المقيد والمفصل من المجمل والناسخ من المنسوخ والمتقدم من المتأخر وتواريخ الرواة والمعدل والمجروح وان يكون له قدم ثابت فى العدالة والورع والزهد فى الدنيا فلا يرتكب كبيرة ولا يصير على صغيرة وان يزن أعماله وأقواله بميزان الشرع وان يترك شيئاً من الحلال خشية الوقوع فى الشبهة والحرام وان لا يأخذ من الدنيا فوق ما يكفيه من الحلال فضلاً عن الحرام إلى غير ذلك مما هو أندر من الكبريت الأحمر ويتعذر وجوده فى شخص فى هذا الزمان زمان أعاصير الفتن الغريبة التى كادت أن تجرف العقائد والاديان لولا نفحة من نفحات الحق تهب على قلوب المؤمنين فتكسح عنها ظلمات الوهم لساءت العاقبة وعمت البلوى

وهل العمل بما عليه الأئمة الأربعة المجتهدون الذين تواترت مذاهمم النبأ بالنقل الصحيح ينافى شيئاً مما عليه الغريون من الرقى المادى والمعنوى أو ماجاء به الكتاب والسنة من الهدى والارشاد الصحيح حتى يحتاج الدين لمن يكمله باجتهاد جديد يدعيه من ليس أهلاله فيتحول الدين عن صراطه ، الامر الذى يستحيل وقوعه الى آخر الدهر قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون » وهل نسيتم يا علماء الدين وحماة الشريعة مادعاها الجلال السيوطى من الاجتهاد المطلق ورجوعه عن هذا الادعاء مع سعة علمه وغزارة مادته عندما قام عليه علماء عصره

يطالبون بالحجة والبرهان

فما سبب هذا السكوت والبدع قد احدثت بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من الجهات الست أعجز عن الدفاع عن الدين أم تفضيل لحطام الدنيا الفاني على تأييد وخدمة شريعة سيد المرسلين

أناشدكم الله ايها السادة هل سكوتم هذا يرضى به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كلاب هو اقرار لما يأتيه المرجفون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وماتوفيق الابالله عليه توكلت واليه انيب ،

الامضاء

(١٠٠١)

### ﴿ ملاحظاتنا على هذه المقالة ﴾

ربما كانت هذه المقالة من أبلغ وأجمع ما اعتضده أنصار الكرامات والتوسل في تأييد مذهبهم ، وقد كنا نؤينا بعد أن كتبنا ما كتبناه في الجزء الماضي أن تقفل القوس على هذا الموضوع وعز منا على الاعتذار لحضرة الاستاذ كاتبها عن نشرها في مباحثنا لولا اننا رأينا أن في ادراجها هنا والملاحظة عليها حلا نهائيا للموضوع الذي نحن بصدده فاقول :

لم يضر المتدينين اكثر من توسعهم في عقائدهم شيء ، ولو علم المتديون مقدار الخطر الذي يجرونه على انفسهم وجامعتهم من قبل

هذا التوسع الذي أداهم اليه تبسطهم في التأويل وتساهلهم في التخيل لوقفوا مع نصوص كتابهم وقفة الحذر اليقظان ولبدلوا كل جهدهم في حماية أصوله بما يسعه الامكان ثم لو درى المتدينون كم ينال الخيال من عقل الانسان وعلمه ، وكم تتسرب الاوهام الى عقيدته وحكمه ، وكم تأخذ الاحلام من كماله وفهمه ، وكم يتحكم الهوى على فؤاده ونفسه ، وكم يخف تبعاً لذلك في قسطاس الوجود وزنه ، ويطيش عن وجوه الفوائد سهمه ، وينحط الى حضيض القصور قدره . لو درى المتدينون ذلك لدافعوا الهوى دفاع العدو الباطش ، وقارعوا الخيال قراع الخصم الغاشم . ثم لو فقهوا أن كتاب الدين باصوله وفروعه طب النفس ودواها ، وان واضعه هو خالقها ومولاها ، وأنه أعلم بعلمها وأدواها ، وأدرى بمواهبها وقواها ، وأقدر على ضبط قانونها الذي يربها ويرعاها . وان ذلك الطب فيه سر مكنون ، وعلم مصون ، لا يقبل الزيادة ولا النقصان ، ولا يليق أن يتوسع فيه إنسان . وان ذلك الدواء اكسير مجرب ، ودرياق مقدر ، والدواء مركب على قوانين ، وعقايره مضبوطة بالموازن ، لو اختل وضع مركباته فسد مزاجه ، وتغيرت أمشاجه ، وخرج عن كونه الاكسير النافع ، وانقلب الى سم نافع ، لوفقه المتدينون الى هذا الحال لحرصوا على عدم التوسع في مقررات الدين حرص المحموم على ضبط مقدار الكينين ، وعلى مج دواء لم يقدره الاقربازين ماهو الدين ؟ الدين اعتقاد بالخالق الاقدس ، الذي أقام الوجود على هذا الطراز النفس ، وتصديق بالحساب والجزاء والملائكة



والنيين والكتب والقضاء والقدر، وإيمان بعدل الله ورحمته وحكمته، وتحل بصفات النجدة والسخاء والرحمة والانعطاف على الضعيف وعدم تهيب المتسلطين والنظر إلى الدنيا نظر المار بها إلى دار أوسع وجناب ممرع الخ الخ من عقائل المحامد وجلائل الخلائق التي لو تحلى بها الحيوان لساد الانسان . الدين هكذا فلماذا نرى المتدينين في هذا العصر في أى بلد كانوا ، وفي أى طبقة من طبقات الهيئة الاجتماعية وجدوا « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » ضعفاء جهلاء ، جنباء ، ماسورين للاهواء ، مسخرين للاقوياء ، مزدريين في أعين أنفسهم ، ومحتقرين في نظر ذواتهم ، كثرهم قل ، وقادتهم بهل ، وقد ضعفوا حتى خفت صوتهم وخشوا الناس حتى أصبحوا يرأؤون بعدم التدين ، ويتظاهرون أنهم من أنصار التمدن ، إن سبح أحدهم سبح وحده ، لا خشية الرياء ، ولكن خشية أن يعد من أحلاس القديم وأنصار الفكر الرميم . . وان حج أحدهم أوهم من حوله أنها سياحة تفيده علما وتكسبه فهما ، وان دعى إلى شرب خمر اعتل بصحته ولم يعتل بعقيدته . . . . . إلى أين إلى أين ؟؟؟؟

انظر اليهم في هذا العصر وهم مطعن كل طاعن ، وهدف كل نابل ، وغرض كل غامز ، ومطمح كل هامز ولا مز ، ثم انظر إلى آباؤهم في ملكهم وسلطانهم ، وعزهم وسؤددهم ، وتبسطهم في الارض يأكلون من رزق الله ويعبدونه ويهدبون العالم ويربونه ، خلفاء الله في أرضه ، وورثة النبي صلى الله عليه وسلم في علمه وحكمه . كتبهم

العليا وكلة أعدائهم السفلى . لماذا كانوا كذلك ونكون كما ترى ؟ نحن رجال أمثالهم ولدينا من القرآن وسيرة النبي ما كان لديهم وقد أرتنا الحوادث من مؤيدات الآيات ما لم ترهم ، ولسنا بأقل منهم حبا لأنفسنا ، ولا بأكثر منهم زهدا في الدنيا ، فهاهذان الاثران المتعاكسان لعقيدة واحدة ؟ أليس في هذا الاشكال ما يأخذ بالعقل حيرة ، يسطو على النفس قهرا وحسرة ،

لم هذا ؟ لكوننا غيرنا وبدلنا ، وشرحنا وتوسعنا وخرجنا بذلك عن حقيقة الدين وما شعرنا أو وشعرنا . فأصبح الدين المبدل وأثره أخف وزنا من قواعد العلم الأوروبي وتأنجها فقال الناس الى الراجح وتركوا المرجوح رغم أنوفهم

نعم ! عندنا أن علم أوروبا أرقى من ( دين العامة ) لذلك يضعف ذلك الدين كل يوم ويقبل المتمسك به من العامة والخاصة كل حين بدون انقطاع . والى أين يذهبون ؟ الى التمسك بالاصول الأوربية لأنهم لا يدرون ما هو الاسلام ولودروه لحفوا اليه سراعا ولا اعتصموا بحبله أجمعون . لأن علم أوروبا ومبانيه لوقيس بالاسلام الحق وقوانينه لما ظهر له رونق ولشعر المقارن بينهما بفارق لا تسده العلوم الطبيعية ولو توصلت لاحياء الموقى واطالة الحياة الانسانية

نشأت هذه النهضة العلمية في الغرب قبل ثلاثة قرون أو أكثر فضاولت هنالك الدين وداوحته ، وكان المشهد رهيباً مهيباً ، اعتضد فيه القديم بهوى الدهاء والغوغاء ، وتظاهر فيه الجديد بقوة النفع

والإفادة ومتاع الحياة الدنيا ، ومازالا كذلك حتى انتهى إلى اليوم الذي نسمع فيه خبر التضيق على حملته وحفظته وحرمانهم حتى من فتح المدارس في عقردارهم عجباً عجباً ، لقد اشتد مراس الفتنة وقوى زندها لدرجة أصبحوا يعدون دينهم الذي كم باعو أرواحهم من أجله مضراً . . . . لا يصلح لأن ينفذ إلى ضمائر النشء الحديث لئلا يودعها مالا يحسن أن تلتاث به أحسب الذين يعنون بأمر الدين عندنا أن تلك النهضة التي قلبت شكل العالم الفكري في أوروبا وكان من أمرها مع دينهم ماترى تحانى لنا فقدعنا بمعزل عن شرورها ؟ كلا ؟ انها قد ساورتنا مساورة الليث المحصور فريسته ، وقد فعلت بنا في هذه الخمسين سنة الاخيرة فعلا ليس وراءه الامثل مانال أوروبا من قبلنا . والافما سبب تظاهر كثير من قياتنا بالاحاد ؟ ما سبب استشكالاتهم على مقررات الدين في كل ناد ؟ ما سبب خضوفهم إلى تقليد الاوربيين في الخلق والعاد ، أليس فتنة أوروبا العلية التي يقال انها بعثت لتخليص الناس من ورطة الاديان ، وأقامتهم على سمت العرفان ، ليتأدوا إلى أعلا درجات العمران ، وينجو من حبال الاساطير والكهان ؟ نعم هو كذلك وليس من الحسن أن نقف على المنابر وينادى منادينا ضاع الدين ضاع الدين ، ولكن الواجب النظر كيف يضع الدين ، وأى قوة تجليه عن قلوب المسلمين ، ومن أى جهة ضعيفة تسرب الينا الفتن ، وتصرفنا عن أقدس السنن . مما يطالبنا به الدين والوطن .

لا يقف بنا على هذا السر العجيب الا درس ما حدث في غيرنا

من الأمم الأوروبية فان سنة الله في عباده واحدة ، فان أوجزنا فعله في أوروبا واختزلنا حوادثه هنالك في صورة مصغرة علمنا موقفنا معه ووجه تعرضنا لبطشه . فنقول :

نشأ العلم الأوربي الخالي والناس من العقائد في دور الخبط ومن العلم العالمي في طور العماية . عقيدتهم ما يوجهه اليه رؤساؤهم وإن كان ضلالا ، وعلمهم ما يتفضل به قادتهم وان كان خيالا وحياتهم بين يدي ملوكهم يتصرفون بها كيف شاءوا وسياستهم في يد مواليمهم يصرفونهم كما أرادوا ، غنيهم هائم في وديان غروره وغبوره ، وفقيرهم هاو في تيهور هلكه وصغاره ، لا ارادة لهم ولا نفس ، ولا ضمير ولا حس ، أمم تعدد بالملايين يقودها افراد من المتسلطين ، جاء العلم الأوربي والامم على هذه الصورة ضلال في العقائد ، عبودية للحكومة ، جهالة للنافع ، عبادة للأهواء ، طاعة عمياء للرؤساء ، وساوس لاتدع للحق سيلا ، ولا للصدق مقبلا . جاء العلم :

فقال : « أيها الناس إن لكم نفوساً أماتها الجهل فتعهدوها بالعلم ولستم عقولا أفسدها الخيال فتداركوها بالحق ، ولستم أفكارا وجهها رؤساؤكم ووجهة الوسوس فردوها شطر الحقائق ، ولستم حقوقاً على رعائكم أضاعها الاستسلام فاطلبوها بقوة الارادة ، وسطوة العزيمة . أيها الناس جاءكم العلم يخلصكم مما أنتم فيه فأطيعوه ولا تناذوه ، وأنا كم ينقذكم من مخالب المستبدين والمخرفين فأزروه وانصروه ، وشارفكم يعلمكم كيف تحيون وكيف تترقون فاسمعوا ما يرشدكم اليه

وعوه . أيها الناس إن أحكامكم مظالم ، وإن عقائدكم وساوس ، وإن أحوالكم عوابس ، وإن مصائركم غياهب وحناس ، فاخلعوا هذه الأثواب البالية ، التي لا يلبسها شعب الارم عظمه ، وهلكت نفسه « فلم يكديتم العلم مقاتته حتى رماه الخاصة والعامة بسهام الملام والتأنيب ، وغلا قوم فتولوا أشياعه بالتعذيب ، ولم يزالوا كذلك وهو دائب على صراطه يكتشف المجاهيل ، ويستنبط الاسرار ، ويخترع المخترعات الكبار ، فلم يلبث الناس أن رأوا مزايا الطب ، وفوائد علم الزراعة وخصائص علم الطبيعة والكيمياء ، وما أحدثا في الصناعة من الرقى الذي لم يكن يحلم به العالمون ، ثم شاهدوا أسرار علوم الهيئة والرياضيات والميكانيكيات وما أحدثتها من التسييلات والمرافق في حاجيات الانسان ، وكان فوق هذا كله أولئك المؤلفون والكتاب ، والشعراء الذين تشبعوا بالروح الجديدة فقاموا ينقشون الحياة من أفواه أقلامهم ، وينشرون الحقائق باسلاط يراعهم ، فلم يلبث الناس بضعة عشرات من الأعوام ، حتى رأوا أنهم قد حيوا بحياة جديدة ، وشعروا بشعور عريب ، أحسوا بتناقض بين دينهم وديناهم ، وأنسوا نزاعا بين الماضي مسرح خيالاتهم ، وبين الجديد محط آمالهم . فدافعوا الجديد ( بالقول ) زمنا ، ثم آل أمرهم الى اعتقاده قولا وفعلا . ثم شعروا بالتفريط الهائل من ترك التدين بالمرّة ، فقاموا ينشدون الدين ، ولكن ( بنور العلم ) ويطلبون الروح ولكن ( بارشاد الحكمة ) وها هم في هذا الدور لليوم .

أما نحن الذي منينا بفتنة العلم الأوروبي ، واستهدفنا لأفاعيله ، فسيرتنا معه ستكون بلا شبهة كسيرة الأمم التي تقدمتنا ، وقد لعبت تلك الفتنة بعقولنا دورا هائلا لا ينكره متبصر . ولقد علمنا ، وليس بعد المشاهدة علم ، أن هذه الفتنة لا تزول بالكلام ولا بالحسام ، ولو كانت تزول بهما لزال عن أفق أوروبا ، وقد أحرق المسيطرون من أشياعها ما يقارب نصف مليون من النفوس الأوروبية لأن في هذه الفتنة حقاً وباطلاً ، وحقها أكثر من باطلها ، فلا يقاومها إلا حق أكبر من حقها وافعل على العقول منه ، وهي تؤثر على العقول من جهة ما فيها من حق أكثر مما تؤثر عليها من جهة ما فيها من باطل ، فإن يكن هنالك ( دين حق محض ) لا شائبة للباطل فيه ، فذلك هو الدين الذي يبقى ، ويكون العلم خادمه ومهد الطريق بين يديه . أما دين فيه خلط من أباطيل ، وشوب من أضاليل ، فلا يقوى عليه أبداً ، ولا يجتمع وياه في قلب رجل ، ولا دليل بعد الواقع . نحن نقول ان ذلك الدين هو الاسلام ، ولذلك سمينامباحثنا ( الاسلام في عصر العلم ) واليك بعض التفصيل :

جاء العلم الأوروبي فأكسب الناس خصالا نشأت من طبيعة العلم نفسه ، واقتضاها موضوعه . وانا نوجزها فنقول ( ١ ) اقرار الانسان بجمهله أمام هذا الوجود المدهش ، وعوالمه غير المتناهية . وهذا الجهل ليس بالنسبة لما يملو عن مشاعرنا ، ويسمو على قوانا من الكائنات .

فقط بل بالنسبة أيضاً لأصغر ذرة من ذرات المادة فقد دلنا العلم على غاية جهلنا بها فانا انما نحكم عليها بالمشاعر الظاهرة والحدس والتخمين ونحن بمعزل عن كنهها وطبيعتها ومن كان أمام الذرة البسيطة كذلك فأجدر به أن يكون بما وراءها من العوالم أجهل ، وعمما يسموها عنهما من حقائق الكون أغفل (٢) عدم تصديق شيء الا بدليل محسوس : ذلك لأن الانسان كثيراً ما يشتبه عليه الحق والباطل لقصور وسائله العقلية ، وضعف قوته الادراكية ، فيجب عليه بدل أن يترامى على الشيء بالتصديق ثم يرجع عنه منهزماً أن يتأدب ويتأنى ويتردد في الحكم حتى يجد من الحس ما يؤيد مطلبه . ولماذا يتعجل فيخطئ وهو لا ينشد إلا الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال (٣) الانسان دائم الرقي لا يمنع رقيه شيء بل ان كل حوادث الكون وأهواله اسنة تخزنها للتكامل وبلوغ غاية بعيدة في العلم والعمل والفضيلة . ونوع هذا حاله من التقدم لا يتقيد بقيد ولا تصاح أن تحكمه قاعدة وانما له أن يقيد نفسه في كل جيل بما يناسبه من المدركات والعقائد تحت رعاية نوااميس الحق والعدل (٤) اعتقاد أن روح الكمال البشرى الحرية والدستور أمتاسخير الالوف المؤلفة من النفوس لأهواء رجال معدودين فليس من الحق الطبيعي في شيء بل هو عقبة كئود أمام قانون الارتقام العام (٥) الحقائق مادة البقاء الانساني وروح قوامه والأباطيل جرائم الفساد وبواعث الفناء . فعلى الانسان أن يلتمس الحقيقة النقية كما يتلمس الغريق وجه المخلص ، وان يهرب من الباطل هربه من الافعوان الحقود ، وأن لا يزوغ عن

حق ولو هدم له عقائد عزيزة على نفسه أو هجن له عادات نفذت الى صميم كيانه ، فان الحق أحق دين بالاتباع وما فائدة عقيدة باطلة تورث صاحبها في الحياة ذلًا وفي المعيشة قلا ، وتجعله عرضة لما لا يرضاه قولًا وفعلاً .

هذه أكبر الخصال التي ينقشها العلم في أذهان طلابه وقد سار عليها أقوام فتأدوا من علوم الكون الى غايات بعيدة المدى جعلت امهم أصحاب السلطان القولي والفعلي بما اكتشفوه لها من كنوز الوجود وسهولة لها من وجوه الفوائد وابتكروه لصنائعها من ضروب التسهيلات وليس بعد الحس دليل . وقد واجهوا بهذا الأدب العالى والرواء الفاتن أصحاب الأديان فبكتوهم على جمودهم ، ونعوا عليهم سوء حالهم ، ثم قابلوهم بضروب من الجدول وأنواع من الاشكالات جعلت عقيدتهم بمعزل عن الحماية ، ولولا بقية من جمود الانسان على ما يرث من آبائه لما بقى على سطح البسيطة ( دين مبدل )

هذه تعاليم العلم أما ديانات العامة في كل الامم فتتخصر جميعها بلا استثناء كما تريناه الفلاسفة التاريخية في ( ١ ) عقيدة الخالق جل وعلا على صورة الملوك الدينويين ولذلك فهم يفرضون على أنفسهم من الآداب والواجبات مثل الذى على الرعية بازاء سلطانها المستبد الذى لا تقرب اليه الا بواسطة المقرين اليه ، ولا يدعوه الداعى مباشرة أديباً معه بل يتوسل بأولئك المقرين وهم يبلغونه حاجته فى القرص المناسبة . هذا الاصل عام فى كل دين وانما للوسطاء والمقرين أسماء



تختلف باختلاف الامم والاقطار ( ٢ ) عقيدة في القدماء من أنهم كانوا أهل فضل وورع وأنهم نالوا من الفضائل العلية والعملية مالا يمكن الوصول اليه ولا الحوم حوله . ( ٣ ) وأن كتبهم تشمل على ما كان وما يكون الى يوم القيامة وان كل العلوم الحادثة أو باطليل أو أنها أمور ظنية أو شيء مقتبس من تلك الكتب القديمة ( ٤ ) الثقة التامة فيما ورد عن الاقدمين والوقوف عند ألفاظهم وأفكارهم ومصادمة الحقائق الكونية بها والمكابرة في الواقع من أجلها

هذه أكبر أصول الاديان العامية لدى كل أمم الارض قديماً وحديثاً لا تختلف فيما بينها الا باختلاف الاسماء واللغات فتخيّل رحمك الله أمماً متورطة في مثل هذه الأصول الحرجة ، ومغلولة العقول والمدارك بجائلها ، ثم انظر كيف يكون الجمود لزيما والخمود غريما والضعف الخلقى والعقلى والنفسى صفة من صفاتها . ثم ضع هؤلاء جانبا وانظر للأمم التي حلت عن أعناقها هذه القيود الحديدية كيف ارتقت في كل مجال من مجالات الحياة الانسانية فينتارى تلك الامم من جهة الحكومات في أحسن أشكال الاستبداد والاثرة ومن جهة العلوم والصنائع في أحط دركات القصور ، ومن جهة الاخلاق والمعاملات في أسوأ حالات الافراط والتفريط ؛ ترى هذه قد قامت على قطب الدستور في حكوماتها وأنالت أفرادها حريتهم الكاملة وارتقت فيها العلوم والصنائع لدرجة يعدها ضعاف الامم المتدينة معجزة تخرها الاعناق خاضعة ، وصارت أفرادها في المعاملات والاخلاق أمثلة

لا يقاظ الغافل وزجر المتلكئ، وأصبحت بذلك صاحبة النهي والامر على الأمم المتدينة بالأديان العامية ولا ستبيل لا تنكار الحس .  
نقول هذا لانفسنا قبل أن يقوله لنا مستشكل عنيد من مشككي رجال العلم الأوروبي ثم تتبعه بالحل الشافي اظهارا لفضل الاسلام ودليلا محسوساً على انه سيكون الدين العام لسائر الأنام  
جاء الاسلا للعالم والأمم من العقائد على سنة الأديان العامية التي تقدم شرحها من تشبيه الله بالملوك واحتياج العبد للوسطاء والشفعاء واحترام مفرط للقدماء ومعاداة للجديد وجود على التقايد ، فواجه هذه العقائد الوراثة بدحض ما بنيت عليه من قواعد باطلة . فقرر ان الله أعلم العالمين وأرحم الراحمين وأحكم الحاكمين ليس كمثل شئء لا تدركه الأبصار ولا العقول ، لا معقب ( بكسر القاف ) لحكمه ، محيطه بكل الكائنات رحمته مهيمنة على كافة المخلوقات عنايته، غنى عن الوزير والمشير ، بصير بالجليل والحقير يعلم السر وأخفى ولا تزر عنده وازرة وزر أخرى ، لا يشفع عنده الشافع الامن بعد اذنه « وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » ومن يتصفح كتاب الاسلام يجد فيه مئات من الآيات تشير الى ان مالك الشفاعة هو الله وحده وان النفس لا تغنى عن النفس شيئاً « يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئاً » وان الانسان لا ينفعه الا عمله الشخصى « وأن ليس للانسان الا ما سعى » ثم أفضى بالانسان الى ربه يدعو تضرعاً وخفية وخوفاً وطمعاً وقامماً وقاعداً وعلى جنبه

حر الفكر والارادة معتقداً انه لو اجتمعت الانس والجن على أن  
ينفعوه بشيء لم يكتبه الله له لما استطاعوا الى ذلك سبيلا. ولو أرادوا  
أن يضروه بشيء لم يقضه الله عليه لرجعوا عاجزين عنه . غير متوسع  
في كلام الله . ولا مضيفا اليه ما ليس منه « قل أتعلمون الله بدينكم » ولا  
متبعاً برأيه واستحسانه المجاهيل التي لم ترد على لسان نبي مرسل ولا  
خطت في كتاب منزل . وما الأنباء الا عبيدا مثلهم لا يملكون لأنفسهم  
نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا نشوراً ، وإنما هم رجال من الله عليهم براءه .  
الكرامة ، وجباهم بنعمة الزلفى منه ، مبلغين الى الناس كلام بارئهم ،  
منذرين ومبشرين غير مسيطرين ولا متحكمين « لست عليهم بوكيل »  
« لست عليهم بمسيطر » « إنما أنت منذر » « وما أرسلناك عليهم  
حفيظاً » « فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » وقد يسلط الله من  
رسله من يشاء على من يشاء .

حمل الاسلام للناس بهذا الأصل دستور الحرية وافتك الاعناق  
من اصفاد العبودية ثم خاطب الفؤاد وناجى العقل وسرد له من  
الحكم وروادع المواعظ مع ضرب الأمثال والاحالة على المحسوسات  
ما ينقش في فؤاده أدبا لا يساميه أدب فأراه انه ضعيف المدارك يحتوشه  
الجهل من كل جانب « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وان قوامه العلم  
وحياته في الحكمة « لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ومن  
يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا « ثم سرد له مالحق الأمم الجاهلية  
من ضروب الخزي والخسران ودفعه للعلم دفعا « وقل رب زدني

علماً « وأشار عليه ببذل الوسع في طلب العلم والنظر في الملكوت  
« قل سيروا في الأرض ثم انظروا » وكرر ذلك حتى عده بعضهم فرضاً .  
ثم نهانا أن نقول على الله ما لا نعلم وأن نحكم في دستوره ونحكم « ولا  
تقف ما ليس لك به علم » وحذرنا من ذلك حتى أخبرنا أنه سيسألنا  
عن ميقات المسامح ومحام اللواحق وخطرات الفؤاد فقال تعالى  
« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ثم دعانا  
لطلب الحق حيث كان وانشاد الصديق أنى وجدلانه وجد روح حياتنا  
وسبب بقائنا وعماد هدايتنا « وماذا بعد الحق الا الضلال » ونهانا  
عن الاصغاء للأهواء والاخذ بالظنون والحكم بالحدث والتخمين  
« ولا تتبع الهوى فيضلك » « وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً » « قل  
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ثم أخبرنا عن الأمم الماضية وحكى  
لنا من حوادثها في تحريف كتبها وصرافها عن معانيها والتوسع فيها  
والتأويل لأصولها ماخرج بها عن حقائقها وبعد بها عن مواضعها ،  
وحذرنا من أن نسير سيرتهم أو نتخذى مثالهم وقال لنا مامعناه قد انزلت  
عليكم قرآنا فيه ذكركم وذكر من كان قبلكم وقد ضمنته دواء أدوائكم  
وطب قلوبكم وهو تام لا عوج فيه فايكم واتباع الآراء والحكم بالأهواء  
واياكم ومحاكاة الأمم المفسدة التي حرفت عقائدتها واتبعت أوهاها  
وانكم تعالون وترتقون مادتم متمسكين بكتابه المبين ، وتخطون  
وتغلبون ان انفرطتم من سلكه المتين .

هذا الأدب رفع أمة العرب ومن هي أمة العرب وجعلها تاجاعلى

روس العالم كله وقد أنهضت نهضة بجائية في كل ضرب من ضروب المحاولات الانسانية حتى صارت مفخرة التاريخ لليوم . وهذا الأدب عينه أرقى من أرقى تعليم للعلم وأعلا من أعلا فلسفة عصرية وفي التفصيل العجب العجاب مما سنأتى عليه ان شاء الله . وهذا الأدب هو الذى تمنى أن يسود على مقررات العلم ويحيينا بنفحته حتى تؤثر بجالنا على مدينة الغرب فنكملها كما كمل آباؤنا مدينة الرومان والفرس . ولكننا لو صغنا ديننا على قالب الأديان العامية وجعلنا التوسل والتشفع وما أوجبه العوائد البلدية وخلقته المقتضيات الوسطية قاعدة له أو أصلا من أصوله فقد استهدفنا لفتنة العلم وعرضنا أنفسنا لنقد فلسفى لانقوى عليه أبدا ولو صح عنا بالمدافع والذوابل وجعلنا حججنا دينا ميتا وفنايل .

هذه جملة نرجوا من مطالعنا امعان النظر فيها وتأمل مغازيها ومراميها ومجيئها من مسلم يعرف دينه ويحميه ، خير من مجيئها من ملحد ينابذ ديننا ويناويه ، ويجعلها فتنة على قارئه وسامعيه .

هذا كله تمهيد لما سيأتى ان شاء الله بيانه عند مناقشة الاستاذ الكاتب فيما كتب من الخطر الكبير الذى يجره المتدينون على أنفسهم من توسعهم فى مقررات الدين وذهابهم فى بسطها كل مذهب حتى ان أهل الدين الواحد لينقسمون الى أكثر من سبعين فرقة متنازعة متعادية تدعى كل منها انها على الحق ، وتستند فى دعواها على الكتاب والسنة وما سبب ذلك كله الا سماحهم لأنفسهم بالتوسع فى الدين والتحكم ( م - ٢٠ - ثانى )

على قضاياها بالعلم . والدين متى تحكم عليه بالعلم صار علما ومتى صار علما صار موضعا للخلاف والتفاوت . فلا عجب بعد ذلك ان كان لكل أهل قطر دين خاص وتقاليد خاصة . ونحن في مقالتنا الآتية سنرى قارئنا أن الدين فوق العلم والاهواء لا بمعنى أنه معارض للعلم والميل الانساني ولكن بمعنى أنه من النقاء وظهور الحجّة والاشفاق على الانسان بحيث يرى العلم نفسه امامه صغيرا ناقصا متحوّلا وترى الالهواء القلبية ان تسلم قيادها اليه فهو أرحم بها منها وأجلب لمنهاها من هواها ، وهذا بحث جديد جليل نرجو ان نوفق اليه ، والله ولى الكفاية .

### ✽ الاسلام في عصر العلم ✽

صدر الجزء السادس في هذا الشهر زائد أسته عشر صحيفة اضطرنا الى زيادتها اتساع الموضوع معنا في الملاحظة على حضرة كاتب المقالة السابقة ونعتذر من ارجاء بقيتها .

## الدين والمتدينون (١)

( تتمّة الملاحظة على مبحث الخوارق والأسباب العادية )

الدين لغة واصطلاحا هو ما يدين الانسان له من العقائد التي تنشأ

في وجدانه نشوءاً طبيعياً أو يأتيه بها وحى إلهي أو يستنتجه من النظر والتأمل في الكون . من هنا صار للدين ثلاث مصادر مختلفة لكل منها حال يجب الامسام به للوصول الى الحقيقة من هذا البحث .

أما العقائد التي تنشأ في وجدان الانسان نشوءاً طبيعياً فهي ما يمجده كل انسان في نفسه من الأيمان بأن لهذا الكون صانعاً حكيماً قديراً . وهذا الايمان ينشأ في الضمير وينمو على الناموس الذي ينشأ عليه العقل الطبيعي ذاته . فكما ينشأ الانسان مفطوراً على التصديق بأن الجزء أكبر من الكل وأن الشيء لا يوجد في مكانين في آن واحد وأن المصنوع لا بد له من صانع كذلك ينشأ مفطوراً على اعتقاد أنه ولهذا الكون الكبير صانعاً حكيماً لأنه من بدائه العقل وضروريات النظر وبما لا يعوز الروية والتأمل . ولكن من هو هذا الاله وكيف هو وأين هو ومم هو ؟ هذا مما لم يفطر على معرفته الانسان ولذلك حصل الاختلاف فيه بين سائر أمم الأرض بخلاف العقيدة الأولى الفطرية فلم يختلف فيها اثنان الا بعد ظهور الفلسفة كما ستراه ان شاء الله .

أما العقائد التي تأتي عن طريق الوحي الالهى فهي ما يمجى بها الأنبياء والمرسلون من وجود عالم الملائكة وعالم الأرواح المجردة وخلود النفس النعيم والشقاء الأخرى الى غير ذلك مما هو مكمل لتلك العقيدة الفطرية ، وقد اتحد جميع الانبياء على تقرير دين واحد ولم يبطل اللاحق مما قرره السابق الا شيئاً من قواعد الشرع السياسى الذى يجب ان يتغير بتغير حال الأمة واتساع دائرة معاملاتها

وشؤونها ، أما العقائد الدينية الرئيسية فكلهم فيها سواء لافرق بين  
أبعدهم عنا وأقربهم منا في شيء « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة  
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا  
بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون »  
« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » أما ما تظهر به الأديان من  
الخلاف فيما بينها فأمره واقع على اتباع أولئك الرسل فانهم هم الذين  
غيروا وبدلوا وتوسعوا فأصبح كل دين يدعو الى مالا يدعو اليه  
الآخر وسترى السبب في ذلك ان شاء الله .

أما العقائد التي تحصل من النظر والتأمل فهي كالاصول المستتجة  
من النظريات الفلسفية : كدعوى الاقدمين منهم ان للكواكب ارواحاً  
وان مقر النفوس محيطات الكواكب أو ان الانسان متى مات تقمصت  
روحه جسد حيوان أو انسان آخر . وكدعوى محدثهم أن ليس في  
الكون الا المادة وحدها وان ما يقال من وجود روح وخلود وعالم  
روحاني وغيره هو من توليدات الخيال وتجسيم الاماني والمشتبهات  
وقد استند الأولون في تقرير أصولهم على ما تهوى نفوسهم وتشتاقه  
أميالهم واعتمد الآخرون على الحس والتجربة زاعمين أن كل مالا  
يחס ليس بموجود فان زعمت ان لك روحاً قالوا لك أرواها وان  
قلت ان هناك عالماً آخر قالوا هل رأيت الخ الخ بما نحاربه دائماً بكتاباتنا  
فالدين الاول الفطري هو الدين الحق الناشئ في الوجدان الانساني  
على مقتضى الناموس الطبيعي الذي نشأت به واطفقه وأمياله وملكاته



الأخرى ولكن هيات أن يقنع الانسان بعقيدة ضميرية وهو الكائن  
المعرم باكتشاف المجاهيل واستشفاف المساتير والنفود لكل سريرة  
والسريان في كل دخيلة . اذا كان الانسان يخاطر بنفسه لرؤية ما فوق  
الجبال وماتحت البحار وما في بطون الغيران وما في أحناء الغابات  
والاحراش وقد رأى ويرى كل يوم من المعاطب في هذا السبيل  
ما يشيب النواصي ويرعد الفرائص فكيف يقنع بالظاهر بما هو أمس  
شيء بحياته واعلق أمر بفؤاده وآسر معقول للبه وأغلا محبوب لنفسه .  
فلا غرو ان بذل في سبيل إدراك خالقه كل مجهود وتعدى لتصويبه  
لفكره غاية حدوده ، ولا عجب ان لعب به الخيال في كل ملعب وذهب  
به هواه في كل مذهب ، ثم لا غرابة بعد ذلك ان رأيت لكل أمة مذهباً  
خاصاً وتصويراً خاصاً . من هنا كانت الحاجة للرسول والانبياء صلوات  
الله عليهم شديدة ، فأرسل الله المرسلين بدين الفطرة والحق فأهابوا  
بالناس عن التماذي في الاهواء وزجروهم عن الجري في أعقاب الخيالات  
وأقاموهم على سنة الله المنزهة عن العوج فكث كل واحد ماشاء الله  
أن يمكث حتى اذا ما اختار الله له جواره رجعت كل أمة لهواها في  
التوسع بدينها والخروج بعقائدها عن حدودها فنقضت وأبرمت ،  
وقوت ووهنت ، وانقسمت وافتترقت ، وزعمت في كل ما فعلت انها  
تستمد من روح الدين وتستقي من ينبوعه حتى أن الأمة الواحدة  
لتنقسم إلى عشرات كثيرة من المذاهب المتشاكسة المتعاكسة فترى كل  
مذهب يدعى أنه على حق وأنه مستند في أصوله على صحيح الكتاب

ويسرد لك فعلا من الآيات والنقلات ما يؤيد به مذهبه ويقوى به فلسفته. إن قلت ولم ذلك؟ قلنا من سماح كل فريق لنفسه بشرح الكتاب على طريقته والتوسع في أصوله على قدر مداركه وتسرية أسلوبه العلمى عليه فينقلب الدين علما ومتى انقلب علما صار عرضه للخلاف فيه ومجلا للتعارض في أصوله وفروعه. وخرج عن كونه مهيب الطمأنينة على النفوس، ورسول السلام والوثام بين الافئدة، ومتنسم الحب والاخلاص بين أهله وأصبح مثار التناذب والتخالف ومهيب التخاصم والتشاكس وآلة لتسخير النفوس وإذلال العباد، وواسطة لبز الأموال واتهاك الأعراض والتسلط على الرقاب وتكون نتيجة ذلك كله ثورة العالم ضده ثورة لا أناة فيها كما حصل من أوروبا ضد أديانها حتى أصبحت لاتسمع انصراء دينها ركزا

وأما العقائد التى تنشأ من النظريات الفلسفية والتأملات التصورية فقد فات زمانها وانقضى دورها وإن كان لها من دهما الشعوب الشرقية نصراء إلى اليوم

• هذا حال الناس قديما وحديثا أمام أديانهم وعقائدهم. تأملهم رحمك الله فى تناذبهم وتشاكسهم، وتدابرههم وتعاكسهم، وافتراقهم على فرق شتى ومذاهب لاضابط لها ولا حصر، ثم تدبر فى موضوع افتراقهم ومحل تنازعهم ومهيب تخاصمهم وابحث عنه جهدك فان وجدته فأنت فى حل من أن تذهب مذهب ملاحدة الفلسفة الحسية فى الدين وفى أهله، وان لم تجده فاعلم أن الدين فوق ذلك كله فاطلبه فى كتاب

الله وسنن رسله بفؤاد طهره الاخلاص من الوسوس وعمرته التقوى  
بروح التواضع

قلنا الدين ميل فطرى فى الانسان يشرق على القلب فيلفته إلى  
النظر فى الوجود والتأمل فى الملكوت ويهيب به إلى مسارح الجمال  
والجلال من عالم الشهادة فيمتلىء عواطف تعطفه على أمر جليل وشؤون  
ليست من طبيعة هذا الجسد ثم تفيض عليه تاراته وأحواله فيخر الانسان  
ساجداً يناجى قدرة صورته من العدم وقضت له بهذه القيم . ثم  
يلتفت حوله فيرى الكل مثله ساجداً يناجى مثله تلك القدرة بلسان  
حاله وقاله لافرق بين جماد ولا حيوان وعلى كل منهم فى الطلب اليه ،  
والتعويل عليه طابع العبودية وميسم الافتقار والمربوية وليس ذلك  
الطابع على الصلد الاصم بأظهر منه على الانسان الأكمل  
هذا هو الدين فى أصله ، وكل كتب الله تعمل على تجلية تلك  
العاطفة وتكميلها ، وكل رسل الله دعوا بقالهم وحالهم الى احيائها  
وتجميلها ، فمن أين يتسرب التناؤد الى الناس فيما هم فيه سواء وحاجتهم  
اليه عامة ؟

لا جرم أن التخالف لا يتأتى من الدين ، وإنما يتأتى من أهله  
بغياً بينهم « إن الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء »  
« وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » .  
جاء الاسلام والناس من أمر الدين على مثل الليل الأليل ظلمات  
بعضها فوق بعض . سيطرة من القائمىن به ، واستبداد منهم بأمره ،

وأوهام وخيالات ، في صورة شروح وتأويلات ، وكسف من الظلمات في ثوب وحى والهلمات ، لكل أمة أديان ومذاهب . ولكل مذهب طرائق ومسارب ، والعامّة من جور قادتهم بين أنياب حادة ومخالب خشنة ، لا يسان لهم عرض ، ولا يحفظ لهم عهد ، ولا يهدأ لهم روع ، ولا يسكن لهم جأش ، ولا تطلق لهم حرية في نظر واستدلال ، ولا يؤذن لهم ؟ فيتفكرون في حال ومآل ، محصورون في دوائر حددها لهم قادتهم ، فهم يموجون فيها موجاً ، ويترددون في أرجائها فوجاً فوجاً . بهذا السبب انقرضت أمم بأسرها وصارت أحاديث وعبر ، ولبثت أوروبا ألف سنة في حالة جمود وخمود ، لا ينبض لهم عرق بعمل نافع ، ولا يسمع لهم صوت بما يشعر بأثر من حياة ، جاء الاسلام ، والناس هكذا ، فقال . « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً » ثم شرع يقرر لهم أصول الحق بذلك البرهان وينير عليهم مسالك الحياة بذلك النور ، حتى تكونت للاسلام دولة محكمة الأركان في أقل من ربع قرن ، قامت بما عهد اليها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير قيام ، وجعلت لها أثراً لا يمحي على مر الأيام والأعوام . دعا الاسلام الى الله وحده ، ولفت العقول الى تنوير أسرارها ، وحكمه في مصنوعاته ، وحذرنا من أن يطوح بها الهوى الى البحث عن ذاته أو التفكير في ماهيته مقررًا أنه

أعلى من أن يدرك بصورة ، واسمى من أن تقف له الأوهام على  
كيفية . ثم قرر للناس قانون الاعتدال في الأقوال والأفعال والحركة  
والسكون ، فقال « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم  
الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون »  
وبعبارة أخرى شرح صدور العالم للإيمان بالله ، والتبرؤ إليه  
من كل ما عده ، ثم وجهها للإحسان في كل شيء ، على موجب ما تقتضى  
به الفطرة لا ما تزينه الأهواء وتقتضيه الشهوات ، فقال : « ومن  
أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » ثم التفت لما بين يدي  
الأمم من تلك الشروح والمقالات التي جعلها أصحاب كل دين عمدة  
حجاجهم ومرائهم ، ومستقى جدالهم وخصامهم ، مما جعلوه شرحاً  
لكتب الالهية ، وزعموه بياناً للأسرار الروحانية ، فبين لهم أنها من  
توليدات الخيال ، وتمويهات الضلال ، وأن المعتمد عليها معتمد على  
الأوهام ، ومرتكز على الأحلام ، ومستند على الظنون والبطلان ،  
ومستقيم الى التخربات والبهتان . ثم نعى عليهم غفلتهم في تصديقها ،  
وغبوتهم في الايمان بها ، وعمائتهم عن رؤية سوءها وضرورتهم عن  
إدراك فسادها . فطالبهم بالدليل تعجيزاً وتبكيثاً ، وكلفهم بالبرهان  
تقريعاً وتضعيفاً ، فقال « قل هل عندكم من علم ، فتخرجوه لنا »  
« قل أتعلمون الله بدينكم » « أتقولون على الله ما لا تعلمون » « إن  
يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » ومن يكن يتلو القرآن حق  
تلاوته يحده لم يدع أسلوباً من أساليب الزجر عن الخروج بالدين

عن جادته ، ولا فنا من فنون الردع عن التوسع في معناه إلا وآتى به على أبين طريقة ، وأوضح حجة وأمر رسوله أن يكون للأمة المثال الكامل في إسلام الوجه لله والتبرؤ اليه من سائر الوراثة والتقاليد التي جمد عليها الناس جمودا وسنوها ديننا تعصبا وضلالا فقال تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » فعز على اسراء الوهم ، وعباد الخيال أن يتبرؤا مما جمدوا عليه من الظنون المتوارثة ، والمقالات المقدسة في نظرهم ، وكبر عليهم أن يخلعوا هذه الأثواب البالية ، ويلقوا بأنفسهم في حياض الاسلام المطهرة ليخرجوا طاهرين من دنس الأضاليل ، طيبين تتلقاهم ملائكة الرحمة بالتهليل ، فابذوا رسول الله وجادلوه وحاربوه وكافوه ، ولم يتركوا أسلوبا من أساليب الغش والخداع الا أتوا به لاجباط سعيه وابطال دعوته . فقال له ربه ، وهو أعلم بحاله وحال عباده : « قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني ، فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذن من الظالمين . وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم . قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى

فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل .  
 واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين »  
 « قل هذه سبيل ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما  
 أنا من المشركين » « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله  
 ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا  
 الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا  
 من المتكلفين إن هو الا ذكر للعالمين . وتعلمن نبأه بعد حين » « قل  
 ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب . قل جاء الحق وما يبدى الباطل  
 وما يعيد » « قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » « قل  
 لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين . قل إني على بينة  
 من ربي وكذبتهم به ما عندي ماتستعجلون به إن الحكم الا لله يقص  
 الحق وهو خير الفاصلين »

نحن اليوم معشر المسلمين ليس لنا أمام القرآن الكريم وآياته  
 الا أحد موقفين : فاما أن نعلم اننا مخاطبون بها ومكلفون بالجرى على  
 سبيلها وان ما فيها ممانع على أهلها ، وأوخذ به ذووه من الأخذ بالظن  
 وعبادة الهوى والانحراف عن جادة المؤمنين وشرح كلام الله بالفلسفة  
 الخيالية والجمود على التقاليد الموروثة الخ الخ يجب علينا أن نحترز منه  
 ونهرب عنه ونكون عباد الله على طريقة رسوله وأصحابه ؛ واما  
 ان ندعى اتنا غير مكلفين بها وانها إنما جاءت للكفرة والمشركين ،  
 ووجهت للسرفين والملحددين . أما نحن معشر المسلمين ، فصالحنا

مأجور ، ومدنبا مغفور له ، والمنحرف منا مشفوع فيه ؛ فتكون  
 كالامة التي قال الله فيها « يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا »  
 أما الموقف الأول فهو موقف المؤمنين حقاً الذي يتلون القرآن  
 حق تلاوته ويفهمونه كما فهمه الذين أنزله الله اليهم من قبل فيؤمنون  
 بقوله تعالى مخاطباً لأصحاب رسوله : « ليس بأمانيك ولا أمانى أهل  
 الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » « فمن نكث فإمّا ينكث على نفسه  
 ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » « ولا تكونوا كالذين  
 نسوا الله فأنساهم أنفسهم » « ولا تركزوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار »  
 « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد »

من كان من أهل هذا الموقف قرأ القرآن قراءة المهتم نفسه ، المقر  
 بالتقصير والاساءة ، المعترف بالافراط والتفريط ، فيقف مع كل  
 آية ينظر في نفسه وعيوبها ، ويبحث في أدوائه وشعوبها ، ويفحص في  
 ثنيت أهوائه وفنونها ، ويسبر غور سرائره منقباً عن جرائم الباطل  
 ومكاريب النغي والضلال حتى يجدها فيطهر ذاته منها بكلام الله الشافي  
 واكسيره الالهى « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين »  
 « ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » فلا يزالون يقرؤون القرآن  
 ويتفهمونه ويبحثون عن دائمهم ويجالدونه حتى يشفيهم الله ويقيمهم على  
 طريقته المثلى ويجعلهم خلفاً لتلك الامة التي كانت خير أمة أخرجت  
 للناس أو يموتون وهم على هذا الصراط فيكون رجاؤهم في النجاة  
 عظيماً ، وطمعهم فيما عند الله من الكرامة مؤسساً على أمر معقول .



ويكونون جرثومة صالحة لمن يأتي بعدهم  
أما أصحاب الموقف الثاني فهم يقرأون القرآن تبركاً وتيمناً  
فيمرون بما يشعر بنعيم أهل الجنة فيضعون أنفسهم بأنفسهم في الصف  
الأول من داخلها ، ويمرون بما يدل على العذاب فيتبرؤون منه وينزهون  
أنفسهم عنه ، ويتنهون الى الآيات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن  
المنكر فيظنون أنهم مؤتمرون بها وأنهم من الجرى على سنتها في المقام  
الأول ، ويشارفون الآيات التي تأمر بالصبر عند البأس والتذم للجار  
والعشيرة والجامعة فيدعون أنهم من المستضعفين في الارض وأنهم  
غير مكلفين بشيء من ذلك ، ويقرأون الآيات التي تنهى عن المفسدين  
في الارض وتلقى التبعة على عرقه الكتاب وقراءته وتحثهم على الامر  
بالمعروف والنهي عن المنكر والصدع بالحق ، فيزعمون أن ذلك من  
واجبات الحكومة وأنها هي وحدها المؤاخذة بكل ما يقع من صغير  
وكبير. وهكذا ترى لهم أمام كل زجر حجة ، وحيال كل أمر حيلة ،  
وازاء كل تقرير مخلصاً ، والنتيجة أنهم يريدون أن يعيشوا كما وجدوا  
أنفسهم وآبائهم منغمسين في الكسل ، مشتغلين بالاماني ، قانعين  
بالدون من الحياة ، راضين بالذل ماداموا شباعا كاسين . وما وظيفة  
القرآن لديهم إذن ؟ وظيفته أن يقرأ منه كل يوم ورد ، أو يحفظ من  
أوله الى آخره عن ظهر قلب ، وان يترنم به في الولائم والمآتم ،  
وأن يحشد له الناس كما يحشدون لسماع الآلات المطربة ، وأن يقرأ  
بعض سورة لقضاء الحاجات أو نيل رتبة أو وسام أو للدخول على

الحكام الخالخ!!!! هذا هو حال أهل الموقف الثاني ثم هم يدعون أنهم مسلمون وأكثرهم ممن يصلون الفرائض ويتنقلون ويتبعون !  
بخ بخ!

إذا كان محض الفطرة السليمة والنظر المجرد يشعر بأن هذا الحال ليس بدين ولا هو من الدين وانما هو الهوى بجميع أشكاله ، يتسرب إلى كيان الانسان فيقلب معناه ويسلط عليه قوى الوهم والخيال ويجعله من أسرها في أضيق من القفص فيخيل له الدين والدنيا والحياة والمات والوجود والخلود وما يتعلق بها كما يريد الهوى لا كما هو الشأن في الواقع ، وما هو الا الضعف تمكن من النفس فقيدها ، وسطا على العقل فأسره في خدمته وصرفه عن وجهته .

الهوى : هذا هو الداء الذي تسرب إلى أهل الأديان فأخرجهم عن صراطها وضللمهم عن سبيلها . وجعلهم عرضة لفتنة العلم في هذا العصر وهيات أن يسترجعوا دولتهم ، ويستردوا صولتهم إلا بالتغلب على هواهم « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » .

كان زمان الانسان فيه يرسف في قيود العبودية للحكام والمسيطرين وكان التعلم بيد طائفة الرؤساء الدينيين لا يسمحون منه لجمهور العالم الا ما لا يضر بنفوذهم ، ولا يؤثر على مراكزهم وقد لبث النوع الانساني في هذا الدور ألوفاً من الأعوام ، جاء في أثنائها الاسلام فخلص منهم أقواماً ووهبهم حقوقهم المساوية ، ورد لهم حريتهم المغصوبة ، فعاشوا طائفة من الزمن في جناب هذا الحال الهنيء ، خلف من بعدهم خلف ردوا

الحال لأصله واتخذوا الشعوب خولا وعبيداً . وكان ذلك الارتكاس مما اعلم به خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بعض خاصته ، وشفع ذلك بأنه سيجيء زمان ترجع للاسلام دولته ، وتعلو في كل صقع كلمته ، ويتقرر في الأرض الاصلاح الذى جاء به رحمة لهذا العالم الضعيف . ولعل عصر الاسلام هو هذا العصر رغباً عن قول قادة اوروبا انه عصر العلم .

نحن اليوم في زمان ، الشعوب فيه خلصت من نير الاستعباد ، والحرية فيه أطلقت من الاصفاد ، وصار الانسان بشراً سوياً ، يعرف أن له نفساً مستقلة وازادة خاصة ، وأمياً جسدية ومعنوية ، وأنه حر في تصرفه ، مستقل في شؤونه ، وان له الخيرة التامة في امور حياته وتعلمه وتعيشه واعتقاده ووجهته . وأم أصبحت كذلك لا تعتقد عبثاً ولا تدين لباطل ، ولا تقف مواهبها في سبيل وراثته . فالدين الذى سيكون الدين العام بعد هذا الالباء كله هو الدين الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الدين الذى لا يحتاج في اثبات حقيقته الى دليل . الدين الذى تنساق اليه العواطف بلا دعوة ، بل الدين الذى يقتضيه حال الانسان اقتضاء طبيعياً ، وينشأ فيه نشوء ذاتيا ، ذلك الدين هو الدين الفطرى أو الطبيعى بلسان أهل العصر ، وهو الاسلام بمعناه الخاص .

ذلك الدين الفطرى ينشأ في القلب وينمو فيه فيفيض منه على الجوارح والأعضاء روح السكينة والفضيلة أو أثر الكمال والنزاهة ،

لا يقبل التأويل ولا التوسع فيه ولا التخالف في اصوله ولا التشعب في معناه . أعنى بذلك أنه فوق العلم وفوق الفلسفة ، لا بمعنى أنه يتألفها أو يخالف اصولها . لا ولكن بمعنى انه بطبيعة أسمى منهما . فالدين ميل فطرى عام مالمك لسائر أهواء الانسان وحاكم على جميع ملكاته . وأما العلم والفلسفة فأمران وضعيان ، قابلان للتكامل في كل آن . وكل امة تتجارى على اخضاع الدين للعلم تكون قد قلبت دينها علماً ، ومتى صار الدين علماً صار قابلاً للأخذ والرد ، ومحلاً للتناوب والتخاصم . لأن لكل حزب ولكل امة ولكل جيل علماً خاصاً ومدارك متخالفة فكيف يجمع الكل على علم واحد . ثم ان الامة التي تجعل دينها علماً تعرضه للتبدل والتغير على مر الاجيال وترقى المدارك ومن العبث أن نحاول حمل الناس في القرن الخامس والسبعين مثلاً على تقديس علما الحالى ونحن في القرن الرابع عشر .

ليس بين يدي العالم اليوم كتاب سماوى حافظ لصبغته الالهية الاصلية وصائن للدين مركزه السامى ونقاه الفطرى ، ونزاهته عن العلم والتاريخ والخيالات الا هذا الكتاب الكريم القرآن الذى أوحاه الله الى رسوله محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . والامة التي تدعى أنها امة هذا الكتاب وشيعة هذا الرسول الكريم يجب عليها أن تقوم على الصراط الذى نهجه لها ذلك الكتاب وعلى السنة التي خطها لها ذلك الرسول الأ عظم . أما الجمود على العوائد البلدية والتقاليد القومية وتأويل الكتاب او السنة في سبيلها وصرف معانيها لتنطبق

عليها فليس من الدين في شيء بل هو مما يجب أن يتنزه عنه كل منتسب الى هذا النور المبين .

مذهب التأويل والمحاولة يسمح للانسان أن يثبت وجود الشيء في ضده ويبرهن على عدمه في مصدر وجوده . أما رأيت ان القدرى يثبت لك مذهبه من القرآن فيأتى الجبرى فينفي له مذهبه ثم يستدل له على صحة مذهب نفسه من ذات القرآن . وهكذا فعل التناسخى والمشبه والمجسم الخ الخ هل بعد هذا كله يصح أن تترك صريح الكتاب والسنة وظاهر حال صدر هذه الأمة ثم نرمى بأنفسنا في بحار التأويلات والمحاولات لنثبت لانفسنا صحة ما ألفناه في بلدنا وتعودناه في قومنا وما معنى اسلامنا اذن ؟

الاسلام أن تبرأ الى الله من عملك وحوالك وموروثاتك وما قلت وما عملت وما تخيلت وما أملت ، مسلما وجهك اليه بمجردا بروحك له ، محازيا بروحك وهى على هذه الصورة النقية وجه مبدع الكون وقيومه ليمدك من نوره بما ينير عليك أمر الحياة وأمر المات ، ويمهيك من روحه بما يهديك الى أعدل صراط . الاسلام لله أن تدع العلم وأصوله والفلسفة ومسائلها والعادات وماخذها والآديان وتخالفها والأمم وتنازها وأهواءك ومواطنها والوجود وما فيه ثم تتوجه بقلب خاشع وضمير صاف ونفس نقية الى قيوم السموات والأرض ، فارا اليه من الأغيار ، ملتجأ الى جنبه من دعوى الانانية والاستقلال ، معتصما بحضرة من التلونات البشرية والأحوال ، راغبا اليه أن يوفقك

لتعلم ويهديك فيما تعلم حتى تستوجب رضاه وتستحق كرامته في دنياك وأخراك . هذا هو الاسلام ولا معنى له الا هذا وهو دين سائر الانبياء قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام بعد أن نظر في النجوم واستعرضها وقال عن بعض اجرامها « هذا ربي فلما أفل قال لأحب الآفلين » الايات . قال ابراهيم عليه السلام عقب ذلك كله « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين » « اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا و أنتم مسلمون » « ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وقال نوح عليه السلام كما حكاه الله عنه وهو قبل ابراهيم عليه السلام : « فان توليتم فساألتكم من من أجر ان أجرى الاعلى الله وأمرت أن أكون من المسلمين » وقال سليمان كما نقله الله عنه « وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين » وقال الحواريون : « آمننا واشهد بأنا مسلمون » وأمر خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فيما حكاه الله عنه أن يقول : « قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين » « قل انى هدانى ربي الى صراط مستقيم . ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » . « وقالوا كونوا هوأد

أونصارى تهتدوا . قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين .  
 قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق  
 ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من  
 ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل  
 ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكم  
 الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له  
 عابدون . قل أتأججوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم  
 ونحن له مخلصون »

هذا هو الدين الذى أمر الله به سائر النبيين والمرسلين ولم يزل  
 يوحى الله الى صفوة خلقه جيلا فجيلا حتى خاتم النبيين محمد صلى الله  
 عليه وسلم وهو الذى آمن به أصحابه صلى الله عليه وسلم بلا تأويل ولا  
 تحويل ، وان مجرد اسمه ليدل على ما قلنا بلا تردد ولا شبهة

هذا الدين الذى هو الاسلام الى الله أى الاستسلام له والتجرد  
 اليه والتبرؤ أمامه من الحول والقوة والعلم والأديان والاعراض  
 والأعراض والتلونات والأوهام والآمال مع محق كل دعوى، والتخلي  
 عن كل انانية هو الدين بمعناه الخاص وهو الحال الذى سينتهى اليه  
 العالم بعد أن يسأموا بمآثم فيه من الخلاف فى العقائد والتنازع فى المذاهب  
 والتمارى فى الأصول ، وسيكونون عباد الله اخوانا ، دينهم الحق ،  
 ودينهم الصدق ، وقبلتهم وجهه مولاهم الذى لا يكيف بكيف . ولا  
 يدرك بصورة ، وشغلهم الرقى فى كل شىء . « ان الذين فرقو دينهم وكانوا

شيعة لست منهم في شيء»

إذا أردت أن تعرف معنى الاسلام بمشال محسوس فاليك : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس كما هم اليوم مذاهب في الدين ، وأحزاب في الملل ، لكل منهم أصول خاصة جعلوها معتمد مذهبهم ، وقواعد اصطلاحوا عليها اتخذوها مرجع ملتهم ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماخواه ووجزه : أيها الناس ما هذا الاختلاف في فطرة أتم فيها سواء ؟ ما هذا التجادل في الخالق وهورب العالمين أجمعين ؟ ما هذا التفرق في العقائد وكلكم سواء في قصور المدارك ؟ ما هذا التمازى في السكتب السماوية وهي كتب الله الى الناس كافة ؟ ما هذا التحاسد ما هذا التحاقد ما هذا التعصب ما هذا الجمود على الباطل ، ما هذا التقديس للآباء ما هذا الاستبسال في الدفاع عن التقاليد الفاسدة ؟ فروا الى الله أيها الناس مما أتم فيه من هذه الاحوال المورطة والاحوال المهلكة . هلبوا الى النور الالهى وخلصوا أنفسكم من هذه الظلمات المتكاثفة . والغياب المتراكبة . الى عباد الله فقد اشتد بكم كلب الفتنة ، واستشرى فيكم داء العماية فقد أوحى الله الى اكسير شفائكم ، وطب أدوائكم .

— الى أين

— الى الله وحده أمايرضيك أن تصلوا الى الله وتعتصموا بجانبه وترتقوا في نعيم كرامته ورحابه ؟

— كيف ذلك وأين نحن من هذه الخطوة العليا والشرف



الصحيح

اخلعر عنكم هذه الآصار الوراثة . ألقوا عن ظهوركم هذه الاحمال المردية . نقوا أفكاركم من هذه المذاهب المتناقضة والاوهام المتعارضة . فانها كلها أحلام في أحلام وكلام في كلام والله من وراء ذلك كله « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » فلا تجعلوا هذه الكسف المضله بينكم وبين ماهو أقرب اليكم من حبل الوريد .

— وماهو الدين الذى تأمرنا به . هو الاسلام اليه والتجرد له وكفى بهذا دينا قيما . ألا يكفيكم من الدين أن تسلموا لله نفوسكم وأرواحكم وعقولكم واهواءكم وهممكم وهو خالقها ومصرفها ؟ بدل أن تسلموها ليد أوهامكم وأحلامكم ورؤسائكم فيضلونكم بالباطيل ويغشونكم بالاضاليل وينشئون لكم خيالات وجهالات ويوهمونكم أنها دين . وماهى الاوساوس اقتضاها ، لهم قصور عليهم وضعف ادراكهم . ومما يدلكم على أنها بهتان فى بهتان ، وشيء ماأنزل الله به من سلطان ، إن لكل أمة دينا خاصا ووساوس خاصة تدعى أنها هى الحق وماعداها الباطل . فبدل أن تسلموا أرواحكم لكهانكم وأهوائكم سلموها لبارئكم وهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين — وماهى العقائد التى تأمرنا بها ؟ — « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » تؤمنون بجميع ماأرسل الله من رسول وما أنزل

عليهم من كتاب ايماننا اجماليا ، أما التفصيل فلم تكلفوا به لأنه مما لا يفيدكم ، لاسيما وقد جالت أيدي التحريف بنصوص الكتب القديمة فادخل اليها ما ليس منها وقد تدارك الله ذلك بتضمينها في هذا القرآن فهو الكتاب الجامع لسائر كتب الله المحفوظ من التبديل والتحريف بأمره سبحانه وتعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

- « فما بال القرون الأولى ؟

- قال عليها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »  
- وماذا تأمرنا به من مكارم الأخلاق ورياضة النفس ،

- « انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » « وذروا ظاهر الاسم وباطنه » « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .  
« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »

- ماذا تأذن لنا أن نأخذ من الدنيا ؟

- « ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك »  
« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي

للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة « من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة »  
 « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة »  
 - ماذا لنا لو آمننا بك -

- « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » « انا لانضع أجر من أحسن عملا »

- ماذا علينا لو لم نعمل بما نقول ؟

- « انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ » .

- ان في العالم امما تكذب بالاديان ، ولا تؤمن بالرحمن وترزعم أن العلم كاف في قيادة الانسان ، وإيصاله لأعلا درجات العمران ، فما بال هؤلاء ؟

- « فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته ( على علم ) بل هي فتنة ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات

ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين .

- ان الغفل منهم يدعون أنهم آمنون مطمئنون . راقون متدرجون لم يأتهم العذاب الموعود ، ولا اليوم المشهود

- « وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير » .

« ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

هذا هو الاسلام في نقائه ، والأيمان في صفائه ، وهو كما ترى التجرد لله من كل ماسواه والتوجه اليه بقلب نقي خال من كل آثار العلم والوراثات والخواطر كأنه قذف به لهذا الكون من ساعته لكيلا يكون بينه وبين خالقه حجاب من هذا العالم الناقص . لان الانسان لو ادعى انه مسلم وتوجه الى الله وهو مشحون بالذكرة بعلم تعلمه أو بمعتقدات جمدها عليها أو بوراثات قدسها واستنام اليها فيكون قد أقام كل تلك الأشياء حوائل بينه وبين الله فلا يخلص فؤاده لله أبدا مادام كذلك . ولن يرى عمره الا تلك الاشياء التي جمدها عليها فيعيش ويموت وهو لم يتغير ، وليس هذا معنى الاسلام الذي هو دين كافة الانبياء ، بل معناه كما يدل عليه اللفظ ونص الكتاب الفرار الى الله من كل علم وعقيدة وراثية ، ومن كل خاطر وهمسة ضمير ، حتى

يخلو ما بين الله وعبده فيفيض الله على عبده ما يشاء من علم وحكمة .  
وهذا الاعتبار فالاسلام نهاية ضرورية للانسان المستقبل لا بالبرهان  
والاستقراء ولكن بالغريزة الطبيعية . فان الانسان متى اعتقد الشيء  
وجمد عليه ثم لاقى من جرائه ما يكشف له أنه مغرور به مغشوش فيه ،  
ثم اعتقد غيره فلاقى كما لاقى أولاً سئم الظنون كلها وعادها وتكون  
نتيجة ذلك كله الترفع عن التظنى والاقبال على المبدع الأقدس خالى الذهن  
من كل شيء مقهور على حاله هذا بالدافع الطبيعي الصحيح . من  
يتأمل فى حال أمم أوروبا اليوم يجدهم يعادون الأديان وينابذونها  
ويكتبون ضدها ولهم فى كل يوم عمل على تخليص العالم منها ، يرى المتأمل  
هذا فيظن أن أوروبا تسفل وتتدلى والحقيقة أنها سائرة نحو الاسلام  
بدافع الطبيعة ذاتها وكلها أوغلت فى معاداة العقائد الوراثة تقدمت  
خطوة إلى امام نحو الاسلام مقهورة على أمرها . وهذا معنى قوله تعالى  
« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم  
يكف بربك أنه على كل شيء شهيد »

إذا فهمت أن معنى الاسلام هو هذا فهمت معنى قوله صلى الله  
عليه وسلم ( كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه  
أو يمجسانه ) ومعناه أن كل مولود يولد خالى الذهن من كل عقيدة  
وراثية ومن كل أثر من آثار التعصب لشيء دون شيء ، أى نقي الوجدان  
ظاهر الذاكرة من كل أثر ، ولما كان ديننا دين الفطرة وهو الاسلام ،  
كان معنى الاسلام كما قدمنا أن يتوجه الانسان لمولاه خالى الذهن

من كل أثر من آثار الوراثة والجمود كأنه خلق من ساعته لكيلا يكون بينه وبين الله حجاب . هذا ماقلناه وهو معنى الحديث الصريح . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وإنما أبواه يهودانه . ) الخ أى أن الطفل يولد مسلماً على فطرة وإنما يأتى أبواه بعد ذلك فيلقنانه دينهما وقواعده وشروطه الخ فيخرجانه عن الفطرة وينشئان له نزوعاً إلى الجمود والتعصب من صغره فيشب وبينه وبين الله تلك الحجب التي أقامها أبواه بأيديهما .

هذا هو معنى الاسلام الذى كان رسل الله كلهم والذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأداه للعالمين بلا تأويل ولا تبديل ، وهذا هو الدين الذى قام به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وملكوا به الأرض وسادوا الملوك والقيصرة ، إذن فما بال الفرق التي نشأت في الاسلام وكانت سبباً في تشتيت أهله ؟ الجواب ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كلها في النار الا واحدة ) وما تلك الواحدة ؟ ( هي ماأنا عليه وأصحابي ) وما تلك الطريقة التي كان عليها صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟ هي الاسلام بالمعنى الذى قررناه لك هنا مستدين فيه على القرآن ، وهي مافهمه أوائلنا من قبل

هذا هو الاسلام الذى جعله الله دين رسله واصفيائه ومقدمة لا فاضة أنوار علمه عليهم ، وهذا هو الأصل الذى نرجوا أن يرجع اليه العالم كله لأن الفطرة السليمة تتأدى اليه من تلقاء نفسها ويرضاه العقل بمجرد تصوره بلا تردد . فالاسلام بهذا المعنى غير قابل للخلاف ولا

للتأويل ولالتحريف فلا يمكن أن تتفرق فيه أمة الا اذا خرجت عنه إلى غيره وزعمت ان ما هي فيه هو الاسلام ظلماً وزوراً  
ان قيل فما ذلك الذي طولبنا بالتصديق به في الكتاب الشريف من الرسل والكتب والملائكة والنبين والآخرة والقضاء والقدر . قلنا هذا هو الايمان ومارأيته هو الفرق بين الايمان والاسلام وقد عبر الله تعالى عن هذا الفارق بأجلى عبارة فقال تعالى : « قالت الاعراب (آمنا) قل لم تؤمنوا . ولكن قولوا أسلمنا . ولما يدخل الايمان في قلوبكم » وذلك أن نفراً من بني أسد قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة فقالوا آمنا ، فرد الله عليهم دعوتهم بقوله تعالى : « لم تؤمنوا » لأن الايمان اعتقاد بالقلب لم يحصل لكم بعد « ولكن قولوا أسلمنا » أى وجهنا وجهنا لله وتركنا التعصب لأصنامنا وكهانتنا وموروثاتنا وتوجهنا اليك فاهدنا

هذا هو الفرق بين الاسلام والايمان على الطريقة القرآنية والاسلوب المحمدى ، فكتاب الله يدعو نادعوتين : دعوة للاسلام أولاً ، وهى أن نخلع عن أعناقنا تلك الربق الوراثة ، ونرمى عن أكتافنا تلك الآصار التقليدية ، وأن نرفع عن عقولنا وأفئدتنا تلك المضاعط الوسواسية الخرافية ، وأن نتوجه لله بالقلب والروح طاهرين من كل خاطر عقيدة ، أو أثر وراثة ، أو همس تعصب ، لتتحقق عبوديتنا وتتميز حريتنا ليقاض علينا مانحن أهله من روح وليصادف الفيض نفساً نقية وفؤاداً طاهراً . لأننا لو توجهنا الى الله تعالى بغير هذه الطريقة

من التجرد والتطهر فنحن انما توجه لافكارنا وعقائدنا وخيالاتنا فنزداد فيها جموداً وعليها رسوخاً ، ولا ينفذ الينا من النور الالهى الذى توجهنا اليه بزعمنا شئ . لاننا لم توجه اليه إلا وهما ، وقد توجهنا فى الحقيقة لتلك العقائد الوراثةية « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » هذا من بعض أسباب تأخرنا عن آباءنا وعدم انتفاعنا من الدين بما كان ينفعهم ويحييهم جاء الاسلام لآبائنا وقد كانوا من الوحشية والجهالة والتشتت والفوضى فى أنزل المواطن نخلعهم عن هذه التقاليد الوراثةية كلها وجعلهم يتوجهون لله توجهها صادقاً فخلطوا من النور والامداد بما جعلهم مثالا يضرب فى تاريخ العالم ، ونحن مع وراثتنا للاسلام ودعوانا اننا من أهله ومن العريقين فيه أصبحنا لا ننتفع من عوامله المرقية عشر ما كان ينتفع منه آباؤنا \* وما ذلك الا لأننا غفلنا عن معنى الاسلام وصار الرجل منا يصلى لأنه عرف ان الصلاة فرض على كل مسلم ، فيصلى الركعات كما يجب ، لا كما يجب وينصرف الى لهوه ولنغوه منتظرا ان يعود لآئمه مجدها وسؤدها . وما درى هذا المسكين ان هذه الصلاة هى أقوى باعث بعث العرب الى الظهور بما ظهروا به من الجلالة والفضامة بما كانت السبب فى دوام المدد عليهم من قبل خالقهم جل وعز . لانهم كانوا اذا صلوا صلوا مسلمين وجوهم لله ، مجردين أرواحهم وقلوبهم له ، قياما امامه كيوم ولدوا على الفطرة لا متعصبين لشيء ولا جامدين على وراثته ، ولا واقفين مع هوى ، بل مستسلمين له مقرين بالعجز والقصور والجهل والفقر ، عاملين



جهدهم ، على أن يظهر وا بمظهر المربوب امام الرب ، والمخلوق امام الخالق ، والموجود امام قيومه . فكانوا يتلقون وهم على هذه الكيفية من افاضات نوره واشراقات وجهه وآثار علمه وهدايته ما يعجز عن تصويره القلم ، ولا يكاد يدركه العقل ، ولولا أن أمر انتقال العرب فجأة من حالتهم الأولى الى حالتهم التالية محسوس مشاهد لعد بعض الناس ما نقوله عنهم شعراً . ومن كان يقرأ القرآن حق قراءته ويستعرض أمام عينيه الآيات الكريمة الحاتة على اقامة الصلاة ( ١ ) حتى في مواطن الحرب والضرب . يعلم أنها عماد الدين وروح الاسلام وسبب من الأسباب الأولية لسرعة رقي المسلمين الأوائل . وليس هذا موطن التفصيل .

أنظر لهذه الصلاة التي كان يقيمها أبائنا الأولون بهذه الروح العالية ، مستسلمين فيها لله من كل حول وقوة وعلم وتقليد ووراثه ، ثم انظر اليوم للرجل منا يصلي وهو غير عالم من أمر هذه الصلاة الا أنها فرض فرض على كل مسلم ، فيتوجه بها لله وهو محشو الفكر والذاكرة والقلب بكل مارآه وماقرأه وماسمعه وماعمله وماعمله ويعمله وسيعمله ، يملؤ النفس بالدعاوى والمزاعم والانانية ثم يزعم أنه صلى ، ويصلي هكذا سبعين سنة ولا يذوق من صلته شيئاً ، لأنه صلى على طريقة الأديان المحرقة لا على طريقة الاسلام ، التي هي التوجه لله

(١) معنى اقامة الصلاة تقويم أركانها واتقان الاتيان بها . لا مجرد الصلاة كما يتوهم بعض الناس فان لفظ ( اقامة ) مأخوذ من أقام الامر أى عدله وأتى به على حقيقته .

كيوم ولدتك أمك متجردا من كل جمود وتعصب وهوى وعلم معترفاً  
 بالقصور طالباً للهداية ، راجياً للكمال بطرف منكسر ، وقاب منمطر ،  
 ونفس يتصعد ، ومهجة تتوقد حتى يصح أن يقال انك عبد معبود ،  
 وحتى تكون عرضة للرحمة والعطف . أما لو دخلت المحراب وأنت  
 ظان بعلمك الظنون . ودائر في محيط مدارك القاصرة ، وحاس  
 نفسك في دوائر معلوماتك وموروثاتك الضيقة ، وموهم نفسك انك  
 على شيء فماذا ترجى أن تنال ؟ لاجرم يكلك الله الى نفسك ، ويترك  
 اعلمك ويرقيك على قدر اشتغالك به ، ولكن ليس هذا من الاسلام  
 في شيء .

قلنا ان الذي قررناه هو الفرق بين الاسلام والايمان . والآن  
 نقول ان الامور الايمانية الستة وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه  
 ورسوله واليوم الآخر والقضاء والقدر ليست خاصة بدين الإسلام  
 فقط ، بل هي أسس كل دين وقاعدة كل فلسفة قديمة ومحدثة فهي  
 مسائل العالم كله ، وللانسان في الايمان بها طريقان : طريق الاسلام  
 وهو طريق الانبياء والمرسلين وطريق الفلسفة والكلام ، أما طريقة  
 الاسلام فهي أن تؤمن بها كما جاءت في القرآن المبين على لسان خاتم  
 النبيين بلا تأويل ولا تحريف ولا زيادة ولا تكلف ولا تعسف ،  
 واثقا بصدق ناقلها وأمانة مؤديها فتكون من « الذين قالوا ربنا الله  
 ثم استقاموا » أي على طريقة أصحاب رسول الله مكثفيا بنص الكتاب  
 وصحيح السنة ، معتقدا أن الزيادة والنقص في أوامر الله ونواهيه

خروج عن جادة الاسلام وتورط في الضلال ، ملتفتا لأسرار روحك  
 ومستودع مواهبك ، عاملا على اعلاء كلمة ربك واشادة صرح دينك  
 بلا تفهيق ولا اثرثة ، ولا خوض في مجاهيل ، ولا افاضة في مساتير .  
 وأما طريقة الفلسفة والكلام فأن تستورد على عقلك الشكوك  
 والشبه ، وتهم بالرد عليها ثم تنشيء ما يفسد ردودك وتستأنف الكرة  
 عليها ، ثم تجمع تلك الشكوك واجوبتها والمسائل وحلولها في كتب  
 ضخمة وتزعم انها الاسلام وتكون بذلك قد فتحت الباب لكل متكلم  
 ولكل صاحب مقالة فتكثر المذاهب والأقاويل والشروح وينتهي الحال  
 لكثرة الخلافات باسم الدين بل باسم الاسلام ، فتروج سنة الكلام  
 والثرثرة وتضعف سنة العمل لانهما ضدان لا يجتمعان ، فيستحيل  
 الدين إلى كلام في كلام ، وما بليت أمة بالكلام وتركت العمل إلا  
 انحلت قواها وتحللت عناصرها وتراخت وأخياها وصارت طعمة لغيرها  
 يقول قائل وهل تريد أن نعتقد تلك المسائل الست بلا دليل على  
 سنة رؤساء الأديان المبدلة ؟ نقول أو تظن أن الله تعالى الذي قال « اليوم  
 أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » أتاك يتلك المسائل وأمرك  
 بطلب الدليل عليها ولم يأتك بالأدلة عليها فتريد أن تستعين بالفلسفة  
 والكلام على ايجادها وهو سبحانه القائل « ما فرطنا في الكتاب من  
 شيء » . اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد بعث لك الدين كاملا وأقام  
 لك على أصوله من الأدلة أقصى ما يمكن الوصول اليه بوسائل هذا  
 العقل ، فان جاش في صدرك بعدها شيء فذلك من ذبذبة النفس

واضطرابها بتسلط قوة من قوى الشيطان عليها فلا نبحت عن دوائه في الفلسفة فليس فيها وراء برهان الله مرمى ، بل ابحت عنه في القرآن ذاته تجدد دواءك فيه بالنص الصريح كقوله تعالى « ومن يوثق بالله يهد قلبه » « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » هذا طريق مداواة الشكوك والشبه ، وما سلك طريق الفلسفة شك الا وازداد عمماية في شكوكه وتوغلا في شبهه « ومن لم يجمل الله له نورا فحاله من نور » .

لهذا السبب استاء أئمتنا الكرام في عهد المأمون من دخول الفلسفة اليونانية الى معاهدهم العلمية فقد رأوا رضى الله عنهم الخطر وهو بعيد ، ولكن لم يغن استيائهم شيئا فجاءت الفلسفة بخيالاتها وخرافاتنا لابسثة ثوبا منطوقيا جدليا فتانا ففهم بها الناس ومزجوها بالدين فأصبح دينهم فلسفة خيالية نصار مثاها عرضة للأخذ والرد والشبه والشكوك والقوة والضعف ولم يزل الحال هكذا حتى ضعف أمر الدين بضعف أهله فوصلنا لليوم وهو عصر المدنية الغربية والشبه الطبيعية ، والعلوم التجريبية الحسية ، فلم نلبث الا قليلا حتى رأينا حزب الدين أسفل سافلين ، واتباعهم طعمة للآكلين . ينقصون ولا يزدادون يلحدون ولا يهتدون ، يؤخذون ولا يرجعون ، حتى انتهى بهم الحال لأن يظنوا بالدين الظنون ، بل حتى قال قائمهم : ضل المتدينون ، انهم ملفتونون ، أما يعلمون أن زمن الأديان فات ، وأن الجامد عليها

جاهل مفتات ،

هذا كله حاصل ومحبو الدين في حيرة ، وأكثرهم قد أباس حسرة ،  
ليأسه من النصرة ، وعودة الكرة ، ومنهم من طلب الدواء لهذا الحال  
المريع ، بوسائل الزجر والتفريع . وكل ذلك ضاع سدى ، لأنه كائن  
على غير هدى . فان ما نحن فيه أثر مدنية الغرب وعلومه على أحوالنا  
الاقتصادية وقوانا العقلية ، وقد توغلت تلك المدنية وعلومها في أحشاء  
بلادنا وتشبعت بعقولنا وصارت عمدة أعمالنا وأمورنا لدرجة أصبحت  
كل محاولة في صدها عبثا وكل جهد يصرف في قطع الطريق عليها  
باطلا . ولما كانت تلك المدنية قامت بمنازعة الأديان المحرقة ، ومعاداة  
العقائد المبدلة ، فلا مناص لنا من التأثر بآثارها والالتياث بأقدائها ،  
فلا ينبغي من شرورها والعبودية لأهلها الا مقارعة أصولها المضللة  
بأصول أقوى منها كما هو شأن قانون المغالبة في عالم الطبيعة  
والنواميس ، ولا يقوى على ذلك الا الاسلام كما جاء به القرآن وبلغه  
محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما قرناه لك في هذه العجالة

من كان دينه الاسلام كما قرناه هنا من القرآن فلا يؤمل فقط  
في مقاومة تيار التعاليم الاحادية الأوربية بل يطمع أيضاً في احالة  
أمم الغرب كلها الى الاسلام بمجرد معرفتها إياه .

هنا يقول قائل : بماذا نحكم على مقالة حضرة كاتب مبحث  
الخوارق؟ بصفتي مسلماً على الطريقة المحمدية ، أقول انها رأى من

الآراء وقول من الأقوال ، لا علاقة لها بالدين أصلا ، ولئن كان  
 حضرة الكاتب كتب ذلك وقرره ، ففي الكتاب من هم واياهم على  
 طرفي نقيض ، وربما استدلوا على صدق مذهبهم بأكثر مما استدل  
 ووجدوا من الأخبار ما يكون على دعواهم أدل ، ولكن هل هذا  
 من الاسلام ؟ هل فعله نبي الاسلام ؟ هل ذكره كتاب الاسلام ؟  
 هل قوله شرط في الاسلام ؟ هل فعله قاعدة من قواعد الاسلام ؟  
 لا بل هذه كلها أقوال متعارضة ، وأقوال متناقضة اختلف فيها الناس  
 قديما وحديثا وفي كل ملة ، وكان سبب اختلافهم في المدارك  
 والمشارب ، سببا لاختلافهم في المدرجات والمذاهب ، ولكن الدين  
 وراء ذلك كله . الدين أن نعتقد بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم  
 الآخر والقضاء والقدر على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، أما  
 ما زاد على هذا من الأقوال والدعاوى ، فأراء لا يكلف بها مسلم ،  
 ولم تقم لها دعوة في دين الله ، وليست هي من الأمور التي تقام له  
 دعوة مستقلة ، بل هي من الأمور التي لك أن تعتقد صحتها وعليك  
 عهدتها ومسئوليتها ، ولك أن لا تصدقها ، وليس عليك سؤال فيها  
 يوم الحساب ، وليس لأحد بوجه من الوجوه أن يقرر أنها من الدين  
 أو أن اعتقادها شرط من شروط اليقين ، وإنما الدين : هو ما جاء  
 في القرآن وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

﴿ ملاحظاتنا على مقالة حضرة الكاتب ( ١ ) ﴾

نحن لا نقصد بهذه الملاحظات الجدل ، وإنما نقصد زيادة بيان معنى الاسلام على الطريقة القرآنية والأسلوب المحمدي ، وليعلم الناس معنى قولنا . ان الدين الذي كلفنا الله به ، هو ما بين دفتي المصحف الذي عمل به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أما ما زاد عنه من باب التوسع والتأويل ، فأراء وأقوال ليست من الاسلام ، وإنما هي آراء ناس عورضت بمثلها وحصل الأخذ والرد فيها قرونا طويلة ، ولم تزل لليوم عرضة للقليل والقال وكثرة الجدل لا نقول لمن عمل به كافر أو مشرك ، لأن هذا الحكم من حق الرب سبحانه وتعالى ، فهو عالم بالسرائر ، وإنما نقول ان من يعمل بها بعد ما يثبت له أنها زيادات وآراء ، فعليه تبعثها وهو وحده يسأل عنها ، ولا ينجيه قوله إنى رأيتها في كتاب أو سمعتها من أستاذ ، فإن الله لا يقبل هذه الدعوى من أحد ، فليختر المسلم لنفسه خير السبل « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

أنا هنا أنه قارئ بأني ممن يعتقد أن الله أولياء منحهم من مواهب الكرامة مقاوم لا يحوم حولها الخاطر ، ولا يتوهمها الا من وصل إليها ، واعتقد أنه قد يصدر عنهم من خوارق العادات ما يحير المدارك ويدهش الفكر ، ولكنى من جهة أخرى اعتقد أن هؤلاء الأفراد

مانالوا مرا كزهم هذه الابسيرهم على خطة رسول الله خطوة بخطوة ،  
وبعملهم بكتاب الله على قدر جهدهم . لأرفعهم عن مستوى البشرية ،  
ولا أغالى فى وصفهم بمالم يصفهم الله به فهم لا يدعون ولا يستغاث  
بهم ولا يتخذون واسطة بين الله وعباده ، وكل ما لهم علينا أن نعتبرهم  
قدوة صالحة وأسوة حسنة . هذه عقيدتى فيهم . أما ما يعملها العامة من  
رفع القباب على صلحائهم وإيقاد السرج على قبورهم والتوسل  
والاستشفاع بهم وهم فى قبورهم ، فليس من الاسلام ولا بما وصى  
به نبي الاسلام ولا بما كان يتوهمه الناس توهما فى صدر الاسلام .  
لا أقول لمن عمله انه كافر أو مشرك فتلك القاب ليس لى أن أصم  
الناس بها وإنما أقول أن من يفعل ذلك فهو على غير صراط محمد  
صلى الله عليه وسلم ، وعلى غير طريقة القرآن الذى يهدى للتى هى  
أقوم ، وأنها اراء ناس على من يقلدهم فيها العهدة والتبعة والمسؤولية  
« كل نفس بما كسبت رهينة »

إن كنا نعتقد أنا أهل الاسلام وحزب الرحمن ، ومخاطبون بهذا  
القرآن وان ما فيه بما بكت الله عليه أهله ، وعاب لهم فعله ، يقع علينا  
مثل وزرهم إن فعلناه ، فها هو القرآن بازاء ما قاله حضرة  
الكاتب : اليك :

قال حضرته : « وكما أنه لا يقال لمن اتخذ الأسباب الكونية العادية  
واسطة فى أحواله وشؤنه المعاشية كافر أو مشرك كذلك لا يقال لمن  
اتخذ ( خوارق العادات ) واسطة مشرك أو كافر أيضاً » نقول أما اتخاذ



الأسباب الكونية العادية واسطة في الأحوال المعاشية فنصوص عليه في القرآن والأحاديث قال تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة » « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » « فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » « وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( سافروا تصحوا وتغنموا ) ( ما أعال من اقتصد ) ولكن ما قاله حضرة الكاتب من قوله ( اتخاذ خوارق العادات أسباباً ) فلم يأت في الكتاب ولا في السنة . فهل يستطيع أحد أن يقول انه من الدين بعد هذا . لا ! انه ليس من الدين ولكنه رأى لك أن تعتقده وتحتمل تبعته وعهده ، ولك أن تقول كما قال الملائكة « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا »

قال حضرة الاستاذ : « الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وباخوانه النبيين والمرسلين وبالاولياء الصالحين هي عبارة عن سؤال الشفاعة منهم لقضاء الحوائج ورفع النوائب وتفريج الكرب ، ولا ريب أن كل من يناديهم من المؤمنين فهو علم أنه لا يعبد الا الله ، ولا يفعل ما يريد ويمنح ما يطلب الا الله وليس هؤلاء الاشفعاء فقط . »

نقول أما قوله الاستغاثة بالنبيين والاولياء الصالحين ، فلم يسمع مثل هذه اللفظة في صدر الاسلام ولا في عصر التابعين ولا من بعدهم . أما القرآن نخلو منها بالمرّة وكله دعوة لتمحيض الاستغاثة به وحده ، وزجر عن يدعو لكشف الضر غيره ، قال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب »

ولو كانت الاستغاثه بالانبياء والمرسلين من الدين لجاءت ولو آية واحدة تشير الى ذلك وقد حكي الله دعوات النبيين والصالحين، وتوبة التائبين من عباده المقربين، واستغاثات النبيين من أوليائه الطيبين فلم يأت في خلال دعوة من تلك الدعوات ما يشم منه أن نبياً أو صالحاً أو تائباً استغاث بغير الله في كشف ضره وتفريج همه وقضاء حوائجه، وقد أمر الله بالدعاء والتوبة في مواطن كثيرة فلم يشر الى الاستغاثه بغيره أبداً وهذه سنة رسول الله من أولها الى آخرها لا يوجد فيها ما يشير الى أن الاستغاثه بغير الله جائزة لأحد من الموحدين، ولم يسمع في كلام أحد الصحابة من الأنصار والمهاجرين ولا في كلام التابعين ولا من تبعهم حدوث الاستغاثه بأحد من الناس دون الله. وهذه كتبهم بين أيدينا ومقالاتهم وخطبهم في أشد المواقف وأخرجها ولم نسمع بأن القائد فلاناً المحصور صاح اغثنى يافلان أو أدركنى أو ساعدنى أو أمدنى، بل كان طلبهم كله موجهاً لخالق الكل وحاكم الكل، انما غاية ما ورد من طريق الأحاد جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كقول القائل « اللهم انى أسألك برسولك محمد أن تكلمنى وتهدىنى » وأنت ترى التوسل غير الاستغاثه اذ الاستغاثه تقتضى نداء المستغاث به والترامى بين يديه، أما التوسل فلا يستدعى دعوة المتوسل به.

قال الاستاذ وليس هؤلاء الا شفعاء فقط، وهى لهجة حادثة لا توجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا كتب المؤلفين من الأئمة المجتهدين فليست هى وكلمة الاستغاثه من الدين، ولو تسامحنا فى قبول

الألفاظ التي لم ترد في القرآن وهو أفصح كلام ، ولا في حديث رسول الله وهو آيين الحديث جرد ذلك الى اعتقاد مدلولاتها والتوسع فيها ، وسرى عليها ما يسرى على الدخيل من الكلام ، وفهمت منها الأفهام على قدر محصولها ، وخرج بذلك الناس عن دينهم من حيث لا يشعرون وهذا سبب تحريف كل ملة .

قال الاستاذ في تفسير قوله تعالى « وابتغوا إليه الوسيلة » والوسيلة ما يتوسل به إلى الله تعالى من عمل صالح أو عبد صالح .

نقول أما قوله ( من عمل صالح ) فقد وردت في كثير من آيات القرآن أما قوله أو عبد صالح فلم ترد في القرآن ولا في الحديث ولا في التفاسير التي كتبت في عصر التابعين ومن تبعهم . ولم ترد الا في كتب بعض المتأخرين . ولا يخفى أن المتقدمين أعلم باللغة وبالدين من المتأخرين ، وان أضفت الى ذلك أن الصحابة وتابعيهم لم يفهموا من الآية الا التوسل بالأعمال الصالحة فجدوا واجتهدوا ، ولم يتوسل بعضهم ببعض ، بل ولم يرد ذلك أثر من ذكر في كل خطبهم وكتبهم ، علمت أن هذه كلمة حادثة ليست من الدين ولا تقبلها فيه .

قال الاستاذ : ( وجعل العبد الصالح وسيلة الى الله تعالى انما هو من اعظام جانب التوحيد لأن من شهد سوء حاله وكثرة ذنوبه لا يجد له وجها ولا سبيلا للسؤال من ربه فتجتمع همته على التوسل لله تعالى بأوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب وانكساراً للرب واعظاماً لجانب القدرة الالهية وإيماناً بأن الله هو الفعال لما يريد )

نقول الله أعلم بمصلحة عباده ودينه ، وقد خاطب الله الكافرين والمترفين ووجه اليهم القول وطالبهم في كتابه المبين بالتوبة وعلمهم كيف يتوبون فقال تعالى « استغفروا ربكم انه كان غفراً » ولم يقل ولا في آية واحدة ان الكافر الملتئ بالذنوب السيء الحال الذي لا يجد له وجهاً للسؤال من ربه عليه أن يتوسل اليه بأحد من عبيده ، وقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش وغيرهم ودعاهم للتوبة والانابة ولم يشرط لهم أن ذلك لم يقبل منهم الا اذا توسلوا له بوسيلة . اللهم ان هذا ليس من الدين أما ما استدل به الاستاذ من استغفار الرسول للتائبين فذلك ليس من التوسل ولا الاستغاثة وانما هو من قبيل مساعدتهم في الطلب وهذا جائز لنا بعضنا مع بعض .

قال الاستاذ وقد صرح صدور التوسل من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها ، أما صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم فقد صرح في أحاديث كثيرة : منها أنه كان من دعائه ( اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ) ثم قال الاستاذ انه صلى الله عليه وسلم دعا بهذا الدعاء وأمر به أصحابه حتى ما كان أحد من السلف الا كان يدعو به .

نقول القاعدة عند ائمتنا المجتهدين ( إن صح الحديث فهو مذهبي ) فلو صح هذا الحديث جاز للمسلم أن يقول ( اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ) دون أن يزيد عليه من عنده أسماء والقبابا كأنه شهد توزيع المواهب في عالم القدس وما وراء هذا العالم . نعم ان صح الحديث

يجاز أن يدعو بهذا الدعاء دون أن يزيد عليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بالله وأفصح لساناً واطلب لمرضى الله ومحابه واثق برحمة الله وحسن ثوابه من كل من يميل للزيادة على ما قال . أمالو تذرع أحدنا بهذا الحديث فرعم انه يجوز للمسلم أن يقول (بحق فلان وفلان) فعليه التبعة والعهدة . لانقول انه مشرك أو كافر ولكن نقول انه زاد على ما قاله رسول الله وتعدى الحد الذي رسمه له . ولكن المسلم المتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم الذي يعتقد أنه جاء بطب القلوب ودواها، وكما أنه لا يجوز الزيادة في تعاليم الطبيب أو التوسع في أوامره . والاستبداد بالرأى في زيادة أو نقص مقادير العلاجات التي يصفها ، كذلك لا يجوز لمؤمن أن يزيد على ما ورد من أوامر النبي صلى الله عليه وسلم وهو الطبيب الروحاني الأكبر ولأن ينقص شيئاً منها إن أراد أن يتأدى إلى الكمال الذي وصل إليه صدور هذه الأمة . وكما أنه لا يجوز لغير أهل صناعة الطب والصيدلة والباحثين في خواص العقاقير أن يزيد في مواد القانون الصيدلي مادة مستندا في إيرادها على رأيه الخاص ، كذلك لا يجوز لغير النبي صلى الله عليه وسلم أن يزيد برأيه شيئاً مهما كانت الزيادة صغيرة فإن الصغيرة تجر الصغيرة ، والتوسع يستدعي التوسع فينتهي الحال بخروج الناس عن صراط الدين باسم الدين وقد حصل ذلك في كل ملة ، بل لا طريق لتحريف الأديان إلا هذا ، ولو ثبت كل أهل دين على ما وجدوا عليه نبيهم ، وقنعوا من الدين بما علمه لهم بالحرف الواحد ، وتشددوا في حفظ مبانيه ومعانيه كما هي ، لما وجدت

على سطح الأرض الادينا واحدا ، لأن مبنى دين الانبياء كلهم واحد ، ولكنك ترى مئات من الاديان في كل دين عشرات من الفرق ولا سبب لهذا كله الاعدم الوقوف عند النص وتناولها بالرأى ، ولما كانت الآراء تختلف قديما وحديثا كان الخلاف من شأن أهل الأديان وهلم جرا! ولكن الى أين؟ قد جاء العلم بسطوته ، والاحاد بخيله ورجله يهددنا ويهدد العالم بأسره ، فلعمرك ان لم نعتصم بكتاب الله تهنا وضللتنا ثم لا يفيدنا انتصارنا لرأى فلان ولا لفكر غيره .

قال الاستاذ « حصل قحط في خلافة عمر جاء بلال بن الحرث رضى الله عنه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يستسقى لأتمه فسقوا ، وفيه النداء والتوسل والتشفع والاستغاثة . الخ »  
 نقول : هب ان هذا الاثر ليس بصحيح فقط بل متواتر أيضاً لا يمكن الشك فيه فهل كل رأى يراه أحد الصحابة يعد من الدين؟ الدين كمال بالقرآن والسنة النبوية ومايجى بعد ذلك من الاقوال والاعمال فأراء يجوز أن تكون حقاً وأن تكون غيره لأنه لم يقل أحد بعصمة غير الانبياء فمن شاء أن يقلد ذلك الرأى فى رأيه فليفعل وعليه العهدة ، ولكن لا تنس أنه قد حصل فى خلافات الخلفاء الراشدين فتن كادت بها الدولة تترزعزع من أساسها ولم يسمع أن أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليا ولا أحدا من كبار الاصحاب رضى الله عنهم فعل كما فعل بلال بن حارث ، مما يدل على أن هذا رأى رآه لنفسه ففعله وهو مسؤول عما فعل ولو كان للصدر الاول أقل رأى فى نداء النبي

صلى الله عليه وسلم والاستغاثه به على الطريقة المعروفة الآن لدى العامة بالنسبة للصالحين لما وجد زائره مخلصا إلى ضريحه من كثرة المحيطين به والمطيفين حوله وكانت الكتب مشحونة بأنواع الاستغاثات المؤثرة مما تسمح به بلاغة الصحابة ولكن الأمر بالعكس فلا يكاد يصادف الباحث من أمثال ما أورده الأستاذ الا حوادث فردية يتصيدا الانسان تصيدا .

ان قيل الا ترضى أن تكون على مذهب أحد الصحابة ؟ — أقول للمسلم إمام واحد وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مرجع الكل وقدوتهم فلا يقتدى الا بفعله ، ولا يحتذى الا مثله . هذا أصل جميع الأئمة في أمثال هذه الأحوال .

يقال وكيف توفق بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » — أقول لم يقل أحد بأخذ الحديث على إطلاقه بل في الحديث تفصيل لا يخفى على ذى فطنة . والا ففي الصحابة من أمر بقتل عثمان رضى الله عنه فهل يؤخذ برأيه في ذلك . وفيهم من خرج على علي رضى الله عنه وحاربه بالسيف فهل يقتدى به في خروجه .

هب أن الانسان له أن يقتدى بما فعله بلال بن الحرث رضى الله عنه من الاستسقاء للناس وهي مصلحة عامة فهل ذلك يسمح لنا أن نقيس عليه ما عليه الناس اليوم من الذهاب الى القبور والتطواف بها وإيقاد السرج ورفع القباب عليها ، والباسها العائم ، وعلانها فوق

الحد الشرعي وادخالها في المساجد والطلب الى أصحابها كل صنوف المطالب الشخصية مما يبعثه الطمع والحقد والفخفة الخ الخ مما ترى عليه الناس رجالا ونساء؟ هل ما فعله ذلك الصحابي من طلب الاستسقاء للمصلحة العامة يبيح للسلم ان يقر العامة فيما يفعلون من ضروب الجهالات التي يأبأها الشرع والعقل والذوق؟

قال الأستاذ « والحق أنه لا معبود الا الله ولا تأثير لغير الله وان التوسل والاستمداد والاستعانة والاستغاثة والاستشفاع بالانبياء والأولياء في قضاء الحوائج الدنيوية والأخروية جائز عقلا وشرعا وحاصل فعلا بمحبة الله تعالى وكرامته لأنبيائه وأوليائه المنقولين وكرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة وواقعة بالفعل لهذه الأمة من زمن نبيها صلى الله عليه وسلم الى اليوم » .

نقول : أما التوسل فقد ورد في بعض الأحاديث المروية عن الآحاد ما يدل عليه وقد رأينا في باب الدعاء من أحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي رحمه الله دعاء منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه ( اللهم اني أسألك بنبيك محمد الخ ) ولا ينقل مثل الغزالي أمثال هذا الا اذ ارآه جائزاً . أما قوله : ( والاستمداد ) فلفظ محدث لم يرد في قرآن ولا حديث ولا أثر قديم ولا على لسان امام مجتهد من أئمتنا فيما نرجو . وقد قرن الله تعالى الامداد ببدائه العلية في كل موضع ذكر هذا اللفظ ، فلا يجوز اطلاقه على غير الله في الدين لا لغة ولا مجازاً ، لأنه من باب الزيادات في الدين التي تقبل التاويل والتوسع



وتستدعي نظائرها من الألفاظ المحدثه فنخرج عن صراط الدين من حيث لانشعر والعياذ بالله . ولماذا يستمد الانسان من غير الله ؟ اليس من ورد البحر استقل السواقيا . أما قوله ( الاستعانه ) فلم ترد أيضا في لغة الدين الرسمية وهي لفظه محدثه وقد ورد في الحديث ( وان استعنت فاستعن بالله ) فلا يجوز في الدين أن يستعين أحد بأحد غير الله . — أما قوله ( والاستعانه ) فمثل سابقتها اصطلاح محدث بعيد عن صبغة الدين وقد ورد في الحديث ولا أدري رأيت في الجامع الصغير أم كنوز الحقائق ( لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله عز وجل ) — أما قوله ( والاستشفاع ) فلم يرد في القرآن بالمعنى الذى يريده الأستاذ الامسندا الى اذن الله قال تعالى « وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » فالشفاعة واردة ولكن على أن الله هو الذى يأمر بها قال تعالى « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » فطالب الشفاعة والحالة هذه لا يليق أن يطالبها من نبي ولا رسول بل من الله تعالى كأن يقول اللهم شفّع فى رسولاك كما أورده الأستاذ من حديث عثمان بن حنيف فى قوله ( اللهم شفّع فى ) فصار طلب الشفاعة من غير الله غير واردة فى الدين يقول قائل ما هذا الوقوف مع النصوص هل على الرجل من حرج ان قال لأخيه فى الدنيا أمدنى من قوتك ، أعنى بحولك ، أغثنى بجاهك ومالك ، اشفع فى عند الأمير الخ لما اعتاده الناس فى لغاتهم؟ ان قلت لا حرج فلباذا لا يجوز له أن يقول ذلك لأخيه الميت

وهو يعتقد أن فيه قوة وقدرة على ذلك »  
 نقول : اصطلاح أهل الملل على أن العالم عالمان : عالم الجسد وله شؤون  
 وعلاقات وأحوال مادية كلها محسوسة اصطلاح الناس على تسميتها باسم  
 جامع وهو ( الدنيا ) ، وعالم غير محسوس فوق هذا العالم يعلو عن  
 مشاعرنا وعقولنا وله شؤون وأحوال لانسبة بينها وبين هذا العالم المادى  
 اصطلاحوا على تسمية شؤونها وما يتعلق بها من عقائد باسم جامع وهو  
 ( الدين ) وقد كلف الانسان قديماً وحديثاً بالخلط بين شؤونه الدنيوية وشؤون  
 الدنيا لميله للمحسوسات ، فكون القدماء أديانهم على هذه القاعدة  
 وفرضوا لهم آلهة لهم وجوه وأيد وأعين وعواطف وانفعالات فجاءت  
 الانبياء بالتوحيد والتنزيه فدحضت حجة المشبهين وأقامت امماً على  
 صراط الحق المبين ، ولكن كانت تلك الامم لا تلبث بعد موتهم أن  
 تعود لما كانت عليه من تشبيه شؤون هذا العالم بشؤون ذلك العالم مع  
 ما بينهما من المنفاة الشديدة والفارق الجسيم ، ولكن لما ارتقى العقل  
 الانسانى وتوسعت المدارك فى المعرفة ، أنف الناس تشبيه الخالق  
 بالجسمانيات فقد سوه عن ذلك ، ولكن صعب عليهم أن يتركوا ما جحدوا  
 عليه بالوراثة فكونوا لهم أدياناً على قدر ما يعرفون من أمور الدنيا ،  
 وعندهم أن كل جائز عقلاً جائز ديناً أيضاً ، ولم يعلموا أن هذا العقل  
 ابن هذا العالم الجسمانى ، وللعالم الروحانى ( عقل اسمى منه ) وهو ما يوهب  
 للأنبياء والمرسلين بلا كسب فيدركون به ما لا يدركه الناس ويرون به  
 ما لا يرون ، مما يوجب على كل ( عاقل ) أن يسلم عقله لرسول الله مع

اليقين التام بأنه لو اتبع عقله الخاص لأصبح دينه على قدر عقله واين هذا العقل بما خفي عنا عليه من عوالم الغيب والمعاني المجردة ولو أردت أن تعرف تخالف شؤون العوالم بمثال محسوس فالك . هب ان الأجنة في بطون أمهاتها يكون لها عقول تناسبها وقد جاءها ما أشعرها بأن وراء عالم الأرحام عالما يقال له عالم الدنيا سينتهي الجنين اليه بعد أن يمضى في سجنه المظلم وقرارته الحرجة زمنا ما ، وعلمت أن الأجنة التي كانت قبلها موجودة في ذلك العالم الواسع الزاهر ( عالم الدنيا ) وأنهم فيه متمتعون بما لا يخطر على بالهم من حرية وانطلاق ومدارك ولذات حسية ومعنوية وان لهم من الحول والحيل والسلطان في الطبيعة مالا يتخيله وهو في سجنه المعتم ، هذه الأجنة ان علمت ذلك عنا فهل كل مايجوزه لها عقلا يكون له نصيب من التحقق ؟ هب أن جنينا منها قال بما أن أنى في عالم الدنيا : ذلك العالم الواسع الطلق ، وهو متمتع فيه من الحول والقوة والوسائل بما أعجز عن تصويره وبما أنه يود ان اقضى مدة وجودى في عالمى هذا ، عالم الارحام ، الزمن المقدر ثم انتهى اليه بسلام لا عيش معه في صفاء ونعيم ، وبما ان رأسى قد انحرفت عن موطنها الطبيعى الأمر الذى يجر لو دام إلى تشوه فى العنق وفى الجبهة أو عسر فى الولادة ، وبما أن سماعه صوتى وامكانه تقويم عوجى بوسائله أمر يجوز عقلا فهو ممكن فعلا ، فيدعو والده ويسلك فى أمر معتقداته هذا المسلك فيجمد على كل ما جوزه عقله حتى يكون لنفسه جوا موبوا من أمثال هذه المعقولات الوهمية ؟ ومن يقتنع بالوهم يوشك

أن يتردى في مهاويه فيهاك .

لامشاحة في أن عالم الأجنة أدنى من عالم الدنيا في كل حيثة وان الانسان في العالم الأول ضعيف ضئيل محتاج ، عرضة للاخطار والمهالك بصنوفها ، وانه في الثاني على شيء من القوة والحول والغنى وأقل عرضة للاخطار والموبقات ، وزيادة عن ذلك فهو حي حياة انسانية ومتمتع بالمدركات العالية والمعلومات النظرية ، ولكنك تراه مع ذلك لا يتسلط على عالم الأرحام الا من جهات عامة كتأثيره على الأمهات بالترية والهداية أو الافساد والغواية ، ولم تزل قواه العقلية ومواهبه الجسمية أعجز من أن تسعف الجنين بشيء من قبيل ما يفيدته خاصة ، ولم تنفك مشاعره قاصرة عن ادراك حاجة ذلك الجنين منه مباشرة ، فانظر كيف أن تخالف العالمين أحدث بين شوؤنهمامن التباين ما يجعل المعقول لدى أبناء أحدهما غير ممكن لدى أبناء الآخر مع سمو أحدهما على الآخر سموا لاحد له . فاذا أراد أحدنا أن يجعل كل جائز بعقله المكتسب من هذا العالم ممكنا في ذلك العالم ثم يرتقى من فرضه أنه ممكن إلى ضمّه إلى عقائده وجعله ركنا من أركانها ، ثم يتدرج من ذلك إلى عدّه من الدين ووصم كل من لا يرضخ له بأنه مبتدع على غير مذهب أهل السنة ، فذلك ممن لا يرى لعقائده حدا يقف عنده ، لأن الجائزات التي يجوزها هذا العقل الدنيوي لا تحصر ، كما أن الخطأ في المعقولات لا يحصر أيضا فيكون أمر المتدينين على هذه الصورة خطرا عليهم جدا . ولكن أين هذا من الاسلام الذي قاثونه القرآن وأين هذا من

السنة التي هي مافعله النبي صلى الله عليه وسلم لاغير ؟ أين هذا من دين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والاصحاب الكرام والانصار العظام الذين أصبحوا مفخرة ملوك الأرض وآية ملائكة السماء ؟

الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو أن نقف بعقائدنا في الحد الذي رسمه القرآن وأن لانحاكي الأمم التي اتبعت أهواها وظنونها التي يقول الله عنها « ان هم الا يظنون » « ان هم إلا يخرصون » « واتبعوا أهواءهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى » وإذا كنا نستسلم لظنوننا ونستنيم لأهوائنا وكل ما يحسنه خيالنا ونرضخ لكل مارواه من قبلنا بلحاكمة ولا مناقشة ، فامعنى أننا مسلمون إذن ؟ مامعنى نعينا على الامم التي اتبعت أهواها سوء حالها وشر منقلبها وقد حاكيناهم في اتباع الأهواء والاستنامة لسلطان الخيال ؟ واذا كنا نزيد في ديننا كل ما هو جائز بعقلنا هذا القاصر فماذا تركنا للأمم التي سبقتنا وأبادهها الله لغوايتها ؟ وهل غوت تلك الامم وخرجت عما حده الله لها في كتبها وعلى لسان رسلها الا بمتابعة أهوائها ومحسنات ظنونها والرضوخ لعوائدها ؟ واذا كنا على هذا المثال في ديننا فما معنى الاسلام الذي نقول انه الدين العام ، الدين الحق الذي سيرضخ له الناس أجمعون ؟ أليس هو الدين العام لأنه الواقف بالعقائد موافقها الفطرية ، الآتى بها في بساطتها الالهية خالية من كل صبغة بشرية ، وآثار قومية ، وعوائد بلدية ، ولا أنه يرضخ لاصوله بالفطرة ، ويخضع لسلطانه بالطبع (١) ؟

(١) انظر ما قررناه عنه في مقدمة هذه المقالة

إذن فكيف نزيد عليه بما نجوزه عقلا ، ونستحسنه فكراً ،  
 وتصيده بالقياس ، وتناوله بالتكلف والتعسف ، لعمر ك ان لكل  
 أمة فلسفة دينية متينة الأساس مستندة على قوانين المنطق أى استناد ،  
 فلا يحسبن احدنا أن احقروثنى فى العالم فقير من فلسفة عقلية فى غاية  
 الاتقان ، فان قابلنا الوثنى بمعقولاتنا قابلنا بمعقولاته ، وان جادلناه  
 بجائزاتنا جادلنا بجائزاته وصرنا واياه فى كفتى ميزان واحد ، وهل  
 هذا هو الاسلام الذى أعرض عن الصنع الخاصة وجاء بالفطرة العامة ،  
 الذى أضرب عن التقاليد المخترعة وجاء بالعقيدة الأولية فى حلها  
 الالهية ؟ ولو كان من شروط الاسلام تمييز شعب على شعب أو تقديس  
 رجال قوم دون رجال قوم آخرين ، أو اعلاء معقولات على معقولات ،  
 لما كان الاسلام هو الدين العام ولما كان لآبائنا حق فى عرضه على الناس  
 بهذه الصبغة ، لأن لكل شعب أنانية وعجبا بنفسه لمفاخر سابقة ، ومحمد  
 مؤتلة ، وما من قوم إلا ولهم اجلال واحترام لرجال منهم غلوا فيهم  
 فرفعوهم الى مقاوم الملائكة ، ودونوا لهم من الفضائل والخلائق مالا  
 يتوفرمثله الا الملك مقرب أو نبي مكرم ، ثم ما من طائفة إلا ولها معقولات  
 مناسبة لدرجتها فى العلم وحالتها من التربية فلا يتصور الانسان أن يكون  
 هنالك دين عام يرضخ للشعوب عن طيب خاطر ، ويليق أن يسمى دين  
 الفطرة حقيقة إلا اذا علا بطبيعته عن كل هذه الخصوصيات القومية  
 التى لا يمتاز شعب عن شعب فيها والتى هى سبب تنافر الامم وتحاقدها  
 من قديم الزمان إلى اليوم .

أما من جهة تمييز شعب على شعب فقد وضع الإسلام له حداً لا يتعداه إلا من ظلم نفسه فقال تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » بهذه الآية أصبح لانفخ لامة على أمة مادام الكل مخلوقين من أب وأم واحد . من هنا تنمحي الانانية التي تسوق الامم للتنافر والتفاخر ويحل محلها ميل عام للاتحاد والتقرب كما حصل بين سائر قبائل العرب التي كان بينها من الاحن ما ليس بين الأمم المتخالفة في الجنس والمذهب .

وأما من جهة تقديس رجال قوم دون رجال قوم آخرين فقد حكم الله فيه بحكمه الفاصل فقال تعالى « إن اكرمكم عند الله أتقاكم » ولكن كل قوم يزعمون أن رجالهم أتقى فهم أكرم فرد الله على أمثال هؤلاء بقوله تعالى « ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » وهو أمر من الخالق بترك الكلام على اقدار الناس ومراكرهم من الكرامة والتقوى له سبحانه وتعالى فهو الحكم العدل ومن عصى هذا الامر فقد افات على الله وتعرض لمقته .

وأما من جهة المعقولات في الدين فليست من الدين وإنما هي علم والعلم تابع لقانون الترقى في كل أطواره كلها ، ومتى عرفت الأمة أن معقولاتها وكذلك معقولات غيرها أطفأت من نار التعصب لها وسعت في تقريرها من بابها بأن تحاكمها بقانون النقد والتمحيص فما قواه الحس حفظته وما عارض الواقع تركته

## خلاصة ماتقدم

يجب علينا بعد أن وفينا هذا الموضوع قسطاً من البيان أن نوجز الأصول التي قرناها هنا لتكون بمثابة الصورة المصغرة يحيط بها الطرف من أول نظرة متزعة عن شكل كبير يتوه البصر في أنحاءه ولا يكاد يضبطه الا النظر الطويل فنقول :

١ - معنى الاسلام أن تسلم وجهك لله مجرداً نفسك من علمك وعقلك وحولك وقوتك وتقاليديك كلها ، الفقر شعارك والخشوع دثارك والتقوى والرجاء والضراعة صفاتك ، متجرداً له كيوم ولدتك أمك على الفطرة لتتحقق عبوديتك ، وتمحي أنايتك وليصح الاتصال بينك وبينه بلا حجاب من عرض عقلي أو أثر ورائي ، أما لو اتجهت له وأنت ملوء دعاوى ومزاعم ، وفاهم أنك على شيء فأنت إنما تتجه لمعلوماتك ومعقولاتك وليس هذا من الاسلام في شيء .

٢ - الاسلام بالمعنى المتقدم هو دين الانبياء ومقدمة الفتح عليهم وهو الدين العام الذي يرضاه كل من أدركه ممن يكون قد سُم الجمود وعرف مضاره .

٣ - الايمان أن تؤمن بالأمور الست المبينة في القرآن ، بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر وقضائه وقدره كما جاءت في القرآن الكريم بالأدلة التي نص عليها الخالق العظيم بازاء كل واحد منها

٤ - الزيادة على ما جاء في القرآن من الأدلة هو من خلط الفلسفة



بالدين ومتى اختلطت الفلسفة بالدين تحول الدين الى فلسفة وصار قابلاً مثلها للأخذ والرد وهو ما يعلو الاسلام عنه لأن الاسلام لا يمكن التفرق فيه .

٥ — دواء الشكوك في أمور الايمان مبين في كتاب الله وهو الذكر وكثرة الطلب من الله للهداية .

٦ — ما طرأ الفساد على الاديان الامن خلط أهلها العلم بها والذهاب بها مذهب معقولاتهم فيصبح الدين صورة علم الامة وشكل معقولاتها ، فاذا ترقى في العلم لاحظت فرقا بين علمها ودينها ، فان تمسكت بدينها تأثراً بالوراثة جيلاً فلا تلبث على ذلك جيلين أو ثلاثة فيثور حزب العلم على حزب الدين فتصبح الغلبة للأقوى وحالة أوروبا شاهدة بما نقول ، وكل حوادث التاريخ تدل عليه .

٧ — الدين كمل بقوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » وقد أقامه صلى الله عليه وسلم على الصراط الذي لا ينحرف عنه الا منحرف ، فلا يجوز أن يزداد فيه بالرأى ولا بالعقل شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً . فان آراءنا ومعقولاتنا تابعة لدرجة معلوماتنا المتغيرة المتحولة وهي ليست من الدين في شيء وكل ما جاء به أئمتنا الأربعة وغيرهم لم يجيئوا به بصفة وحى أو بطريقة اجبارية كما فعل زعماء الملل الأخرى . بل قالوا كلهم هذا غاية ما فهمناه والله أعلم . وكانت صلاة بعضهم خلف بعض وتحابهم وتراحمهم مع اختلافهم أكبر دليل على علمهم بأنهم لم يختلفوا في الدين ولكن في العلم والاختلاف في العلم

سنة العالم كله ولا حق لاحد أن يكفر أحداً بدعوى أنه يذهب غير مذهبه .

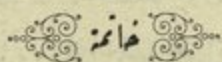
٨ - العقل الانساني في هذا العالم خاص بأشياء هذا العالم ولكن مدركات العالم الروحاني لها عقل أرقى من هذا العقل ، يوهب هبة للأنبياء والمرسلين ، وهؤلاء الأنبياء والمرسلون لم يؤدوا لنا الا ما نستطيع ادراكه بهذا العقل ، وما خفي عنا أكثر مما لا يعبر بلسان ولا يتخيل بجنان ، فالدين يقضى بأن لا نحكم بما تتعقله في عالمنا هذا على ذلك العالم الروحاني الذي له شؤون وأحوال خاصة فيلزمنا ، والحالة هذه أن نتبع ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يزيد فيه حرفاً ولا تنقص منه حرفاً ، فهو أعلم بمصلحة أمته من أكبر إنسان فيها ، وأدرى بما يجوز أن يفشى لها من الشؤون العلية .

٩ - مانحن فيه من اللوث والخطب في العقائد والعواطف وماعرانا من الضعف والفتور في الحياة والروابط الاجتماعية ، سببه فتنة المدينة الغربية بما حملته لنا ، من غث وسمين وحق وباطل ، وهي تقارع عالمنا الشرق كله بكل سلاح ، وهي فتنة لا يمكن مقارعتها إلا بأصول أقوى من أصولها وأبعد مرمى ، كما هو شأن التغالب في قانون الحياة ، ولا يقوى على هذه الفتنة من هذه الجهة إلا الاسلام النقي الخالص ، فان تدر عنا به فرنا ونجونا ، وصرنا خلفاء أمة عظيمة دعت إلى أكبر إصلاح في العالم ، وان تركناه وتدرعنا بمعقولاتنا ومدركاتنا وبلدياتنا ، فقد استهدفنا لفعل تلك الفتنة من أرق مقاتلتنا

وأصبحنا كما نحن ننقص ولا نزداد ، حتى ينتهي الأمر بهروب كافة حزبنا إلى الجهة المضادة لنا ، فيتدهورون في تيهور الفتنة ، ونكون نحن الجانين على أنفسنا ، والمؤاخذين بجرائرنا وجرائر من كنا سبب هروبهم عنا .

١٠ - هذا هو الاسلام في أصرح معانيه ، وأخص مراميه ، فالقرآن والسنة ، وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحال اتباعه المهديين دليل حسي عليه ، وهذا مذهب السلف كلهم وأمتنا سائرهم وقد دلت عليه كتبهم تليحاً وتصريحاً ، ومع ذلك كله فلا نقول إننا آتينا بشيء لا يمكن الجدل فيه ، لأن الذي يود الجدل لا يوقفه شيء ولا يبعد أن يتخذ بعض الناس ما نشر في كتب بعض المتأخرين من الآراء والأقوال ، دليلاً على أن ما عليه العامة اليوم من البدع في الزيارات ، وإقامة المقاصير على القبور ، وإيقاد السرج عليها ، ورفع القباب فوقها ، ونذر النذور لها ، وادخالها في المساجد الخ من الدين بدليل تحليلها في تلك الكتب المحدثه ، فيقولون ان ذلك مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل بمجرد نسبة قائله إلى أحد أولئك الأئمة الكرام ، وهم براء مما يقولون بأفواههم . على أن أولئك الأفراد العظام أتوا بما أتوا به ، ثم قالوا إن صح الحديث ، فهو مذهبنا ، وأضربوا بما قلناه عرض الحائط . انظر إلى هذا الأدب الاسلامي الباهر ، ثم التففت للذين يؤولون الأحاديث والآيات لتنتطبق على ما ألفوه في بلادهم ، وما وجدوا عليه أقوامهم

« لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون » .



يتخيل من يطلع على ما كتبناه هنا اننا من الذين يتشددون مع الظواهر ويجمدون على الالفاظ، ومن ليس لهم نصيب من جمال الباطن وبدائع الأسرار، كلا! إنما ممن يعتقدون ان عالمنا الحسى هذا مهما بلغ من الفخامة والجلالة فلا يقارن بما في العالم الروحانى من آثار الفيض الالهى والاشراق القدسى، ولنا مباحث خصوصية فى الولاية والأولياء والكرامة والالهام والكشف وقد رأينا من ذلك ما يدهش العقل ويحير المشاعر، ولنا مجالس ونواد نسمر فيها بذكر اللطائف الروحانية والرقائق الصوفية ولذائد الذكر وأنوار الخلوة الخ الخ ولكننا لانعتقد أن هذا هو الدين بل الدين فى القرآن، بلا زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تأويل، وأما ما نميل اليه بطبعنا مما ذكرناه فن قبيل العلم يجوز علينا فيه الخطأ والقصور والتناقض، ثم هو عرضة للزيادة والنقصان، والأخذ والرد. وما كان كذلك فليس بالدين الذى يقول الله عنه انه لا يصح الاختلاف فيه، فالذى لا يصح الاختلاف فيه هو الفطرة العامة التى يشترك فيها الناس كافة وهو الاسلام الذى قررناه من القرآن. أما معقولاتنا وأميانا وتجاربنا الخاصة فما تقبل الجدال والقييل والقال اذن فليست هى من الدين بل من العلم. ولا بأس أن يختلف المسلمون فى العلم بل ولا مناص لهم من

- ذلك . أما في الدين فلا ! قال الله تعالى « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وقال تعالى « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب »

الاسلام بالمعنى الذي قررناه مستنديين فيه على القرآن ومستضيئين له بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو آخر مرمى من مرامي الرقي العقلي والروحاني ، وأبعد غاية يمكن أن يتخيلها الخيال الانساني من باحات الكمال النفساني ، فكل مسلم في نفسه يجب أن يكون حادثاً جلالاً وأمرًا عظيمًا ، وأثرًا رحمانياً بديعاً ، وناهيك بانسان خلص نفسه من أثر كل تعصب وشائبة كل جمود ، ونصب ذاته عبداً لله مخلصاً له الدين ، متجرداً إليه من الحول والحيلة والعلم والخيال ، وكل ما يتخيل أن يكون قاطعاً عن الله وعن قبول فيضه واستشراق نوره . لا جرم أن كل مسلم حادث جليل وآية الهية باهرة ينشر الكمال والجمال والفضيلة والعدالة أينما ذهب وحيثما تحول ، ويؤيد بكل ما وهب من قوة وما منح من وسيلة دولة الحق وصولاً الصدق محارباً الباطل أينما وجدته وبأى صورة ثقفه ، يفعل ذلك مقهوراً بقوة مبدعه مدفوعاً بروح مصوره لا يجبن ولا يكسل ولا يخيب ولا يفشل ، كأنه ناموس طبيعي لا يرجع عن متوجهه حتى يؤدي ما سبق إليه على الوجه الذي رسم له . ألم تركيف ظهر المسلمون الأولون بذلك المظهر الذي حير الأمم واددهشها ، لم تمنعهم فاتهم وفاقهم والسخرية المحيطة بهم والعادات

والتقاليد التي تساورهم وتحتوشهم والصيحات التي تزعج الجبال الشم المتوجهة اليهم من كافة الأمم التي حولهم من أن يثبتوا على الحق ويؤيدوا الصدق ويتأبذوا البدع ويصدوا الباطل ثم لم يمنعهم ذلك عن بسط سيادتهم وسلطانهم على أعظم الأمم مدنية واستعدادا كأمة الرومان والفرس . ماهذا إن لم يكن كل مسلم في نفسه أمرا جللا ؟ ماهذا إن لم يكن كل مسلم في الوجود حادثا خطيرا . بل قوة الهية فعالة ؟ نعم إن المسلم لما تجرد من نفسه لله كان الله لسانه وسمعه وبصره ويده الخ كما ورد في الحديث الكريم . فهل بعد هذا نسعى في أن نجعل الاسلام على مثال الأديان المحرقة بكثرة الخلافات والمقاتلات التي تقذف بنا عن إدراك كنه معناه وتطوحنا الى البعد عن مغزاه « ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين »

( تنبيه ) هذا الجزء زائد صحفا كالذي قبله

## رجال أمم زجال

يتذكر حضرات قرائنا أننا ترجمنا في الجزء السادس مقالة كتبت في ( المجلة ) الباريسية تحت عنوان ( البيض ضد الصفر ) دمجها يراعى الاستاذ الفزيولوجي الطائر الصيت ( شارل ريشيه ) الفرنسي أثبت فيها بالأدلة التشريحية التاريخية سمو الجنس الأبيض على الأصفر ونقص من قدر اليابان وغض من كرامتها ماشاء . ويتذكر القراء أننا

قلنان ( جان فينو ) مدير المجلة رد عليه رداً علياً بديعاً وعدنا بإيراده ليتضح للمطالع من خلال تحاورهما مرمى العلم ومرمى التعصب .  
والآن لاحت لنا فرصة إيراد تلك المقالة التي هي رد مدير المجلة على الاستاذ ( ريشيه ) قال :

« لقد شرفني الأستاذ الفزيولوجي المبجل باهدائي مقالته على شكل خطاب وإني أبادر بالرد عليه والفضل في هذا الرد راجع إليه ، ليس فقط لأن الموضوع الذي أثاره وأحى وطيسه يستحق العناية والالتفات ولكن بالنسبة للمركز الخاص الذي يشغله المسيو ريشيه . فان حضرته برئاسته جمعية التحكيم بين الأمم أصبح قولاً وعملاً واحداً من أقوى انصار السلام والاخاء العام . واذا كانت عقيدة المسيو ريشيه فيما يرى تخضع أمام تلك المسألة العتيقة مسألة اختلاف الأجناس ، فماذا يكون اذن موقف العقول الأخرى التي ليس لها مثل علو نظره ولا سمو عواطفه ؟ »

ومما لا يجب أن يغيب عن الازهان أنه لو رسخ الاعتقاد بوجود أجناس من البشر كريمة عالية تستأهل انعطافنا وحبنا ووجود أخرى منحطة تستدعي مقتنا لها واحتقارنا اياها وعدم العناية بها أو تستدعي ما هو اسوأ من ذلك منا وهو ما يسمونه العدل الاوربي ، لوصل الانحطاط بنا لان نغضى ونصفح عن جميع صنوف الجرائم المضادة للانسانية التي يرتكبها الاوربي ضد شعب من تلك الشعوب المنحطة في زعمنا الى أن قال :

إذا قيل انه يوجد اختلافات بين الاجناس البشرية لا مناص منها فقد أنكروا قانون الترقى ووجدوا بتلك الأصول الاثرولوجيه وجعلوها نسبياً منسياً ، وينتج من ذلك تناقضات مخيفه مزعجة . فاننا لو فرضنا أن هنالك أمما واقفة لا تتغير من جهة التشريح والعقل والاخلاق استدعى منا ذلك الفرض الاقرار بجملة أمور

( ١ ) ان العلم والزمن عاجزان عن إحداث أقل التغييرات في أجسامنا وعقولنا

( ٢ ) وبينما نعتقد بتأثير قانون التدرج في الكمال الذي كون هذه الكائنات المنتظمة نرانا ننكر عليه إحداث أقل تغيير في الصفات الثانوية التي تخالف بين أجناس النوع الانسانى . على أنه ماهى طبيعة هذه الاختلافات ؟ يقول قائل انها اختلافات تشريحية وعقلية وأدبية . لاشك أن بحث كل هذه النقطة تفصيلا يستدعى بلا أقل شبهة عشرين سفرا ، فلنكتف بتحليل أصل تلك النقط وهى التى سمحت لهم بترتيب العالم فى رتبتين متضادتين رتبة الكائنات الممتازة ورتبة الكائنات التى يجب أن تستسلم لها . ونحن لأجل تمزيق هذه الكسف المتلبدة من الغيوم الوهمية حول هذه العقيدة الراسخة التى تعد نصف علمية فسنقارعها بالأدلة التى تأتينا عفوا لأن ضيق المقام لايسمح لنا بإيراد فذلكه أصولية مدعمة .

لنلاحظ قبل كل شىء أنه لم يقم دليل على أن هذه الاختلافات



التشريحية تحدث أثرا لاعلاج له على فكر وشعور تلك الكائنات البشرية . ومما يجب أن يلتفت اليه لأهميته هو أن تلك الاختلافات في ذاتها ليست بشيء سوى نتائج الوسط العائشة فيه تلك الخلائق فهي تتغير وتتحول تبعا لتغير وتحول مئات من الأسباب المكونة لذلك الوسط المؤثر . وهذا (بوفون) المؤرخ الطبيعي اثبت لنا أن الجنس يبقى جنسا قائما بذاته متى كان الوسط الذي كونه موجودا بذاته لم يتغير ويزول متى تغير ذلك الوسط ( انظر تاريخه مجلد ٥ )

لنبداً بذكر اللون الذي يجمع كل الصفات التي يصم البيض بها من لم يكن منهم . هل اللون علامة أبدية ضرورية غير قابلة للتحويل ؟ هاهم العرب ذوو اللون الناصع يأتون الى مكة فيكتسبون لونا أصفر معتما ويفقدون مع شكل أنوفهم المستقيمة الصفات الفخمية البدوية . وقد يصادف الانسان في بلاد النوبة عربا سودا مع انهم لم يختلطوا قط بزواج تلك الجهات ( أنظر بريشار مجلد ٤ ) وأطفال الزوج الذين يولدون في بلاد يتمتع فيها آباؤهم بالحرية والاطلاق يجيئون بيض العيون ويكتسبون صفات تقر بهم الى البيض شيئا فشيئا . وقد نقل دوريني ولويس وديه الخ بأن أغنياء الزوج المستقلين يقربون منذ الجيل الجيل الثاني من اليهود السمر . وفي غينا ترى الزوج المتمدنين يقربون من البيض ويحدث في شكل أدمغتهم مثل ذلك الترقى بعينه ( قال الدكتور هنكوك ) . وقال ( فيركو ) ان الوسط الذي يعيش فيه الانسان يجعله أسمر أو أشقر على حسب الأحوال ولقد سبق كل

هؤلاء القائلين هيرودوت وأرسطو وأثبتنا تأثير الوسط في تلوين الناس نعم ان الوسط بعوامله الكثيرة المتشعبة ، مثل الضغط الجوي والرطوبة والغذاء والضغط الكهربائي ومقدار الأزوت الموجود في الهواء وشفافية وصفاء السماء وطبيعة الارض الخ هي الاسباب التي تؤثر على تلوين المادة الجلدية تأثيراً حقيقياً وليست بمجهولة علينا تلك التجارب التي عملها ( پول برت ) على ديدان أكسولوتل حيث أثبت اثباتاً قطعياً بأن النور له فعل كبير على تلوين المادة الملونة لاسيما بواسطة سرعة ذبذبة تياراته . وتلك الحيوانات الثديية المحتلمة من الاراضي البائرة الأسيوية بواسطة ( برجوالسكي ) كانت ذات وبر أشقر أو أصفر باهت متجانس فأصبحت غير ملونة بوجودها في أراض لا ظل للأشجار فيها .

في بلاد الحبشة ياخذ لون الأهالي في القمامة كلما صعدت على الهضاب أو ينجلي كلما هبطت السهول في ( عبادى ) . وهنا لك مناخ جزائر الاتحاد له فعل عجيب في التلوين ، وذلك أنه يجعل الالوان شقرا ولايسودها حتى انك لترى الذين يولدون في تلك المستعمرات من الاوربيين شقراً جداً .

لنخط خطوة للامام فنقول : التجارب أثبت أن الشمس لها تأثير كبير جداً في احداث الالوان على الحيوانات والنباتات . وشوهد أنه لو أخذ طلع الزهر المسمى يتونيا قبل نضجه وعرض لشيء من الحرارة انتج ازهاراً ذات ألوان ليست لاصولها المأخوذة هي منها .

وهؤلاء هم الصينيون الذين يولدون في كاليفورنيا بأمريكا يفقدون في جيلهم الثاني شدة اصفرار ألوانهم ، وهيئة جلودهم تقرب شيئاً فشيئاً من جلود البيض المجاورين لهم .

وليس بنا حاجة للكلام على القصر والطول فانه بينما نرى قصر اليابانيين نرى ان في الصين شعباً بمتازة بطول القامات وارتفاعها . ولا مشاحة ان في هذه المسألة أيضاً للعوامل الوسطية تأثيراً لا يصح التردد فيه . فلنستعرا مثلاً على ذلك من القطر الفرنسي نفسه الذى يسهل تحقيق ما نرويه عنه بسهولة . كما أبانه « دوران دو جرو » بفصاحته المدفقة عن أهالى مقاطعة « أفرون » قال بينما نرى الرجل من « كوس » وهى تلك الجهة الكلسية يتغذى من الخبز الخشن المصنوع من الشعير والشوفان ويشرب من المياه الصافية فيكتسب نمواً كبيراً فى مجموعته العظمى ويصل لمنتهى الطول البشرى ، تجدد الافرونى نفسه ساكن الاراضى المشجية التى تنبت الجاودار والكستنة والنبق يعرف بقصره المتناهى فى بعض تلك الاقاليم .

وقد أوضح مثل هذه المشاهدة « مانى » فى كتابه « الزراعة العملية » فقال الانسان يرى مثل ذلك الخلاف فى الوادى الواحد بالنبسة لاختلاف طبيعة ضفتيه ، فهذا مكون من اراض سليسية وآخر من اراض كلسية ولا يفصل بينهما الا غدير صغير . فيرى فى الجانب الثانى الغنم القوية المربعة والثيران البادنة وترى فى الأول الحيوانات النشيطة الشديدة الخلوية ولكنها قصيرة قنوع خفيفة .

ومتى جلبت ثيران «أوبراك» الى ريف «أفيرون» بمقاطعة (فارن) تبلغ طولاً لم يكن لها في مراعيها البركانية في بلادها الأصلية، فتصبح طويلة ضخمة ثخينة.

أثبت «كولينيون» في «مذكرات الجمعية الاثروبولوجية» في السلسلة الثالثة من المجلد الأول «ان طول الفرنسيين تابع مباشرة لخواص الأراضى التى يسكنونها. قال ان سكان «بلوك ولو فاللون وكتتان» من مقاطعة «سان بريوك» العائشين فى الأراضى الطفلية الرطبة القاحلة الممنونة بالقطع البائرة، لا يبلغ طولهم فى المتوسط أكثر من ١٥٤٤ متر وكذلك حال سكان اقليم «مون دومارسان» الذين لا يجردون من الغذاء الا دون الكفاف بخلاف أهالى الجهات الخصبه الجيدة الهوا فيبلغ هنالك الطول المتوسط ١٨٤٠ متر.

ذكر «ديلبون» فى «تاريخ مقاطعة لو، مجلد ١» ان أهالى اقليم «فيجاك» أقوياء أشداء متوسط طولهم ١٦٣٠ متر، بخلاف أهل اقليم «لاتروكيير» الساكنين فى الأراضى الجرانيتية المجدبة الذين لا ينالون من الغذاء القدر الكافى فان متوسط طولهم ١٥٧٩ متر.

وأثبت «كوستا» فى كتابه «تجنيد أهالى كورسا» بأن القصر فى الجنود المقترعة يظهر بأخص مظاهره فى الأقاليم المحملة مثل «سالميس وركونيانوسيرا الخ».

لأجل معرفة مقدار ما يؤثر به الفقر وطريقة الحياة على الطول

الانسانى يكفى درس حالة سكان باريس .

أثبت « مانومريه » فى « مجلة الجمعية الاثروبولوجيه فى السلسلة الثالثة من المجلد ١١ بالنسبة لطول الباريسيين » وقرر « توينار » فى « احصاء مدينة باريس » بأن شبان الاقسام الفقيرة أقصر من شبان الأحياء المثرية وأثبت « شامبيون » فى « مقتطف عن المذكرات الطبية العسكرية ، مجلد ٢٢ » بأنه لا يوجد الآن أحد من الجيل الخامس من الباريسيين لأن الغدد الخنازيرية والقصر وأشياء آخر من موجبات الانحطاط والضعف قضت بزوالهم وانقراضهم .

هذا الوسط الذى له هذا التأثير المحسوس فى تشويه وتسفيل الشكل الانسانى له مثل ذلك التأثير فى تغييره أو تحسينه .

هذا هو الجيل الامريكانى يتكون أمام انظارنا تحت تأثير الوسط فى ممالكهم المتحدة فان التغير الطارىء مشاهد محسوس . وذلك أن الامر يكافى المعاصر لنا يقرب تدريجاً من الامريكانى الاصلى ويتجلى ذلك التقرب بميل الشق الاسفل من وجهه إلى أخذ الشكل الرباعى بخلاف ما عليه تلك الجهة عند الانجليز فانها ذات شكل يضاوى (انظر. مورى وتودس) وأثبت (بروتيرنى) أن الامريكى يقرب من أول جيله الثانى من ذوى الجلود الحمراء وابتدأت تظهر فيه تقاطيع مشابهة لتقاطع اشخاص قبائل (لينى لينابس والايروكوا أو الشيروكيس) . وان بشرته أصبحت خشنة كالجلد وأخذت فى التلون بلون الطمى وأصبحت المرأة هنالك ذات لون باهت قليل الجاذبية . وأخذت الرأس فى

الضعف والرخاوة ، والشعر فى الملاسة والقتامة . والعنق فى الطول والاناقة . وصارت العظام تطول جهة الاطراف العليا أكثر من طولها إلى الاطراف السفلى حتى ان مصانع فرنسا وانجلترا تعمل للامر يكتين قفازات ذات أصابع مستطيلة جدا ، واخذ جهة الحوض فى المرأة يشابه نظيره عند الرجل . وفى زعم ( كرينتر ) ان الامريكى المتروك ونفسه سينقلب إلى أن يكون مثل قبائل دوى الجلد الاحمر سكان أمريكا الاصيلين . فإذا يكون الحال اذن فى الجيل العاشر ؟ نقول الجيل لان التغيرات التى تطرا على أجسام البشر يجب أن تعد بالاجيال كما نفعله لنسبة الحيوانات والنباتات لا بالسنين . ومن جهة أخرى إلى أى شكل يستحيل الشكل الامريكى مع الزمن تبعاً لقانون الموازنة العضوية ؟ اذا كانت كل هذه الاعضاء آخذة لدى الامريكانى فى التغير فلاشك بأن شكله العام بما فيه هيئة جمجمته سيتغير أيضاً تبعاً لذلك . اذن فسيكون أمامنا جنسا جديداً ... مرتقياً أو منحطاً على الاربع ... يجب مجالته وملاشاته !! ( فى الكلام تهكم ) ( يتبع )

## فتنة المرنية الغربية (١)

﴿ أو النيشريه الهندية ﴾

قرأت فى مؤيد الخميس الماضى ما كتبه حضرة مكاتبه المحترم

(١) هذا بحث عمرائى كتبه فى المؤيد تباعاً ورأيت نقله هنا بالترتيب

في كلكتا عن النيشريين الهنديين وما اندفعوا اليه من الدعوة الى  
أصولهم مما رآه خطرا على كيان الأمة وقتته يخشى على وحدتها  
منها. فدعنتي غيرته أن أكتب للمؤيد هذه الجملة :

الشرق بازاء الغرب في هذا العصر على حال لا يدركها مجرد النظر  
السطحي والتأمل القشري والذهاب بالفكر في تصويرها مذاهب  
التخيل. لأن تلك الحال نتيجة طبيعية أتتجتها فواعل وجودية كثيرة  
ذات آثار شتى وأفاعيل عدة تستدعي تحليلا علميا دقيقا وتشريحا  
عمرانيا متقنا حتى يأمن الباحث الاغترار بالعلل الثانوية وحسابها  
عللا رئيسية بل حتى لا يطيش من تراحم الظواهر على عقله فيعد  
الأعراض عللا. وهذا عيب كبير من كتاب الشرق الذين أخذوا  
على عهدتهم معالجتهم في هذا العصر فان الأمر لدى هؤلاء الكتاب  
سهل جدا لا يستوجب من الشرقيين الا اطراح بعض عاداتهم القديمة  
والتمسك بشيء من العادات الجديدة فلا يمضى كبير زمن حتى يشق على  
المتأمل أن يميز الشرق عن الغرب في مظاهر الحضارة ورواء المدينة...  
ولكن الأمر بخلاف ذلك لدى سماءرة العلم العمراني لأنهم يعلمون  
أن الشرق الآن بازاء الغرب في موقف الضعف أمام القوة وما دام  
كذلك فينهما حرب سلمية مستمرة سلاحها النواميس الطبيعية ونقطة  
النزاع فيها الأمور الحيوية. فان التنازع والتراحم سنة عامة بين جميع  
الكائنات الارضية وهما في النوع الانساني أكثر صراحة ووضوحا  
واقسى أسلحة وأصعب مراسا. وبناء عليه فقواد فكر الأمة يجب أن

يكونوا من المهارة في أساليب الدفاع الحيوى والهجوم المعيشى وقيادة العواطف الى مظان الغلبة او الاحتماء على مثل ما يكون عليه أحسن القواد العسكريين دربة وحنكة . ولو صح ان كل ضارب بسيف أو مصيب برصاص يليلق أن يقود فيلقا قليل العدد والعدد ضعيف المركز والمدد أمام خصم شديد الشكيمة حديد الشوكة لصح أن يقود الحرب الحيوية العامة فى أمة كل من يستطيع أن يمسك قلبا أو يسود قرطاسا وكما ان جهل القواد العسكريين يقود الجيش مهما كان كشيفا مدر بالى مواقف التلف ومراكز الفشل كذلك نزع قواد الفكر يقود الأمة الى مزالتق البوار ومزال الدمار ويجعلها فى الحرب الحيوية العامة طعمة باردة وغنيمة سائغة . وقد تكلمنا على شىء من هذه الحرب الحيوية فى المؤيد قبل عام . تحديد حال الشرق أمام الغرب ووصف تلك الحرب الحيوية ووصفا دقيقا وتحديد مركز كل منها أمام مناظره يخرجننا عن الدائرة المحدودة التى رسمناها لهذه العجالة . فكنتفى هنا بأن نقول ان هذه الحرب الحيوية لا تفترق فى شىء من تتأجج الغلبة والقهر عن تلك الحرب الدموية الا أن لأشياءها اسماء مختلفة فى لغة التخاطب لا فى لغة العلم . فلا يقال مثلا دفاع وهجوم وهزيمة وانسحاب وقائد وجندى بل لكل هذه المعانى اسماء خاصة لا تشير الى مدلولاتها الصحيحة الا من بعد على قدر بعد لغة الناس عن حقائق العلم . من هنا يختلط الأمر على العامة وأكثر الخاصة ويستطيع الثرثار الفارغ أن يظهر بمظهر الكاتب المحقق بتقليده فى بعض الألفاظ التى تدل على



مدلولات تقبل التأويل ولا تأتي الشرح الطويل .

عنوان هذه المقالة ( فتنة المدينة الغربية ) واعنى بتلك الفتنة الاثر الذى يحدثه على النفوس رواؤها وزخرفها . هذا الاثر يفعل فى كل نفس فعلا يناسب قابليتها فيحدث عند بعض الناس بأسا لما يرونه من البعد الشاسع بين ما هم فيه وبينها فيحملهم ذلك اليأس على وقف عواطفهم وقواهم على منافعهم الذاتية وترك الامور العامة تلى غواربها ويولد عند الآخرين حركة تدفعهم لبلوغ شأوها والجرى معها فى ميدان واحد . هؤلاء أسلم فطرة واحيا فؤاد من الأولين ولكن سلامة الفطرة وحياة الفؤاد لا تغنيان شيئا اذا لم يرشدهما علم لوجوه السير وبصيرة نافذة فى احناء الامور ومشتبهات الشؤون كما لاتغنى الشجاعة فى الحروب عن ذويمها شيئا مالم تصحبها القيادة الحسنة والتدبير الدقيق أما وحدها فربما قادت أصحابها إلى موقف جعلتهم فيه عرضة لنيران العدو المحتاحة . فذهبوا كلهم قتلى اندفاعهم وصرعى تهورهم واستبسالمهم

فى الشرق فرقة كبيرة لم يصبها داء اليأس من لحاق الغربيين لاسيما بعد رؤيتهم نخامة مظهر الامة اليابانية الشرقية . ذلك المظهر كسر صنما كبير آمن أذهان الكثيرين حيث كانوا يعتقدون أنهم أحط من الأوربيين وأنه لامناص لهم من أن يكونوا مقودين بهم أبدا لا يبدن فجاءت هذه الامة الشرقية مكذبة لهذه الفرية الخطرة تكذيبا فعليا فأصبح حزب الراجين عظيم السواد . ولكن هذا الرجاء كما قدمنا لا يفيدنا شيئا بغير

العلم بوجوه السير وربما كان أدعى لفسادنا وأوجب لازدياد مصائبنا الاجتماعية

يرى كثير من انصار النهضة الجديدة أن مساواتنا للغرب لا تتأتى الا بتقليده تقليداً أطلقوه ولم يضعوا له حداً . وغفلوا عن أن للأمم أمزجة مختلفة كما للأفراد وان بين الغربيين والشرقيين من التباين في القابليات ووجوه الاستفادة ما لا يمكن لأحدهما أن يأخذه عن الآخر شيئاً الا بعد قلب كيانه وسبكه على صورة تناسبه وتلائم طبيعته الخاصة . لا أنكر أن أمامنا أموراً رئيسية يجب أخذها عن الغرب بطريق التقليد . ولكن أقول انه لا يتأتى أخذها الا بعدا عطاها شكلاً شرقياً يناسب المزاج الشرقي ويتفق مع الطبيعة الشرقية . والافنا بالننا اختلطنا بالغربيين قرناً ولم نأخذ عنهم غير ترتيب نضائد البيت وتنظيم أدوات المائدة ؟ ولا نسعى هذا أخذاً فانك لو أبعدت الغربي عن إشرافه على تلك النضائد وتلك الأدوات لما استطاعت أن تحفظ صفتها الغربية سنة أو ستين . بل ان هذه الخلطة كلها لم تعد الشرقيين لمجاراته الغربيين في اتقان ملهى مع شدة تفانى العامة في تقليدهم من تلك الجهة . أليس ذلك لتباين المزاجين وتخالف القابليتين . إن شئت فقل مثل هذا في التعليم والتربية وكل ضروب المحاولات الانسانية

كثير من أنصار النهضة الجديدة يتعجلون في أحكامهم فينسبون لبعض الظواهر المدنية من الآثار والنتائج ما ليس لها . وربما كانت تلك الظواهر في نظر علماء تلك المدينة من الجوائح القاسية على الهيئة

الاجتماعية فيمهدون بذلك للأمراض التي ينوء بها الغرب طريق التسرب النياويكونون علينا في الحرب الحيوية العامة أشد من مساورينا من الأمم المزاحمة

هذه الظواهر المدنية التي يخيل للناظر اليها سطحياً أنها أخص بميزات الغرب عن الشرق ، هي مسائل وحدة الزوجة وعدم الطلاق ( كان ) ؟ وتكشف النساء . واستحلال الربا . هذه العادات الغربية يحسبها بعض المتحمسين للبدنية أسباباً أولية لرقى الأمم الأوروبية ، وفواعل باعثة لنهوضهم وصعودهم . لأنهم يرون تلك الأمم لا تمتاز عن الشرقيين امتيازاً حقيقياً في شيء من العادات والأعمال العامة الا فيها فيخالون أنها مستودع سر رقيهم ، ومهب حياتهم وقوتهم . وتراهم يتعجلون في اتخاذها عللاً رئيسية كما يتعجلون في استنتاج نتائجها . فيبنون على وحدة الزوجة ، وعدم جواز الطلاق . كل ما يمكن تخيله من وحدة العائلة واتساقها واستتباب أمورها ، ومتى تكونت الأمة من عائلات منتظمة كان النظام لزييم هيئتها العامة ، والتضام صفة من صفاتها ، و يعلقون على تكشف المرأة امكانها بلوغ شأو الرجل في العلم والحكمة ، ومشاركتها له في الأمور الجسدية والأدبية فتصبح اما كاملة تربي أشبالا ينفعون البلاد ، وترقى بهم الأمة الى أوجها الأعلى . وينيطون باستحلال الربا انتظام سائر الشؤون التجارية ، وارتقاء نسبة الثروة العمومية ارتقاء لا حد له . ماذا يعوذ الأمة بعد ذلك ( على قولهم ) وقد توفرت فيها سائر الشروط المرقية

للأمم؟ نظام في العائلة . نظام في الاجتماع . أدب في الافراد . نماء في الثروة العامة . أليس هذا كل ما يتمناه الغيور على أمته الهائم برقي بلاده؟ ... ها هو معقود بأهداب هذه العادات التي تعد على الأصابع؟ فما المانع من الأخذ بها غير التعصب للعادات الموروثة؟... يقولون هذا و يغفلون عن أن هذه العادات بعينها كانت في أوربا طول القرون الوسطى وما قبلها ، ولكنها رغمًا عنها لبثت في ظلمات الفساد الفردي والاجتماعي ألف سنة لم تتقدم للإمام خطوة واحدة وكانت أمامها دولة الشرق العظمى المجافية لكل هذه العادات في رفعة وفخامة لم تصل اليهما دولة من دول العالم .

ربما كان لهؤلاء المتعجلين شبه عذر في هذه العجلة في الحكم فان لمظهر كل مدينة نخيمة أثرا على أفئدة مشار فيها من الضعفاء يشبه أثر السحب بل يفوقه . وقد أثر حال آباءنا أيام كانت لهم الدولة العظمى ، والصولة الكبرى على أفئدة الأمم ، فخلعتهم عن معتقداتهم التي جمدوا عليها قروناً متتابعة ، وصاروا من أشد أشياعها ، وأنستهم لغتهم التي نشئوا عليها بلا إيجاب ولا إكراه ، حتى كانوا من أفصح الناطقين بالعربية ، ومن حفظة قوانينها وقواعدها . فلا عجب بعد هذا أن يندعش أناس عندنا من فخامة هذه المدينة الغربية ، فيعللون رقيها بأمراضها ، ويعززون رفعتها لجرائم أدوائها ، وقوفا منهم مع الظواهر الفتاة ، واكتفاء بالقشور الجذابة كما لا عجب لو كان قام رجال من تلك الأمم الغربية أيام فساد أحوالها واضطرابها في

شؤونها أمام المدينة الشرقية الباهرة في القرون الوسطى ، فكتب لبني جلدته أن سبب تأخرهم وانفصام وحدتهم ، هو انحلال عائلاتهم ، واختلال نظامها الناشئ من قانون وحدة الزوجة ، وعدم جواز الطلاق ، وأن علة فساد تربية نساءهم : هي عدم تحجبن عن أنظار الرجال ، وأن داعية اختلال أحوالهم الاقتصادية ، وانتشار الفاقة والفقر بين الأفراد ، واحتكار آحاد قلائل الثروة العمومية ، هو تسامحهم في تجويز الربا . نعم لا عجب لو كان قام قائم منهم بهذه المقالة ، ولعله كان يحدد من الحوادث ما يؤيد قوله ومن المصغين من ينصر حربه .

نكتفي بهذا القدر في هذه العجالة وتبعها غدا بدرس هذه العادات من وجتها العامة بقصد إقامة البراهين المحسوسة على أنها أمراض هذه المدنية وجرائم تلاشيها مما يجب أن يهرب منه ويتعد عنه لأن يدعى إليه ويعلق صلاح الشرق عليه .

### ﴿ وحدة الزوجة وعدم الطلاق ﴾

( ١ )

الانسان بين خياله وهواه على مثل حال الريشة بين الأعاصير المتعاكسة والعواطف المتقابلة بينما يجذبها تيار بقوة سريانه يصدمها آخر بشدة اندفاعه ، وفيما هي نقطة النزاع بينهما إذا اختلسها منهما ثالث عن اليمين أو عن الشمال . كذلك الانسان بين تيارات هواه

وخياله تتنازعه وتتقاذفه حتى يراه مضطرا للتنازل عن إرادته فيستسلم ولكن إلى ماذا؟ ... إلى ما يجمله ، وان كان يحس به . ولماذا؟ ... لمالا يدري وان سيق إليه . والى متى؟ ... الى أن تمتد إليه أيدي الموت الطبيعي في حده المحدود أو تنزل به جائحة في أثناء سباحته في تلك الأعاصير المضطربة فيودع الحياة على حال من الأحوال .

جسم نحيل وطرف كليل وعقل ضئيل وحواس قاصرة ومع ذلك فؤاد ملؤه مطامع وحشو إهابه مطالب ونفس تواقه لمجازة الحدود وتعدى التخوم وفكر جواب جوال لا يرتد عن غاية ولا ينتهي الى نهاية وخيال يحسم المستحيل وينفذ لما يعد دوائر الامكان . أليس هذا هو الانسان في جملة؟ نعم وهو بتلك الصفات المتضاربة في وجود كله مجاهيل وكون كل مافيه أسرار ومسائير ، ولا نهاية تقصر عنها عزمات الفكر وتنحل دونها آمال الخيال . وجود كل مافيه جواذب لهذا الانسان وأواسر لفؤاده الوهّان . ولكنه يهيم بدون وسيلة فتخونه الحيلة . ويشرب بغير آلة فتقعده الكلاله وضؤولة الحالة ، فيثور على نفسه يوسعها ذمأم ينبرى لبني نوعه فيسلقهم شتما ثم يلتفت للوجود فيعزو اليه من النقص والقصور ما هو به أولى . كل ذلك جهلا منه بالحقائق وحدودها . وعماية عن القوانين ومجهودها . وخفه سجلها عليه الخيال ولطخه بها الهوى والضلال . وربما لحظ هو ذلك من طرف خفي ولكنه عتي عنيد يريد أن يجعل هواه دستوراً للوجود وخياله قسطاً تقوم عليه الحدود .

الناس رجلان رجل استسلم لعوامله الذاتية والمؤثرات الكونية استسلاما سلبه ارادته فعاشر عيشة آلية لا يفترق عن آلة الطحن أو السقي الا في زعمه الحرية وان كان من أسر الهوى والجهل في اوثاق أى اوثاق. ورجل لم يرد أن يستسلم لما ذكر أو انف أن يكون آلة لما هو أخط رتبة منه فطلب المفر وتحسس من المخرج فتمسك بأهداب الحقيقة فأوى الى حصنها واطمأن الى كنفها وان كانت لاتواتى هواه فى كل حين ولا تتملق لعواطفه بالتسويل والتزيين . بل هام بها لعله أنها اقوام حياته وبقائه وعليها مدار فلاحه وكاله ، وان كلفته المشاق والمتاعب ، وصبت عليه أنواع المعاطب .

لكل من هذين الرجلين نظر فى نفسه وفى الوجود وعمل فيهما وحكم عليهما ونصيب منهما . أما الاول فيعتقد فى نفسه الكمال والجمال وفى خلاله الفضيلة والاعتدال . فلم لا يواتيه الوجود بمطلوبه وتكون حوادثه على وفق مرغوبه ؟؟؟؟ فهو بهذه الفكرة يعمل عمل المغرور ويحكم حكم الزرق فلا غرو ان لم يصب من كده وكدحه غير النصب والوصب . ولا عجب ان قلنا انه يعيش معيشة الآلة مقوداً بنواميس الكون الميكانيكية وان أراه خياله أنه حر مطلق ، ودلس عليه هواه بأنه ذو ارادة واستقلال ؟ هذا الرجل تناله الجوائح وتغتاله النوازل فيتهم الوجود ولا يتهم نفسه ويذم الحوادث ولا يكمل نقصه . وكيف يطلب المزيد من يعتقد أنه كامل أو يتهدب من يرى أنه حال بكل الفضائل .

وأما الرجل الثاني فيعتقد في نفسه النقص وفي خلائقه الافراط والتفريط وفي أدبه الحاجة الى الصقل وفي ملكاته الداعية الى التهذب ، فان حزبه الوجود بمصيبة أورمته الحوادث بملمة رنا الى نفسه فبحث عن مآثرائه واستفاد من وقع المصيبة فنقب عن سر قوته ووجاهت ضعفه لا يخطر بباله يوماً أن يستسلم لخياله فيبني قوانين الوجود على مقتضى أوهامه ويسن للسكانتات دستوراً بعقل أقر بقصوره وتحقق من وهن وسائله . فلا غرابة ان ازداد هذا الرجل كل يوم تخلصاً من أسر الطبيعة وأوقع في اسره منها قوات تفيده في تقويم أمره وتعديل معوجه ولا عجب ان جاءت الحوادث على وفق مطالبه ، لأنه لم يطلب مستحيلاً ولم يجاوز في التمني مقدوره .

الناس قلنا أحدهذين الرجلين أماما بينهما فلا يدخل تحت حصر ولا يطمع في ضبطه عاقل : فكن ما شئت فالمقدمة معلومة والنتيجة غير مجهولة .

تعدد الزوجات والطلاق مسألتان اجتماعيتان تناولهما سمسارة الخيال واحلاس الهوى من كتاب الأفاصيص في اوروبا بما قدروا عليه من ضروب السخرية في القرن الماضي ولا يزال لهم بقية حتى صارت عنوان الطعن على الشرق ومقدمة لكل ما يكتب ضد الشرقيين سواء في المعتقدات أو السياسة . وربما كان الكاتب الاوروبي الطاعن على إباحة تعدد الزوجات له عشر صواحيب متزوجات يغريهن بماله تارة وبجاهه أخرى ويهتك من عرضهن ما يجب أن يكون مصوناً فيخونهن



في أخص صفاتهم ويعتدى على شرف أزواجهن جنبا وخسة ويكون سبياً في خلط الأنساب وتنجيس الأعراق ، ثم تراه لا يخجل مما هو فيه فيستملى من هواه ما يستملى في التشنير على ما يقطع جرثومه الدنيا ويقف بالأغراض في حظائر الطهر ويحمى الأنساب من دنس الرية . ثم يأتي أخونا الشرقى المفتون بمدنية الغرب المأسور لزارجها وزخارفها المعجب بلغاتها وآدابها فيقرأ ما سوده أولئك الكتاب في تلك الأفاصيص فتنتقش تلك الشبهة في ذهنه انتقاش الرسم في الحجر الصلد . فلماذا لا يثور عليها وهو يريد أن نكون كالغرب رقيقاً ومدنية . ولماذا لا يسعى في بثها في بني جنسه وهو لا يعتقدها من المصائب الاجتماعية ؟

إذا طالع الانسان قصة حسنة الأداء ، الخيال فيها ظاهر بمظهره الفاتن وكان موضوعها شرح حال عائلتين . أولاهما للزوج فيها زوجة واحدة . وثانيتهما للرجل فيها زوجتان له من كليهما أولاد . فأبدع الكاتب ماشاء في اطراء نظام العائلة الاولى واتساق أمورها وسريان الود والحب بين سائر أجزائها . وأطلق لقلبه العنان في تقييح نظام العائلة الثانية ووصف تلك البغضاء الملتهبة بين الضرتين وذلك التنغيص المتصل منها الى الزوج وصور لك حال تلك الاخوة من الجفاء والتعادى وأعطى كل ذلك صقلة من الابداع الشعري وبريقا من الاحسان الكتابي يريك الأمر مجسماً . فماذا يشعر المطالع في نفسه ؟ لاشك يحد في نفسه من ألم ذلك الخيال ما يحمله على الطعن في تعدد الزوجات بكل قواه . وماذا عليه من تغيير مذهبه وهو ملآن البطن والكيس ومتكىء على أسرة الديباج يطل على

حديقة بيته ؟ ماذا عليه لو طعن على تلك العادة لكل من يراه وسعى  
جهده في تغييرها مادام هو قرير العين من حالته الشخصية ؟

يكتب القصصى الاوربى مثل هذه الخيالات ويتابعه مطالعه الغربى  
والشرقى من الذين يكتفون بالخيال ويخافون بطش الأوهام . بينما  
يكون العالم العمرانى الذى خلع ربقة الهوى والخيال من عنقه ينظر  
لتلك الملايين العديدة من النساء اللاتى لم يجدن أزواجا يحموهن شر  
الفاقة فرمين أنفسهن وأجسامهن الرقيقة بين لهيب التناير فى المعامل  
ودخان المواهد فى المصانع لينلن قوتهن فيبكى على حالهن أسى ويندب  
حظهن أسفاً ويصيح فى أوجه الناس لوضع حد لتلك الحالة التعيسة .  
فيقول كما يقول الفيلسوف ( فوريه ) « ماهى حالة المرأة اليوم ؟  
انها لاتعيش الا فى الحرمان حتى فى عالم الصناعة الذى ألم الرجل بجميع  
أنحائه لغاية الاشتغالات الدقيقة بالخطاطة والريش . أما المرأة فيراها  
الناس منكبة على أشق الأعمال فى الخلاء . فماهى إذن مصادر الحياة  
للنساء المحرومات من المال ؟ ألمغزل أم جماهن اذا كان لهن جمال ؟  
نعم ان حيلتهن الوحيدة هى السفاد العلنى أو السرى ليس الا وهى  
الحيلة التى تنازعهن الفلاسفة إياها للآن . » اه

وبينما يكتب أسرى الخيالات فى أوروبا بأخبار تقدم النساء فى الصنائع  
والفنون ويلتقطها عنهم المقلدون بالبشر والارتياح فيتفككون بها فى  
المتديات ويظهرون بها سمو طالع المرأة الغربية ويتأففون من حال  
المرأة الشرقية وهم جالسون على نضائد الحرير والاستبرق . ينادى

العلامة الاقتصادي ( جول سيمون ) في اوروباقائلا . « النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ الخ وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها وبهذا فقد اكتسبن بعض دريهات ولكنهن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم عائلتهن تقوياً أيضاً . نعم ان الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ولكنه بازاء ذلك قد قل مكسبه لمزاحمتها له في عمله . ثم قال . وهناك نساء أرقى من هؤلاء يشتغلن بمسك الدفاتر وفي محلات التجارات ويستخدمن في الحكومة بصفة معلمات وبينهن عدد عديد في التلغرافات والوسطه والسكك الحديدية وبنك فرنسا والكريدي ليونيه ولكن هذه الوظائف سلختهن من عائلتهن سائلاً »

يقول جون سيمول في فرنسا هذا فيجييه زميله في انكلترا العلامة ( سامويل سماياس ) في كتابه المسمى الاخلاق . « ان النظام الذي يقضى بتشغيل المرأة في الغابريقات مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فان نتيجه كانت هادمة لبناء الحياة البيئية لانه هاجم هيكل الدار وقوض أركان العائلة ومزق الروابط الاجتماعية . فانه بسلبه للزوجة من زوجها والاولاد من أقاربهم صار بنوع خاص لانتيجته له الا تسفيل أخلاق المرأة لان وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات البيئية مثل ترتيب مسكنها وتربية عائلتها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات العائلية ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير منازل وأضحت الأولاد تشب على عدم التربية وتلقى في زوايا الاهمال وانطفأت المحبة الزوجية وخرجت

المرأة عن كونها الزوجة المحبوبة والقربنة الغيور على الرجل وصارت زميلته في العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والأخلاقى الذى عليه مدار حفظ الفضيلة »

مم كل هذه الشكاوى المرة وأى سبب لالقاء النساء أنفسهن بين أنياب هذه النيران المستعرة؟ أليس لعدم وجود من يحمين فى الحياة من الأزواج؟ قل لأولئك الغيورين من الشرقيين أى الحالتين أحب للنفس الشفيقة واهداء للعواطف الثائرة أوجود ملايين النساء فى تلك الحالة التعيسة طول حياتهن هلكن فى الجسوم والأعراض أم إيواء كل أربعة منهن الى بيت رجل واحد يسعى طول نهاره لاقافتهن ويكد بجسمه فى سبيل راحتهن؟

لا جرم أن أنصار المدنية الأوربية لم يضعوا الشفقة فى محلها ولم يستعملوا المرحمة فى حقيقتها. واذا كان غاية مرمى شفقتهم ومنتهى منال مرحمتهم هى ادخال النساء فى هذا الدور الذى ينتحب منه العالم الغربى فانهن براء من أنصارهن راضون بما هم فيه من حالتهم .

ليس هذا كل العجب . بل العجب كله أن يتخيل قوم أن بين وحدة الزوجة وعدم الطلاق علاقة بالتمدن الأوربى وقد علموا أن أوروبا لبثت ألف عام لم تترق عما كانت عليه خطوة واحدة رغماعن وحدة الزوجة وعدم جواز الطلاق فى قوانينها وكانت أمامهم مدنية آباتنا الأولين المعددين للزوجات والمجوزين للطلاق تحير مداركهم وتدهش أبصارهم وتجعلهم يظنون بأنفسهم الظنون . وهامى أوروبا اليوم قد

أحست بسوء مغبة عدم جواز الطلاق فقررت في قوانينها ولعلها على مقربة من تقرير جواز تعدد الزوجات تخليصا للمرأة من أنياب الفاقة وابقاء على جسمها اللين الشديد التأثر من نيران المعامل ودخان التنابير المستعرة وقد بدوا يتكلمون في ذلك كما بدوا في التكلم في الطلاق قبل تقريره بمائة عام ومن يعيش العجب فياصح لا تقنع بأنك صاح .

## تكشف النساء

( ٢ )

ليس العجب أن يقوم قأمون منا يشيرون علينا بالقاء الحجب عن النساء وتخليصهن من أعباء الأزر والبراقع وإنما كان العجب أن لا يقوم بتلك الدعوة داع ونحن تحت تأثير فتنة المدينة الغربية التي أخذت بمتنفسنا في كل مكان .

نحن بازاء هذه المدينة الباهرة ومظاهرها الساحرة كالفقير المعدم أمام المثرى المكثر . فكما أن ذلك الفقير يكون مفتونا بكل ما يراه في أخيه المثرى ومعجابه وذاها في تقدير قدره وتفسير نخامته مذاهب الخيال والوهم . كذلك نحن بازاء مدينة أوروبا مستهدفين للفتنة بها ومرغمين للاعجاب بكل مظاهرها وظواهرها ومجهرين على الأخذ في تصويرها وتكييفها مأخذ التخيل والتوهم . فلا غرو ان جعلنا حبتهاقة ودرهمها قنطارا وحكمنا عليها حكم المفتون على الفاتن .

كنت قبل اليوم أعجب من قيام داع بالذهاب مذهب الاوربيين

( م - ٢٥ - ثاني )

في عادة من عاداتهم الخاصة فصرت اليوم أعجب كيف اننا لم نكن  
كلنا دعاة الى الأخذ بسائر عاداتها مع مانحن عليه من التعرض لسائر  
مؤثراتها الصارمة . وكنت استكبر ظهور بعض الناس بمظهر الغريين  
في الامور التافهة كنظام المأكل والملبس فصرت الآن استكبر عدم  
سريان هذا التقليد فيما هو أخص من ذلك وأمس منه بحياتنا الشخصية  
والعمومية مع مانحن عليه من الانكشاف لفواعل تلك المدنية وعواملها  
القاسرة . فلم يسعني الا ابدال التعجب بالاعجاب وأصبحت أستدل  
بقلة هذا الافعال لتلك المؤثرات القوية على مقدار قوة المقاومة التي  
أودعتها فطرنا وصرت كلها رأيت سرعة تأثر بعض الطوائف الشرقية  
المختلطة بنا ممن كانت آخذة أخذنا في العوائد ازدادت اعجابا بقوة  
مقاومتنا ورجوت خيراً في المستقبل ، وان استدل كتاب تلك الطوائف  
وبعض السطحيين من كتابنا بسرعة تأثرها على جودة قابليتها للترقي  
وباستعصاننا امام تلك العوامل على نقص قابليتنا له . دعهم يعيروننا  
بذلك فان لهم نظراً في أنفسهم يخالف نظرنا في أنفسنا وهم ان فرحوا  
بسرعة تأثرهم وبنوا على ذلك آمالا فحن أفرح منهم بسلامة شخصيتنا  
وقوة مقاومتنا وان جرت عاينا أهوالا . ولكل امة قدر في نظر نفسها  
وليس هنا مجال تفصيل .

شبهنا أنفسنا امام الغرب بفقير معدم حيال مثر مكث ولا يكون  
هذا التشبيه مطابقا لواقع الا اذا وصمنا ذلك الفقير المعدم بصفة  
الحمل ووصمنا ذلك المثرى المكثر بسمة العلم . هنا تستقيم أجزاء

المشبه والمشبه به ويكون التطبيق مشخفاً لصورة الواقع . فلنستعر  
من هذا التشبيه أمثلة في تصوير مركزنا وفتنتنا فنقول :

الفقير المعدم الجاهل يفتن بكل شيء في المثرى الموسع المتعلم ويراه  
حسناً وان كان قبيحاً . لأنه يرى من جلال وجهه صورة هواه ومسرحة  
منه ومطمئن همه وضالة حسه وهى الثروة ، فيتوهم أن كل ما فى ذلك  
المثرى منزل اليه من أفقها ومستفيض عليه من ينبوعها . حتى لو سئل  
لرأى لسعته نعمة يجب أن يتعلمها ليتعلمها ولا يزال بحنجرته يوسعها  
قبضا وبسطا حتى يحاكيها أو يكاد . وهكذا تكون كل حركات المثرى  
وسكناته فتنة لمن دونه من الفقراء الجاهلين . يروى فى تعليق رفع  
الساعد عن الابطى فى التسليم الذى انتشر بين شباننا وكهولنا فى هذه  
السنين الاخيرة أن أميرة من أميرات أوروبا من اللاتي لهن الميزة  
فى المحافل دعيت مرة الى ناد جمع صفوة القوم وعليتهم وكانت مصابة  
بدمل فى إبطها الأيمن فاحتاجت عند المصافحة الى رفع ساعدها عن  
موطن تلك البثرة تحاميا من الألم فظن ذلك بعض الناظرين نوعاً  
مبتكراً فى التسليم فشاع وذاع حتى أتى هذه البلاد فرسخ بها عند بعض  
المحين للجديد .

يرى الفقير تصور الموسع وبساتينه ومركباته وما يسجبه من  
الوشى والخبر وما يحتاط به من الغاشية والخدم وما يجمل بمجلسه من  
البنين والصحب وما ينهال عليه من البيض والصفير وما يعده فى بعض  
لباليه من معالم المهو والقصف مابين وتريرن وشاد يفتن . وخوان

يوضع وصحاف تصف و ثريات من الكهرباء تشملهم من أنوارها بما يزيد مجلسهم بهجة وناديهم نغامة . يرى الفقير ذلك فلا يتخيل أن فوقه مزيدا ويظن أن السعادة بأخص معانيها قد ألفت بجرانها في هذا البيت وأن هذه الحال هي ما يجب أن تشجذله العزائم وتشدله الرواحل وإن عابها الفيلسوف وزرى عليها المخشوشن . هات لهذا الفقير المفتون ما استطعت من مقررات الفلسفة ونوايغ الكلم المأثورة وما كتبه العلماء على السعادة ومواطنها والراحة ومعادنها والثروة وهمومها فلا تراه يأبه بما تقول ، لأنك تود أن تهدم له بالقول ما يدعى أنه شارفه بالعين ، وتفسد له بالكلام ما يزعم أنه ذاقه بالحس . إن قلت له ألا ترى من خلائق ذلك المثرى الذى فتنتك حاله . المقامرة وهى مدعاة للفاقة ، مجلبة للاملاق ، والمعاقرة وهى متلفة للصحة مذهبة للبروة ، واللهو وهو مضیعة للفضيلة معجزة للهمم ، والقصف وهو مدحرة للذكاء مكسلة عن العظامم . أجا بك أن كل ذلك من لوازم ذلك النعيم ومتماته ولن نجد ثروة تخلو من تلك الآفات قط . ومهما كان من أثرها على صاحبها فى وسائله ما يعوض عليه ما يخسره بسببها . ثم يتحرك تحفزا للانصراف رغبة عن قولك وسأما من محاضرتك ، من شدة ورطته فى فتنته وتشبث عقيدته بمخيلته . فان استلفته الى أن ذلك المثرى مدين لكثير من المصارف المالية وأن ثروته على شفا التلاشى إن لم يؤب للاعتدال ويرجع للكمال أغرق فى الضحك منك وقال ماذا تقول ؟ أين تذهب تلك الالوف المؤلفة من الفدادين التى ريعها



السنوى كذا وكذا من الدنانير؟ أليس في ذلك العقل المنير الذى اقتدر على جمع تلك الثروة من الوسائل ما يمنع عنه غائلة الافلاس؟ وهل يعقل أنك وأنت أحط منه قدرا تنتقد عليه ما لا يدركه فى نفسه وتتحوف عليه ما لم يعدله ألف حيلة فان ضربت له المثل بفلان وفلان ممن كانوا أضرا به فى الثروة وأملقوا، هز كتفه صلفا وقال: تلك كانت عقول قديمة وأفكار عتيقة أما صاحبنا فحديث النشأة مصوغ على الطراز الجديد. ثم يسرع بالتسليم عليك ويهرول هربا من نقل محاورتك هذا المثل ينطبق تمام الانطباق على مانحن فيه من الاقتان بمدينة الغرب: نرانا مجبرين مرغمين على الاعجاب بكل شىء فيها واهمين فى تقديره ذاهمين فى تصويره مذاهب الشطح. وكيف لانكون كذلك وكل ما فيها يصور لنا النعيم فى أبداع صورته ويشخص لنا السعادة فى أخص صفاتها؟ وكما أن الفقير الجاهل لا يتخيل أن يكون للبشرى أدنى شاغل يشغل باله أو أقل عوج يهدد مستقبل أمره، وإن كان له شىء من ذلك فهو على مقتضى فلسفته عرض يزول وملمة لا تلبث أن تتلاشى، كذلك ضعفاؤنا بازاء هذه المدينة يكبر عليهم أن تتخيل ان فيها مرضا يهدد كيانتها أو بها عوجا يخشى أن يعدو على حياتها. ولهم فى تعليل ذلك فلسفة تنطلى على أكثر العقول وتقف بها موقف الحيرة والذهول. إن عددت لهم من آفاتنا فى النفس والعقل والعرض والجسد والمال ما يرهب الجسور مجرد سماعه ويدهش الجامد محض ذكره. قالوا ماذا يعنى الكلام إذا كان الواقع ضد ما تقولون؟ تقولون إن

هنالك خلطا وخطا وحياة مهددة وسقوطا وشيكا ووو الخ الخ ولازى نحن بل ولاترونا أتم الانظاما وكمالا وقوة وعلاء . فهل يقنعكم أن تنكروا الحس في سبيل الكلام أو تبيعوا الحقيقة بالأوهام ؟

إن قلت لهم : إن ذلك النظام والجمال لا يتأني أن يكون بجانبها مرض يمتص الحياة ويحلل عناصرها . كما قد يكون المثرى المترف في أبهة وغفامة تأخذ بالعين والقلب ، وهو من مهاجمة الدائنين في أضييق من قفص بيغائه قالوا هذه أحلام تنطلي على النائمين والمهومين . أما الأيقاظ الصاحون فلا يطربهم الضرب على هذا الوتر الخيالي وإن كان حسن الوقع على النفس والسمع ثم ينصرفون عنك قانعين بما هم فيه . . . . . وأي شيء هم فيه ؟ هل حفظوا موجودا ؟ هل استردوا مفقودا ؟ هل أرشدوا تأمها ؟ هل قلدوا فنجحوا .

أنا لا أعالي ، فأقول ان المدنية الأوربية واهية الدعائم ، وشيكة الانهيار والتلاشي . كيف أقول ذلك وقد كتبت هنا وفي مباحثي ما يشير الى قيام هذه المدنية على أصول ثابتة مأخوذة منا ومنقولة عنا بشهادة واضعها . ولكن قلت وأقول ان من العبث وعدم التروى أن نأخذ بضاعتنا مطبوعة بطابع أجنبي ومصبوغة بصبغة غير صبغتنا الأصلية لأمرين : ( أولهما ) ان ذلك يقدر في الحمية ويحقرنا أمام أنفسنا وأمام غيرنا ( ثانيهما ) لأنه لا يتأتى أن تصح أمة بعلاج أمة أخرى مباينة لها جنساً ولغة ومزاجاً الا اذا ركبت ذلك العلاج على نسبة مزاجها وقابليتها كما فعلت أوربا فيما أخذته عنا قبل قرون .

وهذا هو سر عدم فائدة الترية والتعليم لدى المصريين الذين يتعلون على الأسلوب الغربى كما سنبينه فى مقالاتنا المستقبلية موآاة الاقتراح أحد محررى هذه الجريدة المحترمين .

قلت ان أوربا قائمة من جهة مدنيتها على دعائم ركينة ، ولكنى لا أنكر أنها مصابة باصابات خطيرة على كيانها ماسة بحياتها . لتلك الاصابات أشكال وصور شتى يجمعها أصول ثلاثة : العقيدة والمرأة والمال ، ولكنى مهما كتبت وكتب غيرى فى تلك الاصابات وخطاراتها فلا يكون لكتابآتنا كبير أثر على أذهان المفتونين بمظاهرها . وما أقل الخاضعين لسلطان العلم فى هذه البلاد .

تخيل رجلا من الشرقيين يرى سرا من النساء الأوربيات يتلآن فى الحرير والوشى وبجانبهن رجالهن وأولادهن ، والكل يروح ويغدو بين الحدائق الناضرة ، والغدران الجارية تلوح على وجوههم ظواهر السعادة ، وتم أساريرهم عن الصفو والهنا . تخيل رجلا من الشرقيين الضعفاء يرى هذا المنظر ، ثم تعال فقل له ان جسرت عليه : لا يفرك هذا المظهر الباهر ولا تقس عليه ماخفى عليك ، فان فى أوربا مسألة يقال لها ( مسألة النساء ) يزعم العلماء أنها مسألة خطيرة تهدد مدنيتهم بسقوط سريع ، نراه يتمك بالغلو والخشونة ، ويزعم أن بك جمودا على الموروثات ، وتعصبا للعادات فلو قلت له إن أهل تلك المدينة أنفسهم يشكون من جهة تكشف النساء وما جر اليه من البذخ والترف كتب العلامة ( لويز پرول )

في مجلة المجلات الفرنسية ( مجلد ١١ ) تحت عنوان ( الفساد السياسي ) يقول « إن فساد الأسس السياسية وجد في كل زمان ومكان ، ومن الغريب المدهش ان مظاهره في الزمن السابق مشابهة تماماً لمظاهره في الزمن الحاضر بمعنى أن المرأة كانت العامل الأقوى في هدم الأخلاق الفاضلة » ثم قال : « لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون بصحبة النساء ذوات الطباع الخفيفة اللاتي كان عددهن بالغاً حد الكثرة . فصار الحال اليوم كما كان في ذلك العهد ، ترى النساء اندفعن في تيار الحب البالغ حد الجنون وراء البذخ واللذات .

إن تلوت عليه ذلك قال تلك آراء الأفراد ، وقد بليت كل مدينة بالمطرفين ممن لا يجوز الحكم بأقوالهم عليها . ألا ترى أن في أوربا فوضويين ؟ فهل تستطيع أن تستدل بقول واحد منهم ان أوربا على وشك ملامشة الحكومة والقوانين والجيش بحجة أن الفوضويين ينددون بذلك ؟

فان قلت اليك فكر الأمة في دائرة معارفها المتداولة بين آحادها . جاء في دائرة معارف القرن التاسع عشر عقب ذكرها خطبة ( كاتون ) الروماني في مجلس النواب ضد ابتذال النساء قالت « وفي هياتنا الاجتماعية الحاضرة التي فيها النساء يتمتعن بحرية مفرطة ترى دناءة ذوقهن وميلهن الشديد للزينة يحملهن دائماً على الاشغال بجهنهن وبكل ما يزيد حسنهن . كل ذلك أكثر خطراً وهو لا كما كانت عليه

الحالة في روما . »

هنا تبدا على صاحبنا علامم التبرم من فداحة الحججة وصرامتها ، ولكنه ربما تغلبت الشبهة ، فقال ان الكاتب يقول : ( أ أكثر خطرا وهولا ) وهي لهجة الكتاب وديدنهم فيما ينتقدون ، فأبى حجة تصرفها على حياة المدينة ، وتستنتج من ذلك أنها على شفا الدمار ؟ فان قلت له مكانك فسانقل لك مالا مجال لتأويله ، ثم تلوت عليه ما جاء في تلك الدائرة في ذلك الفصل بعينه وهو قولها : « نعم انا لسنا أول من لحظ هذا الاثر السيء الذي يحدثه حب النساء للزينة ، يوماً فيوماً على أخلاقنا فان أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الهام ، وكثير من أقاصيصنا التي قوبلت بالاستحسان العام قد وصفت بطريقة مؤثرة الخراب الذي يجره على العائلات الشغف الجنوني بالتزين والتبرج . فكيف النجاة ( تأمل ) من هذا الداء الذي يقرض مدينتنا الحالية ويهددها بسقوط سريع جدا وان شئت فقل بأخطا لا دواء له . »

هنا يشعر صاحبنا بحرج الموقف فان كان ممن شوهدت الفتنة الغربية فطرته انصرف عنك مصرأ على ما في رأسه وان لم يجد له دليلا غير الأمانى وأما ان كان فيه بقية من خير رجع الى نفسه وتحقق أن مسألة المرأة لا يحلها خلع عذار واطراح برقع وازار . وانما هى مسألة تحتاج لنظر طويل وبحث دقيق وجدال تتحطم فيه الاقلام وتجأر منه المحابر .

## استحلال الربا

( ٣ )

الربا في الاصطلاح أجر المال وربحه والكلام فيه والحكم عليه من الوجهة العلمية الاقتصادية أمر خطير يعوز منا عقد فصل خاص في بيان أحوال المال من حيث وجوده ونماؤه ووظيفته عند الاحاد والامم ومكانه من الاسلحة الاجتماعية على قدر ماتسعه المعلومات الاقتصادية . ولا نبليغ الغرض المقصود مما نرمى اليه من ذلك الا بتقديم فذلك اجتماعية عن الحرب الحيوية العامة وأسلحتها نودعها تمهيداً موجزاً فنقول :

( تمهيد )

قلنا ان الامم حيال بعضها في حرب سليمة مستمرة لها قواد وجنود وفيها انتصار وانهمزام وهجوم وانسحاب . وقلنا ان قواد هذه الحرب السلمية هم قادة أفكار الأمم ومدبروا شئونها . وقلنا ان غلبة الامة في هذه الحرب الحيوية العامة أو انخذالها مرتبط بمهارة قوادها وحثقهم أو جهلهم وقلة خبرتهم بخدع الحرب وأساليبها . قلنا كل هذا وهو قول يخاله بعض البعيدين عن الحقائق العلمية شعراً وما هو الا صورة الوقائع ونسخة الحوادث . وربما كان لهؤلاء الظانين شبه عذر فيما خالوه فانهم يصورون لانفسهم حالات الحياة وشئونها حوادث غير مرتبطة ببعضها ولا حاصلة على مقتضى قانون ثابت يهب النتيجة على قدر المقدمة . بل

شئون تقذفها المصادفات وتهبئها على غير قاعدة ومن كان منتهى علمه بحال الحياة هكذا فأجدر به أن يجهل من أحوال الحرب الحيوية العامة ما كان يجب أن يعلمه لو أراد أن يكون جندياً مقداماً في أمة غالبية تعال لأحد هؤلاء الغافلين عن هذه الحرب الحيوية العامة وقل له : ان الامة المصرية قد فقدت في الخمسين سنة الأخيرة جزءاً عظيماً من أراضيها الزراعية وهي في أكثر الجزء الباقي مغلولة الأيدي عن التصرف فيه تصرف المالك في ملكه وأسرد له ما ندرس بسبب ذلك من بيوتات المجد وما هوى من معاهد الشرف القومي والفخار الاهلي وما تعطل من صنائع البلاد وتخرّب من مصانعها ومعاملها وما انتقل من تجارتها الى يد سواهم من الأجانب وما استدعاه كل ذلك من ادعاء كل أمة صالحاً خاصاً لها في هذه البلاد وغل أيدي حكومتها عن التصرف في مالها ما وضعت عليه من المراقبة . قل له هذا اجمالاً ودعه هنيهة يفصل ما أجملته له على قدر ما رأى وما سمع وأنا زعيم بأنه لا يخرج من جولته الفكرية هذه الا وهو متعلق بك يستميحك أن تصف له شأن هذه الحرب السلمية الصارمة التي جرت على البلاد ما لا تجرّه الحرب الدموية في أقسى أشكالها وأخشن صورها .

لا جرم أن هذه الخسائر الهائلة التي تكبدها الامة المصرية التي ضربناها لك مثلاً من بين سائر الامة الشرقية تدل على هزائم متوالية تكبدها في هذه الحرب العامة وأجبرتها الظروف في كل هزيمة منها على ترك مقادير كبيرة من زخائرها وأسلحتها والرضاء من شرائط

الصلح بما يمس شرفها ويحط من قدرها ويزيدها استسلاماً على استسلامها  
وليناً على لينها . ولا شبهة في أن القواد الذين تولوا قيادة هذه الامة  
في تلك المدة الماضية كانوا جهالاً غير مدربين . لان مجموع ما أصيب به  
المصريون في هذه الخمسين سنة ينيء بارتكاب القادة لاغلاط فاضحة  
سببت من الخسائر ما زاد عن الحد المعقول فيما لو كانت هزائماً اتبعت  
قانوناً طبيعياً منتظماً .

أمر تصور هذه الحرب الاجتماعية العامة التي وقف عليها علماء  
الانسان أعمارهم وأعمالهم لا يحتاج لكثير امعان لو أراد الكاتب  
تصريحها على أسلوب خال من المصطلحات الفنية وهانحن شارعون  
في ذلك توطئة لما نحن بصدده .

فهم هذه الحرب العامة وادراك ما يطرأ فيها من غلبة وانخزال ومن  
هجوم ونكوص الخ الخ مرتبط بفهم الحرب الخاصة بأحد كل أمة فيما  
بينهم لأن الاولى صورة من الثانية ومتبعة قانونها وان خالفها من جهات  
عامة لذلك فنحن نبدأ بتصوير تلك الحرب الخاصة المستعرة بين آحاد  
كل أمة ثم نعقبها بتصوير الحرب العامة الشاغلة لكل الامم لتمهد لأنفسنا  
سبيل الكلام لموضوعنا الأصلي .

هب أن عدداً من الناس رحلوا عن بلادهم لسبب من الأسباب  
وأناخوا ركائبهم بقطعة من الارض حاصلة على شروط الاستعمار  
وأجمعوا على اتخاذها وطناً لهم . لو تأملت فيما يحصل بينهم من شؤون  
وفما يؤل إليه حال كل فرد منهم بعد أمد محدود ودقت النظر في تلك



النواميس الطبيعية التي اقتضت تلك الحال وتبعت كل أثر من خلال  
 علله المتعاقبة حتى وصلت لعلته الاولى أشرفت على جملة نواميس اجتماعية  
 عامة لو تتبعتها في الامم لرأيت لها من الآثار والاحوال ما يشابه أحوالها  
 وآثارها على تلك الامة الصغيرة بصرف النظر عن اختلاف الاسماء  
 وتباين المسميات .

فرضنا نزول هذه الفئة في تلك الأرض بقصد استعمارها والقيام  
 عليها . فتأمل فيما يحصل بينهم وما يصطلحون عليه أو ما يرغم بعضهم بعضاً  
 على اعتباره . لكل هؤلاء الافراد حاجات تطالبه طبيعته بايفائها وله  
 في مقابل ذلك قوى جسدية ومعنوية تمكنه من العمل على سد تلك  
 الحاجات . فينساقون كلهم العمل فيعود كل منهم بجملة ما حصله ولكنهم  
 لما كانوا يختلفون من جهة قواهم الجسدية والمعنوية كان التفاوت بين  
 مقادير محصولاتهم أمراً مقضياً فن كان جسده أقوى على المشاق وأقدر  
 على مكافحة الصعوبات وكانت قواه المعنوية من مدارك وأخلاق أسرع  
 في تصيد وجوه الاستفادة وأصبر على خشونة المقدمات في سبيل حسن  
 النتيجة كان بلا شك أكبر محصولاً وأوفر نصيباً وأفوز سهماً . فاذا تكرر  
 العمل وتوالى الكدر والكدح ظهرت مواهب أولئك الاحاد وتجلت  
 قواهم وتألأت ملكاتهم . فلا يابث أو لئسك الاقوياء جسداً ومعنى  
 حتى يجتمع لديهم ما زاد عن حاجاتهم ويتراكم عندهم ما يصرفهم عن بذل  
 أعمارهم في محض الاعمال المادية فيلتفتون لاستصلاح قواهم الأدبية  
 واستثمارها فيزدادون علماً بنواميس الكون وطرق استغلالها

وتسخيرها فيرتقون عن اخوانهم الضعفاء درجات فتحصل لديهم قوة رابعة هي قوة المال . تأمل في هذين الصنفين من هذه الامة الصغيرة . صنف الاقوياء أجساداً وعقولا وأخلاقا وما أدتهم اليه مواهبهم من رغد العيش ومادعاهم ذلك اليه من تحسين أحوالهم الأديية حتى ارتقوا عما كانوا عليه درجات واكتسبوا قوة رابعة هي المال . وصنف الضعفاء الذين بقوا حيث هم لضعف أجسادهم عن مواصلة العمل أو عقولهم عن ادراك وجوه الاستفادة أو أخلاقهم عن الصبر على المكاره . تأمل هذين الصنفين بامعان وانظر ماذا يكون بينهما . تر أن الصنف الأول دعته طبيعة الاحوال الى ادعاء السيادة على القسم الثاني وتخويل نفسه حقوقا عدة وطالب خصمه بالاعتراف بها ان لم يكن طوعا فكرها : أهمها أولويته بحكومته وسياسة أموره وسن النظامات له وترتيبه وتهذيبه على مقتضى أسلوبه وحمايته واستخدامه وتصريفه على مقتضى ارادته واعتباره أحط درجة منه الخ الخ .

يطالب القسم الغالب خصمه بهذه المطالب فلا يسعه إلا الرضوخ لها لانه ضعيف من جهة أوجهات من تلك الاربع جهات التي ذكرناها وهي الجسد والعقل والاخلاق والمال . فان شرع في مقاومة خصمه بجسمه خانة عقله من خطئة في تخير أخصر سبل المقاومة ولانه أحط عقلا منه . وان واتاه عقله أقعدته أخلاقه من الجبن وعدم الصبر أو الافتتان بمظهر الاقوياء وزخرفهم . وان وافقه أخلاقه هاضت جناحه الفاقة وكسر قوادمه الاملاق فلم يسعه الا التسليم بشروط أو

بغير شروط . فيسلم بشروط ان كان فيه بقية من حياة فيرضخ ولكن باستقلال وحرية وأنفة وشعور . أو يسلم بغير شروط ان كان الضعف بلغ منه حده الأقصى فيصبح عبد الأقوياء فيرى كل ما فيهم حسناً وان كان قبيحاً وكل ما فعلوه عدلاً وان كان جوراً وكل ما قالوه علماً وان كان جهلاً وكل ما عملوه شرفاً وان كان خسة .

إذا أدركت سر هذه الحرب الخاصة المستعرة بين آحاد كل أمة أمكنك أن تدرك سر هذه الحرب السلية بين سائر الأمم . وذلك أن كل أمة في حد ذاتها تشبه الفرد الواحد ونقطة النزاع بينها جميعاً هي هذه الكرة الأرضية ومراقفها . وإذ أن سلاح الافراد هو الجسد والعقل والاخلاق والمال ، كذلك سلاح الامم هو مجموع مظاهر هذه القوى الاربع في الافراد .

درس هذه الأنواع الأربعة من الاسلحة الاجتماعية من جهاتها المختلفة على قدر ماتسعه العلوم العمرانية والفلسفية والاقتصادية يخرجنا عن الدائرة التي رسمناها لهذه العجالة . فلنكتف هنا بأن نقول إجمالاً ان هذه الأنواع الاربعه من الأسلحة هي التي تهاجم بها الأمم بعضها بعضاً . وعلى قدر ماتكون في أمة أمضى حداً وأصنى جوهرأ بلغت تلك الامة من السبق الى غايات المجد والتقدم الى منابع المنافع أقصى ما يرمى اليه قائدو حركتها في ميدان تلك المعمة الحيوية العامة .

تفسير تقدم الامم وغلبتهم بهذه الاسلحة الاربعه ليس بموقوف على العلماء بل هي مرئية لكل متأمل في أحوال الامم وما من جاهل

في الامم المغلوبة الا ويدرى تلك الامم الغالبة ما تسلطت على أمته  
 الا باستعمال قوى جسدية وعقلية واخلاقية ومالية تفوق مالمدي أمته  
 منها . ولكن مما يختص به العالم الاجتماعي معرفة مواطن تلك القوى  
 وطرق انمائها وتربيتها وجهات ضعفها عند الأمم الضعيفة وجهات  
 قوتها عند الامم القوية ووجوه استخدامها والمقارعة بها وحمايتها من  
 الطوارئ الخ .

ليس لعامة الأمم سواء كانت غالبة أو مغلوبة حظ من معرفة  
 مجموع الحركة العامة التي تجريها الأمم بازاء خصومها في مجال التنافس  
 الحيوى . ولا تسهل عليه تلك المعرفة لو أرادها كما لا تسهل على الجندي  
 البسيط رؤية حركات الجيشين المتقابلين رؤية جميلة لهذا ترى العامي  
 لا حظ له من هذه المعارك الحيوية الا تأمل ظواهرها فيعمل  
 الغلبة والانهمام بما يؤثر على تصوره قبل غيره من مظاهر المشاهدات  
 فيضل الطريق ويضل غيره وتكون النتيجة ضلالا عاما يستفيد منه  
 العدو المساور مالا يستفيد من قوته الذاتية .

لما كان أظهر مظهر لهذه الأسلحة الأربعة وهي القوى الجسدية  
 والعقلية والاخلاقية والمالية هي الجيوش المدربة والأساطيل المصفحة  
 والمعامل العامرة والصنائع الفاخرة والآلات الباهرة النظام المستفيض  
 على الأفراد والآداب المسبغة على الطبائع والعزائم القوية والارادات  
 الثابتة والأموال الصالحة للاستغلال واحداث جلائل الأعمال ،  
 فالناظر اليها نظرا سطحيا يرجو أن يكون لأتمته مثل ذلك لتستطيع أن

تحفظ كرامتها بين الأمم فيدعوها اليه بلسانه وقلبه ويتذرع لاقناعها بكل ما يستطيعه من ضروب الحث والحض لا يميل له لسان ولا تحفى له براعة . ولكنه لا يرى فائدة لندائه لأنه يدعو الى الظواهر ويغفل عن أسرارها وطرق الوصول اليها فهو كمن يجيء لفقير فيؤنبه ويلومه على تقصيره عن تشييد قصر يحاكي قصر جاره ويتلذذ به للاسراع فى العمل وكأنه يجهل أن ذلك الفقير قد رأى ذلك القصر قبله ورجا ان يكون له مثله ولكنه لما لم يجد اليه سييلا رضى بحاله مرغما . ولكن صاحبنا الذى يدعو متى رأى منه عدم الانصياع لآثارته رماه بالموت والجن و عدم الشعور وتفنى فى أساليب تبكيته والنعى عليه ما شاء وتكون النتيجة من هذه الضوضاء تضليل المدعو ويأس الداعى وذهاهما طعنة سائغة لمن ينازعهما الحياة .

هؤلاء الدعاء السطحيون كما تستخفهم هذه المظاهر المؤثرة لهذه القوى الاجتماعية الأربع كذلك تستخفهم أعراضها المتحولة وصبغها المتغيرة ولم يؤثروا قوة علم تزعمهم عن الوقوف مع القشور فتراهم مرغمين على تصيد أقرب تلك المظاهر اليهم وأشدها تأثيرا عليهم وأكثرها شبيها بالعلل الفعالة فيدعون اليه سنين بلا سأم ولا ملل نعدهم ان انتظام الجيوش وحنكتها وبناء الأساطيل وتصفيحها هو نتيجة فتح المدارس الحربية على الطراز الجديد وايضاء المعامل بمد عشرات من المدرعات والنسافات وهى نتيجة صحيحة المقدمة سليمة ، فما المانع عندهم من ادمان الدعوة اليها؟ ويغيب عنهم أن الاحوال الاجتماعية

ليست مقودة بقوانين المنطق وان فتح المدارس الحرية التي تعتبر مقدمة للجوش المنتظمة هي أيضا نتيجة المقدمة سابقة وتلك المقدمة السابقة نتيجة لمقدمة أسبق . يلزم الالتفات اليها والتعويل في البحث أو في الدعوة عليها وهكذا ترى لهم لكل نوع من الاسلحة الاجتماعية سببا قريبا وربما كان السبب الذي أثر عليهم مظهره هو في الحقيقة سبب ممرض يغير الرائي ظاهره ويهوله باطنه كهمهم في أمر الربا وظنه مدار المعاملات وسبب زيادة الثروة العمومية ويغيب عنهم ان الثروة العمومية تابعة في حصولها ونموها لقوانين اقتصادية طبيعية ليس الربا منها في شيء بل هو عرض خبيث عن أعراض الثروة كما استراه .

لا مشاحة في أن الذي أوهم البعض منا بضرورة استحلال الربا وخيل لهم أنه مدار الثروة هو اشرافهم على خطارة الدور الذي تلعبه بنوك أوروبا في مسرح الشؤون العامة . وهي نزعة من نزعات النزق في الاستدلال والعجلة في اصدار الاحكام وأثر من آثار الخط في تقدير أوزان الحوادث والخلط بين ظواهرها وحقائقها . فلا لوم علينا لو قلنا انالمر مظهر من أكبر مظاهر الرقي الاجتماعي الاورباوى نسب الى عرض من أحقر أعراضه كما نسب انتظام أمر الثروة العمومية الى قاعدة الربا . لم لا تكون هذه النسبة صحيحة في نظر العامة وهم يخالون ان لفظتي بنك وربا مترادفتان وما داموا يسمعون عن بنوك أوروبا وأمريكا وعمالها من الآثار الهائلة في الشؤون العامة أموراتشبه اشعر أو السحر وبما أن بنكا وربا في نظرهم كما قلنا شيء واحد

فيستتجون من ذلك أن الربا هو دعامة تلك الثروة وينبوعها ويغيب عنهم ان ايراد تلك البنوك واطراد نماء ثروتها مصدره تجارتها الواسعة ومشروعاتها الكبرى من استخراج معادن وحفر مناجم وتمهيد سبل الخ وما حظ الربا فيها الا شيئا حقيرا بجانب أرباحها الاخرى . نحن نكتب في هنا بيراد شواهد دعامة تريك أن الربا عرض اصطلاحى آخذ عليه أصحاب الثروة من المتعاملين لأنه الاس المولد للغنى والقاعدة التى عليها نظام المعاملات أو أنه دعامة من دعائم العمران .

من أعظم الادلة المحسوسة قيام دولة آبائنا الاولين ولم يكن الربا من أصولهم وقد دلت الآثار والتواريخ على أن أولئك الرجال بلغوا من العمران وسعة التجارات وبعد مدى المعاملات الغاية القصوى وقد كانت المبادلات التجارية حاصلة بين الأطراف المترامية من مملكتهم المدهشة بدون أن يحدث ما يعرقل سيرها بل كانت ثروتهم فى نماء مستمر والأموال فى تضاعف دائم متبعة فى ذلك قانونها الطبيعى وكان الغرب أمامها اذ ذاك رغما عن أن الربا قاعدة من قواعد سيرته يشكو الفاقة والاقبال ونضوب يتابع الأموال واختلال نظام المعاملات . فاذا كان عدم تقرير الربا لم يمنع تلك المدنية من الظهور بأجلى مظهر فى كل فرع من فروع المحاولات الانسانية ولم يؤثر على نمو التجارة وانتظام المعاوزات بشىء بل شهد التاريخ ان آباءنا كانوا أمهر رجال عصورهم فى التجارات وأبعد مدى فى نظام المعاملات من كل أمة مناظرة لهم . اذا كانت حالهم كذلك وهم أعداء الربا الالءاء وثبت

ان حال أوروبا المقررة للربا كان على نقيض ذلك أى فى اختلال واعتلال أفلا تدل هذه الحادثة بالبداهة على أن الربا عرض يصطلح عليه الناس اصطلاحا ويتفقون عليه اتفاقا؟

دعنا الآن من بيان وجه ضرر الربا أو نفعه وكشف أسرار أحد هذين الوجهين لمن يجهلها ولنساجل أولئك الذين يودون استحلال الربا رسميا البحث فى هذا الموضوع وان لم يعطونا من آرائهم الا الاجمال فنقول : هب أن أمة من الأمم الشرقية أحلت الربا وعدته من قواعد الثروة العمومية كما يريد أن يوهمها بعض نصحاءها فماذا ينالها من وراء ذلك؟ لا حاجة إلى إجمالة الروية فإن الأمر ليس من الامور المغيبة التى يعوزها الخوض فى المجهولات والرجم بالظن فإن الربا فى مصر وان لم يحل رسميا فقد استحله قومنا عرفيا اما افتتاحنا واما ضعفا وصار لهم نحو من أربعين سنة وهم يتاملون به اعطاء وأخذنا سواء من جهة الافراد أو الحكومة فماذا كانت النتيجة؟ كانت كما ترى خروج معظم أطيان القطر المصرى عن ملك مالكيها وخراب ألوف مؤلفة من البيوتات القديمة وتداعى أكثر البيوتات الباقية إلى الاضمحلا والانحلال. فهل هذه هى النتيجة التى يرمى اليها مرشدونا كلا! انهم يريدون بتقرير قاعدة الربا أن ينمحي من عندنا ذلك المانع الهائل الذى يمنع اغنياءنا عن ضم رؤوس أموالهم معا وتكوين عصابة مالية تؤلف بنسكا أو بنوكا وطنية على نحو ما هو موجود منها فى كل بلد متمدنة والدخول بتلك الاموال فى ميدان الامور الاقتصادية والمضاربات المالية واحداث ما تحده



البنوك من الآثار الحسنة على بلادها وحكومتها .  
 هذه شبهة تروج في أكثر الأذهان وتنطلي على غالب العقول لاسيما ونحن  
 تحت تأثير فتنة شديدة يضيع أمام مظاهرها كل تحقيق . ولكننا مع  
 ذلك لا نتأخر عن مصادلة هؤلاء الدعاة بالحجج ولن نعدم الحقيقة  
 فؤاداً حياً وفؤاد حى خير مما لا يحصى من غيره .

هب أن الغاية التي يرمى اليها مستحلو الربا هي الواسطة لاجتماع  
 الاموال المتراكمة وظهورها في ميدان المغالبة الحيوية وهب أن الربا  
 هو قوام ذلك المال المجتمع وحياته فهل ذلك كل الصعوبات التي تحول  
 دون ذلك الاجتماع كما تحول دون كل اجتماع آخر يراد منه فائدة عامة؛  
 اذا كان المغترون بقشور المسائل تزدهيم المناظر المتنوعة المتحولة  
 فيطلبونها بألسنتهم ولا يسمعون لاصواتهم صدى ويكتفون من لقب  
 مرشدين بأن يكونوا مجرد دعاة يأتي كل منهم من حين لآخر بجريدة  
 تشمل قوانين مطالبه في الاصلاح وقواعد مذهبه في استرداد المجدد المفقود ،  
 اذا كان بعض الناس تزدهيم المناظر فتحملهم على النداء  
 والصخب بالمطالب المتنوعة في كل فرصة من الفرص الممكنة فان العلم  
 لا يرى تلك المظاهر المتعاقبة وان تعددت في الاشكال والاحوال  
 الامظاهر مختلفة لقوة واحدة هي (الحياة) ليس غير . واذا كان أولئك  
 المتعجلون لا يدرون سر تلك العوامل الطبيعية والنفسية الحاملة الى  
 الاجتماع على الاغراض الصالحة والاتحاد على الغايات المشتركة  
 فيطلبون من الامة مطالبهم بدون التفات لتلك العوامل والتحسس منها

لاثاراتها وتنشيطها فان العلم يرى أن الامم كالأفراد لا تتحرك إلا بحياة  
تحل فيها . وان تلك الحياة تظهر في صغيريات الامور كما تظهر في  
كبرياتها وان العاطفة التي تحمل انكليز بلدة على الاتحاد لتأسيس ميدان  
للعب الكرة هي بعينها التي تحملهم للاتحاد على مقارعة الاعداء وتذليل  
الصعوبات والقيام بعظام الاعمال . وان تلك الدوافع التي تدفع في  
صدور المصريين عن الصبر على تكوين جمعية أدبية هي عينها التي تدفعهم  
عن تأليف شركة تجارية أو عصابة مالية . فالعلم قبل أن يطالب الامة  
بمطلب من المطالب العمرانية يتأمل في مقدار ما عندها من القابلية له  
تحاميا عن مفاجأتها بطلب تعجز عنه فيكون انخذا لها بعد الشروع فيه  
سبيا في غرس بذر اليأس في فؤادها وتعودها على النكوص بعد الاقدام  
وعلى الفشل بعد العمل . فالعلم يحسب لهذه المطالب حسابا دقيقا جدا  
ويدرك خطر تلك الجرائم المضرة التي يولدها في الامة بمجموع ذلك  
الصخب بالمطالب المتنوعة والمزاعم المتوالية المتكررة .

إذا تقرر ذلك فدور الاجتماع على تأسيس بنوك وطنية تلعب دورا  
ماليا في ميدان المحاولات الاقتصادية العامة صلاحية الامة للاجتماع  
والثبات في المشروعات الكبرى ولا تكون تلك الصلاحية إلا إذا  
دبت في الامة نفحة الحياة الاجتماعية بمعناها الخاص . هنالك يكون  
الاجتماع لاحداث الأعمال الحيوية اضطراريا كاجتماع أعضاء الجسم  
وتكاتفهم بالفطرة على أداء الأعمال اللازمة لحفظ الجسد فالعلم  
يسعى في تهى الأمم واعدادها لقبول تلك الحياة والتصرف بها وهو

بعيد عن مثار تلك التيهات المزججة والزواجر المفعمة المثالب .  
 اذا علمت هذا فتحكك بعض الناس في أمر استحلال الربا سابق  
 اوانه ولا يكون من وراء خوضهم فيه الا تكدير أذهان الناس بما  
 لا طائل تحته . ذلك ان كان الربا في حد ذاته قوام المعاملات  
 ودستورها وكان تحريمنا له خطأ منا في الفهم ولبس الأمر كذلك .  
 هذا من جهة . وأما من جهة أخرى فان الذين يريدون من تحليل  
 الربا بعث أغنيائنا من خمولهم المالى وتحريضهم على النزول بأموالهم  
 المجتمعة في غمرات المعارك الاقتصادية ومزدحم المقارعات المالية  
 على نحو ما عليه الأمم الحية هم في مطلبهم هذا كمثلهم في سائر  
 مطالبهم الأخرى يرمون للتأجج الكبرى ولم يقدموا لها مقدمة تناسبها  
 ويريدون أن يبنوا على الأسس الواهية علالي تراحم السحب في  
 مدارجها كأنهم يتخيلون أن الكلام قوة تحيل الأشياء عن مجاريها  
 الطبيعية وتوقف النواميس الاجتماعية عن بلوغ حدودها . لاجرم أن  
 الذين يطلبون تحليل الربا ويكون غرضهم منه تحلية الأمة بهذا السلاح  
 المالى على نحو ما رسمناه هنا قدبرهنوا على عدم المامهم بشيء من القوانين  
 التى تجرى على مقتضاها هذه الحرب الحوية العامة خصوصاً من جهة  
 الأمور الاقتصادية والأعمال المالية ولو عرفوا أن قيادة بنك تستدعى  
 من القائد من المهارة وبعد النظر وسعة مدار الفكر أكثر ماتستدعيه  
 قيادة جيش ألقى عليه عهدة حماية حدود الأمة من عدوان العادى  
 عليها لامكنهم أن يفسروا تغيار البنوك الأوربية وتزاحمها على اقتصادى

واحد تود كل منها أن يكون صاحب الزعامة في ادارة أموره وتدير شؤونه وكثيراً ما تحصل هذه المزاحمة على بعض الاقتصاديين في البلاد الأوربية ومن يطلع منا على خبرها يندهش ويتعجب وليس في الأمر عجب لمن يعلم أن لكل شيء قانوناً خاصاً ولكل صناعة في هذا العصر فناً له أصول وقواعد . وأن للشؤون المالية علماً قائماً بذاته يقال له علم الاقتصاد السياسي له أصول وفروع وقوانين مستندة على الحوادث والوقائع . ولادارة الأموال على مقتضى ذلك العلم أساليب وطرق شتى تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والمزاحمات وطبيعة المقارعات والمنازعات وتلك الشؤون المختلفة فرجات وأزمات لكل منها أحوال تقتضيها وأمور لا بد من دراستها والتعمق فيها . فكيف لا تتزاحم البنوك على رجل دلت أعماله المالية ومراميه الاقتصادية القصية على بعد نظره في الأمور وكال دربته بادارة أموال الجمهور؟ ومن يعلم أن الأمم في هذا العصر أصبحت تتنازع البقاء بالأسلحة المالية وأن ما تحمله الواحدة للأخرى من أنواع النكبات وصنوف الهزائم من تلك الجهة أشد وأقسى مما تحمله لها من الجهة العسكرية . عرف تبعاً لذلك أن كل أمة تود أن تلتقي بنفسها في ميدان المنازعات التي من هذا القبيل يجب عليها قبل كل شيء أن تبحث عن القادة المدربين والاقتصاديين الوطنيين الذين يحسن أن يسند اليهم أمر قيادة مال الأمة في مجال هذه المصارعات المالية الخشنة ومن الخطر المحض دعوة الأمة الى حشد قوتها واسنادها الى من لا يعرف من أساليب الحروب

الاقتصادية شيئاً فإن في ذلك ضياع مالها كله ضياعاً قانونياً . . ثم لا تستطيع أن تطالب به غريباً .

فاذا كانت أمتنا لم تدخل بعد في دور الاجتماع على أحداث الأعمال العامة ذات النتائج البعيدة كما أثبتنا ذلك وكما يلاحظه كل متأمل من آحادها . وإذا كان من العبث المحض البحث في أمثال هذه الأمور المالية الهائلة قبل وجود من يلقي اليهم زعامة قيادتها ورئاسة ادارتها منا كما برهننا على ذلك فأى فائدة في تكدير ذهن الأمة بالتكلم في حلية الربا واحداث قيل وقال في هذا الموضوع الذي ليس وراءه أدنى فائدة .

هذا فكرنا في عموميات هذا الموضوع أما في خصوصياته من أمراً باذاته وفيما يتعلق به بما يمس الأخلاق وهيئة الاجتماع فذلك موضوع المقالة التالية .

( ٤ )

لكل أمة أصول حيوية صبت على قلبها عقولها ومداركها وقاست على مقياسها دستورها وقوانينها ووزنت بقسطاسها عوائدها وأخلاقها وأنهات إليها محامدها ومفاخرها وناطت بها حياتها وبقائها . فأصبحت تلك الأصول عينها التي تبصر بها الوجود فتحكم عليه حكماً يناسبها . وعقلها الذي تدرك به الأمور فتقضى عليها قضاء يشاكلها . ومشاعرها التي تشعر بها الأشياء فتزلهما من نفسها المنزلة التي تلائمها . وعواطفها التي تتحرك بها فتتجه بنفحتها الى حيث ترمى اليه .

وتنقاد له .

هذه الأصول تسود على الأمم فتؤيدها لها الحوادث أو تحورها وتمكنها منها الشؤون أو تزعمها ولكن لا يزول أصل حتى يحل محله غيره اما وحيًا من مؤثرات الحوادث الوجودية أو نفاثا من جائشات الأوهام الضميرية . ونحن كما يرى كل راء أمة عظيمة تبلغ أحادها مئات الملايين حالين من الأرض بأخصب البلاد تربة وأجودها هواء وبقعة وقد سجل لنا الوجود تاريخًا يخفق على كل صحيفة منه علم مجد وسودد وتشرق من كل سطر من سطورهِ لألاء فضيلة ومحمدة . وقد أثر ماضينا على ماضى أكثر الأمم فأصبح تاريخها مرتبطًا بتاريخنا فلا تعطفهم لقديمهم عاطفة ذكرى حتى يكون لنا قسط منها وهى بقية من بقايا تلك السيادة الصورية والمعنوية التى كانت لآبائنا على أسلاف هذه الأمم . فان مانالوه من بسطة الملك والجاه نشر سلطانهم شرقا وغربا وأحاط بماخذ الأمم جنوبا وشمالا فكان القطر الذى لم تجل لهم فيه الدهم المطهمة تقوم مقامها العلوم المنقحة والآداب الموشحة والصنائع النافعة وأمة تحل من العالمين محل الهامة من الجسد أو العين من الرأس وتأخذ على عهدتها تخليص الأمم من أيدي الآخذين بمتنفسها حيفًا وهضمًا والماسكين بأكظامها اذلالا واهانة لاشك يكون لها أصول فى الحياة تحافظ عليها وتحتذى طريقها . ولا مشاحة فى أن تلك الأصول قد اتقلت منهم الينا جيلا بعد جيل فاختلفت بدمنا وحياتنا وتلبست بأجسادنا وأنفسنا وان دخل اليها

ما ليس منها وخرج عنها ما كان متما لها فنحن وان فصلتنا عنهم القرون  
وأبعدت بيننا وبينهم الأجيال وغيرت منا الحوادث وبلغت فينا  
الوساوس نسخة منهم وصورة مأخوذة عنهم وان لم تكن صورة  
مطابقة ونسخة مضبوطة . خلاصة القول أنا أشبه الناس بهم أو أكثرهم  
جبا لهم وتحكما فيهم . نزع أنهم كانوا الأكمليين أخلاقا وقيم على  
ذلك الأدلة وتدعى أن مدينتهم كانت المدينة الفضلى ونأتى على ذلك  
بالشواهد ونعتقد أن اليوم الذى تمسك فيه بسيرهم ونحتذى فيه  
سمتهم هو اليوم الذى نسترد فيه المجد المفقود والشرف الضائع ويكون  
لنا من السلطان على الشعوب ما كان لهم .

هذه عقائد امتزجت بعقولنا وعواطفنا واختلطت بكياننا وطبيعتنا  
حتى صار دون نزعها منا نزع أفئدتنا من نياطها ، وخلق أكبادنا من  
مواطنها .

نعم إنا لسنا عاملين بتلك الأصول التى نحبا ونهواها والتى نصف  
لك من تعلقنا بها وبأهلها ما نصف . وربما كان من الأمم الأجنبية  
عنا من هى أكثر عملا ببعضها منا ، ولكننا رغما عن ذلك ورثة  
تلك الأصول وأهلها ، وما مثلنا فى عدم العمل بها ومجرد تمنىها إلا  
كمثل ولد ترك له والده مالا جما ، وعرضا كثيرا ، فحالت بينه وبين  
ميراثه حيلة محتال أو غيلة مفتال ، أو جب وقوعه فيها ضعف عقله ،  
وسورة أهوائه ، فهو لا يزال يحلم بميراثه ، ويمنى نفسه بالاستيلاء  
عليه متى بلغ أشده وساعدته الحوادث . أستطيع أن ترده عن تمنىه

هذا؟ كيف وهو غاية ما يسليه في وحدته، ويعزيه في بلائه وشدته فهو لن يزال يترب استرداد ميراثه حتى يناله، فيعيش غنياً أو يموت طالباً له فيروح وفيأ.

كذلك نحن حرماناً ميراث آباءنا لأسباب كثيرة، ولكن حب ذلك الميراث امتلك أهواناً وتسلط على عواطفنا؛ فلا تزال تذكره وتردده، وإن كان منا من أخنت عليه الملهمات المؤيسة، ونهكت ضميره الفتن المفضطة، إلا أن السواد الأعظم ينشد تلك الضالة ويترقبها، لا يهنأ له بال: ولا يتم له سرور إلا بحصول أمته عليها، فهو في خلوته أو جلوته. في تجارته، أو صنعته. في حله، أو رحلته. في عرسه أو مأتمه يذكر ذلك الميراث ويتمناه ويحدث به أصدقاءه وخلصاءه ويثق من استرداد أمته له وظهورها به بمظهر أوائلها واسلافها، حتى إنه ليقول، وقد جاشت بصدرة الآمال، ولمع له بارق الاقبال « ترى هل نعيش حتى نرى ذلك اليوم ».

تلك الأصول الحيوية العالية التي كانت لآبائنا. فلكوا بها الأمم وأفقدتها، والتي لا تزال تمنى الرجوع إليها والعمل بها ترينا الحياة وتكاليها، والإنسان ومواهبه، والأمم وشؤونها، والوجود وبالمك، والفضائل ومواطنها على غير الصفة التي ترينا الأصول الأوروبية التي يسعى بعض كتابنا في اشراؤها نفوسنا، وصبنا على قلبها.

من أكبر تلك الأصول التي أشربتها نفوسنا، إننا ننظر للحياة



الأرضية نظر الغريب منها النازح عنها ، ونرى أن لذاتها ومسراتها بروق خلب واعراض خدع ، وان مثل العالم فيها ، مثل قوم شدوا رواحلم ، وزموا ركائبهم طلبا لمرعى خصيب فيه العيش جفص ، والحياة رغد فهم فيما بينهم يجب أن يكونوا على مثل حال المزاملين في الظن ، والمنقطعين في الفلوات ، متراحين لامتراحين ، ومتواهبين لامتاهبين ، ينعطف غنيهم على فقيرهم ، ويحنو كبيرهم على صغيرهم ويعلم عالمهم جاهلهم تخفيفاً لآلم الترحال ، وتلطيعاً لمضض الأوجال هؤلاء القوم لا يحرمون على أنفسهم اللذائذ ، ولا يخلون منها من شيء من الملهيات ، ولكنها لذات لا تقعدهم عن المسير ، وملهيات لا تقطعهم عن التفكير في المصير ، ولا تنشئ بينهم وبين إخوانهم الأذنين نيران الحسد ، ولا تزرع بين المثرين منهم والمقترين بدور اللدود ، وكيف يتحاسد المتزاملون في السفر والتحاسد مقطعة عن الوصول ، ومدعاة للتيه عن الجادة ؟ غنيهم لا يتيه بغناه ، ولا يتخذه آلة الاستعباد من دونه ، بل يعتبر نفسه مؤتمناً على عروض عهدت اليه لانفاقها في حدودها ووضعها في مواضعها من المصالح التي تستدعيها طبيعتها . فهو لا يريد الغنى الا ليواسى به فقيراً أو يفك به أسيراً ، أو يقيم به بيتاً ، أو يكسب به عارفة سكن اليها فؤاده ، وتسرح في لذاتها لمعنوية نفسه . ومن كان ينظر للحياة وتكاليفها ، وللثروة واختصاصاتها بهذا النظر ( فكيف يعد الربا مباحاً ) ويتقاضاه من معوز لا يملك قوت عياله ، فاذا لم يؤديه اليه حرمه من طعمته ، وصادره في أمتعة أطفاله

وزوجته ؟ بل كيف يعد الربا مباحا من هو مدين لأمته سنويا بائنين  
ونصف عن كل مائة من أمواله مهما بلغت ، وبما يقارب ذلك من  
عروضه المالية الأخرى ؟

يريد مرشدونا السطحيون أن يحيلونا بتحليلهم الربا وغيره إلى  
هذا الأصل الأوربي قلبا وقالبا . أما قالبا ؟ فها نحن فيه ، وقد سار  
أكثرنا على صراطه وتورطوا في أحواله ، وهم أعلم الناس بأحواله  
وأما قلبا فلا يمكنهم ذلك ، فان الحس لا يعارض بالكلام والحقيقة  
لا تزول بالأوهام ، فلا يستطيعون مهما قالوا وكتبوا أن يمنعونا عن  
اعتقاد أن أصلنا هو الأصل الموافق لحقيقة الحياة المخفف من أوصابها  
ومصائبها ، وأنه سيأتي يوم يراه العالم كله أحق بالاتباع وأجدر  
بالعمل به ، ولكن بعد أن تكون الفتن قد أدبته بسوطها والجوائح  
قد عركته بأظلالها . هنا أشعر أن أسرى الظواهر ، وصرعى الفواتر  
أخذوا يهزون أكتافهم استبعادا واستهجانا ، وربما كان لهم شبه  
العذر ، فان مظاهر الرقي الصناعي الأوربي قد سترت عيوب تلك  
المدنية المادية ، بحيث أصبح لا يراها إلا أصحاب الأفتدة والبصائر  
وهل نطمع أن نستشهد على ما نقول بأحسن من علماءها ومقیمی  
صروحها . قال الفيلسوف ( فييرنس حيافرت ) في كتابه ( الغمة  
الحاضرة ) إن الحقد والعداء يزدادان يوماً فيوماً في نفوس أهل البأساء  
المحكوم عليهم بالفاقة الدائمة . وان جنون البذخ والكبر ينمو على  
قدر ذلك لدى أدمل اليسار والترف ، وهذا الاتحاد الآخذ في النماء

يسوق جمعياتنا بعاطفة المساواة إلى حالة ثوروية دائمة . وأصبحت ترى الملوك العظام يتعاقبون على عروش الملك بسرعة لم تكن تشاهد في وزراء الأزمات الماضية والحكم الاستبدادي بدل أن يتركز في بعض الأفراد أضحى منتشرأ بين الملايين ، فكل ديموقراطي يتمنى أن يبلغ الرتب العلية ، وترى الشعب لما أحس أنه خلص من أسر الواجبات التي تفرضها عليه الكنيسة ، وازدرى بذلك الدستور السياسي الذي يراه يتغير بسرعة جنوية ، أعطى لعاطفة الاثرة فيه حل الحرية ، وصار يعتبر أن ماله من حق المساعدة في إدارة شؤون حكومته وسيلة لنيل مآربه الحيوانية بأسرع ما يمكن ، ولقد رجونا أن نداوى مصائب النوع الانساني بالكنوز المادية ، التي ألقيت بين أيدينا من منذ قرن من الزمان ، كما تكاتف العلماء ، والمهندسون والصناع ، والميكانيكيون على زيادة متاع الحياة الدنيا ، فلم يكن من نتيجة كل تلك المكتشفات ، إلا نشر حمى حب المال في الطبقات النازلة جداً . « ثم قال :

« إن تحت السلم الذي اقتضاه الخوف العام لأحقادا تختمر اختاراً بأشد مما كانت في أي زمن من الأزمان . فان جرائم الفوضويين وافلاس المالين واتحار الأسر بأجمعها والوساوس الآخذة في الانتشار بين الناس والجنون الذي لا ينتظرون الاسنوح الفرص وأصحاب الاثرة البائسين وكل هذا الفساد الخلقى الشديد الوطأة البعيد المقرر الذي عم أجناسنا ناشئ من عدم وجود أصل يصلح لاحداث

«الوحدة والاخاء بين احتياجنا الدائم للعمل وبين عاطفة الحب فينا»  
 «لذلك ترى ظلمات من الحسد والكمد آخذة في الاسوداد كل يوم  
 ملقية أطناها على عالمنا. ويزعم الانسان في غروره أن حرية الاثرة  
 ستحصل له كل ما يتمناه من سرور وانسراح حتى أصبحنا وكل يوم لنا  
 مطلب جديد وكل طائفة تسعى لنيل امتيازات جديدة وكل فرد يدعى  
 لنفسه حقوقا ليس لها حد تنتهي اليه، وبذلك فقد أصبح الانسان بين  
 هذا العذاب المنصب عليه من الكبر والتمرد معترفا بأنه أمام الحياة  
 أضعف مما كان في أي زمن من الأزمان» انتهى

وقال الاستاذ (كاميل فلامريون): «لا يجوز لنا أن نخجل من  
 الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط لأننا رضينا به وأصبحت عقولنا  
 المتشعبة بالاثرة لاهم لها الا أغراضها الذاتية. أليس حفظنا اليوم من  
 الحياة قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها والحصول على  
 المجد بطريق الاغتيال لا الكسب والجمود وعدم الاهتمام بالدستور  
 والواجبات» «إن من التناقض المؤلم البين أن نرى أن الرقي الباهر  
 الذي حصل في العلوم مما لا مثيل له في التاريخ وإن هذه الفتوحات  
 المتوالية التي تمت للانسان في الطبيعة بينما رفعت عقولنا الى المدرجات  
 العالية أهبطت انسانيتنا الى أخس الدرجات» انتهى

فهل بعد أن نسمع عن أعلام تلك المدنية أمثال هذه الحقائق  
 الحيوية نستطيع أن لانحب أصلنا وتمناه وأن لاندعو أنفسنا والعالم  
 كله الى حماه؟ نعم أنا لا أنكر اننا لسنا ناهجين منهاجه ولا متبعين أعلامه

ولكننا في تنكبنا عنه نعتقد أننا ضعفاء مفتونون وأنا لصنوف الجوائح مستهدفون ، ولا نزال نمنى أنفسنا بالرجوع اليه والتعويل في الحياة عليه وكل مانا لقيه في أنفسنا من المصائب ومانقرؤه عن سوانا من الحوادث يزيدنا ثقة فيه ويجعلنا نعتقد بضرورة رجوع العالم اليه في المستقبل القريب ، وليس ذلك بعجيب . فياصاح لا تتقنع بأنك صاح .

## ماهو المخلص

( من فتنة المدينة الغريبة )

( ٥ )

ليس من الصعب سرد الأمراض ووصف الاعراض والاشارة لجهات الألم ومراكز السقم وإنما الصعب كل الصعب تعيين عللها وأسبابها وتحديد عواملها وموادها فاذا تعينت العلل وتحددت العوامل أمكن للطبيب مكافحتها بأساحة العلاج وحصر نفوذها في دوائرها وأخذ المسارب عليها من كل جهة حتى لا تتعدى حدودها وتبلغ نهاية استشرائها

نحن أمة منتشرة في كل قارة من قارات العالم وما من طائفة منها الا وهي مصابة بأمراض اجتماعية خاصة أكسبتها لها أحوالها الحيوية وشؤونها السياسية وأمراض وراثية عامة هي ما أصابها بصفتها جزءا من

( م - ٢٧ - ثانی )

جسم أمة عظيمة ذات شأن كبير في تركيب الانساني . فيحسن بالباحث العمراني قبل أن يسترسل في بحث أن يشير على أي شعب يتكلم أو في أي نوع من أمراضه يبحث أما ذلك الخلط بين الأمراض الخاصة والعامه وبين شعب وآخر فما لا يكون له نتيجة ولا يناله غير الاغفال والاهمال . وإني بما كتبت في المؤيد لم أحم حول الأمراض الخاصة لأى شعب من شعوبنا لعلنى أن تلك الأمراض الخاصة بما لا يدخل تحت حصر وهي كفيات رديئة اقتضاها شئ من النقص الخلقى أو العقلى لا تلبث أن تزول كما تزول العلل الجسدية متى بلغت حدها الطبيعى وسيرها المعتاد اذا كان الجسد محمياً من المؤثرات الخارجية ، ولتحقق بأن العلة العامة هي الأحق بالعاية والادعى لبذل أقصى مجهودات العلم في تحديدها وتعيينها .

أثبتنا في مقالاتنا السالفة أن مرضنا العام الشامل لجميع شعوب أمتنا وهو المرض الذى تلاشت فيه سائر أمراضنا السابقة هو تلك القوى المحللة المنصبة علينا من أوروبا تحت أسماء ومظاهر فاتنة بموهمة وقلنا ان هذا التدافع بيننا وبين تلك القوى أمر طبيعى تقتضيه نواميس الوجود قضاء لا مرد له بل ان نظام الكون يستدعيه لحفظ التوازن الحيوى فى العالم وسوق الطوائف البشرية الى بلوغ غاية ماعدت له من منصات المدنية الفاضلة والحياة الطيبة .

قلنا كل ذلك وبسطناه على قدر الامكان ولكن قارئنا ينتظر منا بعد هذا كله أن نريه وجه الخلاص من هذه الورطة الهائلة وهو ماوقفنا

له الشق الثاني من هذا البحث .

الحيلة الوحيدة الفعالة للخلاص من هذه الورطة المحتاجة هو التربية والتعليم وبذل الوسع في تعميم أنوار المعرفة بين سائر طبقات الامة . هنا أشعر أن بعضاً ممن يابهون بكتاباتنا يحسون أنفسهم بطائف من عدم الارتياح لفوت ما كانوا ينتظرونه منا من الذهاب في شرح الدواء المذهب الذي سلكناه في تشخيص الداء مما كانوا يؤملون أن يجدوا فيه الاكسير المجرّب الذي لا يخيب متعاطيه ولا يخلص بجافيه . وهل هنالك اكسير مجرب شهد له الوجود وتاريخ الانسان قديماً وحديثاً غير التربية والتعليم ؟ أى شيء أحدث ذلك الفارق الهائل بين أوروبي القرون الوسطى في خضوعهم للخرافات وعجزهم عن حماية بلادهم وعمارتهم عما يلزمهم من الصناعات النافعة ، وبين أوروبي هذا العصر في حذقهم ومهارتهم وصنائعهم وقوتهم غير التربية والعلم ؟ وانى بقوى التربية والتعليم قد قلت أحسن ما يمكن أن يقوله قائل وجئت بما لا تقوى أى فلسفة على دحضه ، وان كان من الشيوخ والشهرة بحيث لا يجمله أحد .

يقول قائل . « لا ينكر أحد فضل التربية والعلم ولكن يظهر لنا أنهما في بلادنا سائران على أسلوب ناقص لا يصلح لا يقاظ عواطف النفس واحياء ملكات المدارك ودليلنا على ذلك ضؤولة نتيجتهما وضعف أثرهما بما في حالة البلاد . » نقول ان الامة لم تشعر بحاجتها الى التربية والعلم الا من منذ ربع قرن تقريباً ولا أحسب ماسبق ذلك فان سعى الامة اذ ذاك وراء العلم لم يكن شعوراً طبيعياً منها بل سوقاً

قهرياً من حكماها والنظر لنتيجة التعليم في هذه المدة الوجيزة ممن يكون على علم بحال الامة قبلها يدرك لاول وهلة أن الامة قد خرجت من دور غفوة وظلمة الى دور يقظة ونور بسرعة لم تشاهد في أكثر الامم . ومن يتأمل في هذا العدد العديد الذي نبغ منا في الكتابة والتأليف والطب والقوانين والهندسة والمشروعات والزراعة الخ يعلم ان البلاد أنجبت من الرجال من لم يكن يحلم به رجال الزمن الماضي . ومن كان لا يزال على قيد الحياة من أبناء الجيل السالف يعترفون بهذه الحقيقة الجليلة . ومن يلتفت حوله فيشرف على الجرائد اليومية والاسبوعية والمجلات المتنوعة العلية والمؤلفات التي تترى كل يوم لا يتالك نفسه من الاعجاب والتعجب ويزيد اعجابه وتعجبه لو نقل نفسه الى الجيل الماضي وأشرف على حالة الخمود والخنول الذين كانت فيهما البلاد وانصراف الناس حتى عن الفكر فيما يسمى تحريراً أو تأليفاً أو نصيحة . ولست في حاجة للتنبؤ بهؤلاء الكتاب والشعراء الذين شرفوا عالم الآداب بقراءتهم الخصيبة وملكاتهم النجبية ورفوا اللغة العربية الى ما يقارب درجتها في زمن المدينة العربية الباهرة أليس هذا كله أثر في التربية والتعليم على ما فهمنا من نقص في الاسلوب وتشوه في الشكل على ان ذلك النقص يتكلم من نفسه وهذا التشوه يتجمل بذاته شيئاً فشيئاً مادامت الامة تشعر بالحاجة الى التربية والتعليم شعوراً ذاتياً ولم تدفع اليه دفعاً كما كان شأنها في الزمن السالف . ولو دام الحال على هذا المنوال لبلغت الامة المصرية من التنور والمعرفة درجة الأهم الراقية .



لا محالة . وهل ثم من يستطيع أن ينكر علينا ان التعليم فى العشر سنين  
الآخيرة قد ارتقى عما كان عليه قبلها رقياً محسوساً ومن الشطط البين  
أن توجد مدارس حاصلة على أرقى أساليب التعليم المناسبة لحالة الأمة  
ظفرة بدون تدريج .

يقول قائل آخر : « لا ينكر أحد درجة التنور التى وصلت إليها  
البلاد فى مدى هذه المدة الآخيرة ، ولكن المشاهد أن هذه الدرجة من  
العلم لم تؤثر على المصرى فى تحسين حاله أو الفكر فى مآله ، بل هو لم يزل  
كما كتب بعض الانجليز فى الاجبشن غازيت فى الدور الذى كان عليه  
قبلا لم يطبق علمه على العمل فى ادارة اموره الشخصية ولم تفده التربية  
فائدة فى تكميل نفسه واعدادها للكافة والجهاد » نقول ليس هذا  
بعجيب وانما العجيب أن يكون المصرى فى هذه المدة القصيرة كالانجليزى  
أو الألمانى استعداداً للعمل وجلدا فيه و صرفاً للعلم فى تحسين شؤونه  
وأحواله ؟ أليس من الاجحاف البين أن نطلب إلى المصرى الذى لم يشعر  
بذاته ولم يعرف له وجوداً الا أمس أن يحاكي فى الحياة والنظام من  
أحيته الحوادث منذقرون وهياته المكافحات لادراك أحسن وسائل  
البقاء وأوجه وجوه الاستفادة من الوجود ؟ إذا كان المصرى فى هذه  
الخمسين سنة أدرك أن له وجوداً وشعر بأن سيكون له مستقبل  
حسن أو ردى\* ، فظل يبحث فيه وينقب عنه وان لم يعمل له بمقتضى علمه  
فقد أتى بكل ما يمكن أن يأتى به كل ناشئ\* لم يصل بعد لفهم خطاب  
الحوادث وادراك معنى وخز الكوارث لقرب عهده بالشعور والحركة

وقلة خبرته بالحياة وتكاليها . وهل يرجي من الطفل الناعم أن يبلغ مبلغ الكهل الباذن دربة في الأعمال وتصريفاً للامور ورأياً في المعاضل وبصراً في أعقاب الأحوال ومصاير الشؤون ؟ يكفي المصريين نفراً أن يتمنوا مجارة غيرهم في مضمار الحياة وان لم يجرؤوا شوطاً واحداً لأن لعدم استعدادهم له . وهم بذلك كالناشئ الذي يجب أن يأخذ أخذ الرجال في الأعمال والعظائم فيقده لين جسمه وضؤولة شخصه وقصور أعضائه فيتألم ويستكين وقد يبكي ويظن بنفسه الظنون ولا يدري أن الزمان عامل في اعداده وتكميله ، فاذا وصل الى مستوى الرجال قوى على الكفاح وصبر على مكارهه وشدائده ونال من نتائج كده مايناله كل عامل دائب .

قال قائل ثالث « وكيف إذن أدركت اليابان شأو أمم الغرب في ثلاثين عاماً ألسنا مثلهم جسماً وعقلاً ؟ » نحن لا نؤاخذ هذا المعترض فانه ليس بعمر اني يدرك وزن المسائل الاجتماعية فيتحاشى ما يستهجنه العقل ويمجه العلم وينكره الواقع ، وانما نؤاخذ أولئك الكتاب المغالين الذين يتحمسون لبعض المسائل بدون تدبر فيسوقون الشعريات والخيالات مساق الحقائق الثابتة بغير نقد ولا بحث . أليس من المضحك المبكى أن يصور بعض كتابنا للامة أن الشعب الياباني خرج في مدة ثلاثين سنة من غيبة الخمول الى نور الحركة والحياة وأتى في هذه المدة الوجيزة بما يعجز البشر ولم يسمع به الحظ لامة من الامم مع أن صنائع اليابان كانت قبل ( ألف سنة ) تعرض في قصور ملوك أوربا كما تعرض

الأعاجيب المحيرة للدارك؟ أليس من العجيب أن الامة التي ترد غارة كوبلاى خان عن بلادها وهو فاتح العالم وضارب الجزية على روسيا وتلقى أجنحة حمايتها على كوريارغما عن جارتها الدولة الصينية الضخمة تصبح بفضل بعض كتابنا الامة الحديثة النشأة الجديدة العهد بالحياة .  
 الاعجوبة الاجتماعية التي لم تسمح النواميس العمرانية فى مدى تاريخ العالم كله بمثل ما سمحت لهابه من الرقى السريع والحياة الفجائية أى مانع يمنع أمة مثل الامة اليابانية ظلت الفين وخسمائة سنة مستقلة ومعرضة لتأثير حوادث مهذبة للدارك وكوارث مهيئة للرقى وشؤون محيية لمواهب النفس أن تصل بعد كل هذه المدة الطويلة الى مثل ما عليه امة اوربية؟ بل أى مانع يمنعها من أن تكون أرقى من أرقى امة تقدم عهدا بالاستقلال والمدنية؟ لاجرم أن الذى يقيس الامة المصرية بالامة اليابانية يشط شططاً بيناً لعدم انطباق الحالين على بعضهما من كل وجه كما بيناه هنا فى مقالات متوالية .

الخلاصة أن الترية والتعليم هما المخلص الوحيد مما فيه الشرق عامة وكل امة على حدتها خاصة لكن هنالك أمران خطيران يجب الالتفات اليهما وهما : ( الاول ) القوى الاوروبية المحللة ( ثانياً ) المفتونون من امدنية الغرب . أما تلك القوى المحللة فقد درسناها فى مقالة سبقت فهى دائبة لا تكل ، وكلها أدمنت وتمادت مصت دماءنا وأفنت قوانا واستنزفت حيويتنا شيئاً فشيئاً .. وأما المعجبون منا بمدنية أوروبا إعجاباً لا حد له فهم فى تحمسهم لعاداتها وأصولها ونصحهم للامة بالاختها يساعدون فعل تلك

القوى المحللة مساعدة خطيرة للدرجة القصوى . ألا ترى تراحم امم أوروبا على فتح المدارس ببلاد الشرق وتصرف المصاريف الطائلة عليها وهي أحق بها في بلادها ؟ ماذا يعنى ذلك من تلك الامم ان لم يكن السعى في نشر لغتهم وعاداتهم بيننا تسبيلا لتحليلنا لما قرره لهم العلم من أن اللغة والعادات من أكبر المحللات لعناصر الامم المستضعفة . فهؤلاء الذين يلقبون بعضهم بعضاً بالمصلحين هم أكبر أعوان تلك القوى المحللة من حيث لا يدرون بل من حيث يريدون الاصلاح فان كان هنالك وجه للتخوف والشك من المستقبل فهو من جهة هذين الخطرين الكبيرين ليس إلا ، وعلينا أن نبدي رأينا فيهما تمميا لهذا البحث خدمة لامتنا المحبوبة .

## زيادة بيان

لاحظ على بعض ما كتبه تحت هذا العنوان في مقالتي المتتالية كاتب نيسل بمقالة نشرت يوم الخميس الماضى فى المؤيد وجعل أمام ملاحظته جملة ثناء وتحييد بها عن أدبه وحياة شعوره وإنى أحياه وأحى فيه تلك النزعة الفاضلة . وانى بمقالتي هذه أرجو أن أزيد موضوعي بياناً وأولى ما أغمضته سعة وشرحاً .

ان ما ذكره حضرة الكاتب من ان هذا الاحتكاك بين الغرب والشرق كما هو سبب فتنتنا هو سبب يقظتنا أيضاً مما لامشاحة فيه ، وانى لأن ما بحثت فى أسباب هذه اليقظة ولا فى العوامل التى هياتها ولعل لها موضعاً فيما يلي من القول .

أما تشبيه المصريين باليابانيين فلا أراه جائزاً بوجه من الوجوه لتخالف الامتين في جل أحوالهما الرئيسية التي لها الشأن الاول في حياة الامم ونموها . ولا سرد امهات تلك الأحوال على عجل فأقول : (١) الامة اليابانية أمة تبلغ خمسة وأربعين مليوناً من النفوس قائمة بذاتها غير مرتبطة بأمة اخرى في حركتها الحيوية . والامة المصرية يبلغ عددها عشرة ملايين نسمة وهي جزء من امة عظيمة لامناس لها من التأثير بحركتها العامة جذباً وانجذاباً وسكوناً واضطراباً .

(٢) الامة اليابانية دولة مشكلة تحت زعامة ملك هو حلقة من سلسلة ملوك يصعد تاريخ أولهم الى ما قبل الفين وخمسمائة سنة ، والامة المصرية ولاية تابعة لدولة اخرى كانت لامناس لها من الرضوخ لمن تؤمره عليها وتطلق يده بالتصرف فيها وكثيراً ما اضرت تلك اليد بالمصالح الخاصة والعامة معاً ، ثم لما حصلت العائلة الحاكمة في هذه البلاد على شيء من ظواهر الاستقلال احتوشتها اطماع الأجانب وأصبح أمرها تابعاً لارادات الدول جمعاء ، ولا يخفى على أحد ماهية تلك الارادات ووجهتها .

(٣) الامة اليابانية لم يذلها الاستعباد الاجنبي ولم يتسرب اليها الحين من قبل الحكومات القاتلة للعواطف الفاضلة ، ولا يجد المؤرخ أمة تحاكي الامة اليابانية في كثرة اضطراباتهما ومشاغبتها الداخلية وناهيك بشعب يقضى أكثر من ألفي سنة في حركة وهياج لاتهدأ لهما نائرة الا ريثماً تستجمع قوى جديدة وتدخر أسلحة أحد ضريبة

وما أوجب لها كل هذا الشغب إلا دم يغلى بحرارة العزة وعوامل  
الانفة والقوة. أما الأمة المصرية فقد رضخت لحكم فاتحها وسلبت  
لهم قيادها بعد أن اعيهاها الجهاد قبل أكثر من ألفي سنة فنحنت للسكون  
وتركت أمورها لتصرف قادتها حتى ان الأجانب المتنازعين في السلطة  
كانوا يتقاتلون في دارها بجيوشهم المخيفة وهي ساكنة تنتظر الغالب  
لتخضع له مكرهه وتقدم له الاخلاص منكرة معجزا منها عن مناوأة  
العالم كافة فانه لم يكن أمامها الا أحد أمرين: اما أن تقف لكل فاتح  
بالمصاد وما كان أكثرهم في العالم السالف فكان يجب عليها لذلك أن  
لا تعتمد سيفا ولا تروى زرعا ولا تدخر شابا وليس هذا في وسع  
أمة، واما أن تخضع للفاتحين وتكون تابعة لاقوى دول العالم في كل  
جيل وقد فعلت ولم تزل على ذلك. أين هذا من الانفة اليابانية التي لم  
تقبل أن تضيف الأجانب في بلادها وتشملهم برعايتها؟

( ٤ ) الأمة اليابانية تسكن جزائر بعيدة عن مرامي الانظار ومطارح  
المطامح فلم تزعجها غيل المغتالين ولم تكن يوما من الأيام مغنا يستدعي  
شره الفاتحين ، أو طريقا يرجو مالكة أن يحكم به الأمم أجمعين .  
والأمة المصرية تسكن قطعة من الأرض تعد مفتاح الشرق كله دانيه  
وقاصيه ويعتبرها الجغرافى والسياسى نقطة الاتصال بين الأمم المستعمرة  
والشعوب المستأهلة للفتح . لذلك قاست مصر من ضروب الهجمات  
وصنوف المباغئات وألوان الغارات والطامات ما لم تذقه أمة من أمم  
الأرض . وكابدت من أخلاق الفاتحين وشراسة المعتصبين ما لم يصبر

عليه غيرها

( ٥ ) الأمة اليابانية في كل أدوار حياتها تحدث نفسها بالمجد والسؤدد والغلبة والظهور ولكن المصرية من منذ النى سنة لا تحدث نفسها الا بأمنية واحدة وهي عدل الفاتح ومرحمته لا الخلاص من ربقتة والتفصى من حبالته . و فرق جسيم بين أمتين احدهما تحدث نفسها بالعزائم والعظائم وأخرى تستعطف المراحم وتستلين الغاشم . تلك تنمو فيها ملكات الاقدام والجرأة والشهامة وهذه تنعدم فيها على طول الزمن صفات الأحياء ولا تزداد على توالى الأدوار عليها الا استكانة وخمولا ولو تلاقى أمة مالاقتة الأمة المصرية لكانت مثلها لا محالة فلا جرم ختمت الامة اليابانية تاريخ اضطراباتها باقامة حكومة دستورية شوروية وكان ذلك نتيجة جهادها كل تلك القرون الماضية قبل أن يدرس درسا واحدا من مدينة أوروبا .

لما استتب للحكومة الجديدة الامر حانت منهم التفاتة فاذا الغرب أسبق منهم الى كثير من كاليات الحياة فقالوا الى الاخذ بها ولكن ميلة العالم يريد أن يتكلم لا الجاهل يود أن يتعلم : لذلك لم تفتنهم مدينة أوروبا بل كانوا بازائها كمن لا حت لهم نهزة وسنحت لهم غنيمة نجفوا اليها سراعا كخفتهم الآن في سهوب منشوريا ورعان بور أثر بهمة لا تعرف لها حداً خشية المباغثة لانهم كانوا يعلمون أن أوروبا لو فطنت لهم لعلمت كيف تناقشهم الحساب على ما يأخذون منها . ولم تكن أوروبا تعرف عنهم وعن حياتهم الصحيحة إلا ما ينقله لها كتاب

الرحلات ولا يخفى على أحد مصدر نقلهم ومسرح تقديمهم ومبلغ معارفهم .  
 وكلنا يعلم أن جلهم لاحظ لهم من كتابتهم على الشرق الاذكر العجائب  
 وإيراد الشوارد في الاخلاق والعاتاد ومن يرد أن يعرف طرفا من  
 خلل نقلهم وبعدهم من الوقائع في أكثر ما يوردونه فيطلع على ما يكتبونه  
 عن المصريين وعاداتهم .

أخذ الاوربيون معلوماتهم عن اليابان من أولئك الراحالات  
 فصوروا اليابانيين لانفسهم بصورة ماقلها حسرت عن وجهها اللثام  
 وظهرت بمظهرها الحقيقي خالها الناس أعجوبة اجتماعية وغالوا حتى  
 كادوا يعلون بها عن مستوى البشر وسيعلون بها حتى ينههم المنبه  
 الاوروبي

أما الاحصاءات التي يمكن إيرادها عن ترقى أحوالها الاقتصادية  
 والحربية في مدى هذه الثلاثين سنة فهو من طبيعة الحكم الياباني  
 وخصائصه فان للأمم حاجات في نفوسها تشعر بها ولا تستطيع ابرازها  
 لقصور طاقة الافراد عنها فهم يؤملونها من القائمين بشؤونهم تأملا فان  
 شاؤا جبوهم بها وان شاؤا أرجؤها لانه كثيرا ما تخالف إرادة الحكومة  
 مطالب الشعب وحاجاته فتهملها بل وتميت العاطفة الباعثة اليها ولكن متى  
 حصلت على الحكم الدستوري تدفقت تلك الحاجات وبرزت إلى عالم  
 الظهور بسرعة مذهشة . هذا ما يري نداء تاريخ كل أمة دستورية ولو وازى  
 المنتقد بين ما حصل من الرقى الفجائى في ممالك أوروبا بعد تقرير تلك  
 المجالس مباشرة وبين اليابان لرأينا أن في اليابان بطأ في السير عن



غيرها

أما الذي صد (كوبلاى خان) عن اليابان فهو جسارة اليابانيين واقدامهم وتمكن الانفة والحفيظة من نفوسهم ، فقد داهمهم الفتح الاسيوى فى ديارهم بماتى ألف وأربعين ألفاً من الجنود العتاة المعتادين على شرب المهجات وخوض الغمرات . فلم يصدهم المحيط ولم يعوزهم للوصول إلى جزر اليابان إلا تعديت بحر اليابان الذى يفصل تلك الجزر عن القارة الآسيوية . ولقد نازل فرسانه رجالات اليابان كتفا لكثف فلم يسعه بعد أن رأى مارأى من شكيمة شديدة وجلد لا يغالب الا أن يرضى من الغنيمة بالاياب .

أما عرفان فصل اليابان بحمول ذكر الصين ففيه نظر . فان الصين ليست كما يصفها كتاب الرحلات من خمود الحركة وموات العزيمة وهمود الاحساس . وماصور لنا هذه الامة الفخيمة ذات المدنية القديمة وجعلها فى أذهانتنا عنوان الخمول والانحطاط الا أولئك السواح المتهورون الذين يكتبون عنا أشد من ذلك مما لاحقيقة له ولكن أهل العلم منهم يقرون للرجل الصينى بصفات تضعه قبل اليابانى بدرجات وان قهرة هذا الاخير فى سنة ١٨٩٤ . والجأه للتسليم بشروطه . ويستنتج هؤلاء العلماء من صفات الصينيين وقبولهم السريع للرقى بأخص معانيه وعددهم البالغ حدود الكثرة أن هذه الامة سيكون لها شأن هائل فى العالم وان أوروبا التى لاتعبأ بها الآن ستلتجىء لان تحتسى منها بالهرب إلى بلادها وهذا مايعبرون عنه ( بالخطر الأصفر ) ولولا ما يتوقع

من النهضة السريعة للصين لما كان للخطر الاصفر وجود البتة فان الامة اليابانية ان قاومت دولة اوريه فلا قبل لها بمقاومة دولتين وهي عبارة عن جزر لا تبلغ مساحتها مساحة فرنسا ولو تحطم أسطولها لتلاشت خطارتها وزال كل خوف من جانبها .

يقول قائل كيف قهرت اليابان الصين وكيف سبقتها الى الأخذ بالنافع من المدنية الأوربية مع ما تصف به الصينى من السمو على اليابانى نقول أما سبب غلبة اليابانيين فجودة السلاح وحسن القيادة العسكرية وقد دهمت هذه الامة جارتها الضخمة بهذه الوسائل المخيفة وهي فى غفلة عن خطارة الحديد وخطره فلم تقو على الدفاع فسلبت لعدوها فى مطالبه لا عجب من هذا قهر المصريين الأتراك فى بلادهم تحت قيادة ابن مؤسس العائلة الخديوية مع ماهو مشهور من شجاعة الأتراك وشدة بأسهم . ولكن هى الأساليب الحربية والأسلحة المتقنة التى أصبحت مدار الفوز فى حروب هذا الجيل .

أما سبب سبق اليابانيين فى الأخذ بالنافع من أوربا فله أسباب اجتماعية كثيرة من أكبرها (١) أن الصين أمة كبيرة جدا يبلغ افرادها نحواً من خمسمائة مليون أى ثلث العالم كله وهي تشغل حيزاً شاسعاً الأطراف من الأرض يصعب على أهله أن يلتئموا على غرض واحد أو يتأمروا على أمر مشترك . وهي مقسمة الى ولايات كل ولاية تزيد فى المساحة عن أربعة أضعاف مساحة جزر اليابان لها حاكم شبه مستقل وله جيش خاص منعزل فى ارادته ونظامه عن جيوش زملائه

الحكام حتى عن جيش الامبراطور نفسه . فما سهل على اليابان من ضم نفسها والتآمر على حفظ كيانها وتدير أمورها من تأييد دستور وتدريب جيش وتنظيم أساطيل يصعب على أمة الصين الكبيرة لهذه الأسباب كما لا يخفى .

(٢) اليابانيون أمة تكونت من المهاجرات المتولية من الصين واصقاع آسيا القريبة منها وكل أمة تتكون على هذه الصورة تكون أقبل للترقى من الأمم الأصلية لأنه لا يقوى على هجر وطنه وأهله الا من كان يحمل فؤاداً كبيراً وتحمله نفس توافقة للعالي . وبناء عليه فالأمة اليابانية المتكونة من المهاجرات تعد أمة مقداما بطبعها قابلة للأخذ بالنافع بفطرتها مستأهلة للأقدام على كل غاية قبل غيرها . وقد أخذت بالصالح من أوروبا وضمته الى ما كان لديها وغدا تسبقها لا محالة . لهذا السبب ترى أمريكا الشمالية التي تكونت من المهاجرات قد سبقت الأوربيين الذين هي منهم وهي لم تزل أسبق الى كل جديد وأقبل لكل فكرة حديثة من غيرها .

(٣) اليابانيون أمة محصورة بالبحر جزاؤها ووسائلها الحيوية محددة تكفي عدداً محدوداً من النفوس ولكن متى زادت عدد سكانها عن القدر اللازم تستدعي طبيعة العمران منها ان تتخذ لنفسها سبباً الى خارج بلادها والا هلكت . من هنا كان اندفاع الأمة اليابانية متركزا على دوافع قهرية وبواعث طبيعية لا يمكن احصاؤها . فلا عجب ان تأملت في ذاتها وتفكرت في وسائلها وجمعت أمرها وورقت شؤونها قبل غيرها .

أما الأمة الصينية فهي أمة أصلية تفتخر بأن مدنيها تبلغ من العمر آلاف من السنين ولها تاريخ يرفع من معاطسها ويزيد من أنفتها وهي في بقعة فسيحة خصبة تقيت ضعفيها وتووي مثلها . فليس لها والحالة هذه دوافع قهرية تدفعها رغما عن إرادتها فلا عجب ان سبقتها الامة اليابانية التي لم تبلغ ولاية من ولايتها أما وقد تولدت بعض تلك الدوافع من جراء مطامح الاوربيين فقد ألقى الصينيون بأنفسهم في ميدان الرقي وقد نقل المؤيد هذا الاسبوع عن بعض جرائد أوروبا أنه يوجد في مدارس بلجيكا وحدها خمسة آلاف طالب علم منهم ولا تسلم عما يوجد منهم في أمريكا القريبة اليهم وفي اليابان جارتهم وفي سائر ممالك أوروبا وإذا استمرت هذه الحركة عشر سنين انتقلت الصين فجأة من حال الى حال آخر وعلم الناس هنالك أنهم كانوا غير مقدر بها قدرها ولا أواضعيها في الصف اللائق بها .

هذا ما استطعت إيراده في هذا الموضوع الخطير واني أرجو أن أعود لهذا البحث نفسه بعد الفراغ من أعمالى المتراكمة على في هذه الأيام واني ماجئت اليوم بهذه العجالة الا توطئة لما أرجو كتابته في هذا الصدد بعد الفراغ من مبحث فتنة المدينة الغربية

## القوى المحللة

(٦)

قلنا في مقالاتنا السابقة أن الأمة بمجموعها سائرة نحو الحياة والتقدم

سيراحثيا . ثم خصصنا الشعب المصرى ببعض التفصيل فأثبتنا أنه نال في الخمس والعشرين سنة الأخيرة من اليقظة والشعور ما يعز على غيره نيله في هذه المدة الوجيزة . قلنا ذلك كله ولم نبحت عن موجبات هذه اليقظة بل ولم ننوه عما يحتوشها من العيوب المؤيسة التي خصها كثير من الكاتبين بالبحث والتحليل وأفردوا لها الأبواب والرسائل وعقدوا فيها فصولا لعيوب الأفراد وأخرى لمثائب العائلات وغيرها لسائر طبقات الهيئة الاجتماعية . وما حدا بأولئك الكتاب الى تكلف المشقة في تلك المباحث الا أنهم يتخيلون لهذه النقائص أسبابا قريبة وقانونا سهل المأخذ . وعندهم أنهم متى كشفوا القناع عن بعض الحوادث التي نكب فيها بعض العائلات اتعظ الناس بها واتخذوها لهم عبرة . ولكننا نرى أنه ليس يصح أن تعير الامة بمعائبها الا في أدوار دون أدوار ولو صح أن يقال ان للأمم في حياتها طفولية فلا يليق ان تبكت الامة بنقائصها في ذلك الدور كما لا يليق أن يجعل فضح مثالب بعض الأطفال بالتفصيل والتحليل عبرة للأطفال الآخرين في دور نشأتهم من هنا صار تعيير الامة بنقائصها في نظرنا من العبث المحض ولو أردنا أن نحكم حكم العمرانى الصارم لقلنا انها تزيد الناقصين نقصا وتغرى الكامنين على الخروج عن حددهم لوجدانهم العذر والقذوة السيئة خصوصا لو كان الناقصون من الطبقات العالية . وقد ثبت في علم الانسان أن مكاشفة الامم بعيوبها في بعض أدوارها يجرى المستعد لها على غشيانها وينشئ في الغافل عنها نزوعا اليها . لذلك كان أمر سياسة

الامم من أدق السياسات وأشدّها على قادة العلم وأساطين الحكمة .  
 يرى الناس أجمعون أن قد نشأت فينا مع هذه النهضة أدواء لم تكن  
 معروفة لآبائنا من قبل وان تلك الادواء آخذة في النمو والانتشار كل  
 يوم حتى آل أمر بعض أصحاب البصر بسببها الى اليأس من المخلص فان  
 الاحاد على أشكاله والعقوق بصنوفه والفساد والسفاد بسائر ضروبهما  
 الخالخ كلها عيوب لم تكن لدى أهل الجيل السالف الذي وصفناه بالخمول  
 والخمود الابدرجة محدودة أما الآن فهي في جسمنا الاجتماعى بثرات  
 درنية خبيثة عدت على كيان الامة والعائلة وسرت الى سائر الطبقات  
 فأحدثت فيها أموراً لو عددها المعدد لأدمت العيون أسى وكلمت  
 الافئدة أسفاً .

نعم كل هذا كائن وليس من الصعب سرده سردا وقذف مرتكبيه  
 بالمثالب والملاوم والنعى عليهم بما هم أهله ولكن الصعب كل الصعب  
 أن تنقب على العلة فتجد جرثومتها فتجتثها أو تهتدى الى ميكروبها وتعرف  
 مادة حياته فتبيده بالمطهرات . هذا أمر شاق وأشق منه على النفس  
 أن تهتدى الى علل هذه الأمراض السيئة ولا تستطيع أن تعالجها  
 لاستدعاء علاجها عقيدة من الآحاد راسخة في امكان الخلاص منها  
 وأملا واسعا جدا في المستقبل وصبرا على شدائد الصبر وهي صفات  
 عالية لاتعطاها أكثر الأمم .

تلك النقائص التي الثنابها وار تظمننا في شعابها في هذه السنين  
 الاخيرة وأصبحت وصمة درنية في وجه هذه النهضة الجميلة لم تنشأ فينا

نشوءا طبيعيا كما ينشأ الشوك بجانب الورد حتى كنا نضيفها الى باب  
 الأعراض التي لا تنزه عنها كل نهضة من هذا القبيل بل اجتازت  
 تخوم المعقول وخرجت الى متهاتات العسف فهوت تيارها يوتأ وانقرضت  
 أسر بأسرها وتهدم بها من مجد البلاد معاهد كانت قوية القواعد  
 ركنية المواطنين. ولا غروان وجد الكاتب المتشائم مجالا واسعا  
 ليراعته من هذا الحال الخالك ولا عجب ان استطاع أن يسرد من  
 ضروب الحجج العيانة الحسية ما يذهب بالبقية الباقية من الرجاء في  
 قلوب الراجين .

انا تتحد كنا في هذا الباب وليس فينا واحد يرى أن النهضة نزيهة عن  
 نقائص مجتاحة عاملة على الدوام على اطفاء نورها وتصويح زهرتها  
 ولكن الخلاف يأتي بعد ذلك . يأتي في وجه معالجة هذه النقائص  
 المهلكة فيذهب قوم الى لزوم تكميل التربية واعطائها قسطا وعظيا  
 مؤسسا على قوانين الحكمة . ويذهب آخرون الى أن هذا التعديل  
 الخاطئ مما يجب أن يوكل لسلطة الحكومة فهي التي يطلب منها أن  
 تسوس البلاد بما يقف بأهلها عن الترامى على مهاوى الهلكة والتهاقت  
 على مزال الفتنة . ويظن غيرهم أن هذا وظيفة المهذب المدرسي  
 والوازع الحكومي معا . أما نحن فلا نرى واحدا من هذه الآراء  
 الثلاثة يصلح لعلاجنا مما نحن فيه . نعم ان في تكميل التربية والتهديب  
 ودعمهما بقوانين الحكمة أثرا لا ينكر في تحسين الأخلاق . وكذلك  
 في قيام الحكومة بسن القوانين الرادعة للناس عن التهالك على المواقبات

وصدهم عما يريدون ويددهم دخلا لا يستهان به في كبح الاهواء والابقاء عليهم من التحلل ولكننا مع ذلك لانعلق عليهما خلاص البلاد مامهي فيه . أما الاعتماد على الحكومات في سن ما يحفظ الناس في دوائر الاعتدال ويحميهم شرور نفوسهم فليس بطريق طيبي لطالب الاصلاح لانه من باب الاعتماد على المصادفات الا اذا كان للشعب قوة على انتخاب الحكومة التي ترضيه . أما شعب مثل الشعب المصري لم يصل لدرجة انتخاب حكومته بنفسه فلا يجوز له أن يرتكن على الحكومة في اصلاح شؤونه . لانه ان كان في حكومة اليوم شيء من العدالة والمراعاة للعواطف فعسى أن تكون حكومة الغد على تقيض ذلك حتى لا تتحمل أن تسمع منه طلبا للاصلاح وقد رأى المصريون من تغير الحكومات عليهم ضروبا من أهواء الحاكمين تعلمهم كيف يعتمدون على أنفسهم ولا يضعون حياتهم في يد حكومتهم

لا جرم أن اعتماد الأمم على حكوماتها في أمر رقيها وتعديل أخلاقها اعتماد على المصادفات ولا تفلح أمة تعد بالملايين تتكل في أمر حياتها على افراد من المسيطرين . وعندى أن القول بأن الأمة المصرية لا تصلح الا مقودة بقوة حاكمة مستبدة من الأمور التي لا يقوم عليها دليل ولا شبه دليل . والاستدلال من التاريخ على أن المصريين صلحوا تحت الحكومات الصالحة حتى فعلوا الأعاجيب وفسدوا تحت الحكومات المفسدة حتى سقطوا للحضيض فلا يؤخذ حجة على أن المصريين خلقوا لأن يعيشوا مجردين من الارادة والشعور



وسيقون كذلك أبد الأبدن . وإنما غاية ما يؤخذ منه انهم قنوا بالضغط الشديد المتوالى وحملوا بالعسف المتواصل على أن يستسلموا للمستبدن استسلاما لا حذله . فهل يصح أن نجعل هذا الاستدلال تكأة تنكئ عليها في القول بأن المصريين لن يبلغوا قط مبلغ الأمم الراشدة فيشعروا بشخصيتهم ويعملوا لأنفسهم بأنفسهم بدون سيطرة حكومتهم عليهم ؟ وهل يليق أن نرتكز على هذا الاستدلال فنقرر أن هذا الشعب لن يرتقى عن هذا الدور الاتكالي كما ارتقى عنه كل شعب في العالم بالعلم والتربية ؟ ان ساغ لنا ذلك الزعم فقد ساغ لنا أن ندعى أن المصريين خلقوا نسيج وهدم وفطروا على غير فطرة سائر الناس وان مارفح الأمم الى مقاوم الشعور والأففة من العلم والتربية لا ينفعهم .

وهذا مما لا يسمح به مذهب فلسفي من مذاهب العالم . وما سبب صدور هذه الآراء البعيدة الا استبطاء مبدئها حول الأديوار وحدوث الانقلابات والتغيرات فهم يودون أن تتسلسل أمامهم الحوادث الاجتماعية بما تستدعيه من اصعاد قوم وتسفيل قوم وتقويم أمة وتعويج أخرى كما تتوالى أمامهم حوادث العام أو الشهر . ولذلك فتى رأوا أن شعبا لبث ألفى سنة على حالة واحدة متبعا سنة واحدة استنتجوا من ذلك أنه خلق عليها ولن يتعدها الى غيرها . وربما لا يغيب عنهم أن هنالك أقواما باقين على حالة الوقوف من يوم خلقوا للآن لأسباب لا يسع هذه العجالة سردا سردا . وما ألفا سنة في عمر الاجتماع

البشرى الا كعامين من عمر الانسان الواحد .

ظهر من هنا أن الذين يعتمدون على سلطة الحكومات يخطئون خطأ عمرا نيا جما ويرتكبون على المصادفات وهي مما لا يصح الارتكان عليها في شئ. لأنها كالرياح يوم لك ويوم عليك والعاقل من يعتدلنفسه عدة تقيه ما عليه من الأدوار فان عجز اليوم وأخفق جهده فلا يجوز له أن يعتقد أنه عجز الى الأبد فان للأمم في حياتها أدوارا وللحوادث نتائج وآثارا . ونحن ان ربينا أبناءنا على هذه السنة سنة الاعتماد على الحكومات فقد أنشأناهم على ذلك القالب البالى وجعلنا منهم أشباحا لا ارادة لها ولا عزم على سنة من تقدمهم من الأجيال . وأما ان قررنا لهم الحقيقة العمرانية وصورنا لهم واجب الأمة على نفسها وحددنا لها وظيفة حكومتها بازائها فقد أقنأناهم على صراط الحياة الاستقلالية فان لم يحبها الجيل الخالف حبيها من بعده .

هذا هو الدستور العلمى المؤسس على التجارب وما بعده الا الآراء المنتزعة من حوادث جزئية خاصة لا تصلح لان يستتج منها قانون عمرانى له وزن فى الأمور العامة .

أما التريبة فانا بمن يعتقد أنها تفعل الاعاجيب ، وهل بعد تدريب الحمام على حمل الرسائل فوق القنابل وتمارين السكلاب على قيادة العيان والتفتيش على الجرحى فى ساحات الوغى وتعويد الخيول والفييلة والمعزى على الألعاب الرياضية المدهشة . وهل بعد هذا يشك انسان فى فضل التريبة على الانسان ؟ لا . لا يشك فيها أحد ولكن الانسان

ليس على سنة الحيوان . هذا محدود القوى والمدارك مقيد القابلية والاستعداد وذلك مطلق المواهب والملكات بعيد مدى التصور والخيال ، ثم هو مع ذلك مرتبط بطائفة من بني نوعه تستطيع أن تنقض له ما يبرم وتبرم له ما ينقض فما يتم لك على الحيوان في عام لا يتم لك على الانسان في أعوام ، بل ربما لا يتم لك في أجيال متعاقبة تبعا للإحوال التي فيها الامة . وقد سبق لنا ان تكلمنا على الحرب الحيوية القائمة بين الامم وقتلنا ان الضعيف منها معرض لتحليل القوى وهضمه والفناء في جسمه وقتلنا ان هذه الامة مصيبتها قسط هائل من تلك القوى المحللة المنصبة عليها من أمم الغرب فما فعله التربية في عقول الناشئة في سنى المدرسة تبده لها تلك القوى المحللة بأسلحتها السلبية الفاتنة في يوم واحد . وهل بعد أن يرى أحدنا أنه تربي في المدارس الاوربية الخاصة لتخريج القادة والزعماء فخرجت الفرقة التي كانت معه من الأجناب فتولت ادارة بلادها بين عالم عمراني وفيلسوف اقتصادي وقائد عسكري أو سياسي وخرج هو لا يدري أى شىء يعمل وربما جاء ساخطا على بلاده زاريا على أهلها ويود أن لو لم يكن من بنينا . هل بعد ان يرى أحدنا نفسه على هذه الصورة يستطيع أن يتمتع عن اعتقاد اننا بعد التربية تتلقانا أيدي فتنة آسرة تسلبنا ارادتنا وعزيمتنا وتتخذنا آلة لتحليل من دوننا ؟

هذه الفتنة هي مظهر من مظاهر القوى المحللة ولها أشكال وصور شتى يأتيها ميكروبها محمولا في صدور الاقصية الملمعة وجيوب الالبسة

المؤنفة وأطواء الفرش المنضدة وأثناء الجمل الفلسفية المفوقة وغير ذلك مما يعلم بالبداهة ولا يحسن قوله علينا .

مادامت هذه الفتنة عاملة دائبة فهي تلاشى آثار التهذيب أو أكثرها ولا تزال بنا حتى تجعلنا فلاسفة قولاً وسفهاء فعلاً .

يقول انصار المذهب الثالث مذهب الاعتماد على الحكومة والترية

معا : « ألا ترى الآن أنه لو كانت حكومتنا مع مانحن عليه اليوم من

الميل للتهذب والتعلم تمنع عنا هذه الفتنة التي نهوى فيها هويًا سريعًا

لوصلنا في مدى قريب إلى درجة عالية من درجات الحياة الصحيحة » .

نقول : نعم ولكنه لم يحصل ويكفي لبيان وهن أساس هذا الرأي

أنه من قبيل الأمانى .

يقول قائل : إذا كان الأمر كما ذكرت فما المخلص من هذه القوى

المحللة الهاضمة ؟ نقول لا نستطيع ان نبدي رأينا فيه الا بعد ابداء كلمتنا

على المفتونين منا بالمدينة الغربية لارتباط الامرين ببعضهما .



## المفتونون بها

( ٧ )

است من أعداء المدينة الاوربية ولا من الواهين في تقدير قدرها .

بل أنا من يعتقد أنها أنخم مظهر من مظاهر الرقى الانسانى فى عالمى الصناعة

والعلم الطبيعى وانها قد ورثت سائر ما حفظته بطون الاوراق . وخزائن

الاملاك من آثار أعلام العرفان والحكمة . وذخائر نقباء الطبيعة والصنعة . فوحدت بين متفرق هذا الميراث الادنى وضمت بين أجزائه . وركبت منه مزيجاً جامع نتائج قرأح الامم في أمة . وصبت نهايات المدارك الابداعية في قالب واحد . ثم ضمت اليه ما اكتشفته من مساتير الوجود . وما هديت اليه من خفيات المعارف : ودقيقات المسائل . فجاء هذا الكل شكلاً يأخذ بالقلب هوى ويملأ العين سحراً .

الناس بازاء هذا البدع الفخيم أحد ثلاثة رجال :

(١) فهم إما خفاف الأفئدة سريعو التأثر بالطواهر فيزدهيم هذا الشكل الأسر فلا يرون لحياتهم قيمة ولا لوجودهم وزناً لا بتقليد أهله في شأنهم كله فيكدون في هذا السبيل صارفين له همهم وهمهم واقفين عليه جدهم وجهدهم فيعيشون متطفلين على موائد غيرهم ومن يرض أن يعيش متطفلاً فلن يكون صاحب دار أصلاً .

(٢) واماموهمون أنفسهم بأنهم زارون على هذه المدينة ومعتبروها رجساً من الأرجاس وقنعوا بهذه الأقوال ثرثرة وتفيها ولكنها أخذون في تربية أولادهم على سنتها المهلكة ( في نظرهم ) فهم من القسم الأول ويزيدون عنهم إثمافى التلبس بالتغيير والتضليل وهؤلاء حجة الطاغين وفتنة اليائسين

(٣) وامامهم ( أحياء بالفطرة ) شارفوا هذا المنظر المدهش فعراهم ماعراً غيرهم من دهشة المفاجأة ولكنهم لم يفتقدوا رشدهم فوقفوا بما وهبوه بالفطرة من قوة الفؤاد واستقلال النفس وقفة المفكر في

وجه السير وجهة العمل فبتين لهم بعد اطالة الروية أن الذي ظهر به أصحاب تلك المدنية من المظهر الآسر ليس بطبيعي فيهم وإنما هو عرض اقتضته لغيرهم من قبلهم . وإن تلك الصفات والآداب ليست بوقف على أمة دون أخرى فعملوا أن الأمة متى أدركت تلك الصفات فتخلقت بها وأخذت نفسها بأدبها استقامت فئاتها وتيسرت أمانيا وعلت علما وعملا وغنى حتى تساوى مناظريها أو تفوق عليهم . فدرسوا تلك الصفات الاجتماعية بنور الفطرة التي أوتوها فأوها ليست شيئا سوى ما طبع الانسان بفطرته على اعتباره أصولا للكمال والسيادة مثل العلم والعمل والدأب والصبر والاعتدال الى غير ذلك من الصفات التي لا يشك في جمالها رجلان . فنظروا الى ملتهم وقالوا لو علمت أمتنا وعملت ودأبت وصبرت واعتدلت لوصلت الى مثل ما وصل اليه هؤلاء ولولم يصل جيلها الحالى لوصل اليه من يخلفه أو من بعده وإن أخطأ الأمة اليوم المتاع بما ترمى اليه فلا يخطئها شرف التمسيد وفضيلة التأسيس .

وصل الأحياء بالفطرة الى هذا السر فنظروا لآسرى التقليد فأروهم يسعون الى حتفهم بظلفهم . كيف لا وهم واقفون رءوس أمواهم على الظهور بغير مظهرهم ومتكلفون من الحياة مالا تسمح لهم به وسائلهم . وهم بما ينشئونه كل يوم لأنفسهم من الاحتياجات الوهمية التي بتأصلها تصبح ضرورية . واضعون أنفسهم بحيث يصيرون طعمة الآكل وهدف النايل . ثم رنوا الى القسم الثاني فأروهم كالأولين

ويزيدون عليهم تغريراً فتحققوا ان هذين القسامين واقعان لا محالة في رق أصحاب تلك المدنية طوعا وكرها وساقطان في حضيض من النقص حتى ليؤول أمرها الى الغبطة بأسرها والتبجح برقمها فيكونان بحالهما وقالهما مثلا محسوسا لفساد الفطرة ومسوخ الطبيعة

نظروا هذا النظر واتهوا الى هذه النتيجة ولم يدعوا أنهم منزهون عن تلك الفتنة ولكن ذلك الأثر الذي علق بهم منها فضلا عن أنه لم يطمس بصيرتهم يحرضهم على عدم الوقوف لثلاثا يقعون مع الواقعين فلا يعودوا يذكرون الخلاص ولا تخيلا .

هؤلاء الأحياء لا يحقرون مدينة الغرب ولا يهتمون فيها . بل هم أكثر من المتحمسين لها تقديراً لقدرها وعلما بجهات قوتها وأشد من المفتونين بها جبا في مسلماتها ومسابقتها ولكنهم أصحاب بصر وعلم لا يدعون اليها لأنه لا معنى لذلك ولودعوا اليها لأوهموا الناس أنهم يدعون الى قشورها من ملابس وملهى كما هو حاصل . ولكنهم يدعون الى الأصول الأولية التي هي دعائم كل مدينة . يدعون للفضائل ويزجرون عن الرذائل . يعلمون أن القوى يغلب الضعيف ويهضمه وان الأمم فيما بينها في حرب سلمية أسلحتها الوسائل الاقتصادية والتمويهات الصناعية الى غير ذلك من موجبات الفتنة فيحذرون اخوانهم من التعرض لفعل هذه الأسلحة المدمرة بكل ما في وسعهم من علم وحكمة وما يسعه امكانهم من سيرة طيبة وقودة صالحة . هؤلاء الأحياء هم مادة حياة الامة وملاك قوامها ومساك هيكلها

ونظام جامعتها بهم تحفظ شخصيتها ومنهم تستمد قوتها . فهم كالحلأيا الحية في الجسم الآلى تبعث الحياة لمن يجاورها . وليسوا مقصورين على فرع واحد من أفرع الجهود الانسانية بل تصادفهم في كل مجال : في التجارة . في الزراعة . في الصناعة . في العلم ، وهم في أى مسرح وجدوا تراهم نسيج وحدهم وأمة مذهبهم لا تستعبدهم العادات ولا تسترقهم التقاليد مياون بفطرتهم للتوفيق بين علمهم وعملهم وبين عواطفهم وأسلوب حياتهم شديدا والارادة قوي والعزيمة لا يبالون بما يتناوب جسمهم في مرصاة أفئدتهم .

هؤلاء الأحياء ينشؤون نشوءا لا يعرف له قانون طبيعي لليوم ليس للمدارس في إيجادهم إلا أثر لا يعتد به وربما استعصت فطرتهم على نظمات المدارس ودوائرها الضيقة فلم ينبغوا إلا مستقلين عنها كما أثبتته الاستاذ ( سيزار لومبروزو ) في كتابه على النابغين المشاهير .

هذا الصنف من الناس الذين نسميهم ( أحياء بالفطرة ) لا يمتازون عن اخوانهم الخاملين في شيء من الخلق الظاهر فلا يتوهمن قارىء أنا تصور له عالما فوق العالم الانسانى بل هم من أفراد الدهماء وإنما هو فواد اشم سكن بين جنوبهم قلب كيان سرائرهم وجعل لهم وجدانا غير وجدان معاشريهم فهم منهم جسما ومولدا وليسوا منهم غاية ووجهة . يشغلهم من الشؤون ما يئس منه اخوانهم ويعنيهم من الامور ما نفرض منه الناس أيديهم لم يدخل اليأس أفئدتهم بينما يكون اليأس سنة شائعة . ولم يدان الانحلال عزائمهم بينما يكون الخور جنة واقية .



يرى الأحياء هذا من أنفسهم وربما أثر عليهم حال الوسط فتألموا من شدة شعورهم وربما سحرهم حال اخوانهم المفتونين فودوا لو غلظ حجابهم ووردوا موردتهم ولكن هيات أنهم مقهورون على حالهم لا يزدادون في شعورهم الا رقة وفي حجابهم إلا لطفًا . متوالى أمامهم الامور وتنقلب بهم الأدوار ويرون الناس حولهم على طرائق من الاثرة شتى فيهم بهم خاطر لمجاعة الناس فيردهم عن ورود هذا القدر وجدان عال وعاطفة كريمة فيحجمون وربما تألموا من احجامهم لغلبة الفتنة المحيطة بهم وسواء علموا أنهم على هدى أو لم يعلموا فهم مقهورون على سلوك جادة المحامد مدفوعون اليها دفعا وان لم يتزها عن شيء من النقائص فان شئت أن تصفهم بوصف جامع فقل انهم مقودون رغم انوفهم إلى سبل الحياة بدوافع ضميرية قاسرة لا يعرفون مستقرها من أنفسهم .

بماذا تعلق حركات الامم الحية واضطرابها ويبيعها نفوس بنيتها رخيصة في سبيل استعمار بلد أو حمايه عن مصلحة ؟ بل بماذا تعلق بيع الانكليز نفوس فلذات أكباد أشرافهم وعليتهم أمام حصون البوير ومعاقلمهم وتهاون اليابان في أمر الحياة وبذلها الالوف من رجالها أمام حصون ( بور آرثر ) ومضائقها ؟ بماذا تعلق هذه الحركات المدهشة من أمم تستطيع أن تعيش مئات من السنين هادئة ساكنة إلا بما قدمناه لك من أن الحياة في الأحياء حركة اضطرارية فوق الارادة وفوق العقل وأنها تنشأ على ناموس غير معروف للانسان ولا هو مما يمكنه عليه .

تقلنا ينشأ هؤلاء الأحياء على ناموس غير معروف وانما الذي

تعرفه هو أن كثرتهم في الأمة حياة لها وزيادة لأمد بقائها وقتهم موت لها وتلاش لعناصرها .

هؤلاء الأحياء لا ارتباط لهم بالمدارس والعلم الا من جهات ثانوية فهم قد يكثرون في أمم قليلة المدارس ولو انشئت لهم المدارس لزادت حياتهم سلطاناً وانتشاراً .

وقد يقلون في أمم كثيرة المدارس حتى لا تصادف منهم في الألف واحداً . وقد تراهم يكثرون في جيل من أجيال الامة الواحدة فيرفعون شأنها للسماك الأعزل وقد يقلون في الجيل التالي رغماً عن زيادة عدد المدارس وارتقاء العلم في تلك الامة ذاتها قسفل حتى تهددها الحوادث في تركيبها الصميم وربطها الأصلية . ومن ينتقد حال بعض أمم أوروبا العصرية يجد مصداقاً لما نقول .

إذا تقرر هذا فخلاصنا من هذا الضعف الذي نحن فيه وظهورنا بمظهر الأمم ذات الحياة الصحيحة والشعور لا يتأتى الا بنبوغ كثير من صنف الأحياء بيننا الذين قلنا انهم ينشئون على مقتضى قانون لا يعلمه البشر .

أنا لا أقول ان العلم لا أثر له ولكني أقول انه لا يفيد الا اذا صادف تلك الأفئدة الحية بالفطرة فهي التي تنتفع به وتزداد منه حياة وحركة . أما العلم في أمة لم توهب أولئك الأحياء بالفطرة فلا يفيدها بشيء بل يكون سبباً في التياشها بكثير من النقائص وعلة لسرعة خطاها الى التلاشي . مثال ذلك ( وهذا تشبيه مع الفارق ) البخار المضغوط يدير الآلات

ويجعلها تحدث أكبر الأعمال وأعجبها واسكنه لا يدير الآلات الصالحة أما الناقصة والمصنوعة من معادن غير صالحة فلا تنال بضغط البخار الا تبدداً وانفصاماً .

يقول قائل : « انك في مقالك السابق لم ترض رأى المعتمدين على الحكومة لاستنادهم على المصادقات فكيف تعتمد عليها أنت في ظهور من تسميهم بالاحياء ؟ » أقول انى قلت ان ظهور أولئك الأحياء يأتى على مقتضى قانون غير معروف لنا فأرانى أثبت له قانوناً وان كنت أجهله . ولكن لم يقل أحد ان لظهور الحكومات الصالحة قانوناً الا ما يكون من حياة الأمة وانتخابها لحكومتها بنفسها .

فان قيل ان هذا يوجب الكسل ويحلل العزائم . أقول أما ان كان من يسمعه من الموتى فليست له عزيمة يخشى على تحملها . واما ان كان من الأحياء فقد أدرك نفسه ومضى فى شأنه وذلك لا يخشى عليه من شىء فان حركته ذاتية اضطرارية .

صفوة القول أنه متى قدر لنا أن ننجيا نبغ فينا أحياء كثيرون مدفوعون لعمل الأحياء بفطرتهم لا بدافع من القول ولا زاجر من الكلام وانما هى حركة ذاتية اضطرارية توجه الكافة وجهة الحياة الصحيحة بلا تردد ولا روية أشبه شىء بحركة الجسم الحى بأجهزته العاملة المدفوعة لاداء وظائفها دفعاً طبيعياً لادخل للارادة فيه .

هذا رأينا فى وجه خلاصنا من الضعف والفتور الذى نحن فيه وهو ما استنجناه من استقراء الحركة الانسانية بأطوارها وأدوارها

في كل أمة مستندين فيه على الحوادث الاجتماعية والظواهر التاريخية ولا خلاف بيننا وبين المتكلمين قبلنا الا في أنهم يرون أن أولئك الأحياء توجد لهم التربية ونحن نرى أنهم يوجدون بقانون فوق التربية وانما التربية ان وجدت زادت مواهبهم قوة وحياتهم بركة فاذا لم يوجدوا في أمة فلا تفيدها التربية بشيء ولو بلغت نهاية الكمال وغاية الاتقان .

ليس في مذهبنا هذا من الفراغ الا عدم اهتدائنا الى التاموس . الذي ينشأ على مقتضاه الأحياء ولقد كنا نستطيع أن نحاول تلبسه بالاحتمالات ولكننا نراه فوق كل احتمال ومهما أنضينا أفكارنا بالبحث عليه فلم نهتد الا الى ما يسيقه من الممهديات أو ما يصاحبه من الشؤون والاعراض أما هو نفسه فيدق عن مداركنا . وكأنه مما لم يقدر لنا عليه . فعلى الأمة أن تستمر فيما سبقت اليه من التربية ونشر العلم فان ذلك من الأسباب الظاهرة التي لا مندوحة لنا عن الأخذ بها اماما خفي علينا من العلل والأسباب فلم نكلف بعلمه وما تطرفنا اليه في بحثنا هذا الا من قبيل اعطاء البحث حقه من التحليل والنظر قسطه من الاعتبار . هذا وانا نرجوا الله سبحانه وتعالى أن يهدينا للسداد وأن يجمعنا على هداه وهدية انه ولي الكفاية ومولى التوفيق . وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله أولا وآخرا على ما هدانا ووقفنا لخدمة دينه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين . آمين

## فهرست

( الجزء الثانى من الاسلام فى عصر العلم )

صحيفة

خطبة الكتاب	٣
حال الناس فى العقائد	٦
حال المكذب منا بالعقائد	٦
قسم الموهمين أنفسهم بالعقيدة	١٠
قسم الشاكين	١٢
كيف تحن بين هذه الأقسام	١٣
كيف نقاوم هذا التيار	١٤
كيف نحيا بلا وجهة ولا غاية	٢٣
كيف تتخذ لأنفسنا غاية ووجهة	٢٩
الاسلام دواؤنا الوحيد	٣٧
مبلغ مدارك الفلاسفة اليونانيين بالمسألة النفسية	٥٠
محاكمة مدارك الفلاسفة فى مسألة النفس	٦٢
جهة اعجاز القرآن	٧٦
مجلس نواب للأمة المصرية	٨٣
أصل المصرى	٨٦
تاريخ المصرى القديم	٨٧

## صحيفه

- ٨٨ المصرى فى استقلاله  
 ٩٠ المصرى فى عبوديته للأمم الغالبة  
 ٩٣ المصرى فى خلاله الأصلية وعيوبه المكتسبة  
 ٩٣ كيفية استحضر الأرواح  
 ٩٨ العلم عند المسلمين  
 ١١٤ العوامل الاجتماعية فى رقى الامة اليابانية  
 ١١٦ جغرافية اليابان  
 ١١٨ الرجل اليابانى  
 ١١٨ تاريخ اليابان الاجتماعى  
 ١٢٢ نظرة على ماتقدم  
 ١٢٨ ما وراء المادة  
 ١٣٤ كروية الارض  
 ١٤٢ استشكلات على دوران الأرض  
 ١٤٦ ماهو الاسلام . زيادة بيان  
 ١٤٧ الناس أمام الأديان  
 ١٤٧ حظ الجاهل من الدين  
 ١٥٠ الاوساط والدين  
 ١٥٧ العلماء والدين  
 ١٧٣ المحاضرة - أى مناظرة بين مسلم وفيلسوف فى اصول العقائد

- ١٨٧ ماوراء المادة - تجارب في التنويم المغناطيسى
- ١٩٥ الأدب الذى تفيضه عقيدة التوحيد والتنزيه على المسلم
- ٢٠٣ المحاضرات - مناظرة بين مسلم وفيلسوف مادى
- ٢١٨ الولاية والكرامة والوسيلة والشفاعة
- ٢٢١ ماهى الولاية ومن هو الولى؟
- ٢٢٣ ماهى الكرامة؟
- ٢٢٣ الكرامة فى نظر أنصارها
- ٢٢٦ منكرو الكرامات أو محدودها
- ٢٣١ موضوع النزاع بين المثبتين للكرامات والمنكرين لها
- ٢٣٩ المحاكمة بين هذين الحزبين
- ٢٤٥ الأدب الذى تفيضه عقيدة التوحيد والتنزيه على المسلم
- ٢٦٥ الأمة اليابانية - أدلة اثبات سمو الجنس الأبيض على الجنس الأصفر بقلم الاستاذ الفسيولوجى (شارل ريشيه)
- ٢٧٨ خوارق العادات والأسباب العادية . بقلم الاستاذ (ا. م. ا.)  
يلاحظ فيها على بعض ما كتبناه على الكرامات والخوارق
- ٢٩١ ملاحظتنا على هذه المقالة
- ٣٠٦ الدين والمتدينون - تنمة الملاحظات على مبحث الخوارق  
والأسباب العادية ، وهى مقالة جامعة استوعبت نحواً من  
أربعين صحيفة

## صحيفة

- ٣٣٩ ملاحظاتنا على مقالة حضرة الكاتب  
 ٣٥٦ خلاصة ماتقدم  
 ٣٦٠ خاتمة  
 ٣٦٢ رجال أمام رجال - بقلم (جان فينو) مدير (المجلة) الفرنسية  
 يرد بها على زعم (شارل ريشيه) سمو الجنس الابيض على  
 الاصفر  
 ٣٧٠ فتنة المدينة الغربية - النيشرية الهندية  
 ٣٧٧ وحدة الزوجة وعدم الطلاق  
 ٣٨٥ تكشف النساء  
 ٣٩٤ استحلال الربا  
 ٤٠٩ الأصول الحيوية للأمم  
 ٤١٨ ماهو المخلص من فتنة المدينة الغربية  
 ٤٢٤ زيادة بيان  
 ٤٣٢ القوى المحللة (فتنة المدينة الغربية)  
 ٤٤٠ المفتونون بالمدينة الغربية

( تم الفهرست )



ما هو  
الإسلام في الغمارة

تأليف

محمد بن عبد الله  
بن محمد بن عبد الله

٢٤٦ - ٢٤٤

(حقوق الطبع محفوظة للؤلف)

٢٤٦ - ٢٤٤

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م

مكتبة المشاهدة بشارع الجمالية بالقاهرة  
إدارة محمد عبد الحفيظ بنمازي

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولك الامين ، محمد عبدك  
ونبيك خاتم المرسلين ، ونور العالمين ، وعلى آله وصحبه أساطين الدين ،  
وأراكين اليقين ، وتابعيهم بخير وإحسان من عبادك المؤمنين . آمين .  
( أما بعد ) فانا وان كنا آلتينا على أنفسنا أن نجعل كتابنا ( الاسلام في  
عصر العلم ) سهل العبارة ، قريب المأخذ ، من جهة القالب العربي ،  
والاسلوب الكتابي ومن جهة البعد عن مصطلحات الفلسفة العويصة ،  
والهجر لتراكيبها الحرجة ما أمكن ، الا أننا رأينا أن كل ذلك لن يقف  
بالاذهان الطالبة للاستفادة ، ولن يقعدها عن ابتغاء الزيادة ، فعولنا أن  
نجعل للكتاب ملحقا يصدر ان شاء الله تعالى معه كل شهر في ست عشرة  
صحيفة ، يكون موضوعه شرحا لما يغمض من المدرجات الفلسفية التي  
تأتي في الكتاب ، وإيضاحا لما يستبهم على القراء في بعض أبحاثه في  
المواضيع الجديدة التي لم يعتد على سماعها أصحاب اللسان العربي ، ولكننا  
لن نشرح الا ما نسال عنه ، فعلى كل من يود استيضاح ميبهم ، أو استبانة  
معجم ، أن يكتب لنا سؤاله ويرسله قبل انتصاف الشهر ليجد الجواب ان  
شاء الله في الجزء اللاحق .

بهذه الطريقة المبتكرة نرجو أن يكون قارئنا على بينة تامة بكل ما يظا له  
من كتاباتنا أولا فأولا . وإننا هنا نعد قراءنا باننا لن نزل على عهدنا من مقابلة

كل سؤال بصدر رجب ، وذرع واسع ، غير متبرمين من تشدد سائلنا ، ولا مزدرين بمن يعترض علينا . وقصدنا من ذلك أداء خدمة للأمة نرجو أن تكون خالصة لوجه الله الكريم ، وأن تطهر من كل ما يحبطها من همزات الشياطين ، والله الموفق المعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . وصلى الله على إمام المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . آمين .

( تنبيهه ) — رأينا أن ننشر في كل شهر ملزمة من كل مبحث بدل قصر القارىء على مطالعة موضوع واحد طول السنة . وسيكون لكل مبحث مرة متسلسلة ليضم لاحقه الي سابقه

## رأينا في داء الأمة ودوائها

ما هي الأمة الاسلامية ؟ كيف تكونت في مبدئها وعلى أى أساس قامت وحدثها ؟ ما هي تلك الروح التي هبطت عليها فلمت شعنها ، وضمت أجزاءها ، وبعثتها بعد موتها ؟ الي أى درجة وصلت أهميتها في الوجود وما هي آثارها فيه لليوم ؟ الي أى حالة وصلت الآن ، وما هي العوامل التي أثرت عليها فاوصلتها الي هذه الحالة السيئة ، هل يؤمل لها استرجاع مجدها واسترداد عظمتها السابقة ، ان كان نعم فباي الوسائل يكون ذلك ، هل رابطتها الأصلية قوة تصلح لاقامتها على منهاج الرقي والصلاح أم لا بد من تغيير تلك الرابطة برابطة أخرى أصلح منها للبقاء وأليق بمناسبة الجيل

هذه مسائل يجب أن يضعها نصب عينيه كل من كان له قلب يتألم وحمية تهزه لان يكون حيا بين أمة حية لها مقام بين الأمم . نعم ان درس

هذه المسائل يحتاج لدقة نظر في العلوم العمرانية ، والمأم عظيم بحوادث صعود  
الأمم وهبوطها ، ونقوذ فكر في ضماير التاريخ ، ويحتاج فوق كل ذلك الي  
غيرة حققة تلم بفؤاد الباحث فتريه أن حياته الصحيحة هي حياة أمته ولو  
كان من بين اخوانه فقيراً حقيراً ، وان موتها هو موته ولو كان من بينهم يملك  
الخزائن ذهباً . ربما كانت هذه الغيرة الحققة وحدها أتفع من كثير من العلم  
فانها ان لم تجعله الا خلية حية في الامة لكفاه بذلك تأثراً ، فان حياته  
تبعث منه الى صاحبه ومنها الي جارها وهكذا حتي تتكون جرثومة أساسية  
تنبث شجرة طيبة ولو بعد حين .

الأمة الاسلامية أصلها نبي كريم اصطفاه الله خانماً لاه ولي العزم من  
الرسل وفانحاً لتاريخ جديد للنوع الانساني بعدما كمل عقله وبلغ رشده ،  
وأعدته الاحداث للسير في باحات الكمالات الصورية والمعنوية آمننا علي  
نفسه من العطب .

قام هذا الرسول الكريم في وسط أمة لاعهد لها بنظام ، ولا استعداد  
لها لوثام ولا التثام ، لا رابطة تجمعها ولا وشيجة تضمها ، لها من قحولة  
أرضها ، وجدوبة أوديتها ، وحال معيشتها ، عوامل قوية على التفريق ،  
وفواعل قاهرة على التشثيت والتبديد . قام صلوات الله عليه بينها وحيداً بلا مال  
ولا انصار حاملاً اليها تعاليم ربه قرآناً عريباً غير ذى عوج ، يضمن لها  
سعادة الحياة وسعادة الابد . فأيده الله بروح من عنده ودخل الناس في  
دين الله أفواجا ، فاقامهم بروح القرآن الشريف على صراط الوحدة في  
العقائد الدينية والجامعة العمومية الدينوية ، فنهضوا في بضع وعشرين  
سنة نهضة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانسان ثم لم يلبثوا ثمانين سنة حتي  
صاروا خلفاء الله في أرضه ، لا يتازعهم فيها متازع ، ولا يراحمهم مزاحم ،

كلمتهم العليا ، وصراطهم الابح ، يقيمون حدود الله علما وعملا ،  
 ويتمتعون بنفحاته دينا ودينا ولم زالوا في حركتهم هذه حتى طرأت ظروف  
 ونجمت أمور قضاهها الله حكمة يعلمها ويعلمها للراسخين في العلم ، فدخلت  
 الامة في دور من الخدر يشبه الموت ولم تزل ساكنة والام تتقدم حولها  
 حتى وصلنا ووصلوا الي ما نرى اليوم ، فما سبب ذلك الخدر ، وما علة  
 تلك الوقفة بعد تلك النهضة المدهشة ؟ ماذا طرأ على العقائد ، ماذا حدث  
 في العواطف ، ماذا أصاب العقول والميآهب ؟ ما هو العامل الذي تبط  
 تلك الحركة الهائلة ؟ وهل يمكن اعادتها الي ما كانت عليه ؟ هذا مختلف  
 الاذهان ، ومضطرب الافهام ، ومشتجر الاقلام : ان قلنا طرأت على  
 العقائد بدع اخرجتها عن أصولها ، وضلت الامة عن صراطها ، رددنا  
 على أنفسنا وقلنا : ولماذا لم تضر البدع الدينية الا المسلمين دون سواهم ؟  
 هاهي أم في العالم قائمة على ساق وقدم ، ولا يخلو دين واحدة منها من بدع  
 لا تعد بدع المسلمين بجانبها شيئا ، فان كان التقدم متوقفا على دين بلا  
 بدع فكان يلزم من ذلك ان لا يكون رقي في العالم اليوم . لا نقصد بهذا  
 ان تثبت عدم ضرورة الدين لقيام الامم ورفيها . حاش لله ! فسيمر بك  
 أثناء الكلام على ماهية الدين في مبحث الانسان ان شاء الله ما فيه الكفاية  
 من هذا الموضوع فانتظره . أما الذي نريد ان نقوله هو ان الاصل الاولي  
 الذي يكون الامم وينهض بها ، بعد ان يبعث فيها روح التقدم والارتقاء ،  
 وبهيتها الي قبول أكل صفات الاجتماع هي ( الرابطة بين الآحاد ) . هذه  
 الرابطة تفحة من ( الدين المطلق ) المغروزي في طبيعة البشر كما ستراه في  
 موضعه ان شاء الله ، ومكانه منه كمكان سائر الاصول الحيوية كالعدل  
 والحرية وغيرهما المنقوشة في صميم معناه الانساني . وكما ان العدل قد

يوجد في حكومة وثنية على صفة أكل مما هو عليه في أمة توحيدية لاسباب شتى كذلك قد توجد الرابطة على أفضل أشكالها في شعب كافر وتكون دون ذلك في شعب مؤمن .

لكل أصل من أصول الفضائل أثر ظاهر على كيان الأمة لا يشبهه بآثار الأصول الأخرى ، فأثر العدل في الأمة لا يشبه أثر الحرية فيها ، وآثار كليهما لا تشبه بآثار التساعد والتناصر والارتباط وان كانت كلها تتحد في النتيجة وتضع الأمة بقوتها الرافعة الى أوج المدنية الفاضلة .

وظيفة الرابطة كوظيفة الحياة في الفرد الواحد . فكما ان ( الحياة ) في الجسم تربط وظائف الأعضاء ببعضها بعد ان تمدها بالحس والحركة وتكون للانسان شخصية متميزة متاهلة للتحلي بسائر الكمالات الحيوية الاخرى كذلك ( الرابطة الاجتماعية ) تجمع بين قوى الافراد ، وتنشئ لهم منها شخصية كلية هي روح الأمة التي تبعثهم للحركة وتهيئهم للترقى ، وتجعل لهم حياة مشتركة بحيث لو تالم واحد من الجمعية التملت له سائر الآحاد تالما طبيعيا لاتصنعيا كما يتالم الجسم كله لوجع عضومنه . ( فالرابطة ) روح الاجتماع بين الافراد ، وأصل يهـ . الأمة لقبول سائر الفضائل الأخرى ولا يعقل اجتماع بدونها كما لا يعقل ان يحس جسم أو يتحرك بغير الحياة . وقد أشار الله تعالى الى ذلك اشارة عالية غاية فقال : « ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

ومما يدل ذلك صريحة على ان الرابطة حياة الامم وان غيرها من الأصول الاجتماعية متوقف عليها ، وان نكل منها على حالة الامم اثر لا يشبهه بغيره ، الحرب التي شبت بين اتباع امير المؤمنين على وسعاية رضى الله عنها . ترى ان اتباع الامام مع انهم كانوا من صميم العرب ، وبيوتات

المجد ، واولى السابقة الحسنة في الاسلام ، لم يتوصلوا الى تدويخ جيش معاوية مع ان اكثره من جفاة الاعراب ، واخلاط من الشام ، بل رأوا أن لامناص من الانصياع لهم وقبول شرطهم بعد موت امير المؤمنين . وما ذلك الا اشدة ( ارتباط ) اصحاب معاوية فيما بينهم بخلاف اصحاب الامام فقد كان التفرق بالغاً منهم مبلغاً خطيراً فلم نغفهم فضائلهم الأخرى شيئاً ، بل غلب ( الارتباط ) سائرهما ، واستتب له الامر دونها . وقد أدرك ذلك الامام وباح به في بعض خطبه . فان كان شيء من قلة الارتباط بين أصحاب امام من أكبر أئمة المساميين ، وهم أصحاب القدم الراسخة في الدين ، جعلهم يتنازلون عن حقوقهم السياسية لاخلاط من الاعراب والسوريين ، لا يقرنون بهم دنيا ولادينا ولا قوة في الحرب ولا صبرا عن احتدام الشدائد ، فكيف ، لانتاخر الامم الشرقية المنحلة امام الامم الغربية المتحدة ؟ ماذا تقيدنا خصوبة ارضنا ! وجمال بلادنا ، واعتدال هوائنا ، وعدوبة مائنا ، ولطف أخلاقنا ، اذا كانت رابطننا اقل احكاما من روابط الامم المحيطة بنا ؟

يقول : قائل « آمنة بان مصيبتنا عدم الرابطة بين الآحاد ، ولكن كيف الوصول الى إيجاد روح تضمننا ، وتجعلنا اخواناً كآبائنا ، وتفيض علينا من نجاتها مثل ما فاضت عليهم من قبلنا ؟ اليست هذه عضلة العقد وموضع الحيرة ؟ كم كتب الكتاب في ضرورة الارتباط ، وكم خطب الخطباء بلزوم الاتحاد وكم أقاموا الحجج البينة ، واقسموا الايمان المعظمة ، على اننا ان لم ترتبط ببعضنا تلاميذنا ، وزهبت ريحنا ، ومع كل ذلك فالانار هو ماترى اليوم : يأس وانشقاق ، وتلاعن وافتراق . لقد سمئ الناس سماع هذا الدور ، وشبعوا من هذه النعمة ، حتى ان مايكتب الآن في الجرائد من هذا الباب بعده القراء من سقط المتاع . »

للمعترض الحق فيما يقول فان الدواء المعروف المستعمل الآن لما نحن فيه هو الدعوة الى الارتباط وبيان فائدته ، وهو دواء غير معقول ان جاء بمفرده ، ومماثل القائمين به الاكمل رجل يقوم امام اشلاء جثة فيصيح بها : ان ارتبطي ايها الأعضاء المبددة وتضامى ، فان فائدة الاتحاد كيت وكيت ، ويأخذ في سرد صفات الاحياء ، وخصائص الاصحاء ، فان تقدم هذه الصيحة في اشلاء الجثة ، أفادت تلك الدعوة للام المنحلة او الآخذة في الانحلال

الارتباط مظهر الحياة الكامنة في الامة والدليل عليها ، ومتى لم يوجد أو لو وجد فانرا ، دل ذلك على عدم الحياة أو على ضعفها فالعلاج المعقول في هذا ، الحالة هو الألتفات الى الحياة أولا لاعادتها أو لتقويتها ، ومتى وجدت وجد الارتباط بدون دعوة ، لانه مظهرها ، ووجدت تبعاله سائر المزايا الاجتماعية

يقولون الاتعلق ادنى أهمية على كثرة صياح الجرائد اليوم بلزوم الاتحاد والارتباط ، أتعد ذلك كله ذاهبا ادراج الرياح ؟ قول ان كل هذا اللفظ مما لا يحسن بنا أن نتخذه فألا حسنا ، فقد دل الاستقراء التاريخي وأيده العلم الاجتماعى ان الامة اذا أخذت في الانحلال تصيح بلزوم الارتباط ، وتجعل ذلك شغلها الشاغل ، كان الطبيعة تشعرها بداءها فتصيح به كما يصيح المريض بلزوم الصحة له . فان شفى المريض بمجرد صياحه بطلب الصحة ، تحيا الامة أيضا بمجرد طلب الحياة . ومن يطالع تاريخ اليونان والرومان ير أنه قد نبغ في اثناء انحلالها خطباء ووعاظ لم يكونوا من قبل ، ولكن ماذا أفادت صيحاتهم مع عدم معالجتهم للمرض ؟

أنا لا أنكر فائدة الجرائد في تحسين اللغة ونشر العلم ، ولكنى لا أكنتم



عليها انها قد بذرت في القلوب روح اليأس بكثرة نديها ، ونعيمها على النابئ  
سوء حالهم ، وانذارها لهم بسوء منقلبهم . ولو كانت سلكت في تربية  
عواطف الامة مسلك الحكيم المرني العارف ، كان الضعف والقوة من ثنيات  
القلوب ، واحناء الصدور ، لكانت ساعدت على ارجاع حياة الامة مساعدا  
تذكر لها وتشكر . ولكنها بدل ذلك كله أسرفت في النعي على الامة تأخرها  
وتقهقرها واستهترت في ذلك حتى ياست الامة من مستقبلها ، وأضعفت  
ثقتها بنفسها ، وغالت جدوا في تشریح طبقاتها من كبراء وعلماء وأرباب زراعات  
وتجارات وجعلت أهم مباحثها التنقيب عن عوراتهم ، وأخذت تصنع عليهم  
صنفا صنفا حتى جردت سائرهم من كل مزية وأهلية . فماذا أصاب الناس  
من هذا ؟

وقر في نفوسهم وانتفش في مخيلاتهم ، انه ليس لهم في أى طبقة من طبقات  
أمتهم مرجع يرجعون اليه عند الحيرة ، وهوأل يعتصمون به وقت الشدة ،  
فهرت السننهم على الطعن في كل صنّف والتنديد بكل طبقة منهم حتى صار  
ذلك اليوم فاكهة للمجالس الخاصة والعامة فأصبحنا والامة كلها يلعن بعضها  
بعضا . ولو كان أولئك الكتّاب حفظوا لانفسهم امام الامة مكانا صالحا ،  
لوضعت فيهم ثقتها ، وعلقت على أرواحهم الطيبة مستقبلها ، ولا اعتبرتهم خلايا  
حية تبعث الحياة الي ما يجاورها وينتظر منها استرداد مجد مفقود ، أو استرجاع  
شرف ضائع ، لكن أكثرهم لم يحفظ لنفسه تلك المكانة فسقطوا من عين  
الامة ولحقهم فيما بينهم ( ناموس التلاعن ) فصاروا أمهر المتلاعنين . تراهم بدل  
ان يتعاطفوا ويتراحوا ويعلموا الامة بتواضعهم وبعقائل صفاتهم كيف تسلك  
سبيل الحياة وكيف تهتدى الي سعادتها ، متقاطعين متباذرين ، اذا اعترض أحدهم  
على مقالة لآخيه ، أو لاحظ على فمكرة من أفكاره ، تقع بينهما الحرب العوان ،

فيشمرن لها الاردان ، ويشحذون لها أسنة الافلام ، ولا يزالون يتلاعنون ويتشائمون ، والامة أمامهم تضحك عليهم تارة وتبكي حتى تنفي عبارات اللعن ، وتضييق مسالك الطعن ، فيهدأون على مضض تربصاً للمرص . فاذا كان أكثر جرائدنا بهذه الصفة ، فلا يكون لما يجيء فيها من مقالات الحث على الارتباط والاتحاد والتحاب أدنى أثر ، ويمكن أن يقول لهم اليائسون وغير اليائسين : « اذا كنتم على ما رى من التباغض والتحاقد فيما بينكم مع أنكم في مقدمتنا علما وفضلا ، فكيف تطمعون ان نطيع لكم أمراً ، أو نعمل لكم بنصيحة ، أنأمرون بالمعروف ولا نأثمرون ، ونهون عن المنكر ولا نتتهون » كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون »

يستحيل على أمة أن تحيا بلا وجهة تعرف حدودها ففسير عليها ، وغاية عالية تتحمس بها وتميل بعواطفها اليها . وسترى في أثناء الكلام على حياة الامة وموتها ان شاء الله ، ان كل بناء الهيئات الاجتماعية وضعوا نصب أعينهم هذا السر الاقدس ، ولم يبدؤو عملهم بتضليل أممهم في مذاهبها ، وتبئسها من قوتها الذاتية وهوابها الكامنة فيها . فليعلم كتابنا ان نهاية ما يتمناه لنا أعداؤنا هو ما وصلوا الامة اليه اليوم من تشدبت فكرها ، وتشويه اجزائها في عينها وسلب الاحترام المتبادل من أفئدة أحادها . وكفى الأمة نذيرا للتلاشي أن تصبح يلعن بعضها بعضا . فالدواء الذي وقفنا له قلنا هو تخطيط وجهة مثلى للامة تسير عليها ، وابانة غاية لها في الحياة تحبها وتميل اليها ، لتنضم سائر مواهبها وقواها الى طريق واحد ، وترتكز في مركز مشترك ، فتحيا حياة اجتماعية ، وتنشأ فيها الروح القومية . وهو دواء كل المصلحين الذين لهم اكبر الآثار في تاريخ الامة .

درسنا هذا الموضوع الهاائل درساً مدققاً وسيمر بك تفصيله في الكتاب ،

فأرأنا أن أجمل وأفضل وأكمل غاية يصح أن يضعها الانسان نصب عينيه بصفة الغرض المقصود من الحياة هي (الاسلام) بمعناه الحق ، ولكن كيف يتأني لنا ذلك ونحن في جيل يظن آحاده أن زمن الاديان قد فات ، وان المدنية شيء والعقيدة شيء آخر ، وان العلم قد حل محل كل المدرجات السابقة ، وان هذه المدنية الغربية المادية هي أكمل وأفضل مدنية ظهرت في العالم ، وانها لن تتلاشى أبدا ولن تتغير عما هي عليه ؟ ان دعونا للاسلام في جيل هذه فلسفته الآخذة في الانتشار كل يوم ، بدون أن نحمل ذلك العلم الذي يتجحون به وبنائة تلك المدنية الساحرة من ضمن الشاهدين على ما نقول ، ذهبت صيحاتنا ادراج الرياح ، فان لكل مقام مقالا ، ولكل جيل رجالا . ونكون غير عاملين بقوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة » . لذلك رأينا أن تقيض القول في المسائل الاسلامية مع مقارنتها بالتعاليم الفلسفية من جميع جهاتها التي تنسرب منها الشكوك والشبه ، حتى اذا نجحنا في مشروعنا هذا رجونا ان يتجلى الاسلام لهذه العقول الجديدة في مظهر يملأ العيون مهابة وجلالا ، والقلوب حماسة وهياما . لان قصد من هذا أن نقول ان الاسلام يحتاج لثمننا في شيء ، وانما يريد أن نقول اننا سنواجه به الافكار الجديدة من جهات شكوكها وشبهاتها ، وسنقارعها بيناته وحججه من شطر معارفها وعلومها . اذا فملنا ذلك رجونا أن تصبح تلك العقول الطامحة أحسن أنصاره ، وأقوى أعضاده ، ومتي طأطأت أمام نوره رقاب الخاصة من الناشئة المتهذبة وجدت الحياة وظهرت نفحاتها في مظهر الارتباط والوثام ، وصار شعار كل منا « ان الدين عند الله الاسلام »

## داء الأمة ودواؤها

قلنا في ملحق الجزء الماضي ان داء الأمة الاسلامية اليوم ضعف في قوتها الحيوية الاجتماعية طراً عليها من حوادث كبرى انقضت عليها وأدوار شتى اتتبتها منذ قرون كثيرة ؟ وقلنا ان هذا الداء قد ظهر فيها بمظهر المعتاد وهو ارتخاء في روابط الاجتماعية وانحلال في عرى وحدتها المالية . هذا الداء طراً عليها من ضعف اعترافها في عقيدتها الدينية وسلطتها الدنيوية معا أما العقيدة الدينية فجاءها الضعف من قبل المبادئ الفلسفية التي سرت اليها من اليونانيين ومن بعض الأجنب الذين اعتنقوا الاسلام ولم يدركوه فكسوا سائر معتقداتهم القديمة باسماء اسلامية وصبغوها بصبغ قرآنية وعدوها إسلاماً جاء الاسلام يطهر الفطرة الانسانية مما ران عليها من أنواع الوسواس ، ويخلص العقل من شبك الخرافات ، ويوجه الروح الانسانية نقية ظاهرة تخالفها حتى تستطيع أن تستمد منه حياة تكافح بها ما يكتنفها من فواعل الكون ومبيداته وتستعير منه نوراً تستحق به خلافته في كائناته . فجاء من العقائد بما لا يجافي الحسن الظاهر ولا الشعور الباطن ، ومن الأحكام بما يلائم الفطرة ، ويوافق الطبيعة ، ولكن شهوات العقول ، وأمانى الأفكار لم تشأ أن تقف به عندها الحد ، بل سلكت به مسالك الفلسفة والعلوم النظرية فتركب بعد ان كان سهلاً ، وخرج عن حقيقته بالسكينة كل ذلك والقرآن يقيم الحجج بيناته ولم يزل يقيمها حتى يرجع إليه الغلاة ويلحق به المنقصون ، وسيكون ذلك في يوم قريب إن شاء الله . هذا من جهة الضعف الذي طراً على العقائد الدينية ، أما الضعف الذي دخل على السلطة الدنيوية فأسابها به اجتماعية استلزمها أسباب شتى ليس

هنا موضع بحثها

لو كان داء الأمة ينحصر في هذين السببين لا يمكن حصره في مكانه بنشر العلم ، وتهذيب الأمة ، وكان لا يمضى ربح من الزمان حتى تتلاشى البدع من ذاتها وتشتد أساطين السلطة بمحض ذلك التهذيب نفسه كما هي السنة الطبيعة ، ولكن داؤها اليوم أصبح داء أوروبا ، جاء ناميكروب به محمولا على أجنحة هذه المدينة الساحرة فصار السعى في مدافعة أدوائنا القديمة من العبث المحض ، أما البدع الأصلية فقد سري عليها ناموس الترقى ( الداروينى ) فاستحالت الى شبه ، ونشبت هذه الشبه في رؤوس القائمين على السلطة فانقلب داؤها الأصلي بتطورهم الى ادواء أخرى ناتجة كلها من ذلك الميكروب الأوربي المتمدن ، فصارت وظيفة العالم العمرانى المسلم والحالة هذه محاربة هذا الميكروب وحده الذي لحق كل عضو من أعضاء الهيئة الاجتماعية فأحدث فيه الداء الذى يناسبه . دخل للعامة فأحدث فيهم اليأس وفساد الأخلاق على اختلاف أنواعه وللخاصة فأصابهم بالبذخ والسرف والتقليد الأعمى والاحاد الجهرى والسرى على جميع أشكاله . فأضحت أعراض أمراضنا لا تدخل تحت حصر يظنها الرائي أدواء مستقلة وماهى فى الحقيقة إلا داء واحد له ميكروب واحد ، وما دمنا لا نعرفه لنكافئه استشري أمره ، وطم خطبه ، وصار كل بحث فى الاعراض الأخرى لا يفيد شيئا ماذا عسى ان يداوى أحدنا اذا لم يهتد إلى هذا الميكروب القاتل ؟ أيداوى اليأس أم البذخ أم الطمع أم التقليد الأعمى أم التناكل أم التواكل أم عدم الحياء أم التجادل أم عدم الثقة بالذات أم القنوط من قوة الأمة . كل هذه اعراض رئيسية يتفرع منها لإعراض ثانوية لا تدخل تحت حسابان ، ولو أراد الطبيب الاجتماعى أن

يقصر نفسه ويقف قائمه على علاجها اضطربت في ذهنه ، وشوشت عليه عقله ، وأصبح أكبر اليائسين رغم أنه ، لانه لا يصادف في تطيبه إلا أدواء متراكبة على بعضها ، مشتبكة في حلقاتها ، يتوه فكره في مبادئها ونتائجها ، وما ذلك الا لكونها اعراضاً لداء واحد تتلون وتنصبع بحسب الظروف والمقتضيات على نسبة استحالة الداء الاصلى من حال الى حال آخر في أثناء سيره الطبيعي .

هذا الميكروب الأوروبى الذي اهتدينا اليه بمنظار البحث والتنقيب أصاب رابطة الامة مباشرة وعدى على قوتها الحافظة . أما البدع فليس هذا وقت محاربتها فانها كما قلنا استجحات الي شبه وشكوك وأمن بقي منها شئ . لدي بعض العامة قامره بسيط لا تستلزم ازالته الالهة صغرى من القائمين على حفظ الدين ومع ذلك فهي لا تضر مع سلامة الرابطة الاصلية كما لم تضر المسامين في عصري بنى أمية وبنى العباس ولم تمنعهم من احداث اكبر الاعمال فى العالم وكما لم تضر البلغاريين مثلاً مع سلامة رابطتهما .

بناء على هذا فمذهبنا فى الاصلاح هو تعهد رابطة الامة بالعلاج والتقوية ولا يمكن تقويتها الا من الجهة التي أصيبت فيها . وهي جهة دينية محضة . تلك الجهة المصابة كان ميكروبها يقال له ( بدع ) حملته الفلسفة العقلية فى كها ، ونفثته الشعوب التي دانت للاسلام من أفواه خزعبلاتها . أما ذلك الميكروب اليوم فقد تطور وارتقى على حسب ( مذهب داروين ) واكتسب ريشاً لما سحرىا فصار يدعى ( شبها ) حملته العلوم الطبيعية على أسلاك التليفون واسطوانات الفونوجراف .

استحالة ميكروب البدع الى ميكروب الحاد وشبه لا يشاهد أثره فى

الخاصة فقط بل في أحط طبقات العامة أيضاً . الاتري العامة اليوم بعد أن كانوا يلتفون في حلقات الذكر ويحتمعون زمراً زمراً في الطرقات حاملين للاعلام صائحين صاحبين ، صاروا يتحلقون في الحانات حول الصبهاء ، ويحتفون في المنتديات بالراقصات طول الليل واذا مر بهم رمضان قابله بالافطار غير حاسبين لاحد حساباً . فهل هذا أثر ميكروب البدع أم ميكروب الاحاد الذي حمل الينا من أوروبا وأخذ يفرخ في كل قلب بما يناسبه ويتلون لكل عين بما يؤثر عليها ؟ هذا الميكروب القاتل هو الذي وقفنا لمحاربهه مجموع قوانا واعددنا له المنظارات التي تسكتشفه في كل تشكلاته وهياً ناله الأسلحة التي تبده ان شاء الله

أنا لا أنكر أن الأمة قبل أن يجيئها هذا الميكروب المتمدن كانت جامدة ساكنة ، ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر علينا انها كانت مع ذلك الجود حية حياة كامنة ، وكان خطبها كله لا يعوز غير نشر التعليم والنهذب في الطبايق المختلفة على حسب الحاجة ، ولكن هذا الميكروب أخذ الآن يحللها تحليلاً ويعتر اجزاءها الى كل جهة . ولكن سألنا سائل عن ذلك الجود قلنا انه كان نتيجة طبيعية يجب ان تدخل فيه أمة عظمية تحركت ألف سنة حركات مختلفة في جميع المجهودات الانسانية : فتحت البلاد السحيقة ودوخت الأمم الكبيرة وابتدت الأساطيل الماخرة ، وشيدت المدائن الزاهرة ، وسنت القوانين العادلة ، وبحثت في مسابير السكائنات ونقلت النوع الانساني بأسره من حالة الى حالة أخرى من الجهتين المادية والمعنوية . فخرمان هذا الجسم النشيط من الهدو قليلا من الزمن ليهب انشط مما كان لا يعد عدلا . وهل مثل الامة في مجموعها الا كمثل الفرد الواحد يكبد طول النهار ويكدح ويكافح الصعوبات ثم لما يجن عليه

الليل ينام فيظنه الرأى ميتاً وما هو بميت ويحسبه جامداً وما هو بجامد وقد يغط ويلقط في النوم فيحسبه يهدى وما هو كذلك ، ولكنها حالة طبيعية لا بد منها ليسترد قوة فقدتها في المكافأة ، ويسترجع خلايا أماتها بالمجاهدة .

هكذا كانت الأمة في دور النوم الطبيعي بعد جهاد طويل وإذا ببعض أبنائها قد استيقظ لآلام أصابتهم فبدل أن يوقظوها بتلطف أو ينتظرها حتى تفيق بنفسها هالهم سكونها في وسط هذه الحركة الكبيرة ؟ حركة هذه المدينة الأروبية ، فذهب الخوف عليها منهم مذاهب شتى : فأخذ بعضهم يصيح في وجهها باكياً نادياً ، لاطما وجهه صارخاً ، يعدد مصائبها تعدداً ، ويوسعها عليها تقرعاً وتسدداً ، وطفق بعضهم بزجرها إلى الحركة زجراً ، ويزعجها إلى المسابقة والمزاجمة إزعاجاً ، وأنشأ بعضهم يهيب بها لانشاء المعامل ، وبقرصها بزواجره قرصاً لتشديد المصانع ، وأخذ بعضهم يدفعها بيديه دفعا ويدعها بلسانه دعا لتجري أمامه في باحات الرقى مع الجارين وتركض على صهوات التقدم مع الراكضين فانهم كذلك وإذا بها قد استيقظت مذعورة ذاهلة لا تسمع غير لفظ بين يديها ومن خلفها وعن إيمانها وشمائلها . وناهيك بأنم انهكتها متاعب الزرية طول النهار تستيقظ بين يدي أبنائها على هذه الصورة المفزعة . وياليت الأمر وقف عند حد الايقاظ والتنبيه بل تعدى من ذلك الى الزجر والشتم والتعبير والندب واللطم والبكاء والنوح والشهيق والتعديد وشتم الآباء والجدود والتشديق سرد مساو بهم ومعائبهم ، وفضح مخازيرهم ومشائهم على حسب ما صوروه لآذانهم .

ماذا يكون حال هذه الأم الشفيقة بين يدي أبنائها في هذا اللفظ



المصم ، وهذا العقوق المستغرب . جاهدت لاجلهم جهاد الأبطال في وسط المزاومات الهائلة ، وكأخت لحفظهم كفاح الاقبال في معان المقاومة العنيفة ، ثم جعلتهم بعد شدة التعب ، وعظم التعب ، في حضنها فأنامتهم ليستريحوا واضطجعت لتستريح معهم ، فلم تسكد تم دور نومها الطبيعي حتي استيقظت فوجدت أن أولئك الأبناء قد أصبحوا كلهم فلاسفة بغير علم وأساطين شرايع بغير فهم ، وأطباء عمرانين بغير حكمة ، وانتقادين بغير لطف . الى أي جهة لتنت وجهها رأيت هذا يتفلسف لها ويتعمر وهذا ينهيج لها شرعة السير ويتعسف ، هذا يعلمها طرق العمران ومناهج المزاومات ويتكلف ، وهذا يلفحها بسموم الانتقاد ويشتم منها الآباء والأجداد ويزعم انهم سبب تعاسته ومثيرو شقاوته وانهم لو فعلوا كيت وكيت ولم يفعلوا كيت وكيت لكان هو اليوم كيت وكيت مما يصوره له عقله .

أليس هذا مثال محسوس لحال مجموع هذه الأمة مع بعض أبنائها ؟ ماذا عسي أن تفعله أمة يكون أبنائها على هذه الحالة من الخلاف والتلاحي والتصاخب والصحاح ، ما هذا التفلسف ، ما هذا التعسف ، ما هذا البسكاه ما هذا الندب ، ما هذا اللطم ، ما هذه الضوضاء ، ما هذا التنديد بالآباء ، ما هذا الازراء بالأسلاف ؟ هل عهد مثل هذا العلاج لامة من الأمم ؟ نحن لو التفتنا الى أنفسنا معشر المتفلسفين المتعسفين لرأينا أنناداء الأمة الوحيد ، وخطاياها المصيبة التي يتسرب منها الداء الى مجموعها . ولو كنا غير ذلك لسكننا عامنا وعملنا ، نصحننا واتصحننا ، أمرنا بالمعروف واثمنا ، نهينا عن المنكر واتهمنا ، نهجنا طرائق الخير واتهمنا ، سدنا مخارج الشر وتنكبنا . ولكن الذي تشاهده الامة بخلاف ذلك ، كأننا ننصحها

باللسان الى الصلاح ونعلمها بالفعل كيف يكون الفساد نثرثر لها بالكمالات  
والفضائل ، ونزرع في نفوسها بايدينا بذور الرذائل ، سحرتنا المدينة  
المادية حتى انستنا أنفسنا ، وياليتنا احببناها من جبهتها التي تحب منها ،  
بل همنا بها من الجهة التي يشكوها أصحابها ، ويتألم بها واضعوها ، ويعتبرونها  
جراحا دائمة فيها ، وبثورا عفنة في وجهها ، يحشى عليها من نتائجها  
ويتوقع الفساد لكيانها من اعراضها . اين يتاه بنا ؟ ما هذا السحر الذي  
غشي بصائرنا . هل الذي بني هذه المدينة الفتانة البرخ ، السرف ، الترف  
الابتذال ، الخمر ، القمار ، المراقص ، التيازات ، الأكل بالشوكة ، شرب  
التبذ على المائدة ، التفاخر بتكلم لغة أجنبية ، عدم الصلاة ، نكران  
العقيدة الالهية والروح والخلود ، جحود فضل الاسلاف وتعليق أسباب  
التأخر بهم ، النهزىء والسخرية بالصاق تبعة البدع التي نحن فيها على وجوههم  
هذه كلها ادواء أكثرنا من المتفلسفين وكلها سرت الينا من الفتنة التي  
أصابتنا من هذه المدينة ، وإلكن هذه المدينة لم تقم على هذه الاباطيل  
المهلكة والامراض المجتاحة بل قامت على أساطين الهمة والاقدام  
والعلم والعمل ، أما ما يشاهد فيها من هذه المخازي التي سحرت أكثرنا  
سحرا فهي أدواء هذه المدينة وسمومها ، ولقد قام في وجهها رجال منهم  
يدافعونها كما يدافع الانسان العقارب القاتلة ، والأفاعى السامة . مما سيمر  
بك في محاله من كتاب الاسلام في عصر العلم ان شاء الله .

نعم قامت المدينة الاروية بهدم العقائد ولكن الباطلة منها ، وكذبت  
بالاديان ولكن المضرة التي تقتل العواطف قتلا ، وأنكرت الروح واسكنتها  
هبت تثبتها بالحس كما فصلناه في مؤلفاتنا السابقة وسنريده هنا تفصيلا إن  
شاء الله : وحرمت المرأة من ربة الرق وأصفاد العبودية وغلت في ذلك

ولسكنها أدركت غلطتها في افراطها فقامت ترجعها الى وظيفتها الطبيعية الاصلية كما قررناه من ذات أفواهم في كتابنا ( المرأة المسلمة ) . أما تلك التماذورات التي هام بها أكثرنا هيأما جنوبياً فأدران المدينة ، وأوضار النفوس البهيمية . فهل يصح بعد أن نكون أول المسحورين بهذه القاذورات الشائنة ، أن نعطي أنفسنا وظيفة تطيب الأمة ومعالجتها ؟ وهل تموت الامم وتهلك إلا من هذه الجهة ؟ وهل تزول الفضائل ، وتحل الرذائل الا من هذه المسارب ؟

يجب أن يكون الطبيب مثالا حسناً للمريض ليكون لنصحه أثر في نفسه ، ولعلاجه فعل في دائه ؟ لا أن يكون هو أول المصابين بحمل الميكروب في كفه ، وجرثومة الداء في جيبه ؟

الامم النسائمة يجب أن يكون موقظوها قدوة صالحة للسير في باحات اليقظة والحياة حتي اذا استيقظ عضو منها تبعهم في سيره ، واقتاس باعمالهم في عمله وجرى على خطتهم لتحقيق أمهله . فماذا عسى أن يصادف منا المستيقظ من غفلته ؟ ان يصادف الا لغطا مشوشا وجلبة عمياء تحيره في تلفته ، وتعثره في مشيته يجد هذا يدعو بالويل والوبال ويندب سوء الحال والمآل ، وهذا يصيح بالزواجر ويثرثر بالقوارع ، وهذا يدعو لبناء المعامل ، وتشيد المآثر ، ولسكنه قد لا يجد قدوة صالحة في قوله وعمله فيضرب عن السكل صفحا ، ويلوى عن الجميع كشحا ، ويتجه كما يجي . لا كما يجب ، ثم تنطبع في ذهنه صورة تلك الولولة فيحيا كيهيا ويردها بنمه لا بقلبه . فلا يكون مرتبطا بالامة لا نهم أروه انها مريضة أو ميتة ، ولا يستطيع ان يرتبط بنا لأننا كلنا متنابدون متخاصمون ، متشاحنون متحاقدون لا نجتمع على أصل ، ولا ترتبط بفرع فيداخله داء الاثرة ويسعى أن يكون

مستقلا رغم انه . على هذا المنوال ينسج كل عضو يستيقظ أي يتعلم ولو استمر هذا الحال زمنا مناسباً لاصبحت الامة افرادا مستقلين يصح أن يطلق على كل منهم أمة وحده . اليس كل أب يعلم ابنه يشاهد فيه هذا الاثر؟ هل هذا أثر التربية؟ هل هذا نتيجة التعلم؟ هل هذا فعل التهذيب بالنفوس؟ هل تعلم السكر في المدرسة؟ هل تعلم القمار في المدرسة؟ هل فيما بين يديه من الكتب ما يعلمه ذلك؟ هذا أثر الذين تعلموا قبله وسموا أنفسهم ايقاظا وأرادوا أن يوقظوا الامة فسعوا في حل رابطتها الأصلية من حيث لا يشعرون . كل هذا بفضل انسحارا كثيرا بقاذورات هذه المدنية ولا نقول بها ذاتها : لأنها ذاتها لا تسحر العقول ولا تمت العواطف ولكنها تبعث الغيرة الى النفوس الحية وتوقظ الحمية في القلوب النابتة ، بل وتحيي الروح الاسلامية في اشباح المنتسبين اليها ، لأنها تفحة من القرآن أصابت الاندلس فمرت منه الى أوروبا وأحدثت فيه هذه الحركة اليوم بشهادة بناء هذه المدنية أنفسهم . ولو كنا نريد حقيقة أن تكون لنا مدينة مثلها ، لكننا استرشدنا باقوال اقبالها الذين أسسوها ودعموها لا باقوال مؤلفي الروايات فيها وأصحاب الخلاعة منها وكنا بهذه الصفة نهتدى الى أكبر علومها وهو علم العمراني المقتبس كله من القرآن كما سترى ذلك في كتابنا ( الاسلام في عصر العلم ) ان شاء الله ، وكنا عرفنا منه كيف نأخذ الامة باللفظ لا بالعنف ، وباللين لا بالشدّة ، وبالهدوء لا بهذا اللغظ المزعج ، وبالاتحاد على مبدأ لا بهذا التخاصم والتلاعن ، وكنا عرفنا مكامن الادواء ، ومضان القوة من أنفسنا ، وكنا لاتزعج أمتنا هذا الازواج المدهش ، وكنا لا نقتن من المدنية بمراقصها وملاعبها ، وتياتراتها وزخارفها ، ومقازرها ومشائنها ، فإذا عسانا نجني من وراء هذا؟ لاشك

نجنى منه هذا الانحلال التدريجى الذى طرأ عليها من قبلنا معشر المتفلسفين الآخذين على عهدتنا تطبيقها ومعالجة دائها . أما الامة نفسها فقل انها جامدة أو قل انها نائمة ، وان شئت فقل انها مريضة ، ولكن لا تستطيع أن تقول انها ميتة لانها تجتمع كلها على أصل واحد وهى العقيدة ويشملها روح واحدة وهى روح الدين . لك أن تقول ان تلك العقيدة قد غشها البدع ، وحجبت نورها المخرفات ، كما ان لك أن تقول ان تلك الروح الدينية التى تحركها ضعيفة لما يعطل حركتها من جهل الناس وغباوتهم ولكن ليس لك أن تقول ان الامة محلولة العرى ، مبددة الأجزاء لا تصح أن يطلق عليها لفظ أمة . ولسكننا معشر المتفلسفين ما هى العقيدة التى تجمعنا وماهى النقطة التى تهمسنا ، وماهى الغاية التى تتركز فيها سائر عواطفنا ؟ هل عهدى تاريخ أمة مريضة يتوقع لها الشفاء ان يكون بين معالجتها مثل هذا القشل المخجل قل لي يعيشك ماذا يكون حال مريض يجتمع على رأسه شزيمة من الاطباء وبدل ان يستشير بعضهم بعضا فى تشخيص مرضه ووصف العلاج المناسب له بالاجماع ، ليكونوا باجماعهم تسلية له فى آلامه ، وليحدثوا بانحدام فى نفسه أملا فى شفاؤه ، يتصاحبون ويتشائمون ويستقلون ، ثم يأخذ كل منهم فى وصف علاج لا يقر عليه جاره بل يدعى أنه يميت مهلك ؟ ألا يكون ذلك المريض بين أيديهم فى حال هى أشد عليه مآبه وأسرع فى اهلاكه من جميع أوصابه ألا يكون لذلك المريض العذر فى حيرته ، والحق فى احتقار أطبائه وطردهم من حضرته ألا يقال والحالة هذه أن هؤلاء الأطباء هم أشد أدواء ذلك المريض المسكين ، ولو تركوه وشأنه لسكان الرجاء فى شفاؤه أكبر منه وهم يتنازعونه بينهم تنازعا ، ويتراحمون على رأسه تراحما ، ويقتحمون

حجرته اقتحاما مفرزا، يتدافعون بالناكب ويتآخذون بالنواصي ، ويتأسكون بالحناق ، ثم ينهلون عليه صائحين في آن واحد ، هذا يشتمه وهذا ينهاه ويزجره وهذا يقرعه ويؤنبه . كل ذلك فضلا عن هاجم عليه يجس نبضه ومنقض على صدره يفحص قلبه ، وحاضن له يبحث رثيقه ، وطاجن بطنه يفتش أمعائه ، ومستول على عينيه يختبر بياضهما الخ وهو لا يسمع الا لغطاً مشوشاً ، وعجيجاً مصدعا ، ولا يحس إلا تنازعا في جسمه ، وتزامنا من الايدي على أعضائه . فهل على هذه الصورة يعالج مريض ، وهل على هذا الشكل المفرزع يشفي عليل ؟

ايه ايه ! لقد حقر الناس شأن تطبيب الامم ، وصغروا أمر احياء الهمم مع ان هذا وظيفة الانبياء خاصة ومن ينهج سبيلهم من العلماء والحكام لا كل من مسك القلم ويعبر عن فكره بكلمات عربية ويعطي نفسه بنفسه تلك الوظيفة العلية .

( البقية بعد )

## الاسلام في عصر العلم

﴿ ملاحظة على ملاحظة المقتطف ﴾

أهدينا نسخة من مقدمة كتابنا إلى ( مجلة المقتطف ) الشهيرة بصفتها أقدم المجلات العربية في هذه البلاد ولم يكن ليصدقنا عن ذلك ما نعلمه من الخلاف الجوهري بيننا وبين حضرتي الدكتورين محرريها النشيطين فتفكرنا بأن كتبنا عنها في مقتطفها كلاما صدره بتمهيد أبانا فيه فكرها

على الدين وتأثيره على النفوس — وإنا وإن كنا لا نوافقهما على كل ما جاء في ذلك التمهيد إلا أننا لا نخلمهما من الشكر على حريرتهما . وليس لنا أن نناقشهما هنا على فكرهما فإن كتابنا شامل لسكل ما ورد على الدين من مدركات الفلاسفة سواء كانوا ملين أو ماديين ، أقدميين أو محدثين و يتلوا كل ايراد من ذلك محاكمة دقيقة تنتهي بفكرنا الخاص في الموضوع ولا موجب لتعجيل به الآن .

أما غرضنا الوحيد من هذه المقالة اليوم فهو إيضاح أسلوبنا في البحث تصحيحاً لحكم حكمه علينا المقتطف لا يؤخذ من كلامنا تصريحاً ، ولا يستنتج منه استنتاجاً .

أما أسلوبنا فهو كما قلنا في مقدمتنا في صحيفة ( ٣ ) : « وسأتوخي إن شاء الله في بناء هذا الصرح تسخير ذلك العلم الهادم للعقائد غير ذاهب بمدركاته مذاهب التعسف والتأويل ولا ناهج بمقرراته مخالجات التكلف والتحريف . ولكن سأسير معها سيرها الطبيعي وأسلك بها مسلكها التحليلي ولم لا يتفق العلم والدين ويكون الأول مؤيد الثاني وناصره ، وحامييه من شائبات الشكوك وموازره ، مادام العلم منترطاً من أشياء الكون والدين وحي من خالقه ؟ وهل يعقل أن يكون وحي إلهي مخالفاً لوضع طبيعي وكلاهما مستمد وجوده من خالق واحد تنزه أفعاله عن التناقض ، وتعالى أفاضاته عن التعارض ؟ بل الذي يخشى صولة العلم ويتهيب سطوانه . رجل يريد أن يعطف حقائق الكون على خيالاته وإن يرى نواويس الوجود مطابقة لوهميائه ، هذا هو الذي يري العلم عدواً لدوداً فيصد عنه صدوداً ، ويكون أمامه حيوداً شروداً . هذا هو الذي إن ذكر العلم بحضرته عبس وبسر . وأدبر واستكبر ، وقال إن هذا إلا قول البشر ، أما المسلم فمتى عهدناه أحجم عن العلم أو تهيب ورده ، وإن رأيناه

صدف عنه وخاف بطشه » انتهى كلامنا في المقدمة ومنه يتضح بأجلى بيان أن أسلوبنا في البحث هو عين أسلوب العلم العصري وسيري قراؤنا إن شاء الله صدق هذا الوعد بأعينهم .

وقد أورد ( المقتطف ) جملتين من كلامنا وعلق عليهما ملاحظة نرانا بجزيرين على مبادلته الفهم فيها . أما تلك الجملتان وملاحظة المقتطف عليهما فهي :

« أما الآخرون فانغضوا رؤوسهم سخرية وهزواً ، وهزوا أعطافهم زهواً وعجباً ، ثم رفعوا عقيرتهم كبراً وصلفاً وقالوا : هذه آثار الماضين ، وبقية من بقايا الأقدمين فقد حكم العلم ( معاذ الله ) بان نواميس الكون كافية في تعليل كل ظواهره ، وقوانينه قد فمرت أكثر غوامضه ، فلا داعي لفرض قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب لتوهم عالم علوي وراء هذه المرآة المحسوسة . . . . . »

« كل هذه الشبه المتعاصية قد نشأت في وسط هذا العلم الاوروني ونبع سمها من بين ذرات دسم هذه المدينة العجيبة فالتئات أكثر العقول بأقذارها ونسمنت بسمومها . »

ثم علق المقتطف على هاتين الجملتين ملاحظة فقال : « هذا ومتى رأيت القاضي يسمع احتجاج خصمين فيصف أحدهما بالزهو والعجب والكبر والصلف وكلامه بالشبه المتعاصية والسم بين ذرات الدسم عسر عليك أن تنتظر منه الانصاف في حكمه . والله در من قال ان الشك أول مراتب اليقين فاذا أقدم كاتب على موضوعه اقدم مراتب في صحة كل ما قيل ويبحث بنفسه عن صحته أو فساد ما تعذر عليه أن يهتدى الى الصواب ويرشد غيره الى الهدى أما إذا دخل باب البحث وذهنه مغمم بمسلمات



ومعتقدات يتعذر عليه الريب فيها فقلما يرجي من بحثه نفع لنفسه أو لغيره « انتهى كلام المقتطف نقول : أما مقاله عن الشك والارتياب وفائدتهما في استجلاء الحقائق فيما لا ريب فيه ولكن بالنسبة لمن يبدأ في بحث موضوع من المواضيع لا بالنسبة لمن بحثه وسر غورد وقام بنشر بين قومه نتيجة جهاده الطويل . على أننا رأينا شاكا فيما يكتب نجح في دعوته ، أو وصل الى غاية مما يؤمله من هداية قومه ؟ لا يجوز للشاك أن يمسك القلم ويؤلف لان تشككه لا يفيد قراءه الا حيرة وتذبذبه لا ينشر حواليه الا ذبذبة وتردداً ، ولا يوجد شيء . أضر على خاصة أمة وعامتها من فقدهم الثبات في مدركاهم وعلى هذا السمت التحقيقي الذي جرينا عليه جرى العلماء المحققون في كل أمة وفي كل زمان وأقرب شاهد على ما نقول كتاب ( معرفة الله من درس الطبيعة ) تأليف الأستاذ ( كاميل فلامبرون ) الذي يصفه المقتطف بأنه من أشهر علماء الفلك في العالم فقد كان هذا العلامة في مقدمة كتابه هذا الذي طبع ( ٢٦ ) طبعة في وسط أوروبا .

« مهما ظهر لنا ميدانياً من صعوبة دحض المذهب المادي دحضاً علمياً فان موقفنا من الآن جميل جداً لاننا في ذات الميدان الذي فيه خصومنا » ونحن في هذه الحرب السلمية للغاية قد تحققنا مقدما بان النصر سيكون في جهتنا . وبما أن عدونا في مركز باطل فليس علينا نوال ذلك النصر الا أن نكشف وجه بطلان ذلك المركز وأن تقده موازنته فيه . « انظر كيف حكم لنفسه بالغلبة واعدوه بالهزيمة ولم يشك في ذلك لتحقيقه من قوة نفسه وضعف خصمه .

أما اراد المقتطف ازراءنا بالماديين واكباره ماوصمناهم به من الزهو والعجب والكبر والصلاف وما وسما به كلماتهم بالشبهة المتعاصية والسب

فما لا يرى له فيه حقاً فاننا انما وصفنا بذلك منكرى الالوهية ومن من الناس لم يصم ولن يصم هؤلاء المتهورين بذلك ؟  
انا لو اردنا سرد ما يصممهم به اخوانهم العلماء من المشائين والمقابع للملأنا  
سفر أضحخا وان شئت المثل فالك ما يقوله عنهم العلامة ( كاميل فلاسرون )  
في كتابه المتقدم قال :

« انا حينما تناقش مباني العبارات يجب علينا أن نرجو الفاري لان يعتقد  
أننا إن عاملنا بعضاً من خصوصونا بشيء من الشدة فلا يجوز أن ينسب اليها تبعة  
هذا التسامح لاننا لانعتمد على هذه الوسائل الصارمة إلا في الظروف ( وما  
أكثر هذه الظروف ) التي فيها خصوصونا يعاندون الحقيقة لكي لا يغلبوا .  
في هذه الحالة نكزن مجبرين على معاملة منهم بنوع من الشدة واجبارهم على التسليم  
بالبرهان الساطع الصادر من الأقوى منهم لانهم في الحقيقة الاضعفون في  
هذه الحرب القانونية »

وقال : « تراهم يطبقون العلوم الفلكية والكيمياء والطبيعية والفسولوجية  
على مسائل لا يستطيعون ولا يريدون حلها ولا يكتبون بان يجربوا هذه  
العلوم على الاجابة عن الاسئلة الخارجة عن اختصاصها فقط بل يسيئون  
اليها أيضاً كأنها عبئ أدلة لكي تقر لهم بدون رضائها وبالزور والبهتان  
باشياء لم تدر في خلقها . »

وقال : « ستري في مجادلاتنا الآتية أن هؤلاء العلماء خارجون تماماً  
عن دائرة العلم وأنهم يغشون أنفسهم ويغشوننا معهم وإن براهينهم  
واستدلالاتهم واستنتاجاتهم فاسدة . »

وقال : « وترى العقول العظشى والمتذبذبة مع أخذها في كتبهم معلوماتها  
لاحتياجها اليها تشرب معها سما زعافا يهدم في أفئدتها جزءاً من فضائل  
المعرفة . »

ثم قال إن نظرياتهم هذه « ثمرة من ثمرات الأفكار الجامدة التي برجعها على نفسها دائماً تتوهم أنها مؤسسة على العلم بينما هي لم تقبل من شمس المضيئة الاشعاعاً ضئيلاً حائداً عن سيره الطبيعي . »

ثم قال « تراهم يحكمون على ما يسكت عنه العلم الصحيح كأنهم حضروا في مجلس خلق الوجود أو كأنهم خلقوا العالم بأيديهم . »

ثم قال « هؤلاء العاملون المعجبون بأنفسهم الذين يزعمون أنهم يمثلون العلم ويتكلمون باسمه لم يتزلوا ولا باتباع الأسلوب العلمي الذي يقضي بعدم الحكم بدون برهان . »

ثم قال « وسترى بالفعل أن الذين يحكمون بأن القوة لاسلطان لها على المادة إنما يأخذون هذه الفكرة من خيالهم لان العلم . »

ثم قال « انكم قد تهورتم لحدان نسبتم الى العلم مجموع ضلالانكم فاذا سمعكم العلم ولا بد أن يسمعكم لأنكم أبنائه لضحك من أوهامكم . »

وقال : « إنا اذا نظرنا من قرب الى حجر الزاوية الذي وضعه مذهب الساديين بعد صرفه تقفات طائلة تبين لنا أنه ليس الا كتلة من الخشب المسوس وانك إن سبرت ضماير انصار هذا المذهب وجدتهم لا يعتقدون متانة صرح الحادهم كما كان لا يعتقد ذلك تلاميذ هيراكليت وايبكوز دوو الرؤوس الصلبي . وهم وإن حاولوا أن يجعلوا ناعتقد مذهبهم فليس هو الا رأياً أظهر بطلانا وأقل اعتماداً على العلم من كثير من الخرافات العلمية . وبما أنهم يعلنون بذاتهم بأن كل رأى ( غير مثبت ) يجب طرده من العلم فيلزم أن يبتدأ بطردهم قبل كل شيء . »

ثم سرد الأستاذ الفلكي الشهير بعض بدائع الكون واستعظم انكارها فقال : « هل هذا جنون أو حمق ؟ هل هذا كبر أو جهل ؟ ماذا عسى أن

يكون منشأ هذا الضلال العقلي الغريب وماذا عسى أن تكون نتيجته ؟ ثم قال متعجباً: « لماذا ينكرون الجمال ؟ لماذا يحرفون معنى الرحمة ؟ لماذا يجحدون الحكمة ؟ لماذا يسممون الفضائل الأبدية التي بها قوام العالم ويكسفون النور الناصع النازل من السماء هذا الكسف المحزن . »

هذا ما يقوله عنهم الأستاذ (كاميل فلانسون) في نحو خمسين صحيفة في كتابه ولو عطينا بترجمة كل ما جاء في كتابه من عبارات القدرح والاستهزاء والازراء والتجهيل بالنسبة لأولئك المسادين لملانا عشرات من الصحف مع أن الرجل مشهور بين العالم أجمع بدمائة الأخلاق وغطاف القلم . أما ما غصت به الكتب والأسفار من الغميرة بالمسادين والنعي عليهم من كبار رجالات العلم والفلسفة قديماً وحديثاً فما لا نسمح لأنفسنا بترجمة هنا إلا عند ما نلجأ الي ذلك الجاء ، على أنه ليس بشيء يذكرك بجانب ما ينفثه هؤلاء المساديون من أفواههم طعنا على العقائد وخطا من كرامة المذاهب ووضعاً من شرف الآخذين بها مما يدل على مبلغ آدابهم وينم على مقدار أخلاقهم . نحن لا نقصد بما وصمناهم به من الزهو والعجب والكبر والصلف أن نشتمهم فان ذلك مجال لا نسمح لأنفسنا بمبارزتهم فيه فليرتعوا في ارجائه وحدهم ، بل قصدنا منه وصفهم و نعتهم . ومن ذا الذي يقف على مناكرهم ويستطيع أن لا يصفهم بذلك مهما كان نزيه اللسان عفيف القلم ؟

هؤلاء الرجال يؤكدون بملء أشداقهم أنه لا خالق للوجود . ولا روح للانسان . ولا خلود له بوجه من الوجوه وإنما مثله كمثل النباتات والحيوانات يولد و يفتدى وينمو و يلد ثم يموت وان الوجود كله محكوم بالقوانين الميكانيكية والنواميس الطبيعية وهي قديمة كقدم الكون نفسه : يضعون هذه المبادئ نصب أعينهم ويحكون من خلالها على كل مدركات البشر

المخالفة لها بحدثة وشدة غربتين ، فيشتمون ويهزؤون ويحقرون ويجهلون ، مع أنهم لو نوقشوا في مبادئهم هذه لرأوا أنهم متمسكون بأهداب الخيالات ومعتصمون باوهي من بيوت العناكب . وها نحن نصيح بأعلا أصواتنا بأنه لا يوجد برهان ولا شبه برهان على نفي الخالق والروح وأن الفلسفة الحسية المتطرفة لا تقول بذلك قال أستاذها وشيخها (ليترية) :

« لما كنا نجعل أصول الكائنات ومصائرهما فلا يليق بنا أن ننكر وجود شيء سابق عليها أو لاحق لها ، كما يليق بنا أن نثبت ذلك . فالمنهج الحسي يتحفظ كل التحفظ في مسألة وجود العقل الاول لاقراره بجهله المطلق في هذا الشأن . كما أن العلوم الفرعية التي هي منابع للمذهب الحسي يلزمها أن تتحفظ من الحكم على أصول الأشياء ونهاياتها بمعنى أننا لم ننكر وجود الحكمة الالهية فلو تعرض لاثباتها . فنحن على الحياد التام بين النفي والاثبات . »

هذا حكم دستور الفلسفة الحسية المتطرفة أما حكم قانون العلم الطبيعي فهو : قال الاستاذ الطائر الصيت ( ميلين أدوار ) الانجليزي :

« يجب أن يندهش الانسان لما يرى أن أمام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجلا يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست الا نتائج الصدفة أو بعبارة أخرى نتائج الخواص العامة للمادة الى أن قال : ان هذه الآراء الباطلة أو بالاولى هذه الاضاليل العقلية ( تأمل ) التي يستر ونها باسم العلم الحسي قد دحضها العلم الصحيح دحضاً فان الطبيعي لا يستطيع أن يعتقد أبدأ . » انتهى .

نقول اذا كانت الفلسفة الحسية مع صرامتها وتشدها والعلم الطبيعي على دقته وصولته يتبرآن من منكري الالهية ولفظهم كما يلفظ الانسان

القذر ويسميان مدركاتهم أضاليل وأوهاما أفلا يعد أصرارهم على خزعبلاتهم بعد ذلك زهواً وعجباً وكبراً وصلفاً ؟ وإذا كنت لا تصم بهذه الاوصاف رجلاً تبرأت منه الفلسفة الحسية والعلوم الطبيعية نفسها ومع ذلك لا يرعوي ولا يرجع عن غيه فمن ذا الذي يصح أن تصمه بها بعد ذلك ؟

يقول العلامة ( كاميل فلاريون ) : « لقد عجز الاساتذة عن حل مسألة استمرار الوجود ودوامه ولذلك فهم مقررون بضرورة وجود الخالق وتأثيره الدائم المستمر ليتمكنهم تفسير تعاقب الكائنات وادراك سر أصول الاشياء أما التلامذة فانهم يدعون أنهم فافوا معانيهم فقاموا يحرفون نظرياتهم التي يزعمون زوراً بأنهم حماهم ومؤيدوها . » انتهى  
نقول إذا كان هؤلاء الملاحدة يسميهم ابناء جلدتهم بالتلامذة ويصيحون بأنهم حرفوا العلوم وزعموا بالزور انهم حماها فهل يليق بنا نحن أن نحترمهم أو نقيم لهم وزناً .

يؤاخذنا المقتطف على أن وشمنا كلامهم بالشبه المتعاضية والسم في ذرات الدسم . فنقول وابن السم من كلامهم ؟  
وضع هؤلاء الرجال تلك النظريات الباطلة بين ايديهم ( وقد أريناك مقامهم ومقامها ) واستنتجوا منها تعاليم كلها شر ووبال على هذا الانسان الضعيف : انكروا الروح والخلود واروه نفسه نتيجة وظائف اجهزته واجزائه ومثلوه في نظره بالآلة الميكانيكية ، وطعنوا ماشاءوا على ما كان يعتقد من أن له روحاً مستقلة وانها من مصدر عال وأن لها داراً بعد هذه الدار تحيا فيها حياة طيبة وتنجو بها من مضانك هذه التكاليف الارضية ، ثم جحدوا الفضيلة في ذاتها واروه انها اسم لاحقيقة له البتة وأن الباعث

الوحيد الذي يسوق الانسان في ميادين الحياة هو طلبه النفع لنفسه ليس الا، أما ما يعتقد من أن هنالك شيئاً يقال له علو نفس وطهارة قلب فليس هو على زعمهم الا ضلال اختراعها رؤساء الاديان للسيطرة بها على أرواحهم . نشروا هذه التعاليم وما يتبعها بين ضعاف العقول وصغار الاحلام فنشبت فيها نشوبا وأفرعت فروعا مختلفة على حسب الافهام والمدارك ووجد الآخذون بها من الحرية الضاربة اطنابها في بلادهم مجالا فسيحا فجر وا في أرجائه أشواطا بعيدة طربا بتلك الافكار وفرحا بنتائج تلك الفلسفة الحرة . فانهم لسلك ذلك وإذا بصاخة عظمى تمزقت لها اصمخة آذانهم فالتفتوا حوالهم ليروا ما الخبر وإذا بهم في مشهد تدوب منه فؤاد الانسانية اسفاً ونذرف أعين القضيلة من مرآة حزنا كدأ! ما ذارأوا؟ وألا الثرة والشرة والطمع والبهيمية لابسة ثياباً من نار المعامل والمصانع ، ويدها سوط من ظلمة المناجم تسوقهم ليدوسوا بأرجلهم الفقراء والضعفاء من الرجال والنساء والولدان وهؤلاء يجأرون الى الله من ظلم الظالمين وهم بين اشلاء ممزعة ، ومهيج سائلة ، وكبود مفتتة وشهقات تمصع قد أحماها اليأس حتى استحالت شراراً . هذه الصيحة الهائلة لقتت كبار الرجال في العالم المتمدن الى البحث في أحوالهم حتى كادت قواهم كلها تنصرف إلى ذلك . ولقد أحس القوم بما هم فيه حتى قال قائلهم :

« ما سبب هذا الانين الذي برن من كل جانب عند ظهور آخر كتاب فلسفي أوقصة جديدة أو قطعة تمثيلية متقنة ان لم يكن هو الشهيق الما ليخولى الذى تسببه حياة قريية من الفناء وعالم هرم قد أحس أنه شائر الى قبره . و ( ١ )

يقول الاستاذ ( اجوست سباتيه ) ماسبب هذا الانين المزعج الذى  
 ىرن من كل جانب فيجيبه عن يمينه الفيلسوف ( فييرنس جيفاريت ) فى  
 كتابه ( الغمة الحاضرة ) بأن سبب ذلك عدم الدين وفشو الاحاد  
 بتعاليم أولئك المضللين ويقول : « ان الساسيين والفلاسفة والمنشئين الذين  
 من منذ قرن من الزمان يتكاتفون على اهباطنا إلى حضيض هذا الانحطاط  
 الادبى ليسوا فى الحقيقة الافواعل ثانوية متأثرين بسبب فرد : وهو عدم  
 الروح الدينية »

هل بعد هذه الحالة المحزنة التى آلت إليها هذه المدنية الزاهرة بتعاليم  
 الملحدین يلاحظ علينا ماوسمنا به أقوالهم من الشبه المتعاصية والسم فى  
 فى ذوات الدسم . وابن فعل السم مما أحدثوه فى عالمهم من هذه الفتن المظلمة  
 التى يكاد أن لا يكون لها دواء .

وهل علينا من حرج بعد هذا لو قمنا نكافح الاحاد وهوض أركان  
 مبادئه صوتنا لعالمنا من مثل ماوقع فيه سوانا من الخيرة فى العقائد ، والألم  
 من خلو الأئدة من روح الدين ؟ هانحن نصيح بأعلا صوتنا بأن مدنية  
 أوروبا قد افسدها عدم الدين ، وأن عدم الدين سببه تعاليم الماديين ،  
 وأن تعاليم الماديين ضد العقائد خيالات وأوهام لا تؤيدها حجة ، ولا يسندها  
 علم بل العلم برى . منهم ومن تعاليمهم فمن يرى أن الامر خلاف ما نقول  
 فليسا جلنا البحث فى هذا الموضوع الخطير غيرة على الحقيقة والسلام على  
 من اتبع الهدى .

## تنبيه لحضرات قرائنا

انا وصلتلنا بالقارىء . بواسطة التحليلات الفلسفية التى عملناها فى مبحث



الانسان الى باب نظريتنا السقي وقفنا قلمنا ومحاولاتنا بلوغ الغاية من تجليتها والاشراف منها على ادواتنا الاجتماعية والذاتية واستئزال روح علاجاتنا من قبلها ان شاء الله تعالى .  
تلك النظرية هي ان اسكل جيل روحا عمومية تنبعث من أقوى أمة

أو من أقوى الامم في الجيل فتحتف بسائر الامم الاخرى وتساو لها من جهات ضعفها حتى تستولى على ارادتها ، وتسلط على اختيارها ، وتديرها في تيار حركتها ، لتجعلها لاتعيش الالهة ، ولا تتحرك الالهة ، ولا تستمد الحياة الامنها ، ولا تسكن أو تضطرب الا في صالحها ، وقلنا ان الروح السائدة اليوم على آفاق العالم أوروية مختلطة ، أحاطت بالامم الضعيفة احاطة السوار بالمعصم وجرت على سنة كل الارواح العمومية السابقة ، ثم فسرنا بهذه النظرية سائر ما نحس به من التناقض في أحوالنا والارتباك في شؤوننا ، وقلنا ان الدواء مما نحن فيه لا يمكن تركيبه وتحضيره الا بعد درس مصدر هذه الروح العمومية درساً علمياً ، والوقوف التام على العوامل السقي كوتتها وأمدتها ، وعلى جهات الضعف فينا التي واجهتنا منها فاحدثت فينا هذه الآثار المحزنة ثم يضاف الى هذا الدرس البحث الدقيق عن حقيقة هذه الروح وعن جهات قوتها وضعفها ، وعن عوامل حياتها وموتها ، وعن المسارب التي تسربت منها الى أفكار البشر وعقائدهم فقلبت شكل الارض من حال الى حال آخر .

هذا البحث والدرس سيكون طبعاً يتسرح بحالة الامم قبل حدوثها من جهة الأفكار والعقائد والاحوال السياسية والعلمية والاجتماعية ومن الاخلاق والآداب في أوروبا محل نشوء مسده الروح العمومية ، وبيان الرجال الذين ظهرت بهم هذه الروح وتسربت من تعاليمهم تدريجاً تدريجاً

وسيكون هذا البيان ان شاء الله بسر دحالة الأفكار في العصر الذي وجدوا فيه وما أفادوه للناس من الروح الجديدة ، وتوضيح جهات القوة والضعف من تعاليمهم ومجرى تلك التعاليم من عقول معاصريهم ، ثم بيان كيفية انضمام تعاليم السابق الي اللاحق منهم وهكذا حتى نشرف بالقارىء على كيفية تكون تلك الروح الاروية السائدة اليوم وعلى حالتها من جميع جهاتها الدينية والفلسفية والعلمية والحلقية ، وعلى مراكز قوتها وضعفها من كل جهة من تلك الجهات ، وعلى سريستها على المسلمين من كل تلك الجهات المذكورة .

بينما نتابع سلسلة هذه المباحث في كراسه الانسان ستكون كراسة مبحث خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم شاء الله للحاكمة كل ما يرد من تلك المباحث بدستور القرآن الكريم ، فاما يكون موافقاً منها تعاليم القرآن استفدنا منه على وجهين ( اولاً ) من وجه كونه من المعجزات العالمية للمصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم ( ثانياً ) من وجه اتخاذه من الأدلة المحسوسة على صدق نظريتنا من ان الروح الاوروية سينتهي بها الامر الى مقابلة الروح الاسلامية في أفعالها والقضاء فيها وترك السلطان لها أما ما خالفها منها فستثبت للقاريء ان شاء الله تعالى بأنه مخالف للطبيعة والعقل معا وانه من جهات الضعف في الروح الاوروية التي سيتطرق اليها القضاء منها .

بهذه الصفة ستكون السيرة المحمدية بحول الله وقوته على أسلوب جديد حاصلة على الروح المطلوبة منها بمعنى أنها لن تكون سيرة تاريخية محضة بل مرآة تتجلى فيها صورة موجزة من أعمال روح رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصلاح العالم وأثرها فيه لليوم ومستقبل السلطان العظيم الذي سيكون لها بعد حين . والله يهدينا لاقوم سبيل .

## ماوراء المادة

وجاءنا من حضرة الأستاذ الموما اليه أيضاً بأننا قلنا في كراسة ماوراء المادة : ( فخصها فخصاً علمياً من جهاتها الثلاث تجريبياً وفلسفياً وأديباً ) ويريد أن يعرف مراد الاستاذ فالكومر ( صحيفة ٣٤٩ سطر ٩ ) من الفحص الادبي وما الفرق بينه وبين الفحص الفلسفي .

( الجواب ) — لا يخفى أن نظرية الروحانيين التي يستدلون عليها في أوروبا بالحس في هذه الايام هي أن للانسان روحا هبطت عليه من الملا الاعلى لا يصل العقل الى ادراك كنهها وانها متصلة بهذا الجسد الطيني بواسطة هيكل لطيف شفاف على شكل الجسد تماماً ولكنه ليس من طبيعته ولا محكوما بقوا نينه وانه كغلاف للسر الالهى المسمى روحا ، ولعل في هذا ما يشبه قول الامام مالك بن أنس رضى الله عنه عن الروح ( هي صورة كالجسد ) ويقولون ان الروح وغلافها هذا يخرجان من الجسد عند حصول الموت للشخص الى عالم غير هذا العالم ولكنهما لا ينفصلان عنه كل الاتصال بل ارواح الموتى منتشرة حولنا في كل جهة ولكننا لانراها باعيننا لعدم استعداد اعيننا لذلك ، كما أنها ليست مستعدة لرؤية أشعة ( رونتجن ) مع أنها موجودة كما تدل عليه الآلة التي صنعها الاستاذ ( رنتجن ) لها وقد دخلت تطبيقاتها في علم الطب وافادت العلم الطبيعى فائدة كبرى . ولكن يوجد أشخاص فيهم استعداد خاص به يرون الارواح رائحة غادية وعن ايمانهم وعن شئنا لهم رؤية حقيقية وهؤلاء الاشخاص هم الذين يصح أن يتخذوا وسطاء لتجسد الارواح لان ذلك

الاستعداد الذي اتاح لهم رؤيتهم يجعل بينهم وبين عالم الارواح نسبة خاصة يستفيد الارواح من هؤلاء الاشخاص قوة ومادة يظهر بها أمام أعين الناس . وقد سئل بواسطتها الارواح عن مصدر المادة التي ظهرت بها وعن مصيرها بعد ذهابها فقالت ان في غلافها قوة خاصة بها تكون لها جسما في الحال وتمتخلي عنه في الحال كذلك . امام صدره فهو جسم الواسطة التي تظهر بواسطتها . قالت انكم تتحققون من ذلك لو وزتموها أو وزتموه قبل حضوري وفي اثناء تجسدي لتدركوا الفرق الواضح في وزنها أو وزنه في كلتا الحالتين . ولما فعل العلماء ما أشارت به الروح وجدوا أن الواسطة يفقد من وزنه في اثناء تجسد الروح قدر النصف فاذا ذهبت عاد اليه وزنه الحقيقي كما كان . ومما يثبت لهم حقيقة ذلك أن الاستاذ الروسى ( اكزاكوف ) كان يحضر روحا مع ثلة من اخوانه وكانت الواسطة امرأة شهيرة جدا اسمها ( مدام دسبرانس ) فشهد أن الروح تجسدت من نصفها الأعلى وأن الواسطة قد فقدت أطرافها السفلى تماما وقد فُحصوا ذلك بأيديهم وأعينهم وهم في غاية الدهشة فلم يجدوا لا أطرافها أثرا ثم لما ذهبت الروح عادت اليها أطرافها . وقد شاهد هذه الحادثة التي فيها يقنى جسد الواسطة كله أو بعضه بعض علماء آخرين كما سنبينه تفصيلا إن شاء الله ويقول الباحثون في هذا الفن بهذه التجارب وبواسطة هؤلاء الاشخاص الذين فيهم ذلك الاستعداد الخاص قد أصبح الحد التامصل بين عالم الاحياء والاهوات رقيقا جدا . ويقولون ان هذا العلم ليس بجديد في العالم أى ليس مبدؤه سنة ١٨٤٧ حين ظهر في أمريكا لأول مرة بل هو معروف ومستعمل من منذ أقدم أزمنة التاريخ المعروفة كما أثبت ذلك الاستاذ ( جريمار ) وغيره وانه في الهند أرقى منه في أوروبا بكثير . ويقولون ان هذه التجارب لا يكون من فائدتها اثبات

وجود الروح وخلودها والالمام بأحوالها في عالمها فقط بل سيكون من وراءها حل معميات كثيرة في العالم مثل مسألة الحياة والعقل وغيرها وقطع دابر تعاليم الملحدن الذين مسخوا فطرة الانسانية بتعاليمهم السامة، وسدوا على الافئدة منافذ الرجاء بما نشرود من ظلمات اليأس، وكسف الباطل .

هذه هي اعم اركان نظرية الروحيين ، ففحصها تجريبيا هو تطبيق الاسلوب العملي عليها والبحث عما اذا كانت مما يمكن اثباتها بالحس كما هو منطوق النظرية فتعد من ضمن العلوم التجريبية وتدخل في مصاف المعلومات الحقة أم لا ، فنلظ الى عالم الآراء والفروض التي تناولها الشكوك وتتحكم فيها الرب ، وأما فحصها فلسفيا فهو مقابلتها بقوانين العلوم المنطقية ليرى هل تنفق مع دستور العقل ولا تجافيه في شيء ام تعالي عليه فيكون ذلك حجة للذين يدعون ان المصدقين بهذه النظرية مصابون بنوع من الخلال العقلي كما زعم ذلك في اول ظهورها كثير من رجال العلم ومنهم الاستاذ الكبير اكبر علماء الجرائم ( لوهبروزو ) ثم رجع عن رأيه بعدما فحص المشاهدات التي تؤيدها وكذب نفسه في كتاب ألقه في ذلك وقد نقلنا عنه في الفصل الماضي من مبحث ( ما وراء المادة ) الجملة الجميلة التي ختم بها بحثه .

أما فحصها ادبيا فهو النظر في مبلغ تأثير هذه النظرية على الآداب والاخلاق تعديلا أو تضاملا . فقد زعم في اول ظهورها كثير من رجال العلم أنها ستعيد سلطة الاوهام والخيالات التي كانت سائدة في القرون الوسطى وستحبي صناعة السحر والطلاسم التي أفسدت عقول العامة وخاصة قرونا طويلة ، وستؤثر تأثيرا سيئاً على العقل الانساني الذي بذل العلم جهده في انقاذه من أياب الاضليل المظلمة والرموز الخالصة وأخرجه إلى عالم الوضوح

والجلاء . هذا ما كان يثر به بعض العلماء ولسكن ظهر أن الامر بخلاف هذا فقد شوهد أنها أنقذت من محارات اليأس نفوسا هلكي وخلصت من غمرات التعاليم المادية الاحادية أفئدة غرقى ، ونشرت على الانسان فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر نورا ساطعا أرته به أن للحياة غايات أكمل وأجل من وقف القوى على الشهوات البهيمية ، وعدم المبالاة فى جلب المال بازهاق الارواح البشرية ، وقد قوى هذا الرجاء فى القرن العشرين فاصبح الناس ينتظرون اشراق عصر جديد يسترد الانسان فيه من الدين الحق ضالة روحه ، وتسترجع نفسه باسم العلم من كرائم العقائد أنشودة فواده ، حتى يستقيم على صراط الفطرة الصحيحة ، ويستثير من كنوز معناه جماله الانسانى ، وكاله الروحانى ، فيعيش على الارض ملكا فى شكل إنسان ، لا جانا فى صورة حيوان . ومن بعش بر والسلام .

### استحضار الارواح والتنويم المغناطيسى

جاءنا من حضرة الوجيه الفاضل ابراهيم حسن أفندى بارود من أعيان ( صور ) من مدائن سوريا كتاب يقول فيه « من الاطلاع على ( الاسلام فى عصر العلم ) تبين أنكم نشرتم فى ( الحياة ) كيفية التنويم المغناطيسى واستحضار الارواح وبما أن كثيرين من قراء ( الاسلام فى عصر العلم ) لم يطلعوا على ( الحياة ) فقد اقترحوا علينا أن نستمد منكم كيفية حدوث هذا العلم ومن الذى اخترعه ولأى درجة وصل اليها ، وهل حصل سؤال للروح المستحضرة عن البرزخ أى برزخ الارواح وبأى هيئة كانت تحضر الروح الخ »

(الجواب) التنويم المغناطيسى كان معروفا عند المصريين الأقدمين ومستعملا

في هياكلهم ، وكذلك في تاريخ السكندانيين وغيرهم ما يدل على وجوده عندهم  
أما في أوروبا فلم يظهر إلا سنة ( ١٧٧٥ ) بواسطة الدكتور الألماني  
( مسمر ) فقد قرر بأن في الإنسان سيالا مؤثرا سماه ( المغناطيس الحيواني )  
لا يعرف كنهه ، ينبعث من الإنسان بارادته و يؤثر على الأشياء والأشخاص  
تأثيرا خاصا . وقرر أن كل الناس متمتعون بهذا السيال المؤثر ولكن  
على اختلاف في الدرجات . فلفي هذا الدكتور من ملحدى زمانه ما يثبط  
الهمم ويهد العزائم لأنه كان ضد تعاليمهم ولكنه ثبت في مركزه وأخذ  
يطبب بواسطته المصابين بأمراض عصبية بواسطة التأثير عليهم به وإيقاعهم  
في نوم حقيقى . ولما كثرت الكلام فيه قام بفحصه رجال من أهل العلم  
فصادقوا على قول مسمر ثم زاد أنصاره حتى صار فيه مثل الاسانذة  
الكبار شاردل و ( شانيه ) و ( ده پوتيه ) و ( برون ) و ( شاركو ) ولم يزل  
هذا الفن يجاهد اضداده حتى فاز عليهم ودخل اليوم في العلم الرسمي قال  
( جه . دولن ) في كتابه ( المذهب الروحى أمام العلم ) : « اما الآن  
فقد حصل فى صالحه رد فعل عظيم . فانك ترى الجرائد على اختلاف  
صبغها وأما كنهها والمحلات الطيبة مشغولة بالمشاهد العجيبة لئن التنبؤم  
المغناطيسى . »

وقال الاستاذ ( شاركو ) وهو العلم الفرد فى العلوم الطيبة فى العالم « النوم  
المغناطيسى عالم تجد فيه بجانب المشاهدات المحسوسة المادية التى تنطبق على  
علم الفيزيولوجيا أشياء أخرى خارقة للطبيعة لم يستطع أحد تفسيرها لآن  
ولا تنطبق على أى قانون تشريحي . »

هذه الخوارق للطبيعة التى يتكلم عنها الاستاذ ( شاركو ) تثبت وجود  
الروح بطريقة لا تحتمل الشك قال الاستاذ ( بيو ) فى كتابه ( المحاطبات

على المغناطيس الحيوى : « النوم المغناطيسى يثبت وجود الروح وخلودها ويبرهن على امكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة بأخري لم تزل مكتسبة بالمادة »

الك محاورة بين منوم ومنومة نقلها الاستاذ ( شاردل ) المذكور آنفا قالت المنومة : هل تسمع ماأمرني به ؟ فقال الدكتور من هو الذى يأمرك ؟ فقالت هو . أأست تسمعه ؟ فقال كلا . لم أسمع شيئا ولم أرأحدا : فقالت : حقيقة ، لانك نائم اما انا فيقظى . فقال لها الدكتور : كيف ذلك ؟ ادعين انى نائم وانك يقظى مع انك تحت تأثير ارادتي في الحالة المغناطيسية ، انك تتوهمن انك يقظى لكونك تكلميننى وانك متمتعة بنوع من الارادة ولكنك في الحقيقة لاتستطيعين ان تفتحي جفنيك . فقالت : انى اكررك القول بانك انت النائم . وأنا بالعكس يقظى تماما على مثل الحالة التي سنكون عليها جميعا يوما . لافسرلك ذلك : ان كل ذلك الذي تستطيع ان تراه انت ليس الا أشكالا غليظة مادية فلا يمكنك ان تميز الا اشكالها الظاهرة ، ولكن جمالها الحقيقي محبوب عنك تماما . اما انا في حالة وقوف وظائف اعضائي الآن وفي حالة حرية روحى من علائقها الاعتيادية فانى أرى ماهو مستور عنك واسمع مالا يمكنك سماعه وافهم كل ماهو غير مفهوم عندك . الى ان قالت : وانى بمجرد الارادة استطيع ان اسمع الاصوات البعيدة عني ولو كان بيني وبينها مائة فرسخ وبالاختصار فانى لأحتاج ان تأني الاشياء الى بل انا اذهب اليها حيثما كانت وأحكم على حقيقتها بطريقتة اضبط مما يحكم به عليها أي انسان آخر لايكون في الحالة التي انها عليها اه (١)

(١) هذا ما يفسر الحديث الشريف ، الناس نيام فاناموا اتنبوا .



ونقل الاستاذ (اكرز كوف) في كتابه (المذهب الروحي وفن استحضار الارواح) ان زوجة الاستاذ الانجليزي الشهير (دومرجان) معتادة على تنويم سيدة وجعل روحها تخرج من جسدها وتذهب الى المحل الذي تعينه لها . فقالت لها يوما وهي تحت تأثير المغناطيس : اذهبي الى منزلي الذي كنت اسكنه سابقا . فقالت المنومة : قد فعلت وطرقت الباب بشدة . قالت زوجة الاستاذ : فذهبت في اليوم التالي لأن تأكد من صدقها وسالت عما حصل في تلك اللحظة فاجابني السكان بأنهم سمعوا طرقا شديدا على الباب فذهبوا اليه فلم يجدوا أحدا فعلموا ان ذلك فعل اشقياء الاطفال . يقول الاستاذ (اكرز كوف) ان هذه الحادثة وامثالها تثبت بطريقتة لانقبل الشك ان للروح وجودا متميزا عن المادة وانها تستطيع ان تعمل مايعن لها بنفسها .

(لها بقية)

## اقتراح من مجلة المنار

اقترحت علينا (مجلة المنار) الغراء أن نذهب الى أوروبا ونفحص بأنفسنا مسألة استحضار الارواح وقالت ان ذلك امنية الكثيرين ونحن نشكرها ونشكرهم على هذه الثقة بنا الا أننا نرى أن الافضل من ذلك أن نتعقب نتائج ابحاث العلماء فيها ومقارنتها ببعضها كما تفعله في كراسه (ماوراء المادة) تقلا عن كبار رجال العلم في العالم لتنتجلى لنا ان شاء الله من وراء ذلك حقيقة المسألة من مجموع تلك الجهودات المجتمعة . ولا يظن القارىء ان بحث هذه المسائل من السهولة بحيث يستطيعه أحدنا في أثناء سياحة واحدة أو سياحتين الي تلك البلاد . كلا فان الذي يريد أن يطبق عليها أسلوب العلم العملي لاتكفيه في ذلك السنة ولا الستان درسا وتجربيا

مع الانقطاع لها تماما ومن العلماء الذين نتقل أقوالهم من بحثها نحو من ٣٥ سنة مثل الاستاذ الطائرالصيت ( وليم كروكس ) الانجليزي ومنهم من خصها في ١٥ سنة مثل العلامة ( اوكن ) ومنهم من زاوها اثنتي عشرة سنة مثل الاستاذين ( هودسن ) و ( هيزلوب ) واخوانهما من أعضاء جمعية المباحث النفسية . وكتب الاستاذ الجيولوجي الانجليزي ( باركس ) في مجلة ( اتلينس اوف انفستيجيشن انتمودرن اسيريتو اليزم ) يقول : انه قبل ان يعتقد حقية الاسيريزم قرأ كل كتاب الف للدفاع عنه أو في دحضه وجادل كل متكلم فيه ثم جرب مشاهداته بنفسه مدة عشر سنوات . قال و بعد هذا كله استطعت ان اتكلم في مشاهداته واخطب بعلم ودراية .

لهذا لانجد من الفراغ مايسمح لنا يبحث هذه المسائل بانفسنا فلنستفد من غيرنا ممن وقفوا حياتهم لها وليس من الحكمة ان لا يصدق الانسان الاميراه بنفسه فان عمره لا يكفي لسبر غور فن واحد فما بالك بمجموع المحاولات الانسانية كلها . وای شهادة على صحة الخوارق الروحية اكبر من نقل اقوال الذين كانوا بالامس يفخرون بانهم ماديون فاصبحوا يصيحون بانهم كانوا مغرورين وانهم أصبحوا مؤمنين بيوم الدين .

## باب المسائل

كتب لنا حضرة الشاب المهدب الغيور أحمد حمدى بك أحد طلبة مدرسة الطب المصرية يسألنا رأينا في نتيجة المناظرة التي نارتها بين متخرجي مدرسة الطب أيام كانت دروسها تلى باللغة العربية وبين متخرجيها بعد دخولها في شكلها الجديد أى يتدرس العلوم فيها باللغة الاجنبية . يسألنا

حضرته بصفته أحد المتناظرين في هذا الموضوع ممن كتبوا فيه المقالات الضافية الذبول في المؤيد وكان لمقالانه تأثير كبير اختلفت آثاره على الجمهور

نقول اننا تدبنا حركة تلك المناظرة بين الفريقين تبعاً أتاح لنا الاشراف على جهات القوة والضعف في كليهما على قدر ما وصل اليه علمنا ونستطيع اليوم بغاية السهولة أن نكتب عنها نبذة انتقادية نسردها فيها صواب الفريقين وخطأهما وتدعوها بعد ذلك إلى الصلح والوئام من أعم غاياتهما كما يفعله الحكم الذي يعين للفصل بين متقاضيين . ولسكتنا نرى ذلك عديم الفائدة ولا ينطبق على اسلوبنا في ابحاثنا فاننا لا نود أن نصرف مجهوداتنا الا على العموميات التي تندرج فيها الجزئيات اندراج الفرع في الاصل ، أى أننا لا نحب أن نشغل من كل مسألة الا بدستورها الاساسي الذي تنتزل منه القوانين التي تسيطر على الجزئيات على كثرة أشكالها وتطوراتها . وبما ان السؤال الذي نحن بصدده يتعلق بالمدارس ونظامها فقد رأينا ان نأتى على فكرنا في العلم والتعلم والتعليم أى على الدستور الذي يجب أن تنطبق اصوله عليها ، ومنه يعرف قراءنا رأينا على كل مسألة من هذا القبيل .

لا مشاحة في أن في الامة نهضة الى التعليم وحرثة تزعجها الي التريية تشبه نهضة المريض الى تعاطى الدواء وحرثته لتسبم سمات الشفاء ولسكتنا مع اعجابنا بهذه الروح الجديدة نرى أنفسنا واقفين أمامها موقف الوجمل وهو تناقص في الشعور ليس تفسيره بالامر الصعب . فاما الاعجاب فلكوننا أمام نهضة دافعة وحرثة سائقة تشير الي أن فينا نوطا من الحياة وأما الوجمل فلمعرفتنا بان ما كل دواء بدواء ، وان أنكأ ما يصب المريض في علته دواء لا يلائم حالته ولا يناسب مزاجه لانه لو ترك ونسه فر بما

تغلبت قوة الحياة السكامنة على اعراض المرض وأصوله فاجلتهما عن الجسم بدون علاج ، وأما الدواء غير المناسب فانه ان لم يؤخر الشفاء فربما أمد مادة المرض وقوى تيار العلة وأودى بالحياة على صفة لا تنتظر .

في الشرقيين ناس يهتمون نتيجة التعلم ويذمون أثره و يقيمون على صدق مزاعمهم كثيرا من البراهين ويسردون لذلك عدة من الاحصائيات ، يقول قائلهم مثلا : انظر الى البلاد قبل ظهور المدارس وعد ما كان فيها من محلات المسكرات والملاهي والمواخير والقهاوى ثم انظرها اليوم وعد ما شيد فيها من قسور المقامرة والفسوق والشراب وانظر الى القهاوي واحسب ان استطعت من يتردد عليها من ابناء البلاد وما يسيل من جيوهم فيها من اللجن والنضار وما يستهلك فيها من خلايا الحياة ، تجد الامر مما يذيب الفؤاد امي ويذهب باللب كذا ثم يقول لك انظر الى أصحاب الاطيان الواسعة من الفلاحين كيف اسنهمواهم زخرف المدارس فحشروا اليها اولادهم زمرا زمرا فنشأوا على صفة لا تنفق مع حاله عائلاتهم فغادروا الزرع والضرع وكلفوا بخدمة الحكومة بدل أن يحلوا محل آبائهم في القيام بتدبير ثروتهم الطائلة واقتنوا بمعاهد البلاد الاجنبية فأموها افواجا افواجا يذهبون ثقلا فيعودون خفافا حتى اثقل الدين كاهل الاطيان واصبح أكثر من ثلاثة ارباع البلاد رهنا لعدة من المرابين وصارهم التلاح سواء كان صغيرا أو كبيرا بذل مهجة الفؤاد في الشغل في سبيل ( البنوك ) فكانت نتيجة المدارس والحالة هذه تبديدا مجعته الاباء والاجداد وازهاق روح البلاد ولو قلت لهذا القائل ليست هذه نتيجة المدارس ولكنها اثر البذخ الهائل الذي سري ميكروبه فينا ودفع الناس لتقليد الاجانب في زخارف المدينة الجديدة لصاح بك على الفور قائلا : ومن أين سري لنا هذا الميكروب وما هي الخلية الاولى التي أصابها

فعدت لنا عدواها ؟ اليس ممن تربوا في المدارس وزعموا أن لا حياة لهم الا في التقليد والانطباع بالطابع الجديد هب انهم لا دخل لهم في ذلك فابن اثرهم في إيقاف هذا التيار ولماذا نراهم اطوع من الجاهلين الى تقحم هذا العار ؟

هذا ما يقوله غير واحد من المغرمين بالبحث في الشؤون العامة ويوافقه عليه الكثيرون . ولكننا لا نأثره في إيقاف تيار الاندفاع في التعليم وربما كان ابن هذا المعترض الشديد الشكيمة من ضمن طلبة احدي المدارس وأول المسوقين للتقليد ، مما يدل على ان في الامة سوقا قمر يا الى الحركة ودافعا ذاتيا يدفعها عن الوقوف . فالامة في مثل هذه الحالة في غاية الحاجة الى اطبائها العمرانيين الذين يهدونها الى امثل الطرق التي يجب اتباعها في حركتها الجديدة لئلا تكون كالمريض يدفعه الكف بحياته الي تلمس الدواء لعنته فيسلك له الطرق الموبقة ، ويلقى بنفسه بين يدي كل من شام منه بارقة العلم ولم يتند في الدواء الذي يعطى اليه ليعلم ان كان معلوم التركيب أم مجهوله ، محضرا على نسب مضبوطة بين العقاقير أم معمولا كيفما اتفق .

إذا دخلت الامم من حياتها في مثل الدور الذي نحن فيه كان من أهم واجبات أطبائها العمرانيين القيام لقيادة حركتها إلى طريقها الا مثل صيانته لها من أن تذهب قتيلة أشرف عواطفها وهي عاطفة طلب العلم وليس هذا بعجيب فرحم الله شيخ المعرفة حيث يقول :

أفضل ما في النفس يعتاها « فنستعيز الله من جنده

هذا الدور من الأمم يشبه دور البدء في الاكل للاطفال وهو دور حرج جدا يودي بحياة اطفال لا يحصى لهم عدد من جراء جهل أهليهم

بقوانين التغذية والامة في هذا الدور لا تفرق من حيث حرج المركز عن أولئك الاطفال في شيء . فكما ان الطفل متى دخل في ذلك الدور ينشأ فيه ميل لتناول كل ما يعطى اليه من غير تمييز لما يضره أو ما ينفعه كذلك الامة في مثل هذا الدور من حياتها تدفعها الضرورة الاجتماعية و يظهر في افرادها سابق شديد لتغذية أفكارها بالعلم والمعرفة من غير تفرقة بين ما يضرها وما ينفعها منه وتكون النتيجة عليها من جراء ذلك صلاحا أو فسادا مثل نتيجة على الطفل سواء بسواء . فكما ان هذا يلتهم كلما يقدم اليه مهما كان نوعه و يزيده الافراط وعدم التدبير نهما فيفرح بذلك أبواه الجاهلان ظنا ان ذلك مما يكسبه قوة وصحة فيخيب ظنهما عند ما يروا اعراض التزلت المعديّة والعوية قد ساقته إلى أخرج المواقف بالنسبة لصحته كذلك الامة تزداد في هذا الدور نهما للعلم وشرها للمعرفة فيفرح بذلك محبوها ممن ليس لهم بصيرة في تربية الامم فلم يلبثوا الا عشية أو ضحاها حتى يروا أن النتيجة قد جاءت على غير ما ينتظرونه من نجاحها في ميدان الحياة فيقفون حيارى أمام هذا المنظر المدهش و يذهبون في تعليله كل مذهب ، والحقيقة هي ما نقول من أنه يجب مراعاة التناسب التام بين سن الامة ونوع العلم الذي يلقي اليها . أنا لا أنكر أنه يوجد من الناس من يشك فيما نقول ولكنهم بذلك يمثلون الآباء والامهات الذين يهزأون بقول الطبيب إذا نصحهم بتقليل الاطعمة الدهنية لولدعم أو بقطعها عنه بالمرّة لأمد معين و يقولون كيف ينصحنا هذا بعدم اعطاء ولدنا لحما وهو الغذاء المقوى الذي لا يعادله غذاء آخر في إيجاد القوة والعافية ، فيستمرون على أسلوبهم في تغذيته فتزداد حالته خطرا يوماً بعد يوم ، ولما يحسون بسوء المغبة يودون أن يصدعوا بأمر الطبيب و يبتدئون في قطع ذلك الغذاء عنه ولكن هيات

فان النهم والشره يكون قد بلغ من ولدهم حدا لا يستطيعون معه منعه بوجه من الوجوه ولا يزالون يتحملون منه أشد العذاب حتى يموت قتيل عدم مراعاتهم التناسب في تغذيته . هذا حال الطفل ومثال الامم في مثل هذا الدور لا يفترق عنه في شيء . وهل المصريون اليوم الا أكثر الناس مشاهدة لنتائج عدم مناسبة التعليم لبنينهم لما يرونه يومياً من المراني المحزنة والآثار السيئه .

فلا غرو بعد هذا ان رأينا الامم الراقية تلتقي بنفسها بين يدي علماءها العمرانيين ليقودوها الى الطريق الذي يؤديها الى الحياة الكاملة بما وصلوا اليه من العلم . فان حياة الانسان الشخصية والعمومية تابعة لقوانين ثابتة وسنن مقدرة « قد جعل الله لكل شيء قدراً » وقد وهب الانسان القدرة على البحث عنها ومعرفة ما بخلاف الحيوان فانه مطبوع على قوانينه فما دام لا يبحث عن تلك السنن لينصاع لاحكامها فيكون قد أراد أن يشبه الحيوان فيعيش كما يحىء لا كما يجب وتكون حياته سلسلة من حوادث مضطربة وهو بينها كالريشة في مهب العواصف يستخط على بخته ويشكو مصائب الدنيا بينما تكون الامم المجاورة له ممن هدوا الى سنن الحياة في صفاء من العيش فيذهب فكره المذاهب المختلفة وربما كفر بعقيدته الحقمة من جراء ذلك مع أن دواه فيها ، أليس يقول كل يوم « اهدنا الصراط المستقيم » و« لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

لهذا نرى من واجبتنا اتهام فرصة السؤال المتقدم لا يرد دستور التعليم قياماً ببعض ما يفترض علينا في مثل هذه الاحوال واذا رأى قارئنا خرجنا عن دائرة الموضوع فلنا العذر البين في ذلك ولينتظر المقالة لآخرها وربما وجد فيها بلال العلة وشفاء العلة ان شاء الله تعالى .

## باب المسائل

سألنا طالب نجيب عن فكرنا في موضوع المناظرة التي حصلت في جريدة المؤيد بين طلبة مدرسة الطب قبل نظامها الجديد وبعده وقد أجبناه في الملحق الماضي ووعدناه بإيراد دستور التعليم وهو بحث سيرمي الى مدى بعيد ويطوح بنا الى كثير من المسائل العمرانية ولكننا نرجو من ورائه فائدة كبرى ان شاء الله فنقول :

الغرض من تعليم الامة هو هداية أفرادها الى سنن الحياة وتعليمهم أساليب المسكافة والجهاد في هذا العالم ليصلوا بذلك الى ما قدر لهم من سعادة مادية وأدبية ويؤدوا الامة بمجموع مجهوداتهم الى حالة من الوجود تكون فيه قدرة على حفظ استقلالها وشخصيتها في وسط هذا المعترك الحيوى الهائل . اذا ثبت هذا فيكون من الواجب أن يعلم القائمون بالتعليم والداعون اليه ماهية الاسم وموتها ليكونوا في تعليمهم الامة على بينة مما يحاولون ويرمون اليه تحامياً من أن يأتوا البيوت من غير أبوابها فلا تكون لاسعمالهم نتيجة أولها نتائج مضادة لما كانوا ينتظرون ، ولذلك نقول :

أثبت لنا علم العمران أن الامم كالأفراد تولد ثم تدخل في دور الشبوية وتبلغ أشدها ثم تسكتهم فتقف عن النمو ثم تهرم ثم تموت لاحالة « لكل أمة أجل اذا جاء أجهلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » وان أردت بص هذا الناموس من علم العمران فإليك : قال ( درابر ) استاذ بسكية نيويورك باميركا « الامة كالقرد تولد على غير علم منها وتموت على كره منها وكثيراً ماتموت وهي تكافح الموت وتقاومه . فالحياة العمومية إذن لا تفرق عن الحياة الشخصية الا في كون مداها أطول ومدتها أفسح .



ولكنهما مع هذا لا يستطيع أبداً أن تتخلص من شرب ذلك الكأس الحتم  
فكل أمة متى نظر إليها من هذه الوجهة التاريخية فلها طفولية وشبوية  
وكهولة وشيخوخة ، هذا إذا لم يعرضها عارض فيمنعها من متابعة سيرها  
الطبيعي في أدوار حياتها . » انتهى

كأن للفرد الواحد في كل دور من أدوار وجوده شأنًا خاصًا يستدعي  
عناية خاصة وتربية خاصة بحيث لوجهه القائم بالتربية لنشأ الفرد على صفة  
نافصة أولمات وتلاشي قبل بلوغ كاله النوعي ، فلا مشاحة في أن للامم مثل  
ذلك بل خطب الامم أشق وأصعب . وكأن ادراك دقائق التربية الفردية  
لا يحسنه إلا رجال انقطعوا لها وعمقوا فيها يسمون الاطباء ، فكذلك تربية  
الامم تستدعي أن يكون لها عرفة خبيرون وأطباء نظاميون وهم كما ثبت من  
التاريخ الانبياء والمرسلون ومن أخذ أخذهم وحذا حذوهم من كبار أفراد  
النوع الانساني . هذا من البداية المسلمة لدى الامم الحية فتراها تجبوا أولئك  
الرجال من رسوم الاجلال والاعظام ، وتؤدي لهم من واجب الطاعة  
والاكرام ما تضمن به على ملوكها وقادة مصالحها ، وفي تاريخ آباءنا الاولين  
في حبهم لعلمائهم العاملين وما يفعلهم أمام أعيننا الاوروبيون من كبار أطباءهم  
العمرائين عبرة للمعتبرين .

ما هي حياة الفرد الواحد وما هو موته ، وما هي حياة الامة وما هو موتها ؟  
يقال ان ذلك الانسان حي اذا كان فيه ذلك السر الالهي المسمى ( روحا )  
ويستدل على وجوده فيه برؤية أعضائه مؤدية وظائفها الخاصة على النحو  
الذي خلقت لاجله وبأنه اختياراً واردة . ويقال انه ميت إذا لم يكن فيه  
ذلك السر الالهي بأن كانت أعضاؤه واقفة عن تأدية وظائفها وإرادته  
واختياره معدومين .

ويقال ان هذه الامة حية إذا كان لها رابطة تربطها وتضم أحادها وتوجه كل أميالههم وعواطفهم الى غاية مشتركة ، ويستدل على وجود الرابطة العامة فيها بشعور كل فرد منها بمجموعه ووجود نفسه مسوقاً ومرغماً على التفكير في امته واشتغال باله بامورها الخاصة والعامة ، ومدفوعاً بدافع قاهر للعمل على ما يجعلها متمتعة بأرقى ما يمكن من سعادة مادية وأدبية . وبالعكس يقال ان تلك الامة ميتة إذالم يكن لها رابط تربطها لاديني ولا جنسي وكان كل فرد منها مشغولاً بنفسه لا يتعدي همه محيط جثمانه ، يائساً من رقيها وفلاحها ، قانطاً من عواملها الذاتية وحياتها الكامنة ، ومتهافتاً على التبرؤ من الاعتراف اليها والانسحاب الى أصلها ، وأدل دليل على أن أفرادها كذلك أن لا نزي لها اختياراً ولا ارادة ، ومن أين لها ذلك واختيارها هو مجموع اختيارات أفرادها وارادتها هي ملتبقة قوى ارادتهم ، فتكون أمثال هذه الامة والحالة هذه مرغمة على الدخول في كل شكل تقاداليه وتندفع فيه ، وتري نفسها مرغمة على قبول أى حال تساق له وترج اليه .

وكما أن علوم الطب عاجزة عن اعادة الحياة للشخص الميت فكذلك يعجز علم العمران عن ارجاع الحياة الى الامة الميتة ( وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون )

هذا هو معنى الحياة والموت في الآحاد والامم فهل نحن امة حية ؟

( هل نحمه أم نهيه؟ )

نعم نحن أحياء في المجموع ولو كان بعض من أعضائنا قد اصيب بشلل اجتماعي عسر الشفاء لانه مادامت الحياة كما قررنا من علم العمران هي الرابطة فلا يزال شق عظيم مناوهم العامة وأصحها الخاصة فهم رابطة قوية وهي الدين وان كان مشوباً بما ايس منه ، لأن المدار على وجود الرابطة لا على نوعها .

وفي العلم الاجتماعي ان شرذمة من اللصوص التي تضم آحادها رابطة السلب والسبي أحياء وأصلح للبقاء من أي طائفة أخرى لارابطتها ولو كانوا من العلم والتهذب في المسكانات العلى . العلم يسم الأولين بالحياة مهما كان نوع رابطتهم ويصم الآخرين بالموت مهما كانت صفاتهم ومزاياهم ، لأن محض انضمام الأولين وتلاصقهم ببعضهم بحكم قانون الترقى لترقية نوع رابطتهم . أما الآخرون فمحض عدم الثمامهم يقضي عليهم بالتناذب والتخالف أو بالأقل يشتت مزاياهم شذرمذرى فلا تؤدي لغاية ثابتة وطبيعة الحياة الانسانية تأتي هذا النحو من البقاء فيفنيهم الخالق حفظاً لنظام الوجود وصونا لدستور الخليقة .

إليك مثالا باهر أبصورك كيف تترقى روابط الامم تحت تأثير ناموس الرقي العام : لما حاصر قدماء اليونانيين في القرن الثامن قبل الميلاد مملكة ترودة عشرينين ثم أحرقوها بالنار تفرق أهلها شذرمذرى فجاءت شرذمة منهم الي جهة من ايطاليا على بحر الأدرياتيك وألقوا بها عصاهم ولم يكن يربط آحاد تلك الشرذمة في ذلك الحين إلا أبسط الضرورات المعاشية التي كانوا ينالونها من الغارات على الامم المجاورة لهم ، ولما اطمان جانبهم وأمنوا الهلاك جوعا مالوا لأن يكون لهم نساء كما هي سنة الطبيعة فلم يجدوا طريقة أمثل في نظرهم من السبي فأعلنوا الامم المجاورة بأنهم سيحتفلون بعيد لهم وسيظهرون فيه من عجائب الألاعيب وفنون الفروسية ما يرتاح اليه البصر وتنبسط منه النفس فهرع الناس الي المكان الذي عينوه نساء ورجالا وأطفالا ، فانهم لمجموعون يتفرجون واذا بفرسان تلك الشرذمة اقتضوا على النساء اقتضاى النسور على فرائسها واختطفوهن من بين يدي أزواجهن وآبائهن خطفا وفروا بهن إلى معاقلمهم وغيراتهم ومضت عليهم القرون فتناسلوا وكثروا

وصاروا أمة أغارت على من حولها فد وختهم ولم تزل تلثمهم الأمام والشعوب حتى صارت أكبر أمة ظهرت في العالم بعد الامة الاسلاميه وأصبحت تدعى امة الرومانيين التي لم تزل علومها ومعارفها تدرس في مدارس العالم لليوم . هذه النظرة التاريخية تدل على محسوسة على أن المدار في حياة الأمام على وجود رابطة ماتضم آحادها ولا عبرة بنوعها فانها تترقي على مدى القرون حتى تصل لأرقى ما يتصوره العقل ومن يتصفح تاريخ الأمام ير أن كثيراً منها ارتقى من رابطة اللصوصية الي أرقى رابطة اجتماعية جنسية .

إذا أسسنا هذا الاصل ساغ لنا أن نقول ان أحيا طائفة في أمتنا اليوم هي طائفة العامة فان لها رابطة عظمى هي رابطة الدين وان كانوا دخلوا اليه ما ليس فيه أو أدركوه تلى غير حقيقةته وذهبوا به عن نقائه الجوهرى . فهم والحالة هذه أصلح للبقاء من أهل الخاصة الذين انسحروا بزخارف الصناعة الغربية وخلعوا أطواق الدين من أعناقهم وأصبحوا لا يعرفون لهم رابطة تربطهم ولا وشيجة تضم أشقاتهم ، وأضحوا واليأس قربن عقولهم ولزيم عواطفهم . ولو ترك العامة وشأنهم لارتقوا بحكم القانون العمراني الي أرقى درجة من درجات الاجتماع ولكن هل يستطيعون أن ينجوا من غوائل خاصتهم ؟

### ( العامة والخاصة )

العامة في كل أمة من أمة المسكونة تبع لاهل الخاصة في عقائدهم وعاداتهم ومدركاتهم ، وزيد بالخاصة من رفعة العلم أو المال الى منصة ممتازة . أما السبب في كون العامة تبع لاهل الخاصة فهو لأن هؤلاء بوجودهم في مقدمة الأمة يكونون عرضة للالتياث قبل غيرهم بالاصابات الاجتماعية

والفتن العمرانية ، والنظر المجرد في تواريخ الامم البائدة يرتبنا أن الداء الذي لاشاها لم يأتها الا من قبل أهل خاصتها . فالالحاد الذي نزل عرش ملك اليونان وفساد الاخلاق الذي نسف صرح الرومان كان منشأه الخاصة ثم سرى منهم الى العامة وقد أشار الله تعالى الى هذا القانون الاجتماعى الكبير بقوله « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » وقوله تعالى « ربنا اننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا »

أما اذا أرا- الله أن يتدارك امة برحمته فيعيد اليها الحياة فلا يكون ذلك الا بواسطة العامة لا هم بعدم عن مناشي . الفتن الاجتماعية يكونون أبطأ تأثراً بانواع الفساد العمراني من أهل الخاصة ، فانه في الوقت الذي يكون فيه الترف والبذخ قد استوعب قوى أفراد الطبقة العليا من الشعب تري أنه لم يزل في الطبقة الدنيا رجال أحياء لم تصبهم جرائم الفساد مطلقا و يصلحون لأن يكونوا خلايا أولية تنبئ بهم بنية جديدة للامة ذات مزاج غير مزاجها الاصلى ، ومن يتصفح تاريخ العالم ير أن كبار المصلحين وخصوصا الرسل عليهم السلام لم يطأمنوا من كبر الاءعلياء ، ويكسروا من شره الاءقوياء الا بالعامة . وبهذا السر العمراني خاطب الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام حينما أراد الخاصة أن يجعل لهم وقتا يجتمعون به فيه دون العامة أنفة من المساواة فقال تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » وقد حكى الله حال الخاصة مع الاءنبياء وأفتهم من الفقراء والضعفاء مع أنهم مادة الحياة وجرائم الفلاح فقال تعالى عن قوم نوح « قالوا أنؤمن لك

واتبعك الازدولون ، قال وما علمى بما كانوا يعملون ، إن حسابهم الا على ربي لو تشعرون ، وما أنا بطارد المؤمنين ، إن أنا الانذير مبين» وقد اغترف أمير المؤمنين على بن أبي طالب هذه الغرفة الروية من الحوض الالهى الا قدس فكتب في عهده للاشر النخعي حين ولاه مصر يقول : ( وليكن أحب الامور اليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يحجف برضى الخاصة - أى لا يتنفع رضى الخاصة إذا سخط العامة ) وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة ، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤونة في الرخاء ، وأقل معونة له في البلاء ، واكره للانصاف ، واسأل بالاحاف ، وأقل شكراً عند الاعطاء ، وأبطأ عذرا عند المنع ، وأضعف صبورا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة . وانما عماد الدين ، وجماع المسامين ، والعدة للاعداء العامة من الامة ، فليكن صغولك لهم وميلك معهم )

هذه الحكمة الباهرة رشفة سائغة من بحر العلم الالهى الزاخر الذى أفاضه الله علينا فى كتابه الكريم وغفلنا عنه وسيأتى يوم يرى الناس عموما أن قوانين الاجتماع كلها منعكسة من شمس القرآن ، فسيقولون نواميس قرآنية بدل قوانين عمرانية ومن يعيش ير .

( لها بقية )

## الحج

جاءنا من حضرة الابدب أمين افندى عمر بنظارة المعارف العمومية كتاب يسألنا فكرنا فى الحج وعن حكمة كونه ركناً من أركان الاسلام ،

وعن الفوائد المادية والادبية التي تعود منه على المسلمين . فنحيب حضرته :  
الدين الاسلامي كله أسرار وعجائب ويكفيك دليلاً على كونه أكبر  
آيات الله في هذا العالم أنه تعالي كون به في بضع وعشرين سنة امة أحدثت  
في الوجود أكبر وأعظم الحوادث الاجتماعية والانتقالات العمرانية، وتربعت  
في دست خلافة الله في الارض قروناً كثيرة كانت في خلالها أنجوبة العالم  
الانسانى دنيا ودينياً ، ورفعت أعلام الحرية والاخاء والعلم الى أعلاما يصل  
اليه امكان البشر ، ولم تزل لليوم حية حياة قوية وان كانت كامنة كمونا  
وقتماً يظهر من ذلك انتشار نفوذها الروحاني في كل الامم بصفة تبشر  
بضرورة رجوعها الى مجدها القديم والقبض على زمام أمور النوع البشرى  
كله بتلك اليد الرحيمة التي خلصته بها من قتلة عواطفه من قبل .  
كل أصل وركن وفرض وسنة من هذا الدين تحمّه أسرار وأنوار تعوز  
الدرس الطويل والشرح الضافي والبحث العميق ، ويدل عليه دلالة محسوسة  
انتقال العرب بمجرد العمل بها من حالتهم الأصلية الى حالة اخري أقل  
ما يقال فيها أنهم أصبحوا بامتلا يضرب في الفضائل في جميع الامم حتى  
أعدى اعدائهم . وانا لترى بأعيننا أن العالم الغربي مسوق بدوافع الطبيعة  
ونواميس الحياة الى العمل بتلك التعاليم والاهتداء بنورها في حوالك  
أحوالهم ، وان كان متطرفوهم قد غالوا في التشهير عليها وصموها بما هي بريئة منه .  
هذه مسألة الطلاق التي طالما حاولوا أن يفضوا بها من أبصارنا ،  
ويخطوا من كرامتنا قد التجأوا أخيراً الى عدها علاجاً شافياً لكثير من  
التماسد العائلية التي لها أسوأ أثر في كيان الهيئة الاجتماعية ، وقد أصبح  
لديهم محاكم مخصوصة للتطبيق في كل بلد متمدنة ( ١ )

وهذه مسألة تعدد الزوجات التي كانوا يتفكحون بتزادها على ألسنتهم في مجالسهم الخاصة والعامه أصبحت الشغل الشاغل لبعض أفرادهم ممن يبحثون في ذلك الجيش الجرار من النساء اللاتي أصبحن لاعائلهن وصرن عرضة للفساد الخلقى الشديد الوطاة على النوع البشري ( ١ )

وهذه مسألة الصيام التي كان يعدها سوادهم الاعظم وبعض الاغرار منا من الولايات الكبرى على الجسد والعقل معا أصبحت اليوم لديهم اكسيرا كبيرا يداوون به الجبن الادبي وفقد عزيمة الرجولية وقد ألغوا في ذلك المكتب الضخمة . اليك ماقاله عنه الدكتور (جهاردت) في كتابه ( كيف يكون الانسان قوى الارادة ) ردا على الذين يتوهمون أن في الصيام ضررا قال « لان شك في أن معترضا سيعترض على هذا العلاج الصومى ظانا أن في الاخذ به ضررا على الصحة ، وهو اعتراض لا أساس له البتة . أما من حيث الصحة والطب فان الصيام من العلاجات التي يجب الامر بها والاعتراف بعظم فوائدها » الى أن قال متابعا في ذلك الدكتور ( ستوهر ) : « ان من الناس من كبر وعاش مقتنعا بأن طينته أرق وألطف من طينة غيره من الآدميين ، ومع ذلك فان المراقب لأحوال أمثال هؤلاء الناس لتأخذ الدهشة اذا وقف على هذا المعنى الذي لا يحل وهو أنه بينما يرى الواحد من هؤلاء قد يقع على الارض من الضعف والهزال اذا لم يقدم اليه ما اعتاده من كأس المرق يراه قبل بضعة أيام قد احتمل أعباء الرقص وتكاليفه بغاية النشاط والجسده طول الليل لغاية الساعة الاولى صباحا . »

أما الحج فلم يوجد بينهم في أي عصر من العصور من يطعن على تشريع



لوضوح فائدته وسطوع حكيمته وماله من الأثر الظاهر في بقاء جامعة المساميين حية لليوم ، وليس أحد يستطيع أن ينكر الفوائد المادية والادبية التي تنجم من اجتماع العناصر المختلفة من أمة كبيرة كالامة الاسلامية في صعيد واحد . من يريد أن ينكر ذلك فلينظر حتي في كتب أعداء الاسلام وما كتبوه عن الحج من أنه مثار الوحدة الاسلامية والباعث الى نفوس الآخذين بهذا الدين روح الانضمام والتآلف . وبما أنهم لا يريدون وجود تلك الوحدة التي تحول بينهم وبين فصح جامعة المساميين فتراهم يرون في الحج خطرا دائما على مشروعهم في حل تلك الجامعة حماها الله .

الانسان جسد وروح وهما قائمان على قسطاس من العدل الالهى بحيث أن صلاح أحدهما أفساده ينال الآخر لاحتمال فشرع الله دينه على كيفية بها كل أصل فيه يفيد كلا من هذين الجوهرين فائدة تلامه ليقوم الانسان بهذا الدستور الالهى الاقوم على صراط الفطرة الصحيحة « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج واسكن يريد ليظركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون . »

الحج هو اجتماع الالوف المؤلفة من المساميين ، المبعثرين في سائر ارجاء العالم ، المختلفين في الأجناس واللغات ، في بقعة واحدة ملين بالروح والجسم معا نداء ربهم وعم من بساطة الملابس ، والتساوى في الدرجات على صورة لا توازيها صورة في أى شرع من الشرائع ولا مدنية من المدينيات الارضية . وهم بين أمير ومأمور ، وحاكم ومحكوم ، وعربي وتركي ، وأفغاني وفارسي ، وهندي وسوداني ، وحبشي وصيني ، وأوربي ، وأوقيانوسى وبين أبيض ناصع ، وأصفر فاقع ، وأحمر قائم ، وأسود فاحم . والكل شخوص بالاعين والافئدة الى نقطة واحدة ليس في ضمائرهم الاموضوع

واحد . تركوا الاهل والوطن ، وهجروا المال والسكن ، خاضوا غمرات  
البحار الزاخرة ، واقتحموا الصحارى الغامرة ، لعبت هوج الرياح بهم  
تارة على السفائن ، ولفحتهم لوافح السموم طوراً فى السباب ، خلعوا  
عادتهم وتقاليدهم ، وغيروا لباسهم وماكلهم ، وصعدوا وهم على هذه  
الصورة التجرىدية على سطح جبل يضم أشتاتهم ويلم جمعهم ، فإذا يكون  
من أثر هذا الموقف المهيّب عليهم . وماذا تكون نتيجة هذا المنظر الفخم على  
أفئدتهم وأرواحهم ؟

لاشك أن ترك كل تلك الاشعة المنبعثة من صميم معانيهم الى غرض  
واحد ونقطة مشتركة وهم على هذه الصورة من المساواة والبساطة على قمة  
ذلك الجبل الذى وقف عليه قبلهم بناه مجد هذه الامة الكريمة من  
الشهداء والصالحين والعلماء العاملين والاولياء المقربين وفوق هؤلاء كلهم  
خاتم النبيين محمد الامين صلى الله عليه وعلى أصحابه وآله أجمعين

كل ذلك يوحى الى سرائرهم ، وينقش فى صميم روعهم ويصور لهم  
فى لباب فطرهم ، حقيقة معنى ( الله أكبر ) وناهيك برجل ( يعتقد )  
أن الله أكبر .

من يعتقد أن الله أكبر ، لا يرضخ للذل ، ولا يستكين للعبودية ، ولا يلبس  
قياده فى يد غاشم . من يعتقد أن الله أكبر لا يخاف بطش العوادي ،  
ولا يهرب قرع الحوادث ، ولا يرتعد فرائضه من نازلة مهما عظمت . من  
يعتقد أن الله أكبر لا يستعظم الاقوياء ، ولا يكبر الاغلياء ، ولا يستخذى  
للكبراء .

من يعتقد أن الله أكبر ، لا ينسحر بمدنية ، ولا يؤله أى قوة أجنبية ،  
ولا ييأس من بلوغ أمته أقصى المكنات العمرانية

من يعتقد أن الله أكبر ، كان رجلاً صحيحاً ، وانساناً تاماً ، وفاضلاً صرفاً ، لان من يعتقد أن الله أكبر لا يستبد ولا يتكبر ولا يتجبر ولا يعجب بنفسه وهي من كبرى مهلكات الانسان ، ثم لا يسرف لان باعث الاسراف حب التفرد وكيف يتفرد والله أكبر ، ولا يقتر لان موجه خوف الفقر وكيف يخافه والله أكبر . والخلاصة أنه لا يقارف دنيئة سواء كانت معنوية أو حسية لان منيرها ارضاء الهوى ، وكيف يرضي هواه من يعتقد أن الله أكبر .

نعم من كان يعتقد أن الله أكبر على هذه الصورة كان مسلماً حقاً ولو قلت ان الذي سماهم آباءنا الأولين ، فرفعهم في بضع وعشرين ، الي أعلا عليين هو محض اعتقادهم أن الله أكبر لما كنت مغاليا في المقال ، ولا ذاهبا بالقارى\* مذاهب الشعر والخيال

يقولون اذا كان هذا أثر الحج فأين نحن منه اليوم . قلنا إن أركان الاسلام كلها مرتبطة ببعضها ولا يبغي شيء عن شيء منها وقد ترك المسلمون كل تلك الأركان وبعضهم يأتيها صورة لاحقيقة فكيف تؤثر فيهم هذا الأثر الباهر الذي أحدثته في آباءنا الأولين الذين كانوا يراعونها على حقيقتها ؟ فان قيل وما سبب عدم تأثيرها فينا اليوم فنحيل القائل على مقالتنا في العوامل العمومية من الجزء الرابع وعلى ما سنكتبه في ذلك الشأن على التتابع إن شاء الله .

## استحضار الأرواح

كتب الينا حضرة الأستاذ الشيخ محمد أحمد الالفي من طوخ القراموص

يقول : « هل مستحضرو الأرواح سألوها عن كنه الروح وعلاقتها بجسد الانسان ؟ هل سألوها عن العذاب والنعيم الآخروي ؟ هل سألوها عن الاديان الصحيح منها والفاسد ؟ هل في امكانهم استحضار أرواح الانبياء والملائكة والجن ؟ هل سألوها عن المباحث الكثيرة التي تجل عن الحصر بين علماء الاديان والعمران ؟ »

الجواب استحضار الأرواح التي ظهرت في العالم الغربي سنة ١٨٤٧ تعد أكبر مدهشات العلم البشري فلاغرو ان اسلقت انظار النوع الانساني بأسره وأصبح لها من الأتباع ماينوف عن العشرين مليوناً ، ودخل فيها العلماء والكتاب والسياسيون افواجا افواجا مثبتين بحججهم وتجاربهم في أكثر من مائتي مجلة خاصة . هذا عدا عما يكتبونه في المجلات العلمية والجرائد اليومية . وكيف لا يكون لهذه المسألة هذه الأهمية الكبرى وهي التي هدمت أصول الاحاد وقوضت دعائم العناد وصدت تيار العلم المادى في أشد جماحه وأبطلت بالحس دعوى الماديين الذين انكروا العالم الروحاني والخلود وحشروا الانسان في مصاف الحيوانات العجباء بل جعلوا مصيره كمصير النباتات يولد ويفتدى ويتوالد ثم يموت وتلاشى اجزائه في ذرات الأرض ويذهب الي حيث يذهب كل شىء .

هذه التعاليم السامة كم جرحت من فؤاد ، وكم طعنت من حشاشة ، وكم قرحت من عيون واجفان ، كم باتت أم فقدت فلذة كبدها تطلظى على تنور اليأس من عود رؤيته ، وتضطرم على غضبا القنوط من احتمال بعثه ، لاجرم قد شوهدت هذه التعاليم حياة الانسان تشويها جعل فؤاد المتشبع بها منساباً لذمائم الصفات ، ومسرحاً لأفذار الدنيايا ، ومرتعاً لشياطين الأميال البهيمية التي يستحيل أن تجتمع كلها في أسفل حيوان .

هذه الصفات كلها وخلق القواد من الراحة والطمأنينة لا تمنع مانشاهده من هذا الرقى الصناعي المدهش في هذه المدينة الساحرة بل هي من أقوى البواعث إليه ، لأن النفس متي حصرت في اقفاس السامة وأحيط بها في مضائق القلق تتطلب الخلاص بكل حيلة ووسيلة وبما انها يئست من روح الدين وقنطت من السبح في سبجات أنوار العقيدة فلا تجد لها مناصا الا عالم المادة باعطاء الحواس الجنانية غاية ما تستطيع الشعور به من لذة جسدية .

تخيل اما هذا شأن أرواحها من التعطش الى العقيدة ، وتلك حالها من اليأس من وجود الأدلة لدحض مزاعم الفلسفة الحسية التي اهم أصولها لا تصدق حتي تحس ، قلنا تخيل أمما هذا شأنها من الحرمان من أشرف مسليات النفس وأكرم معزيات العواطف وهو الدين ثم تصور كيف يكون حالهم لو ظهر فيهم قائل يقول : ان أرواح الموتى يمكن أن تظهر للأحياء في شروط خاصة وتأتي من العجائب مالا يمكن الوصول اليه بالوسائل المحسوسة ولا ينطبق على نواميس الطبيعة . قل لي كيف تكون حال أولئك الغرقى في لجج اليأس الذين يطلبون مخلصاً مما هم فيه من أي سبيل كان ؟ لاشك يحدث فيهم هذا القول رجوة كبرى وحركة عظمى تستفز علماءهم لفحصها وبحثها ، أملا في اعتقادها وأودحضاها وقد حصل ذلك فانه لم يمض على هذا القائل خمسون سنة حتى أصبح مذهب مكاملة الأرواح من الأهمية بالمسكان الذي وصفناه لكم وسنزيده وصفاً إن شاء الله .

هذه الملايين العديدة الذين كانوا بالأمس لا يصدقون بشيء لا يكون شأنهم حيال هذه المسألة المدهشة كشأننا نحن معشر الذين نعتقد بعالم

الأرواح والملائكة والجن أى انهم لا يكون شغلهم فى مبدأ الامر الا التحقق من حصول ما يحصل بدون غش أو آلات دقيقة كما هو شأن المشعوذين ، ولذلك تراهم صرفوا هذه المدة كلها فى هذا البحث وهو كما لا يخفى الاصل الذى يجب الوثوق به مبدئياً .

هذا هو حال من ننقل عنهم من العلماء الكبار والفلاسفة المحققين وهم الذين نثق بهم ونطمئن لبحثهم لاستبعادنا وقوعهم فى أشرار الخيل ، و اكبرنا غفلتهم عن دقائق الآلات التي يحتمل أن تستعمل لذلك . أما من لا يفهم مثل هذه الثقة من رجال السياسة والكتاب والمحامين وغيرهم ممن يكفهم من البراهين مالا يكفي الاولين فلهم بالنسبة لما سألتهمونا أقوال يطول بسطها ولكننا لم ننقل عنهم لليوم شيئاً من ذلك لانه لا ينطبق على أسلوبنا فى اجابتنا فاننا بصفتنا مسلمين مخاطبين بهذه الآية الكريمة « وان تظع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله » يلزم أن يكون قسطاسنا أدق من كل قسطاس . فترونا لا ننقل الا عن مثل ( فللمريون ) و ( أوليفيه ) و ( جيبه ) و ( دوروشاس ) من الفرنساويين ، و ( زوانر ) و ( أولتريسى ) و ( بير ) و ( فيشنر ) من الالمان ، و ( كروكس ) و ( وولاس ) و ( فارلى ) و ( دومرجان ) و ( اكسن ) و ( شمبير ) و ( حلالى ) من الانجليز ، و ( ماب ) و ( هار ) و ( إدمون ) و ( البيوت ) من الأمريكان الخ الخ وكل واحد من هؤلاء ركن من أركان النهضة العلمية الاروبية وعمدة كبير فى العلم الذى يبحث فيه ، ولا هم لهم جميعاً من بحث هذا المذهب الا التحقق المطلق من حصول تلك الخوارق بغير وساطة الغش والتدليس وانها آتية من عالم روحاني محض . على ان منهم من اكتفى بالبراهين التى لديه واعتقد بانها الارواح حقيقة ومنهم من نسبها لعالم روحاني

آخر ومنهم من توقف عن الحكم حتى يتم انجلاء المسألة تماما . ومنهم الاستاذ ( كروكس ) أ كبر كياوي الانجليز فراه بينما يؤكد صحة تلك الحوارق وانه لا دخل للتدليس فيها فيخطب في الجمعية العلمية الملوكية قائلًا ( أنا لأقول ان هذا ممكن بل أقول هو ثابت محقق ) تراه من جهة أخرى لم ينطق لليوم باعتقاده بانها أرواح الموتى أو ان تلك الروح التي تجسدت أمامه وخصمها في منزله في تجاربه الخاصة هي حقيقة روح الشخص الذي اخبرته انها روحه مع انه وصف تلك المشاهدة المدهشة في ١٩ صفحة من كتابه الذي ألفه بالانجليزية وطبع اثنتي عشرة مرة بالفرنساوية وهذا نعهده من التبصر الجدير برجال العلم .

أما ان اردتم موجزا من أقوال غير هؤلاء القادة في اعتقادهم في المسائل التي وجهتموها لنا فاليكم : انهم يعتقدون أن الروح سر إلهي لا يدرك له كنهه ولكنه متلبس بجوهر نوراني ألطف من المادة على شكل الجسد وهو الذي يربطه به الى حين . ويقولون ان الارواح اذا أرادت الاختلاط بالناس تظهر لهم بهذا الهيكل الشفاف واذا أرادت التجسد تجسدت بواسطة فان فيه خاصية تكوين جسد له في ساعته وافنائه في ساعته أيضا وذلك بواسطة المادة التي يستفيدها من جسم الواسطة التي تحضر الروح بوجودها ويكون فيها استعداد لذلك .

أما النعيم والعذاب فهم يعتقدون أنها أمور معنوية محضه ، فالنعيم شعور بسعادة وصفاء والعذاب شعور بألم وتندم .

أما الاديان فقد أرشدتهم تلك الكائنات إلى ما يكاد يوافق الاسلام بأن حذرتهم من عصيان العقل والتعداد في ذات الصانع قدس وعلا وأمرتهم بترك الظنون والاهام في العقائد وارثهم ان الوحي حق والانبيا

حق بلا تفرقة بينهم من تكذيب أحدهم وتصديق الآخرين وأريد بهذا أن كثيرا منهم آمن بخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما نعتقد انه أحسن نتائج الاسبرتزم وستترجم لكم ان شاء الله في الجزء المقبل تفصيلات جليلة في شأن قر بهم الى الاسلام وایمانهم بنبينا عليه الصلاة والسلام

## النبوة ليست اكتسابية

ورد الينا من حضرة الأديب محمداً فندي كامل بتفتيش الرى باسكندرية خطاب يقول فيه : « اطلعت بصحيفة ٢٦٥ من كتاب حياة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم على مايفيد أن الروح الانسانية اذا تجرد صاحبها عن الاشتغال بالماديات أمكنها أن تستقي معلوماتها بدون وساطة الشاعر . اليس في هذا مما يقوى مذهب القائمين بأن النبوة مكتسبة ؟ فنوجب حضرتاه :

الوجود مراتب كثيرة لا تتناها تعلو وتسل على حسب مرتبة الشخص من قوة الروح ونور الحياة . اذا نظرت الى صنوف الحيوانات واستعرضت مراتبها من أول الكائنات المكونة من خلية بسيطة الى الحيوانات النديية التي في قمتها القرودة تر من الفرق بين هذه وتلك في الاحساس بالوجود والشعور بذاتها مايطوح بالانسان الى القول بأنها وان كانت على سطح كوكب واحد تنعشها شمس واحدة وتظلمها سماء مشتركة الا أنها في وجودات مختلفة وعوالم متباينة . وشتان بين حيوانين هذا عبارة عن خلية بسيطة تغتذى بتمثيل مايحيط بها من المواد الرطبة ولا أعضاء لها البتة ، وهذا له أعضاء وأجهزة وفكر واختيار و ارادة كالقرودة مثلا . لا شك ان الفارق



بين هذين الحيوانين كبير جدا لدرجة تسمح لنا ان نقول ان كلا منهما يشعر بالعالم على صفة خاصة به . الأول لاحظ له منه الا احساس المجرد بألم أو راحة ولا نصيب له مما فيه من النعم الأخرى ، اما الثاني فقسطه منه اكبر بكثير على قدر مامتع من اعضاءه وما سيقت له من اغراض وما متع به من قوى ومواهب . فان من لم يخلق له لسان لا يتمتع بلذائد الطعوم ، ومن لم يوهب انفا لا يكون له حظ من زكيات الروائح الخ ثم لو صعدت من عالم الحيوان الى عالم الانسان واستشرفت سائر اعضاءه واجزائه ومواهبه وملكانه وقواه لتحققت ان حظها من الوجود وشهوره به يجب أن يكون أكبر مما لغيره ثم ان ادراكه لاسرار الصميمة والمامة بلطائفه يلزم أن تكون أعلى مرتبة مما منح سواه من ذلك لدقة تلك الاعضاء وتنوعها وقيامها على نظام أكمل مما للحيوانات منها ، ولسعة سلطان مواهبه وبعده مدى قواه أيضا .

هذا بالنسبة للحيوانات والانسان ، اما لو استعرضت أصناف الانسان نفسه وتأملت في ذلك المتوحش ( الهونا نتوق ) مثلا في جهله وعمايته عن الوجود واكتفائه بما يكتفي به الحيوان من أكل ورق الشجر واللحم النيء والاعتصام بذري الاشجار والجبال ثم تركته وتأملت في فيلسوف من المعاصرين لنا أو من الذين سبقونا بالايمان لرأيت فرقا واضحا جدارهما حملك على أن تقول ان هذين الانسانين وان كانا في وجود واجد الا أنهما في عالمين مختلفين للغاية . كيف لا وذلك ان نظر الى السماء ظننا خيمة معتمة فيها شرر مشور على غير نظام وربما لا ينظر اليها ولا يتفكر فيها . أما هذا فينظر اليها وله عليها من حقائق العلم ما يملا كتبا وله من نتائج سبوح فكريه في مناقحها ما لا يستطيع التعبير عنه بالا لفاظ المصطلح عليها ، هذا عدا عمله

على كل شيء من أشياء وجوده من العلم المناسب والفكر الواجب .  
 هذا كله بالنسبة لعالم الاجساد اما عالم الارواح اى العالم الذي وراء  
 هذه المادة ولازيد بقولنا وراء هذه المادة ان له حيزا وراء هذا الحيز ،  
 كلا وانما نزيد بوراء المادة الوجود الذى هو ارقى من المادة والمتسلط  
 عليها كتسلط الروح على الجسد فان مراتب الناس فيه تختلف كاختلافهم  
 من مراتب عالم الجسد بل اكثر . وكما اننا مرتبطون بعالم المادة بالآلات  
 وأعضاء تمكننا من الاحساس به وادراكه ولاحظ لنا من التمتع  
 بالشعور به الا على قدر ما وهبنا الله من قوى تلك الاعضاء والآلات ،  
 فكذلك لنا ارتباط بعالم ما وراء المادة من جهة روحنا التى هى نفحة منه  
 ولا نصيب لنا من التمتع بالشعور به الا على قدر ما منحنا الخالق من نقاء  
 جوهرنا وصفائه . وكما ان القصير النظر والكليل الأعصاب لا يستطيع  
 ان يغير فى خلقه فيهب بصره وأعصابه قوة فوق قوتها لزيادة متاعه بالعالم  
 المادى فكذلك ليس فى حولنا ان نزيد فى نقاء معنانا الانساني وان نذهب  
 به الى ابعاد مما خلق مستعدا له لزيادة تمتعنا بلطائف ذلك العالم ، فكل  
 انسان مرغم على الوقوف حيث وقف به استعداده الفطرى وانتهى عنده  
 مبلغ قوته . فان قلنا بعد هذا ان الانسان بتجريد نفسه عن الشواغل  
 يستطيع ان يعلم علما لا يدخل لحواسه الظاهرة فيه هو مثل قولنا ان الانسان  
 لوراقب الكواكب وتأمل فى حركاتها يستطيع ان يوجد لنفسه بذلك  
 علما لأن الانسان ممتع بكتبا الخاصتين على السواء ، ولكن لما كان  
 الانسان برصده الكواكب لا يستطيع ان يزيد فى موهبة تصورهِ الفطري  
 فيذهب به الى ابعاد مما أعدله عقله ، فكذلك لا يستطيع ذلك المشرف على  
 عالم ما وراء المادة ان يتجاوز المقام الذى قيس على استعدادهِ . فالانبياء

عليهم الصلاة والسلام أفراد من النوع الانساني يهبهم الله استعدادا خاصا للسبح في عالم ما وراء المادة يشرفون به على ما تنقطع دونه انفس اكبر العزائم وتحمر أمامه عين أعظم البصائر وليس امر هذا الاختصاص بعجيب فان أمام عيننا رجلا متمهم الله بقوة عضلية لا يكاد يتصورها الا من يراهم ، فان كان لا يمكن التردد في ان هذه القوة الهائلة موهبة خاصة لا استطاع كسبها بوجهه من الوجوه فإى غرابة في ان أمر النبوة وهى قوة روحانية من المواهب الخصوصية التي يتمتع الله بها افراد من النوع الانساني ليهدهم الى أقصد المناهج وليحملوا اليهم أنوار الحقائق وأسرار الشرائع . ولا ندري كيف غفل عن مثل هذه المحسوسات أولئك الذين زعموا ان النبوة مكتسبة ؟

### ( من أين جاءنا الفساد الاجتماعي )


نحن نبحث هذا الموضوع إنما نريد أن نخترق بمسبار الفكر والروية الظواهر العرضية التي تترآي لناظر في صورة الامراض والعلل وهي ليست إلا أعراضاً تتغير وتتطور على حسب تغير المرض وتطوره مما لو صرفنا السنين في درس أشكالها وأحوالها لما وصلنا بعدهذا الجهد الناصب إلا لمثل ما يصل اليه من ترديه الألوان الخلابه التي تأخذها السحب عند غروب الشمس أو شروقها فيصرف عمره في درسها وهو غافل عن أسبابها التي تولدها . لاجرم أنه يظل يبتني النظريات ويدعمها و يبتكر الأسباب ويؤيدها ثم يرى نفسه مجرأ على هدمها و بناء غيرها كما دله حسه على فساده حتى يضيع عمره سدى أو يعيش قائماً بما حصله على غير هدي . ولكن هذا الباحث لو اهتمدى بفكره أن لكل ظاهرة سبباً طبيعياً أو اسباباً

أولو سأل أهل الذر من الذين أفنوا أعمارهم قبله في درس الظواهر الطبيعية وعلم بهذه الواسطة أن أشعة الشمس واختلاف كثافات السحب هي السبب الاصل في احداث هذه الالوان الباهرة واستعان على فهم ذلك بالرجوع الى نظريات الضوء وانكسار الاشعة والوان الشمس لرجع ظافرا بمراده ، فرحانا بفوزه في اجتهاده وان كان كلفه ذلك أن يصرف عمره في درس علم الطبيعة وينزل إلى درجة صغار المكاتب فان ذلك أولى له من التفهيق بغير عرفان ووزن الاشياء بغير ميزان . يكتب الكاتبون ويصيح الخطباء المفوهون ، باننا مصابون بعلّة أو بعلل اجتماعية تمنعنا عن الاستقامة على طريق التقدم والمدنية وتجعلنا غرضاً لسهام المطامع الاجنبية . يقولون ان تلك العلة ألت بعواطفنا فقتلتها ، وبأحاساسنا فاطفأتها ، وبمحبتنا فاحمدتها ، وبارادتنا فسلبتها ، وحاصرنا من مكان قريب حتى جعلت اليأس صفة من صفاتنا ، وصيرته جزءا من طبيعتنا ، وقد أمر فينا ممراته المعهودة كالتهرؤ من الجنسية والتقليد للاجنبي والبذخ والسرف والترف والأثرة والتخاذل والتنابد الخ الخ من الاعراض التي هي لوازم اليأس ومقتضياته ثم ماذا ؟ ثم نقول ان ذلك من عدم الدين . من عدم الفضائل . من عدم التربية . من عدم التناصر . من عدم التعاطف . من عدم الغيرة . من احجام الاغنياء عن البذل . من قعود العلماء عن الارشاد . من سوء سياسة الامراء . ثم ماذا ؟ ثم نقول يجب ان نكون متدينين . . فضلاء . . مترين . . متناصرين . . متعاطفين . . غيورين . . باذلين . . مرشدين . . سائسين . . ثم ماذا ؟ نعيد مابدأناه ونبدأ ماأعدناه ولا نزال نطوى ما نشرناه ، ونشر ما طويناه حتى سئم القاريء والمكاتب ، ويئس السامع والمخاطب ، وأصبحت النصيحة والهذيان في مستوى واحد فاغرانا ذلك على ولوج باب

جديد وذلك اننا أبدلنا النصائح بالشتائم ، واستعطفنا العزائم بمررد الذمائم ، وتشهير المآثم ، حتى صرنا لانعد الكتاب نحريراً ، ولا الخاطب شهيراً ، الا اذا ذهب في القذع كل مذهب ، واسهب في شرح المقاذر واطنب ، حتى أنست الاسماع بالثلب واستنمات الافئدة للشتيم والسب ، وفقدت الامة بهذا الضرب من التهذيب حرارة الحمية ، وحماسة الرجولية ، فنشأت بين ظهرانها جراند لامادة لمقلانها الا الطعن والهمز ، ولا روح انصائها الا الغمز واللمز ، فزري الناس يتحلقون لجريدة من تلك الجراند فيتلوها عليهم واحد منهم وقد حوت من أنواع الفحش والتقبيح ، بكل تلميح وتصريح ، ما يستفز الحمية ، ويقدمح في زند العزيمة ، ولكن الناس لا يعتادهم سماع المقاذر ينشطون القاري بالثناء على الكتاب ، والترنح لحسن ترادف المثالب ، ثم يقول أمثلهم لقد بل فلان الغليل ، وجاء بما يشفي العليل ، وهلم جرا ، وبذلك فقد فعلنا بالامة بكتاباتنا هذه ما لم تفعله ظي أعدائنا باعناقنا ، ولاختل مناقبتنا بمعافد اجتماعنا ، مع أن وظيفة التحرير ترقيق الاميال ، وتلطيف الشعور ، واحياء الغيرة والحمية وايقاظ الفتوة والرجولية ؟ لا نلم العواطف ، وتغليظ الاحساسات ، واطفاء الحماسة ، وتعويد النفوس على لاستنامة للشتائم ، وهذا الامر الجليل سببه فيما أرى دائماً اسناد الامر الى غير أهله فان كل من استطاع عندنا ان يكتب العربية صحيحة لا يتأخر عن نذب نفسه لارشاد أمته ، ونعشها من وهدتها ولو كان كل من يكتب بلغة صحيحة يليق لهذا المنصب الخطير اللاق بكل انجليزى ان يكون عمرانياً ، وبكل فرنساوى أن يكون اخلاقياً ، فان أكثر القوم يكتبون لغتهم بغير غلط ، و يستطيعون ان يتكلموا في كل ضرب من ضروب الكلام ، لكن اهيئات ، ذلك منصب يعد أهله على الاصابع ولا يبرز فيه الا الشاذ النادر

فالباحث العمراني في هذه البلاد قبل أن يفكر في تأسيس نظريته وسرد تعاليمه يجب عليه أن يعد الأذهان لقبولها ويهيئها لاحتلالها من الأفتدة في محلها اللائق بها ولا يتأتى له ذلك إلا بتخليص الأفكار مما علق بها من تلك المدركات المتناقضة والمبادئ المتعكسة التي نقشها في أذهان الجمهور أولئك الكتاب في مدى سنين كثيرة فإننا لم نعلم بلدا من البلاد سهل على أهله بأسرهم معرفة الداء والدواء غير بلادنا كما لم نعلم بلدا من البلاد لم ينتفع بعلمه مثل بلادنا. والناظر البسيط لهذا التناقض المدهش يتأكد أن ذلك الداء لو كان هو الداء بعينه وأن ذلك الدواء هو الدواء الشافي منه حقيقة لنلنا اليوم من الصحة ما نرتجي، فإنه لا يتصور أن يتحمل المريض مضاضة الداء ولا عيج العلة، والدواء بين يديه لا ينظر بعينه إليه، ولا يعول عليه. هذا ضد الطبيعة. هذا خلاف المحسوس. هذا قلب لنظام الوجود. هذا خرق للعادة. إذن فليس ذلك الداء داءنا ولا ذلك الدواء دواءنا.

إليك مثالا يريك كيف اتنا من تشخيص دائنا في خلط عظيم ومن وصف دوائنا في خبط جسيم. يقولون مثلا إن داءنا (عدم الاتحاد) ودوائنا هو (الاتحاد) وأنا لا أقول اتنا لسنا بمصابين بعدم الاتحاد وان من اللازم لنا الاتحاد ولكني أقول إن عدم الاتحاد ليس هو مرضاً بذاته بل عرض من الأعراض الكثيرة وإن اردت أن تعرف كيف اتنا واهمون فإليك: إن كان عدم الاتحاد هو الداء والاتحاد هو الدواء فما المانع عن الاتحاد؟ هل حسن لدينا البقاء على مضاضة المرض وهان لدينا إن نكون لقمة سائغة للأمم. يقولون إن عدم اتحادنا ناشئ من سوء التربية وعدم العلم نقول إذن فقد سقط قولنا بأن داءنا (عدم الاتحاد) ولزمتنا إن نقول إنه عدم التربية. ومع ذلك فتحن تجارى المعترض في فكره ونسأله هل

نحن اقل تربية وعالماً من سائر الامم ؟ هل نحن اقل تربية وعالماً من العصابات النائرة في مقدونيا ؟ اذا كان الاتحاد يتوقف على التربية والعلم لمقام للنوع الانساني اجتماع قط . والحقيقة بخلاف ذلك فقد تشكلت الهيئات الاجتماعية قبل ان ياتيها العلم والتربية . ويمكنك ان ترى لليوم قبائل في آخر دركات الجهل على احسن ما يكون من التثام واتحاد . هذه ممالك افريقية الصغيرة التي يحتاجها المدفع الاربوي واحدة بعد اخرى كلها متحدة ملتزمة لا تشكو غير الجهل وعدم التربية وتراحم يدافعون عن امهم باقصى ما يتصوره العقل من الصبر والثبات ولولا مقذوفات المدافع والبنادق لما استطاع الاوربيون ان يقرروهم فضلاً ان يحكومهم ويأسروهم وان كنا نعلق وجود الاتحاد على وجود العلم والتربية فكأننا نود ان نجعل كل الأمة فلاسفة لا يتحدثون الا بعد ان يضعوا المقدمات المنطقية ويستخرجوا منها النتائج الفلسفية مع اننا نرى باعيننا ان العامة اليوم أصبحوا اكثر تماسكاً والثاماً من اكثر الخاصة وقد كان آباؤنا قبل ان تنتشر بينهم المدارس أشد تلاصقاً واتحاداً منا في هذا العصر . كل هذا يدلنا بالدلائل المحسوسة ان الاتحاد ليس نتيجة العلم ولا التربية بل هو لازم من لوازم الحياة الاجتماعية في الامم كما ان اتحاد اعضاء الجسم على اداء وظائفها وتعاضدها في أغراضها نتيجة الحياة الشخصية ليس الا . وبهذا فقد استحال المسألة الى ادراك معنى الحياة الاجتماعية وكيفية الاتصاف بها وليس هذا الموضوع من اختصاص هذا الفصل فلنتركه لفصل خاص يأتي ان شاء الله في هذه العجالة فانظر كيف ان وقوفنا من التشخيص مع الأعراض بصرفنا عن الوصول الى لباب المسألة وكيف يجرنا الى نتائج من العلم فاسدة ولئن بقينا الف عام فقول ونسكتب بأن داءنا  عدم

الاتحاد ﴿ وظلمنا نداويه بكل الوسائل فلن ننجع في ازالته مهما كانت  
مقاومتنا له كما لا ينجع من يداوى الأدوية الجلدية بالادمان وهو غافل عن  
علتها الرئيسية في الدم أو في المعدة فبما ان هذا الطيب السطحى لا يزيد  
المرضى الا تعذيبا واقتحاما في المرض ، كذلك لا يكسب الأثم من يداوى  
اعراضها الاجتماعية الا تغلغلا في الفساد وتوغلا في الانحلال فان الدواء  
ان لم يصادف المرض انقلب سما زاقا ، وصار مادة تقوى الداء وتمده .  
وان شئت ضربنا لك الامثال وحشرنا لك الاشباه والاشكال .  
نظن أنه لا يخفى على واحد من قرائنا ان أعضاء الجسم الحى مرتبطة  
بعضها ارتباطا عجيبا ووظائفها متعلقة ببعضها تعلقا مدهشا حتى انه قد  
يشكو الانسان باحتقان في عينه يكون سببه امسك في معدته بحيث انه  
لا يستطيع دفع ذلك الاحتقان مهما داواه وعالجه الا بازالة الامسك ، وقد  
يشكو بصداغ في رأسه وتكون علته برودة أصابته قدميه ، وقد  
يتوجع من ضرسه ويكون مثار وجعه برد أصاب جسمه فيكون علاج  
الضرس الوحيد تعاطي سلفات الكينين حتى ان الانسان ليندهش من هذه  
العلاقات البعيدة ولا يسعه الا التسليم بها عند ما يرى النتائج مطابقة للمقدمات  
وهكذا الشأن في الامراض الاجتماعية ، بل ان تفرعات تلك الامراض  
وشعوبها تكون أشد ارتباطا وتداخلا بما لا يدخل تحت حصر فنحن ان  
ذهبنا في تشخيص بعض أدوائنا مذاهب لا تتفق مع ما هو معروف في  
العادة فلا نقصد بذلك الاغراب وحب التفرد بالرأى وانما نقصد أن نكون  
موافقين لعلم العمران متبعين سمنه والا فلا فائدة من حشو الصحف بالكلام  
الذى رده الناس سنين عديدة ولم يكن من أثره غير اللوث في الازهان  
والخبط في المدرجات .



عنوان موضوعنا اليوم ( من أين جاءنا الفساد الاجتماعي ) وهو بحث عويص جداً ان اردنا ان نصعد الى جرتومته الاولى وليس هنا موضع هذا التحليل، واما ان رمنا ان نصل الى سببه القريب الذي يقتضيه الموضوع الذي نحن بصددده وهو دستور التعليم فالامر سهل ونستطيع أن نجمله في نقطتين وهو ان سبب فسادنا الاجتماعي الخاصة . و اليك البيان .

كثرت الناس في هذه الأيام بذكر البدع التي انتشرت بين المسلمين والحرفات التي نمت وانتشرت في أذهان العامة من الامة وينسبون لها كل ما نحن فيه من هبوط وتأخر ونحن أولاً لا نوافق القائلين بأنها عاى يجب مداواتها بل نقول انها أعراض لعل أخرى ان لم نعرفها ذهب تعبنا أدراج الرياح كما يذهب تعب كل من يداوى الفروع ويترك الاصول . ثانياً اننا لا نقر على أنها سبب هبوطنا وتأخرنا فان البدع في الدين والحرفات منتشرة في جميع الامة بل أكثر الامة على دين باطل هي الوثنية بعينها فلو كانت البدع في الدين تؤخر الرقي في الحياة لما تقدمت أمة اليابان في ميدان المدنية ولا قيد شبر . وقد نص القرآن على ذلك فقد قال تعالى « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » . ثالثاً اننا لانوجه اللوم في هذه البدع على العامة بل على الخاصة فانهم مادتها وجرتومتها وهم الذين ورطوا العامة فيها توريطاً قسرياً . وإذا أردت الدليل فأسرد إلى أشخاص البدع التي تعالي في تفرغ العامة عليها ونحن نثبت لك أنها من افاضات الخاصة عليهم . ان قيل ألا ترى أن العامة قد أصبحوا يؤهلون الصالحين وينسبون لهم مالا يصح نسبته الا لله تعالي وأنهم قد أولوا الدين على قدر عقولهم فأدخلوا اليه ما ليس فيه وأخرجوا منه ما هو عنصر من عناصره

الكرامة . نقول ان سبب ذلك الخاصة فانهم هم الذين أبتنوا المقاصير على القبور وهم الذين رفعوا عليها القباب وهم الذين زخرفوا المساجد حتى جعلوها أشبه بسرديات الملوك وهم الذين وقفوا عليها الاموال الطائلة وهم الذين سنوا المواكب والاحتفالات الدينية وهم الذين قعدوا عن ارشاد العامة الى حقيقة الدين . يشكوا الناس من سوء حالة خطباء المساجد ووعاظها وينددون بهم غاية التنديد ويعفون عن المسئولين عن ذلك ، أليس هم الخاصة الذين يصفون عشرات الالوف من الجنهات في إقامة حوائط المساجد واضاءتها بالكهر بائية ويضيقون على الخطيب والواعظ فلا يبطونهما الا ما يرضى به غير العجزة والزمنى من الفقهاء ؟ من الذي قلب حقيقة الدين فجعله في إقامة القصور على القبور بدل تعيين الأئمة المرشدين والواعظ الكاملين غير أهل الخاصة من هذه الامة ؟ من الذي علم العامة امتهان الدين ؟ من الذي علمهم احتقار الوطن من الذي علمهم البذخ والسرف من الذي علمهم التقليد الاعمى ؟ من الذي علمهم تأليه الاجنبى ؟ من الذي علمهم الرضوخ والاستسلام للذل والاستكانة ؟ أليس الذين علموهم ذلك بالفعل وبالقدوة هم الخاصة ؟ ما هذا الضرب من الجبن الادبى ؟ ما هذا القلب لنظام الحياة ؟ كيف ننسب فساد الشرق الى عامته دون خاصته ؟ وهل أفنى الرومان وقدماء اليونان ونسف صروح الدول ذوات الشان غير الخاصة ؟ « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكبر مجرميها ليمكروا فيها وما يمحرون إلا بانفسهم » انا لسنا من أعداء العلم ولا يخطر ببالنا يوما من الايام أن نذبط حركة التعليم ولكننا مع ذلك نقول ان كل حركة لا يكون لها وجهة ولا هي مقودة بحكمة وروية تؤدي الى ضرر عظيم في المستقبل مهما كان ظاهره احسناً في الحال . ومن الذى كان يجسر من أهل البصر فى الاجيال التى

كان التنافس بالغا حده في اقامة جدران المساجد والقباب وزخرفتها وبذل القناطير المنقطرة في أبنائها ورياشها؟ من الذي كان يجسر في تلك الاحيان أن يقول لأولئك المتبرعين انكم انما تبتنون صروحا لا يقاع العامة في اشراك البدع وتبدلون أموالكم لاحالة الدين إلى العبادات الصورية كما حصل في كل الامم السالفة التي اعتاضت عن جمال العقيدة بجمال جدران المعابد وعن نور الايمان بانوار الهياكل ، حتى جهلوا شعائر الدين أشبه باحتفالات الولايم ، وأقرب لاجتماعات المآدب ، لشدة ما تلهي الأذهان بالنقوش والزخارف ، وما يشطح الفكر في التأمل في سجوف المنافذ وابداع المنابر . مع أن القصد من تلك الاجتماعات كان تجديد العقل من ملهيات العالم المادي . ومخليصه من فائتات المظهر الطيني والذهاب بالروح على أجنحة ذلك الاجتماع المنديج الى باب الرحمة القدسية لتطرقه بيد التجرد والعبودية الخالصة لترجع الى عالمها بنور من عالم القدس يثبتها في جهادها وقيمها على صراطها ويحميها عن فتن الدنيا ومداحضها حتى إذا أدت وظيفتها في هذه الحياة عرجت الى عالمها بتلك القوة التي اكتسبتها ودخلت من جنان الفيض الالهي في الحال التي أعدت لها . من كان يجسر أن يقول هذا لأولئك الذين صرفوا أموالهم لاهواء الاعين والقلوب بتدهيب الجدران وصبغ الحيطان كان لا شك يرمى بالاحاد ويوصم بأنه من الساعين في الارض الفساد وانه ممن يمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ولذلك نحن اليوم بازاء حركة من الخاصة يتدافعون بها منافسة في فتح المدارس وهي في الجملة حركة نبيلة ومرام شريفة ولا يتصور أن يوجد من توسوس له نفسه بتثيبتها أو إيقافها ولكننا نرفع صوتنا ولا نخاف لومة لائم بأن هذه الحركة ان لم يكن الحكمة رائدها والروية الناقبة قائدها فتكون فتنها نكالا للفن على البلاد ، ومحتتها أنفذالحن في العباد . ولكن ربما لانكاد نقول هذا حتى تتسارع اليها الافكار وتتركز علينا أشعة الانظار عجباً من

هذا القول العجيب واندهاشاً من هذا الفكر الغريب ، وسيذهب كل ناظر الى حيث يقوده ضميره ، ولكننا لانؤبه بمثله هذا القليل والقال مادامنا نريد تقرير حقيقة عمرانية كبرى يعدها الجاهل اليوم بدعة وغدا يجعلها عقيدة وشرعة .

نعم إن لم تكن حركة التنافس في فتح المدارس مقودة بيد الحكمة والروية لانقلب شر الشرور ولا نتجت أعظم الامور وإذا أردت الدليل فاليك التفصيل .

### ( الجبروت والملكوت والناسوت واللاهوت )

سأنا حضرة الوجية السيد ناصر بن سليمان بن ناصر بدار السلام بزنجبار عن معاني الجبروت والملكوت والناسوت واللاهوت فنجيب حضرته :

( الجبروت ) صيغة مبالغة معناها العظمة والكبر والقدرة والسلطة  
( الملكوت ) العز والسلطان والملك والعظمة . وهو مشتق من الملك  
( الناسوت ) طبيعة الانسان ، قيل انها لقطة سر يانية  
( اللاهوت ) أصله ( لاه ) بمعنى اله زيدت فيه الواو والتاء مبالغة  
كما زيدتا في جبروت وملكوت وقيل هو لفظ سرياني

أما ما يحىء في مباحثنا من مباحثنا « عالم الجبروت » « عالم الملكوت » فانا نقصد بالاول عالم الجلال الالهى الذى لا يصله ملك مقرب ولا نبي مرسل فهو سر الاسرار الوجودية ، وكثير الكينوز الغيبية ، مثل الملائكة المقربين بازائه كمثلنا نحن في عدم العلم به ، وانحسار التصور دون سرادقات عزه وحظيرات قدسه ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث في هذا المعنى وهو ( ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن

الابصار ، وان الملاء الاعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم »  
 أما الثاني وهو عالم المكوت فتريد منه في كتاباتنا عالم الارواح المجردة ومسرح  
 القوى الروحانية ، فهو بالنسبة اليها مثل عالم الشهادة بالنسبة اليها ، وهو عالم ينتهي  
 اليه كل انسان بعد خلعه هذا الجسد ويستطيع الاحياء أن يشرفوا عليه  
 اشرافاً وقتياً فيرون منه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب  
 بشر ، فيعرفون بتلك الواسطة من الامور الروحانية ، ويجدون فيه أكبر  
 تسلية في متاع الدنيا وويلاتها وتوالي أحداثها ومصائبها فلا يؤهبون  
 للحياة ، ولا يحرصون عليها هذا الحرص الشائن ، ويرنون للدنيا بالعين التي  
 تراها على حقيقتها أي دار بلاء وامتحان ، وفرارة أكدار وأشجان ، وان  
 حفت بنا السكبرياء من كل مكان ، وطرنا في الهواء الى سائر البلدان ،  
 وسكننا قصور اليواقيت والمرجان ، وانهلوا اجتماع دكاترة العالم كله مع أكبر  
 كباوى العصر على أن يركبوا على أدق الآلات الصناعية بألطف التيارات  
 الكهربائية على أشعة ( رنتجن ) اكسيرا يشفي أعظم ملك في أكبر أمة  
 متمدنة من ظلمة الاحاد لما استطاعوا الى ذلك سبيلا : « ومن لم يجعل  
 الله له نورا فما له من نور » .

### ﴿ الصلوة والصيام في الاسلام ﴾

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَا يَكُونَ بِرُءُوسِكُمْ يَدٌ يُدْرِكُكُمْ  
 وَإِيَّتِي نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

إننا قد سبقنا الكلام في هذه المجلة على عمرانيات الاسلام وما في  
 اتباع أصوله من السعادة المادية على حسب مقتضيات الحاجات العصرية  
 ولم نلم بما يختص بالروحيات في هذا الدين المبين الا المأماً لا يشفي علة

ولا ينقع غلة . فرأينا أن نعقد في هذا العدد مقالة من تلك المباحث النفسية  
لمناسبة حلول شهر الصوم الجليل ترغيباً لاخواننا في مداركة أرواحهم  
باعطائها بعض حقوقها المهضومة وباتقاء الله فيها فانها أحق بالتفاتهم من  
ذلك الجسم الفاني فنقول والله المستعان : لامشاحة في أن الانسان مركب  
من شيئين متباينين أحدهما مادي كثيف مستمد وجوده من أجزاء هذه  
الطبيعة المحسوسة يقال له الجنان والآخر معنوي لطيف مستمد وجوده  
من النور الالهي مباشرة يقال له الروح ، وهما متحدان ببعضهما اتحاداً  
مؤقتاً على حسب قانون ثابت وموازنة محكمة يقف العقل أمامها مبهوراً .

أما الجسم المادي فهو مركب من البسائط الأرضية وتسري عليه أحكامها  
فهو لاشيء غير مادة عضوية مركبة من خلايا تشبه خلايا الحيوانات بل  
والنباتات أيضاً . فالناظر اليه يحكم عليه بالفناء عاجلاً أو آجلاً ونعني بالفناء  
هنا استحالته الى أجزائه البسيطة وذهاب كل من هذه الأجزاء الي حيث  
أتت من أشياء الطبيعة . وأما تلك الروح النورانية فليست مركبة من  
بسائط أولية حتى يحكم عليها بالفناء أي بالاستحالة الى تلك البسائط بل  
هي باقية بقاء سرمديا وتابعة لنواميس خاصة بعالمها مما لا نخوض فيه هنا  
الآن ولكل من الجنان والروح مطالب تناسب طبيعة كل منهما ودرجته  
في مراتب الوجود . فالجسم لا يفترق عن كل أنواع المادة في قبوله للنقص  
والزيادة والضعف والقوة والتركيب والتحلل ولذلك فهو محتاج الي مقومات  
تقومه من نوعه كالغذاء والمسكن وغير ذلك مما يحفظ شخصه ونوعه . وأما  
الروح فليست مطالبها من هذا القبيل فهي تواقفة لمقاوم الشرف المعنوي  
ومنازل الكمال الادبي . طالبة لأن تلم بأسرار المملوكات كله وتدرك صميم  
عالم الشهادة وسائر عوالم الغيب ، مفرقة بالاخاطة السكلية . بجميع أشخاص

الحقائق جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها وتشعر من نفسها بالقابلية لذلك الرافق اللانهائي شعوراً فظرياً كأنه لازم من لوازم جوهرها السامي .

إذا كان شأن الروح الانسانية كذلك وكان هذا الرقي العقلي الذي حصله الانسان من يوم نشأته للآن يدل على استعدادها لتناول أسرار هذا الملكوت غير المحدود فما الذي يمنعنا عن بلوغ أمنيته هذه ويضع العقبات أمام رقيها الى عالم الكمال الذي تحسب به وتتضرم شوقاً اليه ؟ ما الذي يصد بعض الناس حتى عن التطلع الى هذه المنصات العالية ويجعلهم يتسفلون الى مشاكسة الحمر الوحشية في نزواتها والهامجات من النعم في خستها ودناءتها ؟ ولماذا لا يكون الناس كلهم بمنزلة واحدة والعلم والمعرفة فيتضافرون على قطع مفاوز تلك العقبات التي تحول بينهم وبين تلك الحالة السعيدة ؟ هل هناك شيء يعارض الروح في سلطانها وبنائها العداوة في مملكتها ؟ نعم قضت حكمة الخالق ( ليم الابداع الذي أراده ) أن يجعل الروح والجنان في تصارع مستمر فأيهما غلب سادت على الشخص أحكامه وسرى عليه نفوذه وسلطانه ، ولذلك تجد من الناس من غلبت عليه مادته فصار لا يفتكر الا في أشباع شهواته بكل الطرق وكل الوسائل ، ولوى عن مطالب روحه كشحاً ، ومنهم من سادت عليه روحه فحض نفسه للرقى المعنوي من طريق الباطن وضرب بسعادة مادته عرض الحائط .

وبين هذين الطرفين مراتب متفاوتة لا يكاد يحصرها قلم ولا يجمعها استقصاء .

أى الطرفين يارى قد أصاب المرءى ؟ الذي محض حياته لاشباع نهم جثائته أم الذي أوقف نفسه لمشتبهات روحانيته ؟ لاجرم أن كليهما قد أخطأ واليك البرهان : أما امر الجنانية فظاهر لا عنهم لا يجنون عادة من الجري في أعقاب الشهوات الى الخمران وكفى بمثالهم واعظا لمن يريد أن ينتهج

منهاجهم ، وأما الروحون فليسوا بأقل استحقاقا للوم من الاول فان  
 اضرابهم عن الماديات هضم لحقوق جثمانهم وتعطيل لنظام ارادة الله أن يتم  
 في هذا الوجود فانه تعالى قد سخر كل هذه الطبيعة للانسان واستخلفه  
 عليها وليس مثل هؤلاء الاكثل رجل أودعه آخر بستان له ليستغله وينتفع  
 به فغلب عليه الورع فهجر الحديقة المودعة اليه حتى تصوحت أزهارها  
 وماتت أشجارها وجفت أنهارها وأصبحت قاعا صافصفاً تأو بها الافاعي ،  
 وتسكنها الوحوش الضواري . كلا . ليس في طرف من هذين الطرفين  
 مثال يجوز للانسان احتذاؤه لان في كليهما عصياناً لامرية فيه لخلاق  
 الطبيعة ومبدعها وتعطيلاً لنظامها . اذن يجب اختيار خطة الاعتدال والتوسط :  
 فنعدل مع جسومنا فنكفلها ونحفظها ، ومع أرواحنا فنهبها أمانها مع عدم  
 الاجحاف بمطالب المادة . هذا هو السكال الانساني الذي مات الفلاسفة  
 دون الوصول الى تحقيقه وهذا هو غرض الاسلام ومرمى نظره . قال  
 الله تعالى : « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » وقال سيد  
 الأنام صلى الله عليه وسلم ( ليس خيركم من ترك دنياه لا آخرته ولا آخرته  
 لدنياه بل خيركم من أخذ من هذه وهذه وهذه )

إذا تقرر هذا نقول لما كان الجسم يحتاج في قوامه وحصوله على تمام  
 سعادته الى نظام خاص يتبعه الشخص في مطالبه السكثيرة مماسمى بقانون  
 الصحة الذي تكفل الأطباء بسن أصوله وفروعه ، كذلك تحتاج الروح  
 لقانون تسير عليه في جريها وراء مطالبها العالية حتي لا تصادف أمامها من  
 العقبات مايحول بينها وبين عروجها الى المنازل التي تشرّب اليها . وهذا  
 القانون يسنه الله تعالى بنفسه بواسطة أنبيائه على حسب قابلية كل زمان  
 ومقتضياته . وليس ماجاء في الدين الاسلامي من أنواع العبادات بصعب



التفسير على من أحياء الله بالعلم ونور بصيرته بالمعرفة وذلك أن العبادة الإسلامية يمكن تقسيمها الى قسمين : عبادة اجتماعية وعبادة شخصية . فالاجتماعية كالزكاة والحج وغيرهما مما تم فائدته الشخص وسائر أفراد جمعيته وسنتكلم على ذلك إن شاء الله في فصول أخرى . وأما العبادة الذاتية فهي كالصلاة والصوم وما اللذان نريد أن نتكلم عليهما في هذه المقالة بإيجاز مناسب فنقول : لما كانت الروح كما قلنا مستمدة وجودها من النور الالهي مباشرة فلا يجوز لصاحبها أن يجعل جسمه الكثيف حجاً بيناً غليظاً بينها وبين محتدياتها ، بل يجب عليه أن يمرضها آناً فأناً لقبوضات ذلك النور الأقدس حتى تكتسب نشاطاً جديداً وتقوى على مصارعة مقتضيات الجسد فلا يكون له عليها سلطان كما هو شأنه عند كثير من الناس حتى صاروا أقرب الى الحيوانية النازلة منهم الى الانسانية الكاملة . ولذلك جاءت الديانة الإسلامية أمره بالصلاة وهي ليست شيئاً سوي تخلية الفكر من الشواغل المترددة عليه والتوجه بالقلب الى الله مباشرة توجهاً صحيحاً بتعطش تام لتتمكن الروح من قبول الامداد القدسي مباشرة فتكتسب حياة جديدة طبيعية تستطيع بها أن تكبح جماح شهوات البدن فترده الى نقطة الاعتدال وتذوده عن موارد الضلال ، والي هذا يشير الله تعالى بقوله « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وبناء على هذا فالصلاة بالنسبة للروح يمكن تشبيهها بالغذاء بالنسبة للجسم . ولما كان لا يجوز للانسان بوجه من الوجوه أن يحرم جسمه من الغذاء حتى يموت جوعاً كذلك بل بالاولى لا يجوز له أن يهمل روجه من غذائها الروحاني حتى يتغلب عليه صفات الحيوانية ويضارع الوحش في حياتها البهيمية فلا يتفقه بتطوئه المزركش ولا يقيمه الملمع ، ومن الاسف أن نرى أكثر

الناس لا يأتون الصلاة الا من قبيل العادة فلا يلاحظون هذه الحقائق الساطعة فيدخلون المحراب وصدورهم مفعمة بأنواع الشواغل ، ويخرجون منه وقد كسبوا الويل والثبور كما قال الله تعالى « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » ومن الناس من يتديء في الصلاة بعد هجرها طول حياته ولا يلاحظ ما قلناه من التجرد والتخلي فلا يذوق لها أدنى لذة فيتركها ويستمر على اغوه ولهوه حتى يأتيه القدر المحتوم وهو على أسوأ حالة بهيمية نعوذ بالله من عدم التبصر في أسرار الدين .

وأما الصيام فهو بالنسبة للروح كالرياضة السنوية بالنسبة للجسم وذلك أنه لما كان قانون الصحة الجسمية يحتم على كل عامل يريد حفظ صحته أن يريض نفسه شهرا كاملا في السنة يقلل فيه من غذاء النفس ( أى الاشتغال بالعقليات ) ما أمكن كذلك قانون الصحة الروحية يحتم على كل انسان أن يقلل شهرا في السنة من غذاء جثمانه ولما كانت حجة أطباء الاجسام في ضرورة الاقلال من أغذية النفس وهي المعقولات شهرا في كل سنة هولزوم تعويض ما فقدته الجسم من القوة مدي الاحدي عشر شهرا من جراء اشتغالاته العقلية كذلك يحتاج أطباء الارواح بأن القصد من الاقلال من الطعام مدي شهر في كل سنة هو تعويض ما فقدته الانسانية من حياتها من جراء اشتغال الانسان بالماديات في اثناء العام كله . وليس قصد الاسلام من هذا الا حصول الموازنة بين حقوق الروح وحقوق الجسم حتى يكون الانسان انسانا كاملا معتدل المزاج متوسطا في مطالب طبيعته حاصللا على تلك السعادة التي مات غطاريف الفلسفة دون الوصول اليها . أليس من أعجب العجائب أن يعتقد الانسان أن له روحا باقية ثم هو يهمل أمرها ويهضم حقوقها ويمنعها من غذائها ويلتفت الى جسمانه الفاني بكليته

ففيه سائر حقوقه وزيادة حتى تتغلب بهيميته على إنسانيته فتقوده من لحيته الي مفارقة الخسائس ومعاطاة الدنيا والمقادر نعم وأعجب من هذا ألف مرة من يتوهم أن الصيام والصلاة يضعفان البدن ويمنعان الانسان عن مزولة أعماله . . . وهو وهم فاسد سببه ضعف الاسلام وعدم شعور القلب بلذة الايمان . كيف لا يكون قائل هذا واهما وأمام عينه تاريخ آباءه الأول ( الذين كانوا أكثر الامم صلاة وصياما ونسكا ) يشهد بجملته وتفصيله بأن عبادتهم لم تزدحم الاقوة ونشاطاً وجداً وجدلاً سواء في استغلالهم لقواهم العقلية أو في استخدامهم للنواميس الطبيعية . ومن كان في ريب من ذلك فليرنا أمة من الامم نبتت بين الشعاب الجبلية والصحارى القاحلة الرملية ثم امتدت في مدى ثمانين سنة الى ما لم تبلغه أمة الرومان في ثمانمائة عام مع علمك بأن ( أمة الرومان كانت سلطنة العلم بأسره ) . هنا يمكن أن يتهمنا بعضهم بالميل الى الخيالات والشعريات قائلاً في نفسه : ماهذه الغلواء . كيف يدعى هذا أن العبادة لله تبعث الى المعاني الدنيوية وتسوق للسبق في باحات المدنية ؟ هل يقصد من العبادة الا لتهديد في هذه الدار الفانية والترغيب في تلك الدار الباقية ؟ هذا ماقد يقوله بعضهم غفلة منه عن أسرار الديانة الاسلامية وذهولا عن عجائبها التي لا يحيط ببعضها الا الراسخون في العلم ونحن لا نتكبد كثير مشقة في الرد على أمثال هؤلاء الواهمين بل نقول لهم بصوت يسمعه كل من كانت له أذن : يارعاكم الله اذا كان الامر كما تظنون وكانت العبادة لم تجعل الا لخص صرف العقول عن أمور الدنيا فكيف تعلمون أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعال أصحابه رضى الله عنهم من بعده وهم بناة مجد هذه الامة وواضعو أساس عظمتها حتى أسموها على سائر أمم الارض عسكريا واداريا علميا وصناعيا ماليا

وتجاريا وزراعيا بحيث صارت كعبة المعالي والعرفان ومنازا يهتدى بهسديها بنو الانسان ؟ أليست هذه النظرة البسيطة تكفي لان ترينا انا فاهمون من آثار العبادة غير ما كان يفهمه أبأؤنا فيها ؟ أليست ترينا هذه النظرة وحدها انا قد عكسنا الامر عكسا كليا لغفلتنا عن التبصر في الدين والاهتداء بهدي رسول رب العالمين ؟

ليعلم المسلمون أن العبادة في دينهم لم يقصد بها التذليل والاستكانة بل هي للروح كقواعد الصحة بالنسبة للجسم لكي يحصل التوارث بين طبيعتي الانسان المختلفتين حتى لا يكون ماديا محضاً ولا روحيا صرفا بغلبة احدي هاتين الطبيعتين عليه فيتجلى في العالم انسانا كاملا أعني روحيا ماديا معتدلا في مقتضيات جوهرية المكونين لشكله البشري . فيا ليت شعري متى يلتفت المسلمون الى ذلك السر الالهى الذى هو بين أيديهم بعض التفاتهم الى سواه لينتفعوا به كما انتفع به أبأؤهم من قبل حتى لا يحشروا في زمرة المقضى عليهم في هذه الآيه « خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . » ويا ليت شعري متى يصغون الى خالقهم الذى لم يزل يناديهم من سماء الرحمة ليخرجهم من الظلمات الى النور قائلا « ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق . »

—٤٦٤—

## مذهب داروين والدين

جاءنا من حضرة الشاب النجيب أحمد حمدى بك الطالب بمدرسة الطب المصرية خطاب يقول فيه :

« انى لا أكاد اطالع كتابا علميا جديدا ، أو أى بحث من المباحث »

« الفرعية الأخرى الا وأجد الكتاب قد اتخذ مذهب داروين قاعدة »  
 « أساسية له ، أقام عليها ما هو بصدده . ومن يطالع هذا المذهب بامعان »  
 « ويرى البراهين العلمية المبني هو عليها فلا يكاد يجد له ردا من جنس »  
 « اثباته . »

« ولقد أردت ان أفف على رد علمي مقنع فلم اعثر على شيء من »  
 « ذلك ، وغاية ما احتوته الردود عليه هو التقييح والسب في أصل هذا »  
 « المذهب ونشره . »

« لا يخلو الحال اذن من أحد أمرين : فاما أن يكون هذا المذهب »  
 « القائل بترقي الانسان عن القرد صحيحا وعند ذلك كيف يمكننا أن نفسر »  
 « أصل الخلق كما هو مذکور في القرآن الكريم . واما أن يكون فاسدا »  
 « فها هي الردود العلمية التي تكون من جنس قضاياه والتي يمكننا الاستناد »  
 « عليها في رفض هذا المذهب ؟ »

### الجواب

لم يكن في عزمنا أن نتكلم عن مذهب داروين في الملحق لولا أن وجه  
 الينا حضرة أختينا المشار اليه هذا السؤال . فوجب علينا أن نسعفه بكلمة  
 فيه صغيرة تاركين الشرح والتفصيل لسكتاب الانسان فان الكلام على  
 مذهب داروين باصولة وفروعه وحقائقه الثابتة ومسائله الظنية سيكون  
 موضوع أبواب كثيرة في مبحث الانسان فهو أليق به وأولى من هذا الملحق .  
 الحركة الفكرية التي احدثها مذهب داروين في العالم العالمي الغربي لم  
 تقدر قدرها تماما في بلادنا هذه ، ولم يعرف متعلمونا عنه الا أنه مذهب  
 علمي من جملة المذاهب الأوروبية ، فيلون الكشخ عنه ويصدون عنه  
 صدوداً ، وهم أمامه على قسمين : قسم اعتقد صحته بدون امتحان ولا قياس

تجربى عليه في عقيدته وسلوكه وراح نفسه من حيث تعب الكرام . وقسم  
علق بذهنه وزاحم نور العقيدة في فطرته فأخرجه الوقوف عند حد الشك  
والذبذبة فقام يفتحصه ويبحث فيه فان التوي عليه الامر ، واعضل عليه  
الفهم ، سأل عنه من يتوسم فيه الخير في امثال هذه المواضع العويصة .  
وقسم سمع بهذا المذهب وادرك كنهه تأثيره على عقيدته فهرب منه هروبا  
وافتنع بأن يكون حظه من العقيدة أن يحافظ عليها محافظة صماء بالوهم  
لا بالحقيقة . لانه في الحقيقة شاك وانما هو يوم نفسه أنه معتقد . وعندنا  
أن أفضل هذه الاقسام الثلاثة القسم الذى اصطدمت مزاعم هذا المذهب  
في نفسه وشعر بخطرها على عقيدته فقام يسأل ويبحث ، لا يهدأ له بال  
اولا يقر له حال حتى يقف على الحقيقة الثابتة التى لا رجعة فيها ، ( وماذا  
بعد الحق الا الضلال )

يقول سائلنا المحترم انه لم يفتح كتاباً علمياً الا رأى أن كاتبه قد اتخذ  
مذهب داروين قاعدة أقام عليها بناء موضوعه ، وشيد على اسها أركان  
بخته . ونظنه يريد بالسكتب العلمية ما هو بصدده من كتب الطب ، ولكننا  
نزيده أننا لم نطالع كتاباً فلسفياً ولا أدبياً من السكتب الاوربية الا ونرى  
أثر ذلك المذهب باديا عليها، ظاهرا في مقدماتها ونتائجها ، مما لم نعهده لاي  
مذهب غيره من المذاهب العلمية الاخرى .

كل منا يعلم الحفاة الشديدة التى يتظاهر بها الأورويون اللاديان  
الرسمية ، والخشونة الصارمة التى يعاملون بها زعماءها اذا بدا منهم بارقة  
العمل لتأييد مذاهبهم ، فلا نقول ان ذلك سببه مذهب داروين ، فان  
الشكوك والشبه ألتمت بائدة أهل أوروبا منذ القرن الخامس عشر كما اثبتنا  
ذلك في بعض فصولنا المتقدمة في مباحثنا ، وانما نقول ان مذهب

داروين اكتسب تلك الشبه صبغة ثابتة ، وامتلخ من يد العقائد الرسمية ملايين تعد بالعشرات في سنوات قليلة ، وجعل التكذيب بمقررات الاديان أمرا طبيعيا علميا في نظرهم

مذهب داروين موضوعه الفزيولوجيا كما هو معلوم فكان المنتظر أن يكون تأثيره محصورا في عالم العلم الطبيعي ، واسكنه لساسه بمسألة خلق الانسان خرج عن دائرة العلم الطبيعي ، وأغار على الفلسفة العقلية والفلسفة الحسية ، والعلوم الاديية والاخلاقية ، وجاز كل تلك الدوائر حتى النهم العلم السياسي أيضا وعلى هذه الصورة انتشر بين الطبقات الاجتماعية حتى وصل الي عامة الناس ودخل في معاملاتهم ومعاملاتهم وصارت مبادئه قاعدة أساسية لاخلاقهم وعاداتهم ، حتى أصبح عامة الشعوب الاوروية داروينيين فعلا وان لم يحسنوه علما . ثم فاض هذا المذهب من الشرق الى الغرب وكان الموصل له الى هذه البلاد طائفة من كتاب السوريين أصحاب المجلات العلمية فلم ينجحوا في بثه في اذهان الناس من قبيل العلم قدر ما نجحت عدوى معاشرتنا للاورويين ، فأصبح الناس هنا اليوم داروينيين بالفعل وان كرهوا ذلك قولاً ووهماً .

نعم انك لو واجهت انسانا وقلت له ، هل لك ان تعتقد ان الانسان حيوان مترق عن القرد وان بينه وبين الكلاب والسلاحف وآاصر قرية من القرابة ، وان كل الاحياء اصلها خلية واحدة ، وان كل مآزاه من صور الكائنات واشكالها ، كله نتيجة الوسط المناسب والقواعل الجوية ، وضروب العيشة ، وانه بناء على ذلك ، لا يليق بالانسان أن يوهم نفسه بعذاب ولا بعقاب في دار غير هذه الدار ، وما عليه الا أن يعلم أن السعادة هي سعادة هذه الحياة الارضية ، وانها معقودة ببعض نوايس معدودة على

الاصابع ، لوتوخاها الانسان ، ووفق سيرته عليها فاز بمراده من أكبر قسط من السعادة المرجوة . من تلك النواميس : ( الكائنات الارضية كلها متنازعة في البقاء ) و ( القوى منها يغلب الضعيف ويبيده ) و ( لا يبقى الا الاصلح للبقاء ) فان أحسنت المنازعة وسلكت فيها مسالك المهارة والدقة وأمكنك بذلك أن تقوى نفسك وتبدد كثيرا من الضعفاء وتمتص مادتهم صرت اصلح منهم للبقاء فبقيت انت وأخلك الجو وهذا ما يعبر عنه بالسعادة البشرية العليا ، لو قلت لانسان مثل هذه المقالة لحوقل واسترجع ، وتألّم وتأف ، ورمالك بالمروق من الدين والبعد عن التفضيلة ، بينما تكون هذه المقالة برمتها ترجمة سيرته بين قومه بل وأهل بيته ، فتراه مثلا كالليث الضاري ، بالنسبة لصغار الفلاحين يقرضهم درهمات قليلة ويتر بها محصولات كثيرة ثم لا يزال ينازعهم بحيله ووسائله تارة بالاقرض وأخرى في السقي والصرف والبناء حتى يلجئهم لان يبيعوا ارضهم وينجوا من محنته بالمنازعة الى حيث يدعومهم الهم الناصب والفقر المدقع . ولا معنى لهذا العمل كله الا تحقيق مذهب داروين فعلا فان ذلك الرجل نازع مجاوريه وتقوى عليهم بقوته ثم بقي بعدهم لانه أصلح منهم للبقاء وربما كان على هذه السيرة كثير الصلاة والصيام دائم التلاوة والتسبيح ويحتمل ان يكون بعد ذلك سبط اليد يبذل المال ويقرى الضيفان ! !

الا ترى معي بعد هذا ان مذهب داروين اكثر شيوعا مما يظنه اكثر الناس ، وادخل في مسارب اميال هذا الجيل من أى مذهب على آخر ؟ فاذا كان الامر كذلك فكيف لانسأل عن هذا الامر الجلال ، وكيف لا تنحصه فحفا دقيقة ان ترى ما كنه هذا الامر الهائل الذي ألم بالناس عموما بالقول والعمل ، وكان موجوداً بالعمل من يوم خلق العالم الى الآن



لا يقال ان الانسان ماعرف التنازع ولا تغلب قويه على ضعيفه ، ولا بقى الا صلح للبقاء ، الا بعد ظهور هذا المذهب . فان خير الطوائف الانسانية كلها يذبك بتأصل هذه النواميس في طبيعة الخلقة البشرية تأصلا تاما . ومن المعلوم بالبداهة ان الانسان ارسل اليه رسل من الله وبعث فيه انبياء يعدون بعشرات الالوف . فماذا كان شأنهم بازاء هذه النواميس وماذا كان تأثير العقائد عليها ؟

هذه النظرة التاريخية تدل على صحة على ان الدين وجد وعمل به مع وجود هذه النواميس ولا سبيل للقول بصد ذلك . بل ان هذه النواميس التي اكدتها داروين وعددها قاعدة اقام عليها صرح مذهبه موجودة في القرآن الكريم بالنص من ضمن قوانينه العمرانية ، وان أردت بعض البيان فاليك :

يقول داروين ان بين الطبيعة والكائنات الحية حرب باستمرة من يوم ولادتها الى يوم بلوغها قمة كما لها فالكائنات التي تبقى مع وجود هذا الحرب الدائمة تكون بلا شك اقبل للبقاء من سواها ، بل أحق بها من كل ماعداءها ويضرب لذلك الامثال فيقول مثلا : ان عدد البيوض والجرائم التي تولدها الاحياء اكثر بكثير من عدد الأحياء المتولدة منها . وهذا دليل محسوس على ان اكثر هذه الجرائم يهلك في اوائل حياته ولا يسلم من العطب الا النزر القليل الحاصل على صفات تمكنه من اجتياز هذا الطور الحيوي الابتدائي . ثم لو قابلت عدد الاحياء الكثيرة الجرائم بعدد الاحياء القليلة الجرائم نجد أن من الصنف الاول مالا يكاد يذكر من جهة عدد افراده بجانب أصناف من الصنف الثاني مع انه لا يبض الا بيوضا قليلة .

وما تراه هنا في عالم الحيوان تراه بعينه في عالم النبات فان أشخاصاً كثيرة من الفصيلة الثعلبية يولد أوفوا من الجرائم وهو مع ذلك قليل العدد وأمامه أصناف من فصائل أخرى قليل البزر ولكنه كثير العدد جداً . كل هذا يدل على ان عدد الاشخاص التي تبقي لا يتوقف على عدد الجرائم بل على صفات تلك الاشخاص الذاتية وحالة الوسط التي تحيا فيه . فما كان منها املك لصفات البقاء والمقاومة سلم من العطب وبعي ، وما كان غير ذلك هلك وتبدد وانقرض .

هذا الناموس عام أيضاً في الاحوال الانسانية فان الامم فيما بينها في تنازع مستمر وتراحم عنيف ، فمن كانت منهن حاصلة على صفات الحياة ومتمتعة بخصائص أكل من جاراتها سادت عليها ونازعتها أسباب حياتها واستأثرت بها دونها ، وهذا التنازع كما يقول الداروينيين من أكبر البواعث على الترقى والتقدم في باحات المدنية وساحات الحياة العقلية فانه أقوى وازع للانسان عن الاهمال والتواني ، وأحجى هادله الى بذل الوسع لنيل الاماني ، وأعمل محرض له الى صقل قواه العسكرية والعقلية . هذا الناموس في عرف ( داروين ) يسمى ناموس ( تنازع البقاء ) ونصه في الكلام الالهي « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » وقد أشار الله تعالى الى سر الغلبة في هذا التنازع وهي القوة بقوله تعالى ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) ولما كانت الصفات المؤهلة للغلبة والفوز في العالم الانساني لا تستمد دائماً من القوة العضلية بل يستمد أكثرها من خلال السكالم النفساني ، وسجاياء الشرف الخلفي . أشار الله تعالى الى ذلك بقوله تعالى : « ولا يجرمكم شئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » وقوله ( وقانلوم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان اتموا فلاعدوان الا على الظالمين ) وقوله

تعالى بعد ذكر القتال ( واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ) بهذه الآيات الكريمة جمع النبي صلى الله عليه وسلم الى صفات القوة الجسدية أعلى صفات السمكالات الانسانية وبها في أفئدة أصحابه فاصبح الواحد منهم وكان المتنبى بعينه بقوله :

قسا فالاسد تفزع من يديه ورق فنحن نفزع أن يذوبا  
فدانت لهم الدنيا دينونة لم تسبق لامة سوامم والسر في ذلك حصولهم على يذوى القوتين : الجسدية والخلاقية ، ووصولهم الى باحات الرتبتين البشرية والملسكية . ثم للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الفوز مع قلة عدد أصحابه وفقرم ، وانخذل أعداؤه على كثرة عددهم ، ودوام مددهم ، وشدة حميتهم ، لانهم لم يعتمدوا الا على قوة الساعد ومضاه الحسام ، وهما لا يجدان في العالم الانسانى الا أترأ يشبه ففقايق الصابون لا يرغى حتى يخدم ، ولا ينتفخ حتى يتمزق . والى هذا السر الكبير يشير الله تعالى في كلامه القديم : ( إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ) .

يقول ( داروين ) وأحزابه إذا سلمت بأن تنازع البقاء ناموس من نواميس السكون فلا مناص لك من أن تسلم بحصول غلبة لبعض المتنازعين وخذلان للبعض الآخر ، ومعنى تلك الغلبة وذلك الخذلان بلسان علم الحياة البقاء والتلاشى . بمعنى أن الحزب الغالب يبقى متمتعاً بما افتتحه بقوته ومهارته وأما الحزب المغلوب فلا يجد ما يقيم اوده فيضعف ثم يزول ويتلاشى ويدع الجوخالياً لخصومه . وهذا الناموس في عرف ( داروين ) و ( روسل ولاس ) يسمى ( بالانتخاب الطبيعى ) ومعناه لا يبقى الا الاصلح . وقد

أشار الله تعالى إلي هذا الناموس الكبير بقوله جل شأنه « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » والمراد بالصالحين هنا المستكملون شرائط الفضائل الجسدية والعقلية ، كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً فى جمعهم بين نخامتى الدنيا والدين ، لا كما اصطلاح عليه بعض الناس من أن الصالحين هم الضعفاء المنزويون . ولقد كانت غلبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كافة أعدائهم من رومانيين وفارسيين مع ما كانوا فيه من قوة الشوكة وعدد الجند وانتظام الاحوال دليلاً محسوساً على صحة ذلك الناموس الكبير ، فانهم عليهم رضوان الله لما كانوا أصلح للبقاء من كل من ذكروا ورثوا أرضهم وديارهم وصار ما بقي من اولئك الاقوام رعايا لهم يدفعون لهم الجزية ويعتزون بحمايتهم .

لداروين عدا عن هذين الناموسين ( ناموسا المطابقة والوراثة ) أما ناموس المطابقة فمقتضاه ان لنوع الاغذية وطرق الوصول اليها دخلاً كبيراً فى احداث الاختلافات بين الانواع . وأما ناموس الوراثة فمقتضاه أن الصفات العرضية التى تحدث فى الآباء بواسطة اختلاف الاحوال والاوساط تنتقل الى الاءبناء فتنشأ تلك الابناء مختلفة فيما بينها ، ولا يزال هذا الاختلاف يقوي بينها على ممر الاجيال والقرون حتى تستحيل تلك الاختلافات العرضية الى اختلافات جوهرية توهم الرائي لها أنها اختلافات نوعية من أصل الخلقة ، وهى فى الحقيقة اختلافات بسيطة فى مبدئها توالد عليها الاحقاب حتى ازدادت تأصلاً فى الحيوان ونمت فيه فأدته الى مباينة الاصل الذى نشأ منه تمام المباينة ، حتى أن الرائي لها يظنها من نوعين مستقلين وهما من نوع واحد . كما ترى ذلك بين الحمار والحصان فانهما على مقتضى مذهب داروين نوع واحد وانما اختلف الحمار عن الحصان هذا

الاختلاف تبعاً لمقتضيات الوسط الذى عاش فيه والجهاد الشديد الذى بلى به .  
 هذان الناموسان : ناموس الوراثة وناموس المطابقة لا يجوز السترده  
 فى صحتهما فان المحسوسات بجملتها وتفصيلها تدل عليها . إذا تقرر كل  
 هذاهل مذهب ( داروين ) صحيح ؟ وهل الانسان كما يقول مرافق عن  
 القرد ؟

أكبر الاعتراضات على هذا المذهب تنحصر فى ثلاثة أمور : ( أولاً ) عدم  
 مشاهدة أى ارتقاء من أى نوع كان فى الاحياء الارضية من عهد الوف  
 عديدة من السنين ( ثانياً ) عدم وجود الصور المتوسطة بين الانواع اللازمة  
 لمذهب التسلسل كأن يوجد مثلاً حيوان أرقى من القرد رتبة واحدة وأدنى  
 من الانسان رتبة واحدة أيضاً ( ثالثاً ) طول الزمان اللازم لحصول الترقى بين  
 الاحياء . فان عمر الارض كما قالوا لا يكفى لاحداث كل ما يرى من هذه  
 الاشكال المختلفة غاية الاختلاف .

رد الداروينيون على هذه الاعتراضات بقولهم أما عدم مشاهدة أى  
 ارتقاء فى الاحياء المرئية فلا يصح دليلاً على عدم الارتقاء عموماً . ومن يسلم  
 بناموس تنازع البقاء ثم بناموس الانتخاب الطبيعى أى بقاء الاصلح ، فلا  
 مناص له من التسليم ببقاء البعض وتلاشي البعض الآخر ، ونتيجة ذلك كله  
 الارتقاء عموماً .

أما عن اعتراض فقدان الصور المتوسطة فيجبون بأن ذلك غير صحيح  
 وان علماء الطبيعة لنى حيرة وارتباك فى تقسيم أنواع الحيوانات والنباتات  
 لتقاربها فى الصفات والاعضاء . وما خفيت الصور المتوسطة منها فذلك سببه  
 شدة تنازع البقاء على حسب اختلاف الاوساط والاحوال . ولذلك لم يكن  
 صور متوسطة بين الصنفين التى هى فى حالة الانقراض أو الوقوف كالنعام

والفيل » فانها لا تولد تباينات جديدة ولذلك فهي تؤلف أنواعا مستقلة بخلاف طوائف الحيوان التي في حالة النمو فانها تنحل الى عدة أنواع جديدة بالتباينات التي تنشأ منها ولذلك يوجد فيها صور متوسطة كثيرة يحار فيها المرتبون »

أما عن اعتراض طول الزمان اللازم لصحة التسلسل فيجيون بأن من العبث الاعتماد على قول من يزعم بإمكان تحديد عمر الارض . وقد حسب الاستاذ طمسن الانجليزي الزمن الذي لزم ليس القشرة الارضية فوجده لا يقل عن عشرين مليوناً من السنين ولا يزيد عن أربعائة مليون سنة ، وانه يقتضى أن يكون بين ثمانية وتسعين مليون سنة ومائتي مليون سنة . وهذا الزمن كما يقول داروين نفسه لا يكفي لبلوغ الحياة الاطوار التي ترى عليها الآن . لهذا رأى الاستاذ طمسن أنه من الضروري أن الحياة لم تنشأ على سطح الارض بل ووردت اليها من أحد الكواكب ، بان سقطت على الارض بعض الجراثيم الحية المحمولة على نيزك من النيازك الساقطة من بعض الاجرام العلوية .

لا يكاد الانسان يواجه الداروينيين باعتراض حتى يقابلهوا باشكالات طبيعية لا يمكن تفسيرها على ما يقولون الا بمذهبهم . كأن يقولوا مثلاً : لماذا تختلف الحيوانات والنباتات باختلاف شكل المعيشة وأحوال الوسط الذي هي فيه اذا لم يكن فيها قابلية لمساكلة الاحوال ، والتطور على حسب المقتضيات ، أليست هذه القابلية للتغير دليلاً على أنها دائمة التغير والتحول ؟

أليست ترى أن هذا التنازع بين الاحياء يكسب بعضها دون البعض خواص وجودية تخالف بها اخواتها فتكتسب بذلك مزايا ليس لسواها ؟

إذا لم يكن الانتخاب الطبيعي قانوناً طبيعياً فلماذا نشاهد أن نوعاً يقوى على مقاومة العوارض دون النوع الآخر . ولماذا نرى أن بعض الانواع يضعف أمام خصمه ثم يتلاشي ؟

ألا نرى أن الوراثة وهي ذلك القانون الطبيعي الشهير صالحة لنقل الصفات المكتسبة الى النسل وتلك الصفات تنقلب جوهرية ذاتية فيهم متى صادفتها أحوال موافقة وظروف مناسبة ؟

إذا لم يكن للعادة أثر كبير في احداث التغير في الانواع فلماذا تضعف الاعضاء والصفات في الاحياء وربما تلاشت بالمرّة متى أهمل أمرها وتركت ، وماذا تقوى وتشتد بالاستعمال والتمرين ؟

نرى فرقاً كبيراً بين الاحصاءات المختلفة التي عملها العلماء عن الانواع ، حتي أنهم ليختلفون بالمئات الكثيرة . نرى أحدهم مثلاً يعد انواع الطيور في قطر أقل من أر بعائته ونرى الآخر يعدها في ذات القطر تسعمائة . فلماذا هذا الخلاف الهائل إذا لم يكن الفاصل بين الانواع دقيقاً جداً . ولماذا كان هذا الفاصل بين الانواع دقيقاً جداً ان لم تكن الانواع حدثت من التباينات في شكل المعيشة والاحوال المكانية ؟

لو كانت الأنواع نتيجة خلق مستقل للزم أن لا يكون فيها أعضاء أثرية تدل على أنها كانت قبل كثير من الاجيال ذات فائدة للحيوان أو النبات في أحواله المعيشية ثم لما تغيرت تلك الأحوال صارت عديمة الجدوى وبالتالي بطل استعمالها فضمرت حتي صارت أثرية لا يرى الا أثرها فقط ؟

هذه أكبر العضلات التي يقدمها أنصار داروين في كتبهم لسكل من يحاول أن يعترض عليهم أو ينتقص مذهبهم فهل نسلم معهم بعد هذا أن الانسان مترق عن القرد وان بينه وبين الكلاب قرابة ورحماً ؟

هب أن مذهب داروين صحيح فإذا يكون شأننا أمام الدين وأمام التفضيلة وأمام العادات والقوانين؟ بل كيف نطبق ماورد في كتبنا عن أصل الخليقة وأصل النوع الانساني على مقررات هذا المذهب إن كانت حقة؟ وكيف يكون شأننا في عقيدة الروح والخلود والنعيم والشقاء الأخر وبين؟

إذا كانت العادات المتأصلة والتقاليد الموروثة تجعل الانسان يشمئز ويتبرم من سماع مالا ينطبق على عقيدته الخاصة فيدفعه دفعا بدون امتحان ولا اختبار ويوسع قائله وسائله شتاً وسباً ، فليس المسلم من هذا الصنف من الناس . فان الاسلام لله معناه التجرد اليه تعالى من كل ماسواه والتوجه الي ذاته توجهاً خالصاً منقطعاً عن كل العلاقات والنسب الحيوية الصناعية أريد من هذا أن أقول ان المسلم ليس جامداً على مذهب خاص حتى يخشى صولة مذهب آخر ، بل المسلم مذهبه الحقيقة المطلقة دون سواها ينشدها في كل مكان فان وجدها ولوعلى لسان عدوه حمدالله وأثنى عليه بما هو أهله ، وان لم يجدها بحث عنها جهده حتى يجدها أو يموت في سبيلها وهو في سبيل الله ، مستسلم لمولاه

كل إنسان يدافع عن مذهبه جهده ، وبسعى في تأييده ولو بالخداع والحيلة ، لانه معتمده الوحيد وركنه الذي يعتصم اليه ، واسكنه رغباعن هذه المدافعة والاستبسال في سبيله يجد نفسه في نهاية الأمر مسوقاً الى تركه وهجره متى لاح له البأس أنه لا يقاوى زوابع الشبه وأطصير الشكوك المنصبة عليه من كل مكان . هذا مثل أصحاب الأديان في هذا الزمان أمام صولة العلم وجبروت أهله . أما المسلم فلا يحس بهزيمة ولا يشعر بالمشيئة ، لأن أنشودته الحقيقة ذاتها فما كان حقاً أخذ على الرأس والعين وهو دينه وما كان باطلاً عمل على زواله ، وان كان ذلك الباطل عقيدة كانت له منذ أربعين سنة ، فان



المسلم خلق ليرتقي كل يوم ، ولا تجده يتبرم من ترك عقيدة كانت له من أربعين سنة بل تراه يفرح بحكايتها حيث يقول : أخذت عن تسعة وتسعين شيخاً ولومت قبل أن يدركني التعم للمائة لمت على غير الاسلام (١) الخلاصة أن المسلم لا يضره مذهب علمي ، ولا أسلوب فلسفي مادام من ورائه الحقيقة التي لا مرء فيها فان دين المسلم الحقيقة لا غير . وأنا لا أقول هذا بصديقا لمذهب داروين ولكن من باب تهدي\* أفئدة من علقت بأذهانهم مقررات هذا المذهب من اخواننا المسلمين ليبتظروا منا ان شاء الله التحليل الدقيق لمبادئ هذا المذهب وبراهينه ومستنداته ونتأمله على الدين والعلم والاخلاق والسياسة ومبلغ أصوله من الحقيقة . وكنه فساد الفاسد وسلامة السليم منها كل ذلك بالتحليلات الفنية والتدقيقات الفلسفية حتى نصل الى نهاية الموضوع فنحاكاه المحاكاة الدقيقة في كتاب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى .

## نظرة على ماسبو

لا يوجد واحد من الشرقيين لم يحس بألم التأخر في مجاز الحياة وميدان الوجود عن مناظريه الغربيين . ذلك الألم حل بالافئدة وأحدث فيها آثاراً تختلف باختلاف الناس وأمزجتهم ودرجاتهم من المال والعلم . فانقسم الناس إلى جملة أقسام : قسم هاله الفرق بين حالتنا وحالتهم فاستكان لليأس ، واستنام له ، فلام أحواله عليه ، فان كان غنيا هام بالتقليد والمحاكاة ، وغالي في التحكك والاتصاق بهم حتى لو استطاع أن يبدل وجهه

(١) هذه الكلمة الكبرى تروى عن أبي يزيد البسطامي وهي أجمل مثل على معنى الاسلام.

غريبا لتفعل ، وجرى وراء الثروة جريا جنونيا ، لانه تحقق مع يأسه أنها ركنه الوحيد في دنياه ، وعونه الفريد في إيفائه مقتضيات هواه . وأما ان كان فقيرا فعل اليأس به أسوأ الافعال ودفعه لطلب المال من سائر وجوهه بلا فرق بين مشروع ومحظور ، وأعطى أولاده بذلك أسوأ الدروس الحيوية . فاذا أنس ان جهاده صادق مرعى خصيبا ، وجنابا مرعا ازدادتهما وشرها ، وغلا كلبا وجشعا ، وصار لاهم له الا المال دون سواه . واما ان قاده الظروف الى مجال ضيق ومحلة خشنة ، ضاق صدره ، وهلعت نفسه ، واستوعب النكد فسكره وتصوره ، وصار عبيرا لنفسه فكيف لا يكونها لغيره ؟

وقسم رأي ذلك الفرق الهائل بين شأنا وشأنهم فظنه سحابة صيف ، وحسبه عرضا زائلا ، فجال به ذلك التوهم في مجالات التصورات الوهمية ، والاقيسة الظنية ، وأخذ يسرح من سراب حلم ، إلي فضاء وهم ، منتظرا وقوع الاحن بالغرب واهله يوما بعد يوم وهلم جرا . . .

هذا القسم يشن غارته هذه على الغرب وهو ساج في زخارف مدنيتها ورائع في أرجاسها من حيث مأ كلة ومشربه وملبسه ، وهو يحس بذلك كله ويعترف بان ذلك الجديد المستعار أحسن مما فيه قومه ، ولكنه اعترف لا يجاور شعاف قلبه ، ولم يصعد الى مركز تعقله لشدة ما أخذت الاوهام بمخفق ادراكه ، وأمسكت با كظام تصوره .

وقسم لم يأس من مساواة مناظره ، ومسامانه في مفاخره ، ولكنه يرى أنه خير الذرائع للحاقه هي تقليده ومحاكاه في صنائعه واختراعاته ، فهو يدأب في بث هذه الفكرة جهده . من هذا القسم أكثر كتاب الصحفي ! ومؤلفي الكتب .

هناك قسم رابع ساووا القسم المتقدم في عدم اليأس ، وزادوا عليهم في سد مساره بالعلم والعمل ، ولسكنهم يرون ان الترقى الصناعي والعلمي (مظاهر روح عالية) تحمل بالامة كما تحمل الحياة بالجسم الميت فتسوقها الي مقاوم العلاء والشرف سوفا طبيعيا منتظما .

أفراد هذا القسم يرون ان دواء الشرق هو رد روحه اليه بالوسائل الحيوية التي سنها الانبياء وتبعهم فيها كبار المصلحين ، لا بالدعوة الي مظاهر المدنية أو فتح العامل الصناعية . هؤلاء هم أصحاب العقول العالية والافئدة الكبيرة ولسكنهم أقل من ان يعدوا على الاصابع .

اذا تقرر هذا فقل لي أي شيء هو هذا الامر الجليل الذي انصب علينا من العالم الغربي تحت اسم المدنية الغربية ، وسلبنا من أنفسنا سلبا لحيثية لكل واحد منا من جهة ضعفه وشطر مقتله ، فلم يدع غنيا ولا فقيرا ولا شيخا ولا شابا الا ودخل إلى سويداء قلبه ، ونفذ إلى صميم كيانه ؟

لا يمكن أن يكون هذا الامر حالا عرضيا ، أو مظهرأ سرايبا ، أنت به الحوادث جزافا ، وكونته الظروف صدفة ؟

النفوذ الي حقائق هذا الامر الجليل ، والسريان الي سره من حق وباطل ، وطبيعي ووهمي ، وصحيح وفساد ، لا يتم الا بتحليل كل ما يردنا من تلك المدنية تحليلا فلسفيا دقيقا واعمان النظر فيه بعين الحزم والانانة . وهي وظيفة ( الاسلام في عصر العلم ) فانه لن يدع ان شاء الله مذهبا فلسفيا ولا رأيا علميا ولا ناموسا عمرانيا ولا أسانفسيا مما أنتجته تلك المدنية الا فحصه فحصا دقيقا وحلله تحليلا شافيا ان شاء الله تعالى بنور القرآن وحال الرسول عليه الصلاة والسلام صيانة لايماننا في هذا الجيل العجيب الذي

يصبح الرجل فيه مؤمناً ويمسى كافراً إلا من عصمه الله بالعلم .  
إذا تقرر هذا فذهب ( داروين ) وإن كانت نتيجته تضاد ماذهب إليه  
الإله لانه لا يحلو من حقائق وجودية كبرى لها أكبر الآثار في ترقية فكر  
الرجل العصري وتهذيب ملكاته ، فان رفضناه من أول وهلة بدون امعان  
النظر فيه ، ودرس ظاهره وخافيه ، كنا غاشين لانفسنا ، مزرين بعقولنا ،  
لان شبهه علقت بالاذهان ، وقوانينه أصبحت جزءاً من سيرتنا فعلاً ، فما معنى  
أبهام انفسنا بعد ذلك باننا من أعدائه الالقاء ، وخصومه الاشداء .  
ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب ( داروين ) كله لاجل  
نتيجته لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحسية على حقائق قرآنية كان  
الغريبيون لولاد يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التي يرهنون بها على عدم حقيقة  
ديننا كما سيمر بك تفصيلاً إن شاء الله تعالى .

# فهرست

## الملحق لكتاب الاسلام

صفحة	
٣	( ١ ) رأينا في داء الامة ودواؤها
١٢	( ٢ ) داء الامة ودواؤها
٢٢	( ٣ ) الاسلام في عصر العلم ملاحظة على ملاحظة المقتطف
٣٢	( ٤ ) تنبيه لحضرات قرائنا
٣٥	( ٥ ) ما وراء المادة
٣٨	( ٦ ) استحضار الارواح والتنويم المغناطيسى
٤١	( ٧ ) اقتراح من مجلة المنار
	( ٨ ) رأينا في المناظرة في موضوع تدريس الطب بالعربية أو بلغة أجنبية
٤٨	( ٩ ) باب المسائل
٥٠	( ١٠ ) هل نحن أمة حية
٥٢	( ١١ ) العامة والخاصة
٥٤	( ١٢ ) الحج
٥٩	( ١٣ ) استحضار الأرواح
٦٤	( ١٤ ) النبوة ليست اكتسابية
٦٧	( ١٥ ) من أين جاءنا الفساد الاجتماعى

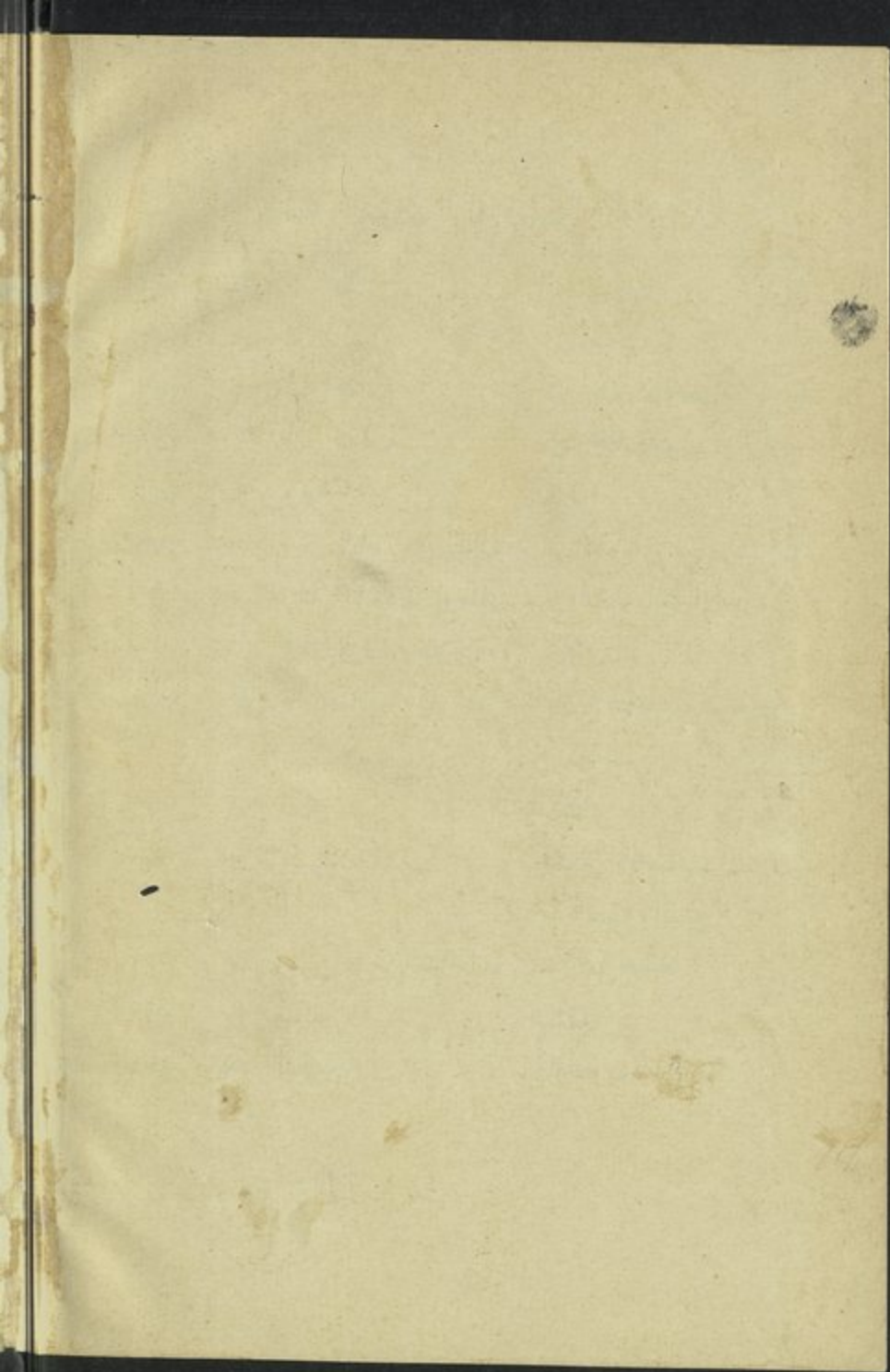
صحيفة

- |    |                                         |        |
|----|-----------------------------------------|--------|
| ٧٦ | ماهو الجبروت والملكوت والناسوت واللاهوت | ( ١٦ ) |
| ٧٧ | الصلاة والصيام في الاسلام               | ( ١٧ ) |
| ٨٤ | مذهب داروين والدين                      | ( ١٨ ) |
| ٩٧ | نظرة على ماسبق                          | ( ١٩ ) |

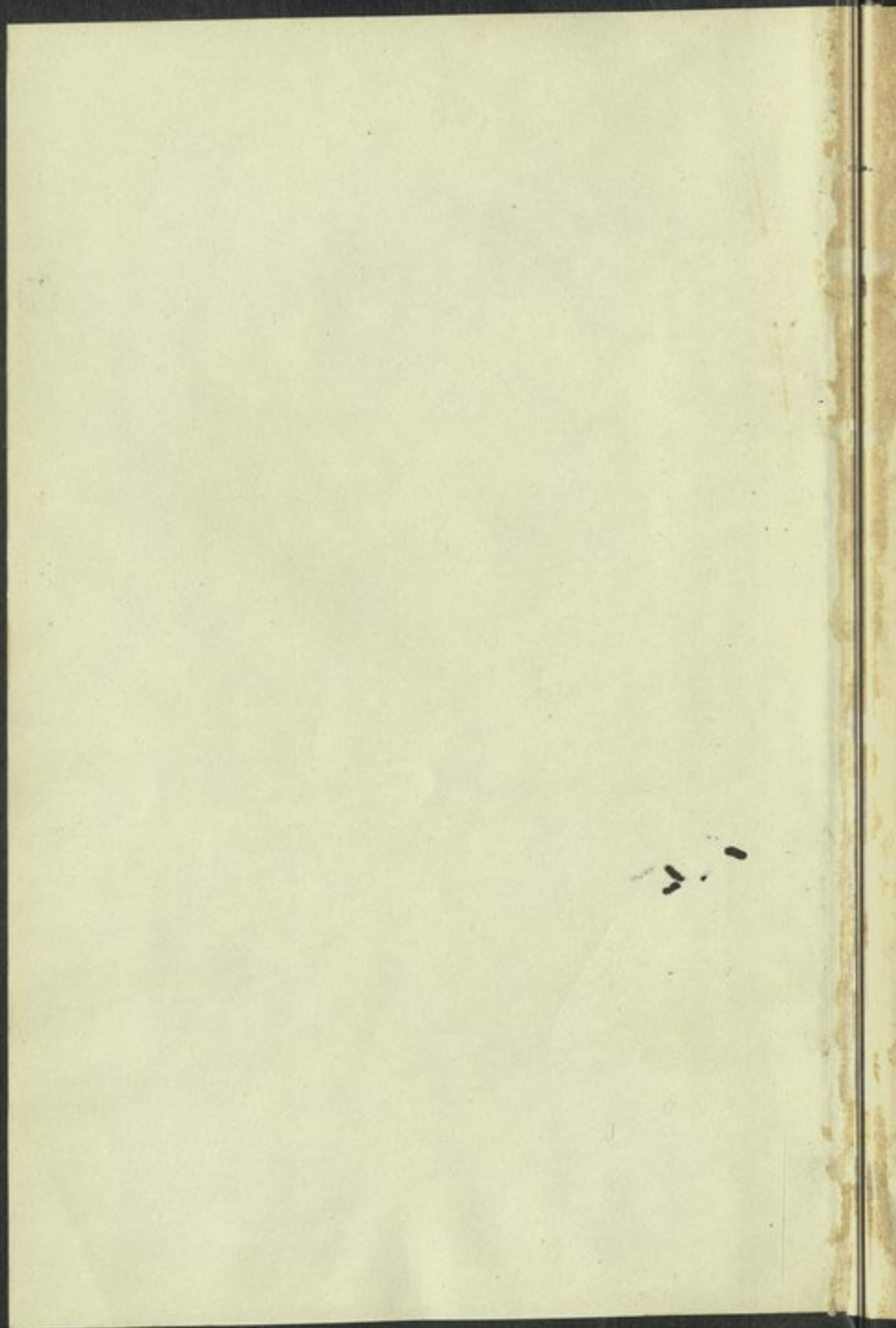
﴿ تم الفهرست ﴾

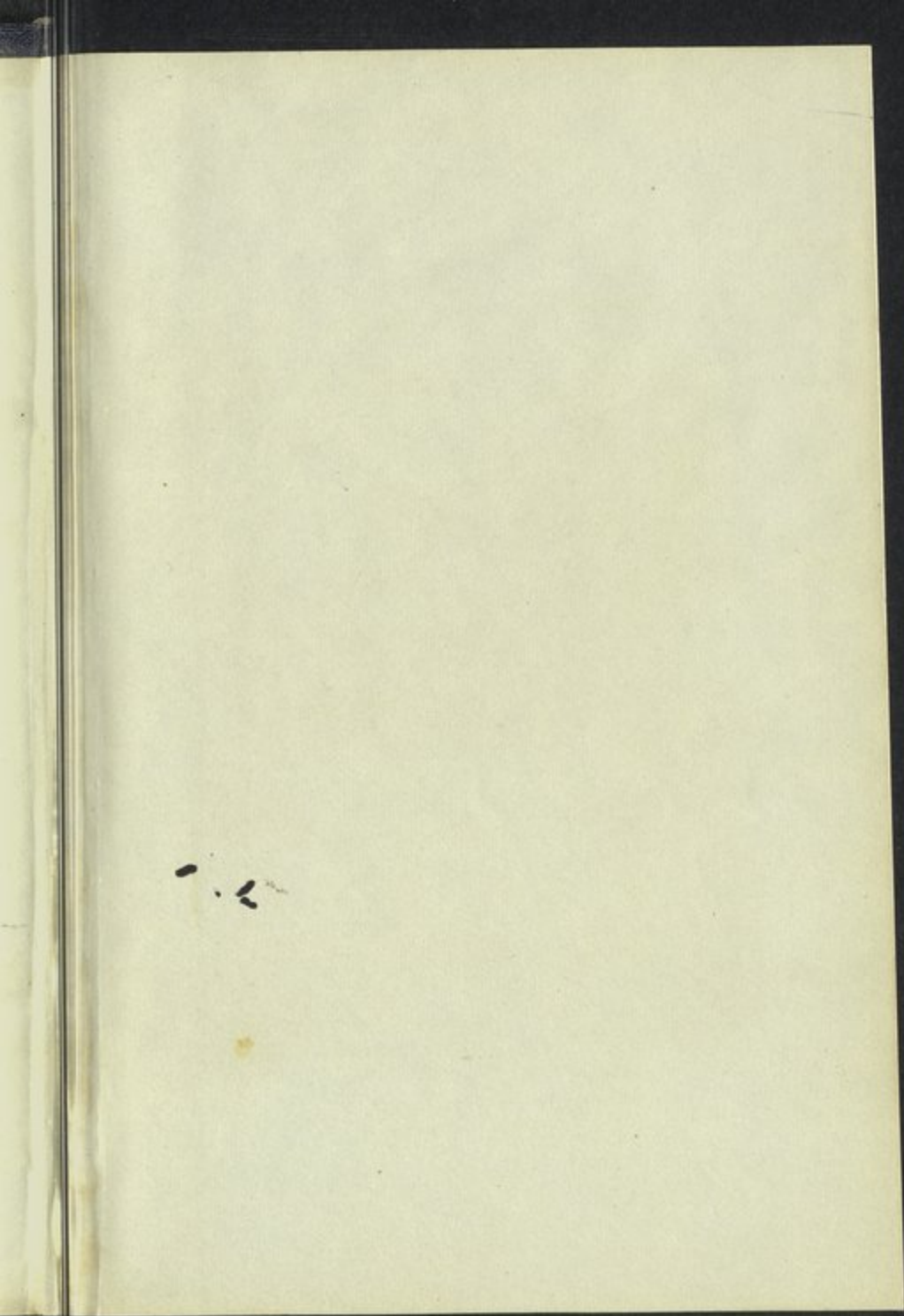
الخطأ والصواب الواقع في الجزء الأول

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٧٣	٩	هم الغالبون	هم المفاجون
٢٥٦	٢	في رحمة منه	في رحمة منه وفضل
٢٥٨	٤	في رحمة منه	في رحمة منه وفضل
٢٦٠	٩	وقولوا	قولوا
٢٧٦	٧	ومن الناس من يقول ربنا آتنا	فمن الناس من يقول ربنا آتنا
		ربنا آتنا في الدنيا وما لهم	في الدنيا وما له في الآخرة من
		في الآخرة من خلاق	خلاق
٢٧٦	١٤	قال له صاحبه أ كفرت	قال له صاحبه وهو يحاوره أ كفرت
٢٧٦	١٨	لكن	لكننا
٢٨٥	٣	يكسبون والذين	يكسبون فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين
٣٠٠	١٤	ومن يعمل من الصالحات	من عمل صالحا
٣١٦	١٧	مستقيم	مستقيما
٣٢١	٢	الغالبون	المفاجون









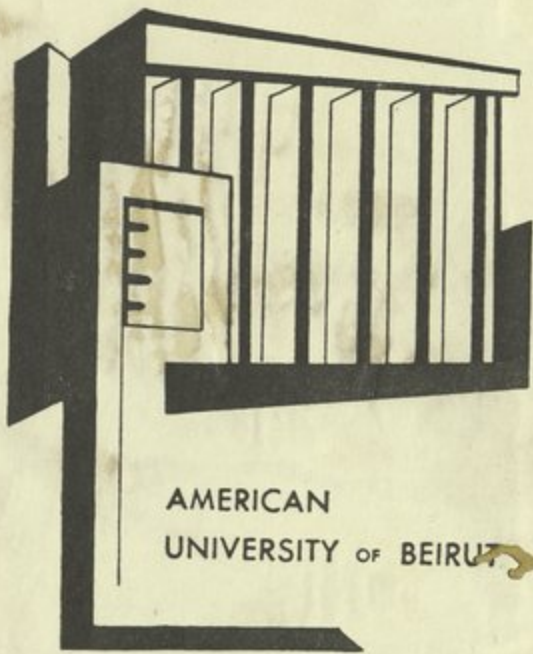
297.15:W141A:v.2:c.1

وجدى :محمد فريد  
الإسلام في عصر العلم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01006106



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT

